جمهورية العراق

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة بغداد – كلية الآداب

قسم التاريخ



اليهود في فلسطين القديمة خلال الألف الأول قبل الميلاد
دراسة في الأحوال الاجتماعية

أطروحة تقدم بها الطالب

عامر حمزة حسين الغريب

إلى مجلس كلية الآداب – جامعة بغداد، وهي جزء من متطلبات نيل درجة دكتوراه فلسفة في التاريخ القديم

بإشراف

الأستاذ الدكتور

أحمد مالك الفتيان

١٤٣١هـ　　　　بغداد　　　　٢٠١٠م

بسم الله الرحمن الرحيم

يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ۞ وَاتَّقُوا يَوْماً لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئاً وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ۞ وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ۞ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنظُرُونَ ۞

صدق الله العلي العظيم

البقرة: ٤٧ – ٥٠

إقرار المشرف

أشهد إن إعداد هذه الأطروحة الموسومة بـ **(اليهود في فلسطين القديمة خلال الألف الأول قبل الميلاد- دراسة في الأحوال الاجتماعية)** والمقدمة من الطالب **(عامر حمزة حسين الغريب)، جرى تحت إشرافي في قسم التاريخ- كلية الآداب- جامعة بغداد.**

التوقيع:

المشرف: أ. د. أحمد مالك الفتيان

التاريخ: / / ٢٠١٠

بناء على التعليمات والتوصيات المقدمة أرشح هذه الأطروحة للمناقشة.

التوقيع:

رئيس قسم التاريخ: أ. د. محمود القيسي

التاريخ: / / ٢٠١٠

إقرار لجنة المناقشة

نحن رئيس وأعضاء لجنة المناقشة، نشهد بأننا اطلعنا على هذه الأطروحة الموسومة بـ **(اليهود في فلسطين القديمة خلال الألف الأول قبل الميلاد، دراسة في الأحوال الاجتماعية)**، وقد ناقشنا الطالب **(عامر حمزة حسين الغريب)** في محتوياتها، وفيما له علاقة بها، ونعتقد أنها جديرة بالقبول لنيل درجة دكتوراه فلسفة في التاريخ القديم، وبتقدير (   ).

التوقيع:
الاسم: أ.د. طالب مهدي الخفاجي
رئيساً
التاريخ ٢٦/٩/ ٢٠١٠

التوقيع:
الاسم: أ.د.أحمد مالك الفتيان
المشرف عضواً
التاريخ ٢٦/٩/٢٠١٠

التوقيع:
الاسم: أ.د. حسين أحمد سلمان
عضواً
التاريخ ٢٦/٩/٢٠١٠

التوقيع:
الاسم: أ.م.د. غسان عبد صالح
عضواً
التاريخ ٢٦/٩/٢٠١٠

التوقيع:
الاسم: أ.م.د. منذر علي عبد المالك
عضواً
التاريخ ٢٦/٩/٢٠١٠

التوقيع:
الاسم: أ.م.د. خالد موسى الحسيني
عضواً
التاريخ ٢٦/٩/٢٠١٠

مصادقة مجلس الكلية

صادق مجلس كلية الآداب في جامعة بغداد على قرار لجنة المناقشة

التوقيع:
أ.د. فليح كريم الركابي
عميد كلية الآداب
التاريخ   /   /٢٠١٠

﴿الإهداء﴾

إلى

اللذين كانا يقصان عليَّ الحكايات، فيبعثان فيَّ روح الخيال......... أبي وأمي

أجنحتي التي بها أطير .... إخوتي

فراشات الحنان .... أخواتي

شراع سفينتي التي بها أُبحِر......... زوجتي

طيبة، غدير، فاطمة، اللواتي أرى في عيونهن كل العصور.......... بناتي

محمد تقي، وحسين، قرة عيني .... ولداي

الذين لولاهم لم أكن ولن أكون......... أساتذتي سراج طريقي

لهم جميعاً أهدي هذا الجهد المتواضع

الباحث

شكر وامتنان

الحمد لله الذي لا تحصى نعمائه، الحمد لله الذي قال في محكم كتابه العزيز **(ولا تنسوا الفضل بينكم)**.

في البدء يسعدني ويشرفني وأنا أضع هذه الدراسة المتواضعة أن أتقدم بوافر الشكر إلى أستاذي وملقني المشرف الأستاذ الدكتور أحمد مالك الفتيان، الذي قبل الإشراف على موضوع أطروحتي، ولا أنسى تشجيعه المتواصل وجهوده المخلصة في رعاية هذا البحث، إذ كان لاقتراحاته وآرائه العلمية السديدة بالغ الأثر في إخراج هذا البحث بالصورة التي هو عليها الآن.

كما لا أنسى أن أتقدم بخالص شكري إلى الأساتذة الأفاضل الذين لم يدخروا جهداً في التدريس واسداء النصح والمشورة في السنة التحضيرية وأخص منهم بالذكر الأستاذ الدكتور مرتضى النقيب، والأستاذ الدكتور جواد مطر الموسوي، الذي أرفدني بالمصادر المهمة في موضوع دراستي، والدكتور أحمد سلطان، أستاذ الترجمة في جامعة المستنصرية/ كلية الآداب، والأستاذ الدكتور مجيد أستاذ اللغة العربية.

كما يقتضي واجب العرفان أن أتقدم ببالغ الشكر وخالص التقدير إلى الأساتذة في قسم التاريخ كافة. وأتقدم بالشكر الجزيل إلى العاملين في مكتبة المتحف العراقي، ومكتبات جامعة بغداد، في كلية الآداب، وكلية اللغات، وكلية التربية/ أبن رشد.

وعرفانا بالجميل أود أن أشكر الصديق العزيز أستاذ سعدون عبد الهادي، رفيق الدرب، والأخوين ماجد كاظم (أبو يقين)، وخالد موسى (أبو أديان).

وختاما لا يسعني إلا أن أتوجه بالشكر إلى كل من قدم لي رأياً بناءً أو نصيحة أسداها أو كتاباً أفاد هذه الأطروحة بهذا الجانب أو ذاك، وللجميع الشكر والتقدير.

المختصرات

أولاً: مختصرات المصادر الإنكليزية:

JNES; Journal of near eastern studies, (New York).

ARAB; Ancient Records of Assyrian and Babylonian ,(Chicago).

CANE; Civilizations of the Ancient Near East, (New York).

ثانياً: مختصرات ورموز عامه:

الرمز	المختصر	الرمز	المختصر
ج	الجزء	Op.cit	المصدر السابق (opic citos)
ص	صفحه	pp	صفحات (pages)
ق.م.	قبل الميلاد	Ibid	المصدر نفسه (Ibdum)
د.ت.	دون تاريخ	p	صفحه (page)
ع	عدد	Vol	مجلد(volume)
مج	مجلد		
ص ص	صفحات		
ب. مط	بدون اسم المطبعة		
ط	الطبعة		
שם (شام)	مصدر سابق والمصدر نفسه		
עמ' (عم)	صفحة		

ثالثاً: رموز الاقتباس من الكتاب المقدس هي كالآتي:

اسم السفر / رقم الإصحاح : رقم الآية التوراتية

المحتويات

مُقَدِّمَة

اليهود شعب من الشعوب السامية (الجزرية)، كانوا يتنقلون في بوادي الجزيرة العربية بماشيتهم طلباً للماء والكلأ، عُرفوا في تلك المرحلة بإسم (العبرانيين)، وقد تحكمت في حراكهم وتنقلهم من منطقة إلى أخرى ظروف اقتصادية (معيشية)، أو قد تكون دينية، أو سياسية، شكلت منطقة فلسطين لهم إزاء تلك الظروف متنفساً في فترات مختلفة من تاريخهم القديم، سيما بعد أن استقروا فيها حوالي القرن الثاني عشر قبل الميلاد مع شعوب سامية (جزرية) أخرى سبقتهم في استيطانها، هم الاموريون، والكنعانيون، والآراميون.

وقد جاء استقرارهم الأخير في فلسطين عقب خروجهم من مصر، وهي الحادثة التي يبدأ معها تأريخهم الحقيقي على اتفاق المؤرخين. إذ تشكلت أولى لبنات مجتمعهم، وانفردوا بكيان ديني، عقائدي، اجتماعي، يحمل خليطاً من الأنظمة الاجتماعية للشعوب التي عاشوا بين ظهرانيها. وعلى هذا فقد كان للمجتمع اليهودي القديم شئناً خاصاً، يختلف إذا ما قارناه بطبيعة مجتمعات الشرق الأدنى القديم، لأن هذا المجتمع تعرض خلال محطاته التاريخية المختلفة إلى تقلبات اقتصادية وسياسية وثقافية متتالية. الأمر الذي يوضح اهتمام الباحثين بدراسة التاريخ القديم لهذا المجتمع، فضلاً عن أن فهم هذه الحقبة من تاريخ المجتمع اليهودي القديم يفسر كثير من مفردات التراث اليهودي في الحقب التاريخية اللاحقة، من ديانة وعادات وتقاليد وغيرها.

ومن هنا انبثقت رغبتنا في سبر غور هذا المجتمع، يدفعنا إلى ذلك قلة الدراسات الجادة في هذا الخصوص على مستوى الجامعات العراقية، فضلاً عن أن مثل هكذا مواضيع هي مدار اختصاصنا في الأصل، أضف إلى ذلك، أن العقبات التي اعترضت طريقنا، كانت هي الأخرى أيضاً حافزاً مهماً في دراستنا.

ففي الوقت الذي نجد فيه المؤرخ الدكتور نجيب ميخائيل إبراهيم يقول نقلاً عن البروفسور سايز Ciyes في كتابه (تاريخ العبريين القديم) Early History of the Hebrews **(لئن أردنا تفهم تاريخ العبرانيين على حقيقته فأن علينا أن**

نعالجه كما يُعالج تاريخ أي شعب قديم)[1]، نجد أن أغلب المؤرخين العرب حاولوا تفسير التاريخ اليهودي القديم على أساس الرؤية المعاصرة للصراع العربي الصهيوني، وباتوا يقدمون الجذور للعدو الصهيوني من حيث لا يشعرون من خلال الحديث عن روابط وعلاقات تاريخية بصورة نزاع قديم بين العرب واليهود، والحقيقة أن الصهيونية المعاصرة لا تمثل تاريخ بني إسرائيل القديم، (التاريخ الذي شهد وجود الأنبياء عليهم السلام)، ولهذا ينبغي دراسة التاريخ اليهودي القديم بمعزل عن التاريخ الصهيوني المعاصر الذي يبعد عن الأول أكثر من ثلاثة آلاف سنة.

ومن جانب آخر فأن المستشرقين والباحثين الأجانب تناولوا دراسة هذا التاريخ من وجهة نظر عاطفية، متعصبة، بعيدة عن الموضوعية.

إن هذه المشكلة كانت تحول دون الحصول على مصادر ذات منهجية تاريخية واضحة تفسر لنا التاريخ اليهودي القديم برؤية تاريخية علمية وموضوعية.

وما أن نجد بصيص أمل في هذا الإطار، حتى نقع في مشكلة أخرى، إذ أن أغلب كتابات المؤرخين من عرب وأجانب، تعمد إلى تكرار نفس المعلومات، دونما تركيز على جانب معين والتعمق فيه، باستثناء الجانب الديني، الذي كان أوفر حظاً من بقية مفردات هذا التاريخ، إلى الحد الذي أصبحت معه هذه المصادر عبارة عن نسخ ملخصة من العهد القديم، ومن ثم أمسى لدينا كم هائل من المصادر والمراجع التي تردد الكلام عينه، وتفتقر إلى روح البحث التاريخي.

إن مثل هكذا عقبات، بغض النظر عن المسؤول، جعلتنا نقرر أن التاريخ اليهودي القديم هو من أشد تواريخ منطقة الشرق الأدنى القديم تعقيداً، ولهذا آثرنا أن نخصص عرض يتصدر الدراسة لأهم المشاكل المنهجية التي تواجه الباحثين في تاريخ المجتمع اليهودي القديم، فكانت دراستنا لهذه المشاكل خير عون في تحديد منهجيتنا في البحث، ومن ثم تحديد نوعية المصادر التي اعتمدناها، وهي حسب أولويتها في الدراسة كالآتي:

---

[1] – إبراهيم، نجيب ميخائيل، مصر والشرق الأدنى القديم، ط٣، (الإسكندرية: دار المعارف، ١٩٦٦)،ج٣، ص ٢٧٣ .

أولاً: الكتاب المقدس، وتحديداً (العهد القديم) منه، إذ كان من أهم المصادر التي تحمل معلومات وافية عن حياة المجتمع اليهودي القديم في جميع مظاهرها.

ثانياً: القرآن الكريم: بما يحمل بين دفتيه من ذكر لبني إسرائيل/ اليهود، نوراً ساطعاً يلقي الضوء على ما عَتُم في العهد القديم، ويجلي الغموض عما أختلط فهمه.

ثالثاً: المصادر والكتب الآثارية، التي تعتمد منهجا آثارياً في بحثها، ومن أهمها كتاب (التاريخ القديم للشعب الإسرائيلي) لمؤلفه توماس تومبسون، الذي يناقش فيه أهم نظريات العلماء في أصول المجتمع اليهودي ونشوءه.

رابعاً: المصادر أو الكتب التي كتبت في تاريخ الشرق الأدنى القديم وتناولت علاقة اليهود بالإمبراطوريات والممالك القديمة. ومن أهم تلك المصادر كتاب الدكتور نجيب ميخائيل إبراهيم (مصر والشرق الأدنى القديم)، في جزئه الثالث. والذي أفاد الدراسة في الجانب السياسي من حياة المجتمع اليهودي القديم. كما شكَّل لدينا عدد من الكتب المادة الأساسية للجانب الاقتصادي والاجتماعي، ومن أبرزها كتاب الدكتور فؤاد حسنين علي (إسرائيل عبر التاريخ)، في جزئه الأول، وكتاب الدكتور محمد بيومي مهران في كتابه (بنو إسرائيل) في جزئه الرابع، وكتاب الدكتور علي عبد الواحد وافي، في كتابه (اليهود واليهودية بحث في ديانة اليهود وتاريخهم ونظامهم الاجتماعي والاقتصادي).وغيرها.

خامساً: دوائر المعارف والموسوعات والقواميس والمعاجم، ومن أهمها دائرة المعارف الكتابية، وموسوعة الدكتور محمد عبد الوهاب المسيري (اليهود واليهودية والصهيونية)، التي أمدتنا بمعلومات جيدة عن أحوال المجتمع اليهودي القديم، وكذلك قاموس الكتاب المقدس، من تأليف نخبة من اللاهوتيين.

سادساً: المصادر الأجنبية، وتقسم إلى نوعين:

١- المصادر العبرية، التي تنوعت ما بين قواميس ومعاجم وموسوعات وكتب، كان من أهمها الموسوعة العبرية (אנציקלופדיה העברית)، وكتاب الفلكلور اليهودي، (הפולקלור היהודי) لمؤلفه يهودا برجمان (יהודה ברגמן), الذي يدرس تراث المجتمع اليهودي القديم، وما يرتبط به من عادات وتقاليد وطقوس.

٢- المصـادر الإنكليزيـة: التـي تنوعـت هـي كـذلك بـين موسـوعات وكتـب ودراسات. ومن أهم الكتب (Civilization of the Ancient Near East) ، لمؤلفه (ساسون جاك)Sasson, Jack M .

سابعاً: بعض المجـلات والدراسـات والبحـوث، ومعلومـات أخـرى متفرقـة كـان مصدرها المواقع الالكترونية (الانترنت).

وقـد جـاءت هـذه الدراسـة فـي خمسـة فصـول، يتصـدرها مـدخل يـدرس أهـم المشاكل التي تواجه الباحثين في تاريخ المجتمع اليهودي القديم.

درس الفصـل الأول، الخلفيـة التاريخيـة لفلسـطين القديمـة، وذلـك فـي ثلاثـة مباحـث، الأول: درس تسمية وجغرافيـة فلسـطين، والثـاني: وَصَـفَ التشكل السـكاني لشـعوب المنطقـة (ديموغرافيـة المنطقـة)، والثالـث: نـاقش مسألة ظهـور اليهـود علـى مسرح الأحداث وتغلغلهم في فلسطين.

أما الفصل الثاني الذي عنوانه المجتمع اليهودي في مرحلة النشوء، فقد سلط الضـوء علـى ثلاثـة مواضـيع، الأول: نـاقش أهـم النظريـات التـي تبحـث فـي أصـول المجتمـع اليهـودي، وبدايـة اسـتقراره فـي فلسـطين. والثـاني: صـوَّر بـدايات الحيـاة الاقتصـادية لهذا المجتمـع، وركَّـز علـى أنماطـه الاقتصـادية الرئيسـة، وأهمهـا النشـاط الرعوي والزراعـي. والثالث: تحدث عن نشأة نظـام الحكم وإدارة المجتمـع، بـارزاً دور القضاة في تلك المرحلة.

ثم يأتي الفصل الثالث ليصحبنا إلى مرحلة التطور من حياة المجتمع اليهودي من خلال محطات ثلاث، أولها: تبين لنا التطور الذي طرأ على نظام الحكم في هذا المجتمـع، بظهـور الملكيـة كنظـام بـديل للحكـم القبلـي، تجلت بملوكهـا الثلاثـة (شاؤل، داود، سليمان)، وثانيها: تنقلنا إلى التطور الاقتصادي الذي تجلى في نمطي التجارة والصـناعة، وثالثهـا: يتحـدث عـن التطـور الطبقـي مـن خـلال عرضـه لأهـم أنـواع الطبقات الاجتماعية.

أمـا الفصـل الرابـع فنكـون مـن خلالـه أشـد قربـاً مـن مظـاهر حيـاة المجتمـع اليهـودي، وذلـك فـي ثلاثـة مباحـث، الأول: يتحـدث عـن الأسـرة اليهوديـة ونظمهـا

التشريعية والقانونية، والثاني: يعطي صورة واضحة عن العادات والتقاليد. بينما يهتم الثالث بالحياة الدينية للمجتمع اليهودي، من خلال الحديث عن الطقوس والعبادات.

أما الفصل الخامس والأخير: فيناقش في ثلاثة مباحث أهم العوامل التي أدت إلى تدهور المجتمع اليهودي القديم، وهي العامل السياسي، والعامل الديني، والعامل الاقتصادي.

وأخيراً كان الختام بما أعتصرته الدراسة من نتائج، يتبعها مفصل الملاحق الذي أحتوى على عدد من الخرائط التوضيحية، وبعض الأشكال التي تقرب المسافات بين عين القارئ وخياله لتضعه على صور تقريبية عن بعض مواضيع الدراسة.

وفي نهاية عجالتي هذه لا يسعني إلا أن اردد قول الدكتور سايز،**(ليس هناك تاريخ لا يحتمل المناقشة، بل ليس هناك تاريخ لا يحتمل أن نخطئه)**، داعياً من الله عز وجل أن يجعل هذه الدراسة عونا لطلبة الدراسات والباحثين في هذا المجال.

الباحث

مدخـــــل

مشاكل البحث في تاريخ المجتمع اليهودي القديم

إن أغلب الدراسات والبحوث التي عالجت تاريخ العالم القديم في مختلف الحقب الزمنية إنما استندت إلى أمرين أساسين:
الأول هو الركام الأثري والمخلفات المادية، والثاني هو المدونات الوثائقية التي ظهرت إما في المواقع الأصلية لأحداث تاريخ تلك المجتمعات، ولأي شعب من الشعوب أو في أماكن أخرى من خلال العلاقات المتبادلة بين تلك الشعوب والتي تركت ما يدل عليها.

أما دراسة تاريخ المجتمع اليهودي القديم فلا تخلو من معوقات، لأنها تفتقر إلى الركام الأثري، والمخلفات المادية التي ترتبط بتاريخ المجتمع اليهودي ارتباطاً مباشراً وفي مختلف محطاتة التاريخية، كما تفتقر إلى المدونات الوثائقية، ما خلا وثيقة واحدة وهي العهد القديم (التوراة)[1] الكتاب الديني لليهود والمصدر الأساس الذي يستقون منه تاريخهم، على الرغم من كونه كتاب امتزجت فيه الحقيقة بالخيال، على إتفاق أكثر الباحثين والمؤرخين، فلا يستطيع الباحث أن يعتمد عليه مصدراً رئيساً يستقي منه معلوماته[2].

---

(1)– التوراة (العهد القديم) :عبارة عن أسفار متفرقة لكتاب مختلفين، عاشوا في أزمنة مختلفة خلال مدة تزيد عن ألف عام، ضمت هذه الأسفار في كتاب واحد، وهي تختلف في موضوعاتها وأسلوبها، ففيها تاريخ، وفيها تراجم أشخاص، وفيها شرائع وقوانين وفلسفة وشعر ومواعظ وحكمة وأمثال ونبوءات، وللكتاب (التوراة) هدف واحد يربط بين أجزائه المختلفة، وهو الفدى والكشف عن طريق الخلاص. ويقسم التوراة إلى ثلاث أقسام: الأول: يتألف من خمسة أسفار هي: (١) سفر التكوين (٢) سفر الخروج (٣) سفر اللاويين (٤) سفر العدد (٥) سفر التثنية . ويطلق عليها (كتب موسى الخمسة) أو البنتاتيك أي الناموس، أما القسم الثاني فيسمى (نبييم) أي الأنبياء، ويشمل مجموعتين، الأولى خاصة بالأنبياء الأوائل، والثاني بالأنبياء المتأخرين ويشمل (٢٢) سفر. أما القسم الثالث: فيسمى (كتوبيم) أي الكتابات والأشعار، ويتألف من (١٢) سفر، هي مزامير داود، وأمثال سليمان، وأيوب، ونشيد الانشاد، وراعوث، وهوشع، ومراثي أرميا، والجامعة، واستير، ودانيال، وعزرا، ونحميا. وعلى هذا فأن مجموع أسفار العهد القديم أو (التوراة) هي (٣٩) سفر. أنظر: كامل، مراد، الكتب التاريخية في العهد القديم، (القاهرة: معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٦٨)، ص ٨ ؛ شتيوي، محمد شلبي، التوراة دراسة وتحليل، ط١،(الكويت: مكتبة الفلاح، ١٩٨٤)، ص ص ٢٠ – ٢٥ .

(2) – سنقرط، داود عبد العفو، أبناء يهوذا في الخفاء جذور الفكر اليهودي، ط١،(عمان: دار الفرقان، ١٩٨٣)، ص١١ .

ولم تتوقف المشكلة على (العهد القديم) باعتباره مصدر غير أساسي، وإنما تجاوزته إلى مشاكل أخرى تتلخص بما يأتي:

أولاً: التباين في منهجية مصادر البحث.

ثانياً: اختلاف الآراء في تأويل تسمية (الجماعة) موضوع البحث.

ثالثاً: الافتقار إلى تواريخ دقيقة لأحداث التاريخ اليهودي القديم.

رابعاً: نظريات جديدة حول مسرح أحداث التاريخ اليهودي القديم.

أولاً : التباين في منهجية مصادر البحث

من بين المشاكل التي تواجه الباحث في تاريخ اليهود القديم هي مشكلة الاختلاف الواضح بين منهجيات الأبحاث والمؤلفات الحديثة أو المعاصرة التي اختصت بهذه الحقبة من تاريخ اليهود، ويكمن هذا الاختلاف في نوعين من المنهجيات وهي:

١- منهجية التفسير اللاهوتي:

اعتمدت اغلب المؤلفات الحديثة والمعاصرة التي كتبت في التاريخ اليهودي القديم على منهج التفسير الديني[١]، أو اللاهوتي للتاريخ اليهودي واتخذت العهد القديم مصدراً أساسياً ومباشراً لها، ومن خلال الدراسات النقدية التي قامت بنقد العهد القديم بأسلوب علمي تبين لنا بأنه غير جدير بثقة الباحثين، كمصدر مباشر وبدون تمحيص، للأسباب أو المآخذ التي أُخذت عليه[٢]. ومنها أن رواياته ظلت تتداول

---

[١] – التفسير الديني للتاريخ: هو مرحلة من مراحل الفكر، حاول فيها الإنسان تفسير ما يحدث حوله على أساس أنه حوادث نتجت بفعل إرادة وقوى عليا خارجة عن إرادته، وهو ما يمكن أن نسميه (العناية الإلهية)، وقد تمثل هذا الاتجاة أول الأمر في الفكر المسيحي، في مؤلفات القديس أوغسطين (٣٥٤-٤٣٠م)، وتتلخص آراء هذا الفيلسوف في أن الأحداث التاريخية ليست سوى ثبت للإرادة الربانية، وان العناية الإلهية تلعب دورها في الأحداث التاريخية. لمزيد من المعلومات أنظر: الدليمي، حامد حمزة حمد، فلسفة التاريخ والحضارة، (واسط: دار الطيف، ٢٠٠٤)، ص١٢١ ؛ الشيخ، رأفت، تفسير مسار التاريخ نظريات في فلسفة التاريخ، (القاهرة: عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ٢٠٠٠)، ص٣٥ .

[٢] – لمزيد من المعلومات حول الدراسات النقدية للتوراة أنظر: الأحمد، سامي سعيد، "نقد العهد القديم"، مجلة المؤرخ العربي، ع ٢٢، (بغداد، ١٩٨٢)، ص ٢١٥ وما بعدها .

شفاهاً لقرون عدة قبل تدوينها، وهي روايات تحمل التناقض في طياتها وتختلط فيها الأحداث الأسطورية الخيالية بالحقائق التاريخية التي يمكن قبولها[1].

ولقد لاحظ النقاد أن أسفار العهد القديم تحتوي على كثير من الخرافات والأساطير وعلى أمور خيالية تناقض الحقيقة والواقع، كما لاحظوا وجود اختلاف جلي في أسلوبها اللغوي، لا بين سفر وسفر ولا بين إصحاح وإصحاح فحسب، بل بين كل فقرة وأخرى في الإصحاح الواحد، ولاحظوا أيضا أن بعض الأسفار قد جنحت إلى التفصيل أحيانا والى الإجمال أحيانا أخرى مما جعل أولئك النقاد يؤكدون بان هذه الأسفار قد كتبت في أزمان مختلفة وبأقلام مختلفة وبمعنى آخر انه لم تنتضمها وحدة زمانية ولا مكانية [2].

ولم يكن كُتّاب التوراة مؤرخين بالمعنى الحقيقي، بل كانوا واصفين أوفياء، تتجلى ميزتهم الكبيرة في وصفهم الدقيق للمجتمعات التي احتضنت الحوادث التأريخية المختلفة دون الاهتمام بتفسير موضوعي مجرد للحوادث نفسها.

ولهذا فقد كانت تفسيراتهم أكثر تناقضا وأقرب إلى اللاهوت منها إلى المنطق التاريخي، وهذا الاتجاه الأسطوري هو الذي سلكه أغلب المؤرخين اليهود والأجانب.

وطبقاً لرأي الأدبيات اليهودية أن أغلب أسفار العهد القديم ذات المنحى الأدبي الأسطوري لا تعني بحسب الاستعمال الشعبي أنها غير صحيحة، بل تكمن قيمتها في معناها الرمزي وليس في جانبها التاريخي[3].

٢- منهجية علم الآثار

ظهرت في الآونة الأخيرة دراسات وأبحاث في التاريخ اليهودي القديم تستند في منهجيتها بالدرجة الأساس على نتائج علم التنقيب الآثاري، وقد قادت هذه النتائج ومعلوماتها التاريخية الآثارية العديد من المؤرخين والباحثين الجدد في الغرب إلى الفصل بين الصورة التوراتية للتاريخ اليهودي القديم وصورته الجديدة التي تشكلت من

---

(1) – عثمان، احمد، تاريخ اليهود، ط٢، (القاهرة: مكتبة الشروق، ٢٠٠٢)، ج١، ص٩ .

(2) – سنقرط، أبناء يهوذا، ص ١٢ .

(3) – مشرقي، أحمد، وقسيس، رياض، ومعلوف، طوني، وجبور، نبيل، نشأة العالم والبشرية دراسة معاصرة في سفر التكوين، ط٢،(بيروت، دار الجيل، ٢٠٠٢)، ص ١٩ .

نتائج علم التنقيب الآثاري التي توفرت بين أيديهم خلال الربع الأخير من القرن العشرين، وبهذا أصبح النص التوراتي لديهم يفقد كل مصداقية تاريخية، وبدأ (كتاب التوراة) من وجهة نظرهم يتحول من مصدر رئيس لكتابة التاريخ اليهودي القديم إلى ناتج من نواتج ذلك التاريخ، وإلى تركة أدبية تتطلب هي نفسها، التفسير والتعليل[1].

إلا أن نتائج هذه الأبحاث ذات المنهجية الآثارية ما زالت في طورها الأول الذي لم تتعدى فيه كونها مصادر نقدية تفند التفسير اللاهوتي للتاريخ اليهودي القديم لا غير، وتحاول أعادة كتابته بعيداً عن النصوص التوراتية، دون تقديم البديل الناجح لذلك، أي أنها لم تكتمل بعد وتجيب عن الأسئلة التي أثيرت من جرائها، ولما تجلي الغموض الذي يلف جوانب هذا التاريخ بعد.

كما أن هذه المصادر الآثارية لا تستطيع أن تغطي كل تاريخ منطقة فلسطين القديمة وهي المسرح الحقيقي للتاريخ اليهودي، وذلك لقلتها على الرغم من استمرار عمليات التنقيب في المنطقة.

وكنموذج لهذه الدراسات الحديثة ذات المنهجية الآثارية، نذكر مجموعة من المصادر، أولها للباحث الأمريكي الشهير **توماس تومبسون** في كتابه (التاريخ القديم للشعب الإسرائيلي)[2]، والثاني للباحث السوري **فراس السواح** في كتابين له: (آرام دمشق وإسرائيل في التاريخ والتاريخ التوراتي)[3]، و(الحدث التوراتي والشرق الأدنى القديم)[4]، وكتاب آخر لمؤلفه زياد منى بعنوان (مقدمة في تاريخ فلسطين القديم)[5].

إن أهم ما توصلت إليه نتائج هذه المصادر، هو أن الجماعات التي توطنت في مناطق الهضاب الفلسطينية منذ مطلع عصر الحديد الأول (١٢٠٠- ١٠٠٠

---

(١) – السواح، فراس، الأسطورة والمعنى دراسات في الميثولوجيا والديانات الشرقية، ط١، (دمشق، ١٩٩٧)، ص٢٨٢ .

(٢) – تومبسون، توماس ل، التاريخ القديم للشعب الإسرائيلي، ترجمة: صالح علي سوداح، ط١،(بيروت: بيسان، ١٩٩٥).

(٣) – السواح، فراس، آرام دمشق وإسرائيل في التاريخ والتاريخ التوراتي، ط١،(دمشق: دار علاء الدين، ١٩٩٥) .

(٤) – السواح، فراس، الحدث التوراتي والشرق الأدنى القديم، ط٤، (دمشق: دار علاء الدين، ٢٠٠٠) .

(٥) – منى، زياد، مقدمة في تاريخ فلسطين القديم، ط١،(بيروت: بيسان، ٢٠٠٠) .

ق.م.) وهي (الفترة المفترضة لدخول القبائل الإسرائيلية ارض كنعان واستيطانها في تلك المناطق خلال ما يدعى بعصر القضاة)، لم تخرج من مصر في هجرة واسعة، ولم تدخل فلسطين بعد فترة تجوال في الصحراء، ولم تأت معها بديانة نزل وحيها في سيناء.

وبهذه النتائج تكون هذه المصادر قد نسفت التاريخ اليهودي المعروف برمته، دون أن تضعنا على أرضية صلبة نستطيع من خلالها مواصلة البحث العلمي المتكامل. علماً أن بعضاً منها قد طابق ما جاء به العهد القديم.

وبناء على ما تقدم فأننا نرى أنه من الصعوبة بمكان أن نعتمد عليها كمنهج لبحثنا في الوقت الحاضر، لقصورها عن تغطية كل الفترات التاريخية لمنطقة فلسطين القديمة، ولكننا لا ننفي في الوقت نفسه احتمالية الاعتماد عليها كمنهج مستقل عن الرؤية التوراتية في المستقبل القريب.

٣- منهجنا في البحث (المنهج التوفيقي)

في الواقع أن الصعوبات التي يواجهها منهج البحث التاريخي في معالجته لتاريخ إسرائيل في عصر الحديد اعتماداً على المرويات التوراتية، لا يعادلها سوى الصعوبات التي تواجهه في معالجته ذلك التاريخ بتجاهل المرويات التوراتيه[١].

ومع النقد المستمر الذي يوجه إلى العهد القديم والذي يقلل بالتأكيد من قيمة ما ورد فيه من أخبار تاريخية، فان ذلك لا يعني رفض جميع ما ورد فيه من أحداث وأخبار، فالأخبار الواردة فيه قد دونت في فترة قريبة من زمن حدوثها وهي بذلك مصدر مهم في دراسة التاريخ اليهودي القديم ولكن بعد أن يدقق فيها الباحث ويخضعها للنقد التاريخي الموضوعي مستعينا بالمعلومات المستمدة من الآثار الأكثر قدما، ولا سيما ما ورد في النصوص المسمارية من أخبار ذات علاقة وصولا إلى الحقائق التاريخية[٢].

---

[١] – تومبسون، توماس، والجيوسي، سلمى الخضراء، القدس أورشليم العصور القديمة بين التوراة والتاريخ، ترجمة: فراس السواح، ط١،(بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٣)، ص٢٣ .

[٢] – سليمان، عامر، العراق في التاريخ القديم، موجز التاريخ السياسي، (الموصل: دار الحكمة، ١٩٩٢)، ص ٦٥ .

وقد أشار كبار الباحثين إلى المصداقية التاريخية في النص التوراتي، والمصداقية برأيهم هنا لا تعني أمراً لاهوتياً أو علاقة ما بالغيبيات، قدر ما تعني مدى مطابقة النص لوقائع وأحداث أثبتتها نصوص تاريخية آثارية، أي مصداقية موضوعية بحتة، لكن مع الحذر في احتساب نص بعينه صادقاً لمجرد مطابقة بعض أحداثه مع أحداث تاريخية واقعية، بل يجب القول بأنه قد دخله حشو وإضافات وتراكمات وزيادات خرجت به عن معنى المصداقية الحقة، وأن هناك فقط ظل من حقيقة، ونموذجاً لذلك، أسماء المدن والمواضع وأخبار المعارك والحروب، وسيِّر الأنبياء والملوك، لأنه من المستحيل علمياً أن نتغاضى عن آلاف أسماء المواضع الجغرافية التي وردت في العهد القديم، لمجرد أنها وضعت في سياق من الخرافة الواضحة[١].

كما أن أغلب الباحثين بعد الدراسة والتحليل، أثبتوا وجود كثير من التشابه بين المرويات التوراتية وتراث منطقة الشرق الأدنى القديم، وأكدوا أن هناك اقتباس ما، تم من قبل كُتّاب التوراة[٢]، وعلى الرغم من اقتباس وتمثل وانتحال هؤلاء الكتّاب لأساطير شعوب الشرق الأدنى القديم، إلا أنه يبقى لهم بعض الخصوصية التي تتجلى في وضوح الصبغة الدينية التي يشوبها شيء من العقائد الصحيحة إلى حد ما في نصوصهم بشكل يختلف نسبياً عن تراث الشرق الأدنى القديم[٣].

ومن هنا انبثقت ضرورة الموائمة بين ثلاثة عناصر لكتابة تاريخ المجتمع اليهودي القديم وهي: البيانات أو المرويات التوراتية، والمكتشفات الأثرية، ونصوص الشرق الأدنى القديم. ويرى الباحث توماس تومبسون أنه من أجل كتابة تاريخ مستقل لإسرائيل القديمة يجب أن نأخذ ثلاثة أشكال مختلفة من البينات المباشرة المستخلصة من المصادر الأولية وهي:

---

[١] – القمني، سيد، إسرائيل التوراة التاريخ التضليل،(القاهرة: دار القباء، ١٩٩٨)، ص ٥٤ .

[٢] – عزيز، كارم محمود، أساطير التوراة الكبرى وتراث الشرق الأدنى القديم، ط١،(سورية: دار الحصاد، ١٩٩٩)، ص ٢٣٥ .

[٣] – عزيز، أساطير التوراة، ص ٢٤٥ .

١- تصنيف وتفسير الحقائق المستخلصة من الآثار ونماذج الاستيطان القديمة في فلسطين المعروفة جغرافياً وإقليميا.

٢- ثروة الآثار الكتابية المرتبطة مباشرة أو مداورة بفلسطين القديمة: الشعب وجيرانه، واقتصاده، والبنى الدينية والسياسية، ونمط الحياة والحوادث المعروفة.

٣- المرويات التوراتية التي تعكس صراحة أو ضمناً المجال الذي تشكلت فيه، والذي يرسم تصور إسرائيل التي نبحث عن أصلها[١].

ونافلة القول، أن الاستفادة من المعلومات التوراتية يحتاج إلى عملية غربلة علمية كي نتمكن من تصفية المعلومة التاريخية من شوائب الخرافة والأسطورة التي التصقت بها وتراكمت عليها عبر مئات السنين، وأداتنا في هذه العملية هي مقارنة النصوص التوراتية مع البيانات التاريخية الأخرى مستضيئين بنور القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، سيما أنه أتفق مع كثير مما جاءت به التوراة، من قصص الأنبياء وأسماء مدن وشخصيات وأحداث تاريخية.

وبما أن دراستنا تختص بأحوال المجتمع اليهودي، فأننا لا نجد صعوبة في انتقاء المعلومة الاجتماعية لأن الأسطورة أو الخرافة إنما تكمن في الأسفار التي تتحدث عن الجوانب السياسية والعسكرية[٢] في التاريخ اليهودي ابتداء من فكرة الغزو ومرورا بالصدام مع الكنعانيين والفلسطينيين[٣]، وانتهاء بسيرة الأبطال المنتفخة، الذين أضفي عليهم طابع القوة الخارقة المبالغ فيها[٤].

أما الأسفار التي تتضمن الحديث عن مظاهر الحياة الاجتماعية لليهود بتفاصيلها، فأنها تبدو أقل اختلاطا بالأسطورة من بقية الأسفار.

---

[١] - تومبسون، التاريخ القديم، ص٩١.

[٢] - الكتاب المقدس، (لبنان: جمعية الكتاب المقدس)، العهد القديم، ط٤(الإصدار الثاني،١٩٩٥)، العهد الجديد، ط٣٠،(الإصدار الرابع، ١٩٩٣)، سفر يشوع/ الإصحاحات (١ - ٧) .

[٣] - سفر العدد/الإصحاح (٢١)؛ سفر صموئيل الأول/ الإصحاحين (١٤ ، ١٥) .

[٤] - ومنهم مثلاً (شمشون) الذي قتل ألف فلسطيني بفك حمار: أنظر: سفر القضاة/ ١٥ : ١٦ .

فضلاً عن ذلك فأن تأثير المواد الجديدة من مكتشفات حديثة ونصوص مترجمة مؤخرا عن الشرق الأدنى القديم مقترناً بالتحرر من العقلية اللاهوتية الضيقة، كفيل أن يوصلنا إلى فهم جديد للتاريخ اليهودي القديم، في الوقت الذي لا يمكن لأحدنا حل المشكلة التأريخية حلاً نهائياً وبمحاولات قليلة، إذ أن التاريخ كما يقول أحد الباحثين: **(قضية معقدة لأنه يحاول أن يفهم ما بين أيدينا من وثائق وآثار ولقى وآداب وأساطير وطقوس، وربما يكون بعض من هذا قد انتقل شفوياً فدخله الكثير من الأمور الجديدة التي شوهت الحقائق)**[1].

ثانياً: اختلاف آراء المؤرخين في تأويل تسميات (الجماعة) موضوع البحث

من بين المشاكل التي تعترض طريق البحث في تاريخ اليهود القديم أو تضع بعض الصعوبات في هذا الطريق، هي مشكلة اختلاف آراء المؤرخين في تأويل مسميات (الجماعة) موضوع البحث، ويتضح تأثير هذه المشكلة أكثر إذا أدركنا مدى ارتباط المسميات أو المصطلحات بالأحداث التاريخية، إذ يقول الباحث اللغوي الألماني **شليغل** A.W.Schlegel : **(إن الأسماء هي المثال الأقدم للغة والأدب وتفكير الشعوب، إذ أنها تصور واقع حياتها، ونمط سلوكها وتفكيرها، وتترجم آراءها ومعتقداتها وتعكس صورة كاملة عن مسيرة حياتها)**[2]، ولهذا نلاحظ أن أغلب مصطلحات أو أسماء الشعوب القديمة، بدءاً من تسمية دولها ومروراً بأسماء أراضيها ومدنها وأنتهاءاً بأسماء أبطالها، قد أُستمدت من طبيعة الأحداث التاريخية لتلك الشعوب، ومن ثم فقد عبرت هذه الأسماء عن أحداث ارتبطت بصورة عضوية بهذه الشعوب وأستمدت مسمياتها منها، والمفروض أن هذه المسألة تنطبق على (الجماعة) موضوع البحث، إلا أن اختلاف المؤرخين في تأويل التسميات التي أطلقت على اليهود خلال مراحلهم التاريخية، جعل من الصعوبة إرجاع أي أسم من أسمائهم إلى حادثة معينة ومحددة.

---

[1] – منى، مقدمة، ص ١٦ .

[2] – مجموعة باحثين، الصلات المشتركة لأبجديات الوطن العربي القديمة، (مصطفى، محمد، اسم العلم في اللغة العربية واللغات الكنعانية القديمة)، ط١، (بغداد: بيت الحكمة، ٢٠٠٢)، ص ١٢٧ .

وبالتالي فقد أنعكس ذلك على دراسة تاريخهم الذي أرتبط بصورة كبيرة بالأسماء أو المصطلحات التي عُرفوا بها. ومن هنا ينبري لنا سؤالين:

أولا: ما العلاقة بين تأويل المسميات التي أطلقت على (الجماعة) موضوع البحث خلال المحطات التأريخية المختلفة وبين دراسة التاريخ القديم لها ؟

ثانيا: ما أثر هذه المشكلة أو العقبة على عمل الباحث أو المؤرخ ؟

ومن خلال سياق الحديث عن هذه المشكلة ستتضح الإجابة عن هذين السؤالين.

أطلقت أسماء ومصطلحات عديدة على(الجماعة)، ومنها (عبرانيون أو عبريون، بني إسرائيل، موسويون[١]، يهود)، ونسبت لهم مصطلحات وأسماء أخرى وردت في النصوص القديمة مثل (العابيرو–الخابيرو–الهابيرو).

أن تعدد هذه الأسماء التي أطلقت على اليهود لا يشكل عقبة أمام الباحث بقدر ما يشكل اختلاف آراء المؤرخين في تأويلها وإرجاع كل مصطلح منها إلى أسباب وأحداث مختلفة، لأن هذه الأسماء أو المصطلحات قد عبرت عن محطات تاريخية مختلفة مر بها اليهود في تاريخهم الطويل، وسنأتي إلى تفصيل ذلك:

١ – مصطلح عبرانيون

اختلفت آراء الباحثين فيما يتعلق بتفسير كلمة (عبري)، على الرغم من أنها تشترك في أصل اشتقاقي ولغوي واحد في كل من اللغة الأكدية(eberu)[٢]، واللغة العبرية(עבר)، واللغة الآرامية(עבר)، واللغة السريانية(   )[٣]، واللغة المندائية (   )[٤]، وفي اللغة العربية تعني النفوذ والمضي في الشيء، يقال عبرت النهر عبوراً وعبر النهر شطه[٥]. فقد أرجع المصطلح فريق منهم إلى نسب[١] النبي إبراهيم(عليه السلام)

---

[١] – تشير هذه التسمية إلى أتباع النبي موسى(عليه السلام) والذين آمنوا بأسفاره الخمسة، ولقد استخدمت هذه التسمية من قبل بعض الباحثين المحدثين، أنظر: جدوع، محمد، كنعانيا بين الأسفار التوراتية والسرديات الصهيونية، ط١،(دمشق: دار كيون للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٩)، ص ٧ .

[٢] – سليمان، عامر، وآخرون ، المعجم الأكدي، (بغداد: ١٩٩٩) ، ص ٢٠٢ .

[3]- Smith, payne, A Compendious Syriac Dictionary,(Oxford, 1979),p. 398.

[4] -Drower, E. S. and R A. Macuch , A Mandaic Dictionary. (Oxford, 1963).p. 340.

[٥] – ابن زكريا، أبو الحسن احمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، (بيروت، ١٩٧٩)،ج٤، ص ٢٠٧ –٢٠٨.

مستندين إلى العهد القديم كما جاء فيه: (عابر بن شالح بن ارفكشاد بن سام)[٢]، وهو الجد الخامس لإبراهيم(عليه السلام)، وهناك من يرى أن تسمية العبريين هي نسبة إلى إبراهيم(عليه السلام) نفسه، حيث وصف النبي إبراهيم بـ (العبري)[٣]، وفسر المصطلح فريق آخر على أنه يرتبط بالفعل الثلاثي(عبر) بمعنى عبر النهر، في إشارة إلى عبور إبراهيم(عليه السلام) ومن معه نهر الفرات بعد أن هاجر كما تروي أسفار العهد القديم من مدينة إور، أو إلى عبورهم نهر الأردن إلى الضفة الشرقية.

وهناك رأي آخر يرى أن المصطلح يرجع إلى طبيعة الحياة التي كانوا يعيشونها ذلك أنهم في الأصل من الشعوب البدوية الصحراوية التي لا تستقر في مكان[٤].

ومن خلال عرضنا لهذه الآراء المختلفة نلاحظ وجود ثلاثة تأويلات لمصطلح (عبري) يحاول كل منها الوقوف على السبب الذي انبثقت منه هذه التسمية، فمنها من يرى أن التسمية متعلقة بالنسب، وأن اليهود منحدرون من النبي إبراهيم(عليه السلام) الملقب بالعبري أو نسبة إلى عابر، ومنها من يرى أن هذه التسمية متعلقة بحادثة العبور التي أختص بها اليهود دون غيرهم، ومنها من يرى أن هذه التسمية إنما أُستمدت من طبيعة الحياة التي كان يعيشها اليهود القدماء وهذا ما نميل إليه، فوصف إبراهيم بـ(العبري) لمجرد أنه منسوب إلى احد آبائه الاقدمين تفسير غير دقيق لأن الذي يمعن النظر في جدول أبناء (عابر) إلى عهد إبراهيم الخليل يجد أن اغلب الأمم السامية منسوب إليه[٥]، كما أن كلمة عبري في الواقع لا ترجع إلى شخص بعينه أو

---

(١) – جعل الكتبة والفريسيين من ذلك النسب أوالتسمية فضلا عن التسميات الأخرى امتدادا تاريخيا مزعوما للرحلة الفلكية لإبراهيم الخليل(عليه السلام) إلى عودة قوم موسى(عليه السلام) إلى فلسطين وأنتهاءا بحقبة الأسر البابلي. أنظر: جدوع، كنعانيا، ص ٢٠ .

(٢) – سفر التكوين/ ١١: ١٥– ٢٧ .

(٣) – الصليبي، كمال، خفايا التوراة وأسرار شعب إسرائيل، ط٤، (بيروت، ١٩٩٨)، ص ٩٦–٩٧ .

(٤) – أنظر: الفصل الثاني، المبحث الثاني، ص ٧٩ وما بعدها .

(٥) – ولفنسون، إسرائيل، تاريخ اللغات السامية، ط١،(مصر، ١٩٢٩)، ص ٧٧ .

حادثة معينة، وإنما ترجع إلى الموطن الأصلي لبني إسرائيل وذلك أن بني إسرائيل كانوا في الأصل من الأمم البدوية الصحراوية كما أسلفنا[١].

ويبدو أن المصطلح لم يكن في الأصل إشارة عرقية، ولكن للدلالة على طبقة اجتماعية من الناس[٢]، ويمكن أن يوازي كلمة (خبيرو)، أو (هبيرو)، أو(عبيرو) وهي مصطلحات موجودة في الكثير من النصوص أو المدونات القديمة الفرعونية والبابلية والآشورية، والتي تشير غالباً إلى أقوام كانت تعيش على هامش المجتمعات المستقرة وتشكل جماعات مرتزقة تمارس اللصوصية وقطع الطرق[٣]، كما أطلقت على القبائل العربية الرُحل التي كانت تجوب الجزء الشمالي من الجزيرة العربية، وصارت هذه الكلمة بعد أن صُحِّفت إلى (عبري وعبراني) تطلق على أتباع موسى(عليه السلام) بعد ظهورهم باعتبارهم من القبائل الرُحل[٤]، وذلك قبل أن يُعرفوا ببني إسرائيل أو اليهود.

٢- تسمية بني إسرائيل:

ينفرد العهد القديم بتفسير هذه التسمية تفسيراً دينياً، ينافي العقل والمنطق ويقص لنا أنها أُعطيت إلى النبي يعقوب(عليه السلام) في البداية إشارة (لصراعه مع الله)[٥] أما أصل الاسم لغوياً فأنه غامض وقد فسر: الله (أل) يجاهد، أو يبقى[٦].

وقد تم استخدام الاسمين (يعقوب، إسرائيل) في سفر التكوين بصورة متبادلة، ثم استعمل اسم إسرائيل لاحقاً للدلالة على الأسباط الاثني عشر المنحدرة من يعقوب[٧]. ولما كان الله هو الذي أعطى أسم (إسرائيل) ليعقوب وغيّر أسمه، فإن اليهود في كل عصورهم يفخرون بهذا الاسم ويميلون إلى استعماله، لأن فيه دلالة على الوعد والرجاء، وإشارة إلى

---

(١) – المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(٢) – مشرقي، وآخرون، نشأة العالم والبشرية، ص ٣٦ .

(٣) – منى، زياد، بنو إسرائيل جغرافية الجذور، ط١، (دمشق: الأهالي للطباعة والنشر، ١٩٩٥)، ص ٧٣ .

(٤) – سوسة، أحمد، ملامح من التاريخ القديم ليهود العراق، ط١،(بغداد، مركز الدراسات الفلسطينية، ١٩٧٨)، ص١٦١ .

(٥) – سفر التكوين/ ٣٢ : ٢٥ – ٣٠ .

(٦) – دي بورج، و.ج، تراث العالم القديم، ترجمة: زكي سوس، (القاهرة: دار الكرنك، ١٩٦٥)ج١، ص ٦٥ .

(٧) – مشرقي، وآخرون، نشأة العالم والبشرية، ص ١٩ .

مجدهم[1]. وقالوا أيضا في تفسير هذه التسمية، أنها تعني (عبد الله)، أو صفوته من خلقه على أساس أن (أيل) هو الله و(أسرى) بمعنى العبد[2]. وقد أثار أسم (إسرائيل) اهتمام علماء الآثار عندما ورد لأول مرة قي نصب الفرعون مرنبتاح (١٢٢٤- ١٢١٤ ق.م.) في أنشودة خلدت انتصاره على مجموعة من الأقوام من بينها قوم عرفوا ببني إسرائيل، **(وإسرائيل قد أقفروا، وبذرتهم قد انقطعت)**[3]، وقد أستفيد من ذكر اسم إسرائيل هنا في البحث عن تاريخ الخروج. وفي هذه الإشارة يرد الاسم (إسرائيل) باعتباره كناية عن أسطورة، لا باعتباره اسماً لشعب تاريخي، فربما جاءت الكلمة من اسم منطقة في فلسطين[4].

كما فسر الباحثون اسم (إسرائيل) مختلف التفاسير الغريبة، ومنها القائلة بأنه صيغة مختزلة لـ(ءيش راحيل)، أي الرجل الذي من قبيلة راحيل، أو أنه اختصار لـ (يه سعير هوء ءيل)، حيث فهم أن (يه)، هي صيغة مختصرة لأسم إله التوراة يهوه[5]، أي أن معنى الاسم (إله سعير هو يهوه)[6]. وقيل أنه لما استوطن بنو إسرائيل ارض كنعان وعرفوا المدنية والحضارة، صاروا ينفرون من كلمة عبري التي كانت تذكرهم

---

[1] – كامل، الكتب التاريخية، ص ١٨ .

[2] – أسود، عبد الرزاق محمد، الموسوعة الفلسطينية، ط١،(الأردن: الدار العربية للموسوعات، ١٩٧٨)، مج١، ص ١٥ .

[3] – حسن، سليم، مصر القديمة، (القاهرة: مطبعة دار الكتب المصرية، ١٩٥٠)، ج٧، ص ١٠٦ .

[4] – تومبسون، والجيوسي، القدس، ص٧ .

[5] – يهوه: لفظ عبري معناه (الموجود)، أو (الكائن)، أو (الذي كان)، لأنه مشتق من اللفظ العبري (هيه)، أو (هوه) الذي يفيد الوجود أو الكينونة. وقد أطلقت التوراة أسم (يهوه) على الله في المواضع التي أعتبرته فيها إله اليهود وحدهم، وهو الذي أعلن نفسه بهذا الاسم لموسى النبي(عليه السلام)، وكلفه بأن يبلغه لليهود كي يعرفوه بهذا الاسم، إذ جاء في سفر الخروج (فقال موسى لله ها أنا آتي إلى بني إسرائيل وأقول لهم إله آبائكم أرسلني إليكم، فإذا قالوا لي ما أسمه فماذا أقول أقول لهم؟ فقال الله لموسى ...هكذا تقول لبني إسرائيل يهوه إله آبائكم، إله إبراهيم، وإله إسحق وإله يعقوب أرسلني إليكم. هذا اسمي إلى الأبد) (سفر الخروج/٣: ١٣- ١٥). أنظر: شنودة، زكي، اليهود نشأتهم وعقيدتهم ومجتمعهم من واقع نصوص التوراة كتابهم المقدس، ط١، (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٧٤)،ج١، ص ٢٩٣ ؛ سعيد، حبيب، أديان العالم، (القاهرة: دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية، ب. ت)، ص ١٦٤ وما بعدها.

[6] – منى، بنو إسرائيل، ص ١١٢ .

بحياتهم الأولى، حياة البداوة والخشونة، وأصبحوا يؤثرون أن يُعرفوا باسم بني إسرائيل فقط[١].

وبعد انقسام مملكة داود وسليمان في القرن العاشر للعهد المشترك قبل الميلاد، أطلق اسم (إسرائيل) على المملكة الشمالية المتمركزة حول السامرة والتي سيطرت عليها قبيلة افرايم[٢].

٣- مصطلح يهود

من أكثر التسميات التي تعددت فيها آراء المؤرخين، ورغم ذلك فأنها التسمية الأكثر شيوعا واستخداما.

و(اليهود) لغة: قيل كلمة عربية مشتقة من الهود وهو التوبة والرجوع إلى الحق[٣]، ولزمهم هذا الاسم لقول بني إسرائيل (إنا هدنا إليك) أي رجعنا وتضرعنا[٤]، وتضرعنا[٤]، وقيل غير عربية، وإنما هي نسبة إلى يهوذا أحد أسباط بني إسرائيل[٥]، إسرائيل[٥]، وقد دُحض هذا الرأي من قبل باحثين آخرين، وكانت حجتهم في ذلك، أن اليهود لم يكونوا قد وجدوا في عهد يعقوب(عليه السلام) وأبنه يهوذا، وإنما وجدوا بعد ظهور النبي موسى(عليه السلام)، أي بعد عهد يعقوب(عليه السلام) بأكثر من ستمائة عام وبعد أن تكونت مملكة يهوذا (٩٣١-٥٨٦ ق.م.)، أي بعد عصر يعقوب وأبنه يهوذا بحوالي ألف عام، ثم أنتشر استعمال أسم اليهود بعد الأسر البابلي نسبة إلى مملكة يهوذا المنقرضة[٦].

---

(١) – ولفنسون، تاريخ اللغات، ص ٧٧ .

(٢) – مشرقي، وآخرون، نشأة العالم والبشرية، ص ١٩ .

(٣)– الشهرستاني، أبي الفتح محمد بن عبد الكريم، الملل والنحل، تحقيق وتعليق: أحمد فهمي محمد، ط١ (القاهرة: مطبعة حجازي، ١٩٤٨)، ج٣، ص ٩٥ .

(٤) – وجدي، محمد فريد، دائرة معارف القرن العشرين، (بيروت: دار الفكر، ب ت) مج١، ص ٥٦٩ .

(٥) – أبن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، (بيروت: دار بيروت للطباعة والنشر، ١٩٥٦، مج٣، ص٤٣٩ ؛ طعيمة، صابر، التاريخ اليهودي العام، ط١، (بيروت: دار الجيل، ١٩٧٥)، ج١، ص ٣٤ .

(٦) – سوسة، ملامح من التاريخ، ص ١٧ .

ويقترب هذا الرأي كثيراً من علم الآثار الذي بيَّن أن أول تسمية (يهودي) وردت على لسان الملك الآشوري سنحاريب (٧٠٥ – ٦٨١ق.م.) عند وصفه لانتصاراته على مملكة يهوذا، فسمى حزقيا ملك يهوذا (حزقيا اليهودي) أي المنتسب إلى يهوذا[١].

وحيث أن التوراة سُجلت من قبل كهنة نشطوا في يهوذا، فأن تعاليمهم اكتسبت في نهاية الأمر أسم (اليهوذية/ اليهودية)، ومما ساعد على تثبيت هذا الاسم هو المصير الذي آلت إليه مملكة إسرائيل قبل قرنين من سقوط مملكة يهوذا، عندما تم القضاء عليها من قبل الآشوريين بقيادة سرجون الثاني (٧٢١–٧٠٥ ق.م)، والتي لم تترك لنا أي أثر متكامل لا عن تاريخها ولا عن وجهة نظرها بخصوص تاريخ إسرائيل ككل، ولا عن آراء كهنتها بخصوص اليَهْويَّة، أو تلك المتعلقة بتقييمهم لتعاليم كهنة يهوذا[٢].

وبعملية الاهتداء إلى هذه الديانة واعتناقها عبر التاريخ، فقد توفرت الفرصة لثبات هذا الاسم واستخدامه كتسمية تطلق على الجماعة[٣].

وأول ذكر ورد في العهد القديم لهذا الاسم عندما سُمي به سبط يهوذا وسبط بنيامين ما جاء في سفر الملوك الثاني **(في ذلك الوقت أرجع رصين ملك آرام أيلة للآراميين، وطرد اليهود من أيلة...)**[٤].

ونلحظ من خلال عرضنا لآراء الباحثين حول تفسير هذه المسميات الثلاث (العبرانيون، بنو إسرائيل، اليهود) أنه لا وجود لأي صلة تاريخية بينها، فمصطلح العبرانيين هو مصطلح عام كان يطلق على الشعوب التي تعتمد في طبيعة حياتها المعيشية على البداوة والتنقل، أو العبور من مكان إلى آخر، وبهذا فهو لا يعبر عن تسمية خاصة بالجماعة موضوع البحث يمكننا أن نستخدمها كمصطلح عام لدراستنا،

---

(١) – المصدر نفسه، ص ١٨ .

(٢) – منى، بنو إسرائيل، ص ١٢٨ .

(٣) – المصدر نفسه، ص ١٤٧ – ١٥٤ .

(٤) – سفر الملوك الثاني/ ١٦: ٦ .

ولكننا نجد أنفسنا أحياناً مضطرين لأستخدامه عند الحديث عن الفترات التي تمثل الجذور في تاريخ المجتمع اليهودي القديم.

أما استخدام تسمية بني (إسرائيل) وحدها كمصطلح للدراسة، فأنه لا يغطي كل فترة البحث ولا ينطبق على طبيعة التطور التاريخي للجماعة، وعلى هذا الأساس فأننا سننتهج الأسلوب الذي درج عليه أكثر الباحثين في استخدام التسميتين (بني إسرائيل، اليهود) كل تسمية حسب المرحلة التاريخية التي نتناولها في بحثنا، ونجد مصداق لمنهجنا هذا في القرآن الكريم، حيث ترد تارة تسمية (بني إسرائيل) في الآيات القرآنية التي تتحدث عن الفترة التي كانوا فيها في مصر، وفترة الخروج التي أعقبتها[1]، وتارة ترد تسمية (يهود) لتشير إليهم في الفترات اللاحقة.

ونرى بأن إطلاق مصطلح أو تسمية (اليهود) على الجماعة موضوع البحث أكثر شمولاً وتعبيرا عن تاريخ هؤلاء الجماعة، ذلك أن هذه التسمية تشمل كل من آمن بالفكر اليهودي (كدين أو معتقد أو فكر) حتى لو كان من أي شعب آخر، أو لا ينتسب عرقا إلى بني إسرائيل (الأسباط). وهذا ما أكده أغلب الباحثين ومن أبرزهم المؤرخ **جواد علي**، إذ قال **(إن لفظة يهود أعّم من لفظة عبرانيين، وبني إسرائيل، ذلك أن لفظة (يهود) تطلق على العبرانيين وعلى غيرهم ممن دخل في دين يهود وهو ليس منهم، وقد أطلق الإسرائيليون وأهل يهوذا لفظة يهود على أنفسهم وعلى كل من دخل في ديانتهم تمييزاً لهم عن غيرهم ممن لم يكن على هذا الدين، وهم الغرباء)** [2].

ثالثاً: الافتقار إلى تواريخ دقيقة لأحداث التاريخ اليهودي القديم

لا يخفى أن الافتقار إلى تواريخ دقيقة يعد مشكلة في دراسات تاريخ الشرق الأدنى القديم بعامة، لكن الحصول على تواريخ تقريبية إلى حد ما بواسطة طرق التاريخ التنقيبية، ومن أبرزها طريقة (كربون ١٤ الإشعاعي)[3]، وطريقة (التاريخ

[1] – أنظر: سورة البقرة، الآيات، (٨٢، ١٢١).

[2] – علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، (بغداد، ١٩٩٣)،ج٦، ص ٥١٢ .

[3] – الدباغ، تقي، مقدمة في علم الآثار،(بغداد: دار الحرية للطباعة،١٩٨١)، ص ١٣٥ .

بالوثائق المدونة)[١] يساعد على تجاوز هذه العقبة، إلا أن المشكلة تبدو أكثر تعقيداً أمام الباحثين في التاريخ اليهودي القديم، حيث لا وثائق، ولا آثار، ولا سجلات عينية، سوى وثيقة واحدة هي العهد القديم كما أسلفنا، وإشارات متأخرة في وثائق متناثرة في أشلاء مبعثرة بين دول المنطقة[٢]، وهذا ما فسح المجال أمام الباحثين القدماء والمحدثين في الشأن اليهودي القديم وجعل الأبواب مشرعة أمامهم، يجتهدون بتحديد أزمان مختلفة لأحداثه حسب قناعاتهم الإيديولوجية ذات الخلفية الدينية أو العلمانية. وبشكل عام فأن هؤلاء الباحثون أو المؤرخون يتفقون على أن تاريخ اليهود القديم يبدأ مع خروجهم من مصر[٣]، لكنهم يختلفون في تحديد زمناً واحداً لهذا الخروج. فمنهم من يرى أن الخروج تم في السنوات الواقعة بين (١٧٥٠ و ١٥٠٠ ق.م.)[٤].

ومنهم من تقوده ثقته المفرطة بأبحاثه فيضع تأريخا محدداً لحدوثها جازماً أنها حدثت في سنة (١٦٤٥ ق.م.)[٥]، وهناك من المؤرخين من يلجأ إلى التهرب من مسؤولية وضع زمن محدد لحادثة الخروج من مصر مكتفياً بعرض تفاصيلها فحسب[٦] ومن المؤرخين من يقرن هذه الحادثة بأحداث تاريخية جرت في مصر الفرعونية، كحادثة طرد الهكسوس من مصر على أيام أحمس الأول حوالي (١٥٧٥ ق.م.)[٧] ويذهب غيرهم[١] إلى انه حدث في عهد الأسرة الثامنة عشرة أيام حكم امنحوتب الثاني حوالي(١٤٣٦ – ١٤١٣ق.م.)[٢].

---

[١] – المصدر نفسه، ص ١٤٢ .

[٢] – القمني، إسرائيل، ص ٨٩ .

[٣] – حتي، فيليب، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ترجمة: جورج حداد، وعبد الكريم رافق، ط٢،(بيروت: مؤسسة فرنكلين للطباعة والنشر، ١٩٥٨)، ص ١٩٣ ؛ لوبون، غوستاف، اليهود في تاريخ الحضارات الأولى، ترجمة: عادل زعيتر،(مصر، ١٩٧٠)، ص ٣٦ .

[٤] – الناصري، سيد أحمد، قضية التاريخ القديم، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، ١٩٧١)، ص٩١ .

[٥] – وجدي، دائرة المعارف، مج١، ص ٢٨١ .

[٦] – ومن هؤلاء المؤرخين السيد القمني في كتابه (إسرائيل التوراة التاريخ التضليل) ص ١٣٢ – ١٥٠ .

[٧] – مهران، محمد بيومي، مصر والشرق الأدنى القديم، ط٤، (الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٨)، ج٣، ص ٥١٧ .

فيما يذهب فريق آخر من المؤرخين على أن الخروج حدث أيام رعمسيس الثاني (١٢٩٠- ١٢٢٤ق.م.) مستندين إلى المعلومة المتعلقة بأرض رعمسيس ومدينة رعمسيس، وما عرف عن رعمسيس الثاني نفسه من اهتمام بأعمال التشييد والبناء، مستخدما في مشاريعه العمرانية كثيراً من اليد المسخرة، التي شكل الإسرائيليون جزءاً كبيراً منها[٣].

وبالرغم من تشعب هذه الآراء واختلافها إلا أن بعض المؤرخين يؤكدون على أن الخروج قد تم في أيام مرنبتاح (١٢٢٤- ١٢١٤ ق.م.) أبن الفرعون رعمسيس الثاني ويحددون ذلك في العام الأخير من حكمه سواء أكان هذا العام هو العام العاشر من الحكم (حوالي عام ١٢١٤ ق.م.) أو العام الثامن من الحكم (حوالي١٢١٦ق.م.)[٤].

نرى إذن، عدم التوصل إلى تاريخ محدد على وجه اليقين أو حتى على وجه التقريب يجعل من الصعوبة بمكان قراءة المشهد التاريخي المتعلق باليهود في منطقة الشرق الأدنى القديم. سيما ونحن أمام هذا الكم الهائل من الافتراضات ذات البون الشاسع فيما بينها، إذ كما هو معلوم، أن الجماعة موضوع البحث ارتبطوا ارتباطا وثيقاً بتاريخ دول المنطقة، ولا سيما وادي النيل وبلاد الرافدين وسورية القديمة، وقد كانت هذه الدول في تطور مستمر في كافة مظاهر حياتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية، ولعل معرفتنا بتاريخ تقريبي لحادثة الخروج يسهل علينا ربط الأحداث التاريخية التي تضامنت في صنع تاريخ اليهود القديم، كما يمنحنا مجال أوسع لعقد مقارنات اجتماعية (أنثروبولوجية) بين شعوب المنطقة لمعرفة منشأ بعض العادات والتقاليد التي أكتسبها اليهود مثلاً ضمن فترة محددة، ومعرفة الأحوال

---

[١] – يعرض الدكتور محمد بيومي مهران آراء مختلفة حول تاريخ الخروج، دون ذكر أصحابها، في كتابه (مصر والشرق الأدنى القديم، المصدر سابق، ص ٥١٧ – ٥١٨) لكنا آثرنا أن نذكر رأي كل واحد منهم، لنجسد هذا الاختلاف بين للمؤرخين حول هذا الحدث الخطير. (الباحث) .

[٢] – دي بورج، تراث العالم، ص٦٦ .

[٣] – السواح، آرام دمشق، ص ٧٥ .

[٤] – مهران، مصر والشرق، ص ٥١٧ .

السياسية والاقتصادية التي كان يعيشها اليهود بتأثير دول المنطقة، لأن لكل حقبة زمنية في هذه الدول ظروف سياسية واقتصادية معينة، تأثر بها اليهود وأثروا بها.

كما أن معرفة تزمين مقنع للخروج يعد بمثابة بداية صحيحة للبحث عن الحلقات المفقودة من تاريخ اليهود القديم، كحلقة الدخول إلى فلسطين، وبقية الأدوار التاريخية التي مر بها التاريخ اليهودي القديم.

رابعاً: نظريات جديدة حول مسرح أحداث التاريخ اليهودي القديم

إذا كانت المشاكل التي تواجه الباحث في دراسة تاريخ المجتمع اليهودي القديم تنطلق من مكان جغرافي واحد، فأن هناك نظريات جديدة ظهرت في الآونة الأخيرة، تبحث عنها في مكان آخر.

ومن أشهر هذه النظريات التي تجسد آراء بعض الباحثين والمؤرخين المحدثين، والتي تنطلق من مقولة أن (العهد القديم) هو تسجيل لتاريخ بني إسرائيل في عسير (جنوب جزيرة العرب) وليس في فلسطين، هي نظرية المؤرخ اللبناني **كمال الصليبي** الذي حاول أن يثبت في كتابه (التوراة جاءت من جزيرة العرب)[1]، أن جغرافية التوراة هي في منطقة عسير جنوب جزيرة العرب، مُتكأً على المقارنات اللغوية، أي أسماء الأمكنة التوراتية، ثم يأتي باحث آخر وهو **زياد منى** ليسير على الخط نفسه، معتمداً على غياب أي دليل أثري حاسم لليهود في فلسطين، ولذا نجده يبحث في جغرافية التوراة ضمن جغرافية جنوب الجزيرة العربية، ففي مؤلفه (جغرافية التوراة، مصر وبنو إسرائيل في عسير)[2]، حاول الكاتب أن يربط تجربة بني إسرائيل الدينية والمادية بجنوب جزيرة العرب من خلال ما قدمه من أدلة عن تمتع هذه المنطقة بالثروات النباتية وفي مقدمتها البخور الذي كان بنو إسرائيل يعتمدون عليه اعتماداً كلياً في ممارسة طقوسهم، وكذلك حاول إثبات أن هناك علاقة قوية محتملة لمصر الفرعونية ومناطق جزيرة العرب فعلى سبيل المثال لا الحصر، فسّر المؤلف

---

[1] – الصليبي، كمال، التوراة جاءت من جزيرة العرب، ترجمة: عفيف الرزاز، ط٢، (بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية، ١٩٨٦) .

[2] – منى، زياد، جغرافية التوراة مصر وبنو إسرائيل في عسير، ط١،(لندن: رياض الريس، ١٩٩٤).

كلمة (طوى) التي ورد ذكرها في القرآن الكريم[١] مستعيناً بعلماء المصريات على أنها تعني (يُصلّي، يُسبّح، يُوقّر، يتوسّل، يتضرّع) وتُرسم في الكتابة الهيروغليفية للغة المصرية القديمة، على هيئة رجل متضرع رافع يديه إلى السماء[٢]، ويستدل من خلال هذا التفسير على وجود استيطان أو استعمار قديم لغرب جزيرة العرب من قبل قدماء المصريين، قد ترك بصماته اللغوية على بعض المناطق، ولا أعتقد بأن مثل هذه الأدلة يمكن أن تصمد أمام النقد. فمن الناحية اللغوية التي أتخذها الكاتب دليل لإثبات وجهة نظره، فأن بإمكان أي باحث لغوي في لغات المنطقة أن يلعب في أصول الكلمات أو دلالاتها ليصل بنا إلى أي نتائج (فوق العقل)، تفقدنا التاريخ والجغرافية واللغة أيضاً[٣]، ولهذا فلا تحل لنا منهجية (الجغرافيا اللغوية) تلك، وإن كانت التشابهات قوية، عدداً كبيراً من المسائل المتعلقة بتاريخ بني إسرائيل الذي أرتبط ارتباطا وثيقاً بالمنطقة الجغرافية الواقعة في مسار الجيوش الزاحفة بين المراكز المهمة في ذلك العصر، (مصر، بلاد الرافدين، الشام)، ولا سيما أن (التوراة) تتحدث في الأساس عن تاريخ تكوّن في هذه المنطقة، ولا تستطيع(عسير) أن تفسر منه أي شيء حتى حدثاً واحداً من أحداثه[٤]، ومما تقدم نستطيع أن نصل إلى نتيجة عامة جداً تقول: أن القبائل التي عُرفت فيما بعد ببني إسرائيل، هي جزء من التاريخ القبلي للمنطقة المشرقية عموماً، تميزت بحراك كبير سواء في صحراء مصر أو العراق أو الشام أو شبه الجزيرة العربية، ثم تركزت بعد الأستقرارات المؤقتة في حالة التمايز، في المنطقة الواقعة بين الفرات وسيناء وسوريا، ثم تشتتت بفعل التاريخ، بعد التمايز، لتكون مناطق الجذور تلك، القريبة على الأقل، مقراً لشتاتها سواء في فلسطين، أو في العراق القديم، أو في مصر الفرعونية، أو في شبه جزيرة العرب بما فيها اليمن، وأختلفت الكتل المشتتة من مكان لآخر طبقاً لحساب التاريخ والجغرافيا، ولذا عرفنا

---

(١) – سورة طه، الآية: (١٢) .

(٢) – منى، جغرافية التوراة، ص ٥٨ – ٥٩ .

(٣) – عبد الرحمن، عبد الهادي، التاريخ والأسطورة الحراك الثقافي في المنطقة العربية قديماً، (بيروت: دار الطليعة، ١٩٩٤)، ص١١٧ .

(٤) – عبد الرحمن، التاريخ والأسطورة، ص ١١٧ .

يهـوداً فـي الطـائف وفـي يثـرب وفـي الـيمن وفـي فلسـطين وفـي مصـر وفـي العـراق وغيرها[١].

ونحن نميل إلى هذا الرأي، ولا سيما وأن ما تعرض لـه اليهود قبل الميلاد من نكبـات وأزمـات سياسـية، لهـو خيـر دليـل علـى وقـوعهم فـي المنطقـة (الفلسـطينية- السـورية) التـي كانـت ممـر للإمبراطوريـات المتصـارعة فـي مصـر الفرعونيـة وبـلاد الرافدين و(الاخمينيين) التي حاولت كل منها أن تجعل فلسطين منطقة عسكرية ومقراً لجيوشـها، وإذا كانـت (جغرافيـة التـوراة) قـد تـم تحديـدها علـى أسـاس المنـاطق التـي شهدت أحداث تاريخ اليهود القديم والتي تقع ضمن الشرق الأدنى القديم، فإن بأمكاننا أن نعتبـر منـاطق الهـلال الخصـيب بعامـة ومنطقـة فلسـطين القديمـة بخاصـة هـي المسرح الحقيقي لتلك الأحداث.

---

[١] – عبد الرحمن، التاريخ والأسطورة، ص ١١٨ .

الفصل الأول: الخلفية التاريخية لفلسطين القديمة

المبحث الأول: فلسطين التسمية والجغرافية

المبحث الثاني: التشكل السكاني لمنطقة فلسطين القديمة

المبحث الثالث: ظهور اليهود على مسرح الأحداث والتغلغل داخل فلسطين

المبحث الأول: فلسطين التسمية والجغرافية

أُطلق على فلسطين القديمة الكثير من الأسماء عبر التاريخ[١] ومن أبرز تلك الأسماء التي التصقت بها، والتي عبرت عن هوية الشعوب المتنفذة فيها خلال عهود مختلفة هي: (كنعان ، فلسطين) فبالنسبة لتسميتها بـ (أرض كنعان) فقد تعددت الآراء فيها، فمن الناحية اللغوية يرى بعض المؤرخين أن اسم (كنعان Kanan) سامي مشتق من فعل (كنع Kena) ويعني باللغة الكنعانية (منخفض)، وأن أسم الكنعانيين يعني سكان المنخفض، وربما جاءت هذه التسمية للتمييز جغرافياً بين الساحل الفينيقي والكنعاني المنخفض بالنسبة للمرتفعات المجاورة وبخاصة في لبنان[٢]، كما وردت هذه التسمية في رسائل العمارنة[٣] (كيناخخي Kinakhkhi) أو (كيناخني Kinakhni)– أرض قصب البردي أو اللون القرمزي– وأسمتها هذه

---

[١] – ومن هذه الأسماء التي أُطلقت على فلسطين القديمة والتي تم معرفتها من خلال النصوص القديمة هي:(خارو)، وهو الاسم الذي أطلقه الفراعنة على فلسطين منذ الألف الثالث قبل الميلاد، (رتنو) وهي اللفظة التي أطلقتها المصادر المصرية القديمة كأسم لفلسطين القديمة في الوقت الذي أطلقتها نفس تلك المصادر على سورية ولبنان، (مريام) وهي تسمية أخرى أطلقت على فلسطين، وردت في ملحمة شعرية تسمى (اللآلى) وضعت في النصف الأول أو الثاني من القرن الرابع عشر قبل الميلاد، ولعل هذه التسمية تعني بلاد البخور، أنظر: اليوسف، سامي يوسف، " فلسطين في التاريخ القديم، نظرة موجزة " سلسلة مجلة كراس منارات، ع١، (عمان، ١٩٨٩)، ص ٣ – ٦ .

[٢] – غربية، عز الدين، فلسطين تاريخها وحضارتها، (بغداد: إتحاد المؤرخين العرب،١٩٨١)، ص٣٥ .

[٣] – رسائل العمارنة: وهي المراسلات المتبادلة بين الفراعنة المصريين وملوك بلاد الرافدين، وأمراء ممالك الشرق الأدنى في سورية وقبرص وغيرها، والتي عثر عليها في تل العمارنة الواقع في مصر العليا على الضفة الشرقية للنيل، وهو الاسم الحالي لموقع مدينة (اخيت آتون) العاصمة التي اتخذها امنحوتب الرابع اخناتون (١٣٧٧– ١٣٥٨ ق. م.) بدلاً من عاصمته القديمة (طيبة) في مصر، وكانت هذه المراسلات مكتوبة بالخط المسماري، واللغة الأكدية التي كانت اللغة العالمية في ذلك العصر، وقد ساعدت هذه الرسائل على تكوين فكرة واضحة عن تاريخ كامل لمنطقة الشرق الأدنى القديم، خلال النصف الأول من القرن الرابع عشر قبل الميلاد. ومعظم هذه الرسائل يتعلق بشؤون التجارة والعلاقات الدولية، أنظر: النجفي، حسن، معجم المصطلحات والأعلام في العراق القديم، ط١، (بغداد: دار آفاق عربية، ١٩٨٣)، ج٢، ص ١٤١ ؛ دانيال، كلين، موسوعة علم الآثار، ترجمة: ليون يوسف، ط١، (بغداد: دائرة الإعلام – سلسلة المأمون، ١٩٩٠)،ج١، ص ٢٨ .

الرسائل أيضاً (من القرن الرابع عشر قبل الميلاد) عمورو التي شملت لبنان أيضاً[١].

وقد أستعمل الإغريق القدامى هذا اللفظ في بادىء الأمر للدلالة على المنطقة الساحلية، ومن ثم طغت التسمية لتحل مكان اسم المنطقة القديم والأصيل وهو بلاد كنعان[٢].

أما (فلسطين) فهي التسمية الأخيرة التي اكتسبتها هذه البلاد في نحو أواخر القرن الثالث عشر وبداية القرن الثاني عشر قبل الميلاد، عندما هاجرت إليها أحدى أقوام شعوب البحر وهم (الفلستينيون) الذين استقروا في سواحلها الجنوبية بعد أحداث أتسمت بالعنف على أتفاق أكثر المؤرخين[٣].

وأقدم ذكر لهذه التسمية ورد في النصوص المصرية والآشورية، حيث سميت هذه البلاد عندما سيطر عليها الفلستيون، بأسم (بالاستو) palastu أو (بيليستو) pilistu وهو نفس الاصطلاح اليوناني (فلستيا) philistia الذي أصبح (باليستينا) أي فلسطين[٤].

وكان هيرودوتس المؤرخ اليوناني أول من أطلق أسم فلستيا (فلسطين) على القسم الجنوبي الغربي من بلاد الشام في كتابه الذي وضعه سنة (٤٥٠ ق.م.) وكان قبله يطلق على القسم الساحلي ما بين يافا وغزة فقط[٥].

وفي الوقت عينه أشارت المصادر اليونانية إلى اكتساب المنطقة اسم آخر وهو (يهوذا) إذ تقول: عُرفت البلاد باسم يهوذا وعُرف السكان أنفسهم بأنهم يهوذيون[٦].

---

[١] – الأحمد، سامي سعيد، تاريخ فلسطين القديم، (بغداد: مركز الدراسات الفلسطينية، ١٩٧٩)، ص٤٥ .

[٢] – عبودي، هنري ٠س، معجم الحضارات السامية، ط١، (لبنان: جروس برس، ١٩٨٨)، ص٦٥٠ .

[٣] – الدباغ، مصطفى مراد، بلادنا فلسطين، ط١، (بيروت: دارالطليعة، ١٩٧٨)، ج١، ص ٥٣٤– ٥٣٧ .

[٤] – سوسة، أحمد، مفصل العرب واليهود في التاريخ، ط٥، (بغداد، ١٩٥٦)، ص ٢٢٢ .

[٥] – هيكل، يوسف، فلسطين قبل وبعد، ط١، (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٧١)، ص ٤٠ .

[٦] – منى، مقدمة، ص٨٣ .

وقد لاحظ بعض الباحثين أن الجغرافيين يستخدمون الاسم (فلسطين) أو (سورية الفلسطينية) عند الحديث عن اسم الإقليم الجغرافي، ويشيرون إلى الاسم (يهوذا) للدلالة عليها رسمياً كمقاطعة إدارية[1].

ويبدو من خلال ما تقدم أن هناك أسماء مشهورة عُرفت بها منطقة فلسطين عبر التاريخ وهي تعبر عن اسم الإقليم الجغرافي، بينما هناك أسماء أخرى اكتسبتها المنطقة عينها لأسباب إدارية كأسم مقاطعة(يهوذا) في العهد الروماني (٦٣ ق.م.–٦٠٠م).

ولا يخفى أن فلسطين القديمة كانت أحدى أقاليم سورية القديمة[2]، أو كما يسميها العرب بلاد الشام، لذلك نرى من الضروري تحديد الإطار الجغرافي لها كونها مسرحاً للأحداث التي سنتناولها في دراستنا لتلك الحقبة موضوع البحث، علماً أن الخارطة الجغرافية لحركة التأريخ اليهودي القديم لم تقتصر على منطقة فلسطين القديمة، وإنما شملت أغلب مناطق ما يسمى بالهلال الخصيب[3] التي تشكل فلسطين طرفه الغربي.

---

[1] – منى، زياد، مقدمة، ص٨٤ .

[2] – سورية القديمة: كانت تعني الإقليم الواقع بين أمانوس والفرات ولبنان الغربية ومنابع الأردن والصحراء، وكانت تتقسم إلى وحدات هي سورية العليا في الشمال وسورية البقاع في الوسط بين سلسلتي جبال لبنان الغربية والشرقية، وتقع سورية بين خطي عرض ٣١،٢٧ْ شمالاً وخطي طول ٢٢،٤٠ْ شرقاً وهي واحدة من أقاليم آسيا الغربية تقع إلى الجنوب من هضاب الأناضول وكردستان، حدودها الغربية البحر المتوسط والشرقية الفرات، والى الشمال توجد سلسلة جبال طوروس وإلى الجنوب الصحراء الغربية السورية٠ لمزيد من التفاصيل أنظر: إبراهيم، نجيب ميخائيل، مصر والشرق الأدنى القديم، ط٣، (الإسكندرية: دار المعارف، ١٩٦٦)، ج٣، ص٧ .

[3] – الهلال الخصيب: يُطلق عادة هذا المصطلح على القسم الخصب الهلالي الشكل من جزيرة العرب الذي يقع على أطرافها الشرقية والشمالية والغربية، ويشمل سورية ولبنان وفلسطين وشرقي الأردن والعراق، وبعضهم يُدخل الجزء الشمالي من وادي النيل ضمن الهلال، وأول من قال بهذا المصطلح هو الأستاذ برستد وسماه بالإنكليزية (The fertile crescent) لمزيد من المعلومات أنظر: سوسة، العرب واليهود، ص ١٠٢؛ أسود، عبد الرزاق محمد، الموسوعة الفلسطينية، ط١، (الأردن: الدار العربية للموسوعات، ١٩٧٨)، مج٢، ص ٣٣٥ ؛ عبودي، معجم الحضارات، ص ٨٨٤ .

وفلسطين هي الإقليم الجنوبي من سورية[١] التي تقع بين رأس الناقورة[٢] (سكالاتيروروم Sealatyromm، قديماً) على الساحل وعند سفح جبل حرمون[٣] شمالاً حتى وادي العريش (نهر مصر جنوباً) وحيث تقع مدينة العريش(رينو كورورا Rhino corora، قديماً) جنوباً[٤]، ويحددها العهد القديم، من دان وهي (تل القاضي عند سفح حرمون الجنوبي) حتى بئر السبع[٥]، وأما حدودها الشرقية التي لا تورد لها التوراة ذكراً فهي الأردن على الأرجح[٦]. وبناءاً على ما تقدم فإن فلسطين القديمة تشمل في دراستنا جميع الأراضي الواقعة بين نهر الأردن شرقاً والبحر الأبيض المتوسط غرباً، وبين الناقورة شمالاً وحدود مصر في الجنوب. ولكننا نجد فريق من المؤرخين يعتبر فلسطين القديمة السواحل السورية بعامة (الساحل السوري، الساحل اللبناني، الساحل الفلسطيني إلى حدود مصر)، بينما أعتبرها فريق آخر(المنطقة السورية الفلسطينية وسكانها)[٧].

ويلوح لنا أن تضارب الأدلة التأريخية حول تحديد الرقعة الجغرافية لفلسطين القديمة، لا يشكل عائقاً أمام البحث ما دامت تلك الأدلة تتفق مسبقاً على أن منطقة فلسطين القديمة هي الإقليم الجنوبي الغربي لسورية القديمة، ولهذا فإننا لا نرى

---

(١) – إبراهيم، مصر والشرق، ج٣، ص١٩٠ .

(٢) – الناقورة: ويقع هذا الرأس في فلسطين، ويبعد عن عكا بنحو (٢١ كم) وعن القدس بـ(١٩٧كم). كما يبعد عن صور بنحو (٢٤كم) وعن بيروت بـ(١٠٦كم) ، دُعي بذلك نسبة إلى قرية (الناقورة) وجبالها الواقعة ضمن الجمهورية اللبنانية وتبعد القرية مسافة (٤كم) عن الحدود الفلسطينية اللبنانية، والناقورة كلمة سريانية بمعنى (حفر) و(ثقب). أنظر: الحموي، معجم البلدان، (بيروت، ١٩٥٧)، ج٢، ص ٣٠٦ ؛ الدباغ، بلادنا، ج١، ص ١٧ .

(٣) – حرمون: أحد جبال السلسلة الشرقية، يقع على الحدود السورية اللبنانية الحالية (٢٨١٤م)، أصل هذا ألاسم عبراني ومعناه (مقدس)، وقد سماه الأموريون (شنير) والفينيقيون (سيريون)، ويُعرف اليوم بجبل الشيخ (والأصح الجبل الشيخ)، وقد تكون هذه التسمية ترجمة لاسمه الآرامي (طور تلجا)، أنظر: عبودي، معجم الحضارات، ص٣٥٠ .

(٤) – الأحمد، تاريخ فلسطين، ص٤٣ .

(٥) – سفر القضاة/ ٢٠: ١؛ سفر صموئيل/ ٣: ٢٠ .

(٦) – إبراهيم، مصر والشرق، ج٣، ص١٩٠ .

(٧) – غربية، فلسطين، ص ٤٩ .

اختلافا بيناً يمكن أن يعول عليه سواء أُضيفت أراض إلى حدودها الشمالية والجنوبية أو انتزعت منها، سيما أن فلسطين تُظهر نفس الصفات الطوبغرافية في سوريا ولبنان، فهي من الناحية الجغرافية جزء منها[١].

أرتبط الموقع الجغرافي لفلسطين ارتباطا وثيقاً بتأريخها الحضاري[٢]، كما كان لتضاريسها ومناخها أثر هام في توزيع سكانها، وتشكيل كيانها السياسي والاقتصادي والاجتماعي، ويكمن هذا في تنوع تضاريس أرضها، فهي مزيجاً من المرتفعات الشاهقة والسهول المنخفضة، والأودية الأكثر انخفاضاً[٣].

ولرسم صورة طبيعية أكثر وضوحاً لجغرافية فلسطين وتضاريسها، فإننا نعتمد التقسيم الشائع بين المؤرخين الذين قسّموا أرض فلسطين إلى أربعة مناطق طبيعية هي: السهل الساحلي، والمرتفعات (جبال الجليل ونابلس والقدس والخليل)، وإقليم الغور، وإقليم بئر السبع.

فبالنسبة للمنطقة الساحلية نجدها تتألف من جزأين، شمالي وجنوبي، الشمالي منها والذي أسماه العهد القديم سهل سارونا (شارون- صارون بالكنعانية التي معناها المرج الخصب) فكان مشهوراً قديماً بخصبه وكثرة مراعيه وزراعته ووفرة مياهه لكثرة أنهاره، وهو أكثر استواء من الجزء الجنوبي[٤] الذي سكنته القبائل أو الشعوب التي استوطنت فلسطين، وقد اسماه العهد القديم بـ(الأجزاء المنخفضة أو السفلى)[٥]، وكانت الأرض في هذه المنطقة جرداء قاحلة[٦]، أما المرتفعات فهي الجبال التي تمتد في وسط منطقة فلسطين مؤلفة عمودها الفقري وتشغل ثلثي ارض فلسطين وهي امتداد طبيعي لجبال لبنان باتجاه الجنوب ويتخللها أودية عريضة غير عميقة[٧]، وعلى العموم فأن هذه الجبال تزداد ارتفاعا باتجاه الجنوب[٨]، وتنقسم

---

[١] - الأحمد، تاريخ فلسطين، ص٤٥ .

[٢] - أنظر: الفصل الثالث، المبحث الثاني، ص١٣٧ وما بعدها .

[٣] - غربية، فلسطين، ص ٤٥ .

[٤] - الأحمد، تاريخ فلسطين، ص ٤٦ .

[٥] - المصدر نفسه، ص٤٧ .

[٦] - إبراهيم، مصر والشرق، ج٣، ص ١٩١ .

[٧] - غربية، فلسطين، ص ٤٦ .

[8] - http:// ar.wikipedia.org/wiki.

المنطقة الجبلية إلى قسمين، شمالي وجنوبي ويعرف القسم الشمالي منها بمنطقة جبال الجليل، وتبدأ من رأس الناقورة ويفصلها مرج بني عامر (سهل يزرعيل)[١] عن جبال القدس والسامرة، وهذه المنطقة على شكل هضبة محاطة بسلاسل من التلال يقطعها جبلان ويقل ارتفاعها كلما اتجهنا شمالا[٢]، وتتميز هذه المنطقة بخصوبتها، غير أن إمدادات المياه إليها ليست وفيرة ولهذا فقد اعتمدت على مياه الأمطار التي تهطل خلال فترة خمسة اشهر سنويا لا غيرها[٣]، وترتبط جبال الجليل مع السامرة بواسطة تلال زرعين[٤].

أما القسم الجنوبي فهو منطقة جبال القدس ونابلس، وتمتد هذه المجموعة على الجانب الغربي من عرابة جنوباً من البحر الميت لحوالي (١٠٠٠كم) وقد سُميت المنطقة الجنوبية منها بالنقب (الأرض القاحلة، الجنوبية)[٥]، وهضبة القدس كتلة جبلية تمتد إلى الشمال من الخليل ولا تفصلها أي حواجز طبيعية عن جبال نابلس[٦].

أما المنطقة الثالثة فهي أقليم الغور الذي يقع شرقي فلسطين ويخترقها نهر الأردن مع بحيراته[٧]، وهذه المنطقة قسم من الانخفاض العظيم الذي يبدأ من جبال طوروس في آسيا الصغرى ويستمر جنوباً ماراً بسوريا والبحر الميت وخليج العقبة لينتهي في بحيرة فكتوريا بأواسط أفريقيا[٨].

---

[١] – يزرعيل: سهل خصب يرويه نهر قيشون، يمتد من البحر الأبيض المتوسط إلى الأردن ومن جبال السامرة إلى جبال الجليل، وتقع في هذا السهل مدينة بيسان (بيت شأن)، وقد مر به جميع الغزاة الوافدين من مختلف الاتجاهات. أنظر: عبودي، معجم الحضارات، ص ٩٠٩ .

[٢] – الأحمد، تاريخ فلسطين، ص ٤٧ .

(3) – http:// ar.wikipedia.org/wiki.

[٤] – الأحمد، تاريخ فلسطين، ص ٤٨ .

[٥] – المصدر نفسه، الصفحة نفسها .

[٦] – المصدر نفسه، ص ٥٠ .

[٧] – غربية، فلسطين، ص ٤٧ .

[٨] – الكيالي، عبد الوهاب، تاريخ فلسطين الحديث ، (بيروت، ب ت) ص ١٢.

وتبقى لدينا أخيراً المنطقة الرابعة وهي أقليم بئر السبع والتي تشكل القسم الجنوبي من فلسطين وتشبه مثلثاً يقع رأسه على خليج العقبة[١]، ويشمل ضلعاه جميع الأراضي الواقعة بين شبه جزيرة سيناء وشرقي الأردن وجنوب فلسطين ويعرف بمنطقة بئر السبع والصحراء الفلسطينية[٢]، وتبلغ مساحته حوالي نصف مساحة فلسطين[٣]، وكانت بئر السبع ممراً تجارياً هاماً في العالم المتمدن القديم[٤].

[١] – غربية، فلسطين، ص ٤٨ .

[٢] – الكيالي، تاريخ فلسطين الحديث، ص ١٣ .

[3] –http:// ar.wikipedia.org/wiki.

[٤] – الكيالي، تاريخ فلسطين الحديث، ص ١٣ .

المبحث الثاني: التشكل السكاني لشعوب المنطقة

مدخل:

كانت منطقة فلسطين مستقراً لكثير من الشعوب السامية وغير السامية (الجزرية وغير الجزرية)، وقد ورد في العهد القديم ما يؤيد أنها كانت آهلة بالسكان عندما دخلها اليهود، مثلما أشار في غير موضع من إصحاحاته إلى طبيعة المنطقة وما تتمتع به من مميزات جغرافية وبيئية واقتصادية جعلها محطاً للأنظار عبر فترات تاريخية مختلفة، مما دفع العديد من الشعوب للهجرة إليها على شكل موجات متتالية كانت الموجة الأولى منها هي موجة الآموريين، فالكنعانيين، فالآراميين، ثم الموجة الرابعة وهي موجة العبريين (بني إسرائيل أو اليهود) وغيرهم من الشعوب، وانحصرت هذه الموجات في نحو(٢٥٠٠-١٠٠٠ ق.م.)[١].

وفي هذا الصدد يقول سبتينو موسكاتي: **(حينما كنا نَصِفُ الخصائص الجغرافية لفلسطين القديمة، كنا كمن يذكر مقدماً مصيرها التاريخي الذي حددته الظروف الطبيعية، فتركز طرق المواصلات الأساسية بين ثلاث قارات في هذا القطاع الضيق من الأرض كان يعني انه قدر لهذا القطاع أن يكون مسرحاً لسلسلة من الهجرات والغزوات)**[٢]. ومن هنا نرى أن دراسة التشكل السكاني لشعوب المنطقة يُلقي مزيداً من الضوء على طبيعة تلك الشعوب وأنماط حياتها الاقتصادية والسياسية والدينية وعلاقة ذلك كله بالمجتمع اليهودي التي ستتضح في سياق البحث.

الاموريون أو العموريون:

كانت موجة الاموريين[٣] من الموجات السامية (الجزرية) الكبرى التي نزحت من شبه الجزيرة العربية إلى بلاد الشام[٤]، وأخذوا يظهرون شيئاً فشيئاً في سورية

---

[١] – أنظر: خارطة رقم (١)، (٢)، الملحق الأول، ص ٣٦٩، ص ٣٧٠ .

[٢] – موسكاتي، سبتينو، الحضارات السامية القديمة، ترجمة السيد يعقوب بكر، (القاهرة: دار الكتاب العربي، ١٩٥٧)، ص ١٢٢ .

[٣] – لم يقتصر الاموريون على تأسيس دولة في منطقة الفرات الأوسط واجتياح سورية وفلسطين وإنما اجتاحوا بلاد ما بين النهرين أيضاً وحكموها، وقد أسسوا عدة سلالات في آشور في الشمال حتى لارسا في الجنوب بين (٢١٠٠و١٨٠٠ ق٠م)، وأهمها سلالة بابل، وهي أول سلالة ظهرت في هذه المدينة وأنتسب إليها الملك حمورابي (١٧٩٢ ق.م.). أنظر: حتي، تاريخ سورية، ص٧١ ؛ باقر، طه، مقدمه في تاريخ الحضارات القديمة، ط٢، (بغداد: دار المعلمين العالية، ١٩٥٦)، ج٢، ص٢٣٤ .

[٤] – إبراهيم، مصر والشرق، ج٣، ص٢٧ .

الوسطى ثم في لبنان ثم في جنوب فلسطين[(١)]، وقد أسس الاموريون في البدء دولة (أمّورو) أو (عمّورو) أو (مارتو في اللغة السومرية) أي بلاد الغرب، واتخذوا من بلدة ماري[(٢)] عاصمة لهم[(٣)]، ومن المحطات المهمة ذات الصلة ببحثنا هي محطتهم في فلسطين، إذ أنتقل مركزهم إلى هذه المنطقة بعد أن ضاقت بهم المنطقة الشمالية من سورية لأسباب سياسية خارجية جعلها بين مطرقة الإمبراطورية المصرية وسندان الدولة الفتية المتطلعة دولة الحيثيين[(٤)]، فبعد أن كان مسرح أحداث تاريخ الاموريين في شمال سوريا في مطلع الألف الثاني قبل الميلاد، أنتقل مركز الثقل إلى سورية الوسطى بعد منتصف الألف الثاني قبل الميلاد ليتحول أخيراً إلى الجنوب[(٥)].

وبناءاً على ما تقدم نلاحظ أن مراكز الاموريين تغيرت بتغير الزمن وذلك بسبب الوضع الجغرافي لبلادهم الذي جعل منها على الدوام مجال تنافس في إرضائها، أو اغتصابها، طبقاً لما تقضي به الظروف السياسية، وكان هذا من غير شك عاملاً من

---

(١) – حتي، تاريخ سورية، ص٧٠ .

(٢) – ماري: هي المدينة العاشرة التي أُسست بعد الطوفان وتقع أطلالها على الضفة الغربية من نهر الفرات على مسافة حوالي (١٥كم) إلى الشمال من بلدة البو كمال وتُعرف خرائبها اليوم باسم (تل الحريري) ولقد لعبت هذه المدينة دوراً مهماً في تاريخ الشرق الأدنى القديم، لما كانت تتمتع به موقع ممتاز متوسط على طريق القوافل التجارية والمواصلات بين العراق وسوريا وفلسطين ومصر. أنظر: عبودي، معجم الحضارات، ص ٧٦٣ ؛ البلام، مروان نجاح مهدي، ماري المدينة والدولة دراسة في الأحوال السياسية والحضارية (٢٠٠٢–١٥٩٤ ق.م.)، (رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الآداب، ٢٠٠٩)، ص٦ وما بعدها.

(٣) – سوسه، مفصل العرب واليهود، ص ١٥٤ .

(٤) – الحيثيون: شعب هندي أوربي قديم برز في آسيا الصغرى مع بداية الألف الثاني قبل الميلاد، وتعد هجرتهم أقدم الهجرات الهندية الأوربية المعروفة، والحيثيون أحدى القوى التي هيمنت على الشرق الأدنى القديم، وأغلب الظن أنهم نشأوا في المنطقة الواقعة وراء البحر الأسود، واتخذوا من حاتوشاش (بوغاز كوي على بعد مائة وثمانين كيلوا متراً من أنقره) عاصمة لإمبراطوريتهم في مقاطعة حاتي التي جاءت منها تسميتهم (الحيتيين). وتُرجع التوراة نسب الحيثيين إلى حث بن كنعان بن حام بن نوح، وترى أن الحيثيين كانوا في حبرون قبل أن يأتيها النبي إبراهيم(عليه السلام)، بشاهد أنه عند وفاة السيدة سارة امرأته **(كلّم بني حث قائلاً: أنا غريب ونزيل عندكم أعطوني ملك قبر عندكم فأدفن ميتي)**، فأبتاع من عفرون الحثّي مغارة المكفيلة. أنظر: المسيري، محمد عبد الوهاب، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، ط١(بيروت، ١٩٩٥)، ج٤، ص ١٣٣ ؛ الدبس، المطران يوسف، تاريخ سورية الدنيوي والديني، (بيروت: دار نظير عبود، ١٩٩٤)، ج١، ص ١٥٤؛ سفر التكوين/ ٢٣: ٤ .

(٥) – حتي، تاريخ سورية، ص٧٤ .

عوامل انهيارها في نهاية الأمر، ذلك لأن قسماً من الأقسام كان يرتبط بمصر موالياً لها، وأضطر قسماً آخر إلى أن يمالئ الحيثيين رهبة وخوفاً أو بدافع الخيانة أو عن طريق شراء الذمم والضمائر أو التلويح بالمغانم، وقسم ثالث جهد في الاحتفاظ بالحياد مجتنباً الميل لأحد الطرفين مفضلاً البعد عن مشاكل الصراع بين عدوين لم يقدَّر لمن منهما يكون النصر في نهاية الأمر، وهذا ما أدى إلى القضاء على الدويلات الامورية وتقطيع أوصالها[١].

وبهذا نستطيع أن نعلل الانتشار المستمر للأموريين الذي سببه الوضع السياسي السيء والمضطرب والذي أنعكس سلباً على العلاقات الخارجية للأموريين مع الإمبراطوريتين المصرية من جهة الجنوب والحثية من جهة الشمال، وبالتالي فقد حاول الاموريون جهد الامكان الابتعاد عن الاحتكاك المباشر مع هذه القوى في المنطقة السورية، وانتهاج الأسلوب غير المباشر في التعامل معها عن طريق النفاق السياسي الذي اتبعه ملوك الدويلات الامورية في محاولة لكسب الوقت وتثبيت سلطانهم قي المناطق التي يسيطرون عليها سواء في سوريا الوسطى قبل التوغل الحثي، أو في سوريا الجنوبية آخر محطة للاموريين، وكذلك لإرضاء كل من الطرفين القويين.

بعد ذلك أفرزت هذه السياسة التي انتهجها الاموريون مجموعة من النتائج والتطورات السياسية كان من أهمها التصارع الداخلي بين هذه الدويلات نفسها والتسابق في نيل ود القوى العظمى، مما أدى إلى تقاطع السياسات بين الدويلات الامورية، وتضارب مصالحها السياسية، الأمر الذي أدى إلى تدخل المصريين بقوة للمحافظة على توازنهم في المنطقة السورية، كما فسح للحيثيين مجالا اكبر في الاستمرار والاستحواذ على مناطق أخرى ضُمت تحت سيطرتهم[٢]. نستنتج مما تقدم أن هذه الظروف كانت السبب الرئيس في تحول مراكز الاموريين إلى الجنوب.

وهناك فرع من الاموريين عُرف بـ(العمالقة)، وهم جماعات من البدو كانت تتنقل في صحراء النقب والبعض منها استقر بالقرب من واحات تلك الصحراء جنوب

---

[١] – إبراهيم، مصر والشرق، ج٣، ص ٢٩ – ٣٠ ؛ باقر، مقدمة، ج٢، ص ٢٣٨ – ٢٣٩ .

[٢] – المصدر نفسه، ص ٣١ .

ارض فلسطين[١] وفي الأراضي الكائنة إلى الغرب والشمال الغربي من البتراء وفي سيناء[٢]، وتسموا بالعمالقة نسبة إلى كبر أجسامهم وطولهم واشتهارهم بالبأس والقوة، إذ جاء في سفر النبي عاموس وصفاً مبالغ فيه **(أن قامة العمالقة كانت مثل قامة الأرز وأنهم أقوياء كالسنديان)**[٣].

تميز الاموريون بعدتهم الحربية وتسليحهم، إذ كان البرونز هو المعدن المستخدم عندهم، وقد جعلوا من رؤوس حرابهم النحاسية وخناجرهم وسكاكينهم أكثر صلابة بواسطة الطَرق ثم بالمزج مع القصدير، ومن أسلحتهم أيضا الأقواس المزدوجة والحراب والرماح[٤]، ونجد بعض النصوص القديمة التي تصف قوتهم تقول على لسان احد الملوك الآشوريين (لقد أخضعت مارتو الذين قوتهم كالعاصفة والذين لا يعرفون المدنية منذ القدم)[٥].

وكانت لغة الأموريين شبيهة باللهجة الكنعانية بحيث يمكن عدهما لهجتين متقاربتين، اللهجة الكنعانية الشرقية (أي الامورية) واللهجة الكنعانية الغربية (أي الكنعانية)[٦] أما ديانتهم فقد مرت بمرحلة بدائية، وهي عبادة قوى الطبيعة كما كان شائع عند الساميين (الجزريين)، كما أنهم اتخذوا الآههم الخاص أمورو (مارتو)[٧]، ومعه آلهة أخرى جاءتنا أسماؤها ضمن الآلهة الكنعانية، وكان للإله أمورو شريكة تسمى (عاشرة) وتتصف بحب المسرات والنشاط[٨] .

ومن آلهة الاموريين أيضاً إله جاء أسمه عند الفينيقيين بأسم (رشف) وسماه الآراميون (ريشوف)، وعبدوا أيضاً إلهاً آخر دخلت عبادته إلى حضارة بلاد الرافدين

---

(١) – الأحمد، تاريخ فلسطين، ص ١٥٨ .

(٢) – الدباغ، بلادنا، ج١، ص ٣٩٩ .

(٣) – سفر عاموس/٢: ٩ .

(٤) – حتي، تاريخ سورية، ص٨٢ .

(٥) – وهو الملك الآشوري أسرحدون (٦٨٠ – ٦٦٩ ق٠م٠)، أنظر:
Danial, David Luckenbill, Ancient Records of Assyria and Babyloani, Vol.II (Chicago, 1926), p. 324 .

(٦) – باقر، مقدمة، ج٢، ص ٢٣٦ ؛ أنظر: (المخطط اللغوي)، الملحق الثاني، شكل رقم (٢)، ص ٣١٧ .

(٧) – المصدر نفسه، ص ٢٣٧ .

(٨) – حتي، تاريخ سورية، ص٨٣ .

وهو الإله (داكان) وأصله من الآلهة المتعلقة بالخصب والطعام[١]، وهناك بعض الطقوس التي أدخلها الاموريون إلى جنوبي سورية (فلسطين) كالعمود المقدس الذي كان يمثل إله القبيلة ويُقام عادة في مكان مطهر وفي مغارة إلى جانبها مذبح من الحجر الكلسي[٢]. وكان من أقدس آلهتهم التي عبدوها آله المياه والينابيع[٣]، كما عرفوا عبادة الأفعى التي كانت تتصل بمعبودة لها علاقة بالقمر[٤] ويقابل أسمها (أشير) وبالعبرية אשרה (أشرا)[٥]، وهي عبارة عن عمود مقدس أو جذع شجرة يستعملان في بعض الطقوس الدينية[٦]. والمرجح كثيرا أنهم قد أدخلوا إلى بلاد الشام الشام عادة تقريب الابن البكر وعادة التضحية في أًسس البناء (تضحية الأطفال الآدميين) وهي عادة استمرت إلى زمن العبرانيين[٧].

أعتمد الأموريون على عدد من الموارد الاقتصادية ومن أهمها الزراعة، وتربية الحيوانات الداجنة، ولهذا فقد عنوا بحراثة الأرض وزراعتها كما عنوا بتربية الماشية والأنعام[٨]، فضلاً عن الطرق التجارية التي كانت في بلادهم وتحت حمايتهم والتي تمتد من العقبة وتنتهي عند غزة ومصر والتي وفرت جزءاً مهماً من الإيرادات السنوية من جراء مرور القوافل[٩].

كان الاموريون (العمالقة) يملكون عدداً من القرى والمدن[١٠] ولا يُعرف على وجه التحديد أين كانت تقع مدينتهم الرئيسة في جنوبي فلسطين، والأرجح أنها كانت تقع في مكان ما ضمن منطقة بئر السبع[١١].

---

[١] – باقر، مقدمة ، ج٢، ص ٢٣٧ .

[٢] – حتي، تاريخ سورية، ص ٨٤ .

[٣] – سوسه، مفصل العرب واليهود، ص ١٥٦ .

[٤] – إبراهيم، مصر والشرق، ج٣، ص ٢٧ .

[٥] – שגיב, דוד, מילון עברי – ערבי לשפה העברית בת-זמננו, (ירושלים, 1961), כרך ראשון, עמ 133 .

[٦] – إبراهيم، مصر والشرق، ج٣، ص ٢٧.

[٧] – باقر، مقدمة، ج٢، ص ٢٣٨ .

[٨] – الدباغ، بلادنا، ج١، ص ٣٩٩ .

[٩] – الدباغ، بلادنا، ج١، ص ٤٠٠ .

[١٠] – المصدر نفسه، ص ٣٩٩ .

[١١] – المصدر نفسه، ص ٤٠٠ .

أما أول صلات العموريين باليهود فقد بدأت في القرن الثالث عشر قبل الميلاد، إذ يتضح أنهم كانوا يسيطرون على المواقع الاستراتيجية ورؤوس التلال في فلسطين القديمة وأنهم أسسوا بعض المراكز التي تطورت فيما بعد فأصبحت تلك المدن الكنعانية المعروفة[١]، وهذا يعني أن الاموريين كانوا يمثلون في مرحلة من المراحل الطبقة الحاكمة في سورية الجنوبية قبل دخول اليهود[٢]، ويُذكر أنه عندما دخل الخابيرو فلسطين وجدوا أن ساميين (جزريين) قدماء هم الاموريون يحتلون قسماً منها على الأقل[٣]، وهذا ما أكده العهد القديم الذي أشار إلى كونهم من سكان فلسطين قبل اليهود **(ويجعل جميع سكان الأراضي الجبلية وشرقي الأردن أموريين)**[٤].

الكنعانيون أو(الفينيقيون):

شعوب استوطنت سواحل فلسطين، حوالي منتصف الألف الثالث قبل الميلاد[٥] وكانت تسميتهم بـ(الكنعانيين)[٦] نسبة إلى كلمة (كنعان) السامية (الجزرية) (الجزرية) التي تعني الأرض الواطئة التي استوطنوها، بالمقابلة مع الأراضي المرتفعة التي تحاذيهم[٧]، أو ربما تعني أسم الجد الأعلى للكنعانيين (كنعان بن سام سام بن نوح...) على رأي بعض المؤرخين[٨].

---

(١) – حتي، تاريخ سورية، ص ٨١ .

(٢) – إبراهيم، مصر والشرق، ج٣، ص ٣٠ .

(٣) – حتي، تاريخ سورية، ص ٨١ .

(٤) – سفر العدد/ ١٣: ٢٩ ؛ سفر يشوع/ ٢٤: ٨ ؛ سفر عاموس/ ٢: ١٠ .

(٥) – سوسة، مفصل العرب واليهود، ص ١٠٦ .

(٦) – يرى المؤرخ الشهير(سبتينو موسكاتي) أن تسمية الكنعانيين غير دقيقة عند إطلاقها على هذه الأقوام فقط دون غيرها من الشعوب، كالآراميين مثلاً، ويقول موسكاتي أنه لا حاجة إلى اصطلاحات كلفظ الكنعانيين، ولا سيما إذا عالج الباحث تاريخ هذه العناصر بصورة فردية ومستقلة، لأنه في هذه الحالة سيتناول الفينيقيين والمؤآبيين والادوميين والعمونيين...الخ. أنظر: موسكاتي، الحضارات السامية، ص ١١٥ .

(٧) – باقر، مقدمة، ج٢، ص ٢٣٩ .

(٨) – الرومي، ياقوت الحموي، معجم البلدان– البلدان الفلسطينية، (دمشق: منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، ١٩٨٢)، ج١، ص ٣٤١ .

ولكن الرأي الأقرب إلى الصواب يرى أن هذه التسمية هي نسبة إلى الكلمة الحورية غير السامية (كيناخي) knaggi التي تعني اللون القرمزي لاشتهارهم بصناعة الصبغ القرمزي[١]، كما تم بيان ذلك فيما سبق.

وينطبق التفسير الأخير للتسمية مع أسم الفينيقيين (phoinix) الكلمة اليونانية التي تعني القرمز أو الأرجوان والتي تشير أيضا إلى صناعة الأصباغ القرمزية التي أشتهر بها الساحل[٢]، ولهذا السبب فقد أطلق اليونانيون هذا الاسم على الكنعانيين الذين تاجروا معهم وأصبحت كلمة فينيقي بعد حوالي (١٢٠٠ ق.م.) مرادفة لكنعاني[٣]، ويبدوا أن هذا التفسير هو أقرب إلى الصحة، لأنه قلما كانت تطلق تسميات على الشعوب القديمة نسبة إلى تضاريس أرضها وجغرافيتها، ولو كان ذلك لأُطلق ضد معنى كلمة كنعان (الأرض الواطئة) على الشعوب التي استوطنت مرتفعات فلسطين.

ونفهم من ذلك أن الحديث عن الكنعانيين هو نفس الحديث عن الفينيقيين، إلا أنه تجدر الإشارة إلى أمر بالغ الأهمية، وهو أن المواطن التي استقرت فيها الشعبة الكنعانية هي غير المواضع التي استقرت فيها الشعبة الفينيقية[٤] .

إذ أستوطن الفينيقيون وهم شعبة من الكنعانيين الساحل الشرقي للبحر المتوسط وبعض المناطق الداخلية القريبة في مساحة تمتد في الأقل، من أرواد شمالا إلى جبل الكرمل جنوبا[٥] أي نحو الثلث الأوسط من الساحل الشرقي للبحر المتوسط[٦]، المتوسط[٦]، أما بقية الشعوب الكنعانية فقد استوطنت في أقسام أخرى من سوريا وفلسطين وغربي الأردن.

---

[١] – حتي، تاريخ سورية، ص ٨٥ .

[٢] – الأحمد، سامي سعيد، وأحمد، جمال رشيد، تاريخ الشرق القديم، (بغداد، ١٩٨٨)، ص ٢٤١ .

[٣] – المصدر نفسه، ٢٤٣ .

[٤] – إبراهيم، مصر والشرق، ج٣، ص ٥١ .

[٥] – تمثل لبنان الحالية الجزء الأكبر من المنطقة التي أستوطنها الفينيقيون . (الباحث) .

[٦] – الأحمد، وأحمد، تاريخ الشرق، ص ٢٤٢ .

ويبدو أن طبيعة العلاقات الاقتصادية بين بعض الشعوب الكنعانية وغيرها من شعوب العالم القديم هي التي دفعت إلى إطلاق تسميات على بعضها دون الأخرى إذ نجد أن قسماً منها قد أختص بالزراعة فضلاً عن بعض الصناعات وهو القسم الأعظم من الكنعانيين، وقسماً أختص بالصناعة ولاسيما صناعة الأصباغ بالإضافة إلى ممارسة الزراعة التي تعتمد عليها صناعاتهم كمواد خام وهم الفينيقيون الذين اشتهروا بالتجارة مع شعوب العالم القديم.

وقد سكن الكنعانيون في قرى ومدن زراعية تطورت إلى مدن كبيرة عامرة تحفها أسوار عالية شيدت فوقها الأبراج المنيعة حماية من غزوات العدو[١].

ومن هذه المدن ما يقع في الشمال وهي كل من أرواد وبيبلوس (جبيل) وصور وصيدا[٢]، ومنها ما يقع في الجنوب مثل غزة وعسقلان[٣]، على الساحل، وهناك مدن تتوسط مدن الشمال والجنوب وهي عكا وحيفا، بالإضافة إلى عدد من المدن الكنعانية في الداخل مثل جازر ولاخيش ومجدو وهازور وشكيم وأورشليم[٤].

ولقد كان بنو إسرائيل يسمون القبائل الكنعانية بأسماء مناطقها، فيقولون أهل صور وأهل صيدا وأهل جبيل وأهل أرواد، كما كانوا يطلقون عليهم اسم (الكنعانيين)[٥].

وقد تمكنت الشعوب الكنعانية أن تصنع حضارة عظيمة، على الرغم من الظروف التاريخية التي أحاطت بها، والتي حالت دون تكوينها دولة كبيرة موحدة، ولهذا فقد كانوا منقسمين إلى وحدات أو دويلات صغيرة على غرار دول المدن[٦].

---

(١) – سليمان، عامر، والفتيان، أحمد مالك، محاضرات في التاريخ القديم، (الموصل، ١٩٧٧)، ص ٣٤٣ .

(٢) – الأحمد، وأحمد، تاريخ الشرق، ص ٢٤٤– ٢٤٨ .

(٣) – عسقلان: من الاسم العبري (אשקלון) أشكلون، وهي مدينة فلسطينية كبيرة، تقع على البحر الأبيض المتوسط، وكانت أحدى المدن الفلسطينية الرئيسية الخمسة، التي كانت للكنعانيين قبل استيطانها من قبل الفلسطينيين، وقد ورد اسم عسقلان في الوثائق المصرية المدونة وفي رسائل تل العمارنة (القرن الثامن عشر قبل الميلاد) أنظر: פרס, ישעיהו, ארץ – ישראל אנציקלופדיה מופוגרפית – היסמורית , מהדורה שניה, (ירושלים, 1951), כרך ראשון, עמ 55 .

(٤) – حتي، تاريخ سورية، ص ٨٩ .

(٥) – ولفنسون، تاريخ اللغات، ص ٥٦ .

(٦) – باقر، مقدمة، ج٢، ص ٢٤٢ .

وكان لكل دولة حكومة خاصة بها وعلى رأسها حاكم بالوراثة، قد ينتقل الملك منه إلى أسرة أخرى، أو تنزع الأمارة وتسلب نتيجة ثورة من عناصر تصبح لها الغلبة[١].

ولم يجمع بين هذه الدويلات اتحاد أو تحالف بل تآكلها التحاسد والتنافس اللذان قاداها إلى التحارب أحيانا، فتناصبت صور وصيدا بنوع خاص عداء طويل الأمد ولم يتح لمدينة واحدة، حتى ولو استفادت مما ألحقه الأجنبي بمنافستها، أن تبسط نفوذا واسعا أو دائما[٢].

وكان لكل من كنعان وفينيقيا سياستها الخاصة، حيث قدر لكنعان أن تلعب دورها في التاريخ بعيدا عن فينيقيا، فقد سجلت أحداث التاريخ اليهودي ألوانا وأطوارا سريعة متلاحقة متباينة من الصراع بين اليهود والكنعانيين[٣].

أما فينيقيا فقد أُتيح لها المجال للبناء الحضاري أكثر من شقيقتها لأسباب قد تكون اقتصادية أو جغرافية، فبعدها عن المناطق التي كانت تشهد الصدام بين اليهود والكنعانيين كان من بين الأسباب التي حددت سياستها الخارجية، وعلاقتها مع اليهود، ناهيك عن الاعتماد على السوق الفينيقي الذي يوفر كل ما يحتاجه اليهود أنفسهم.

بدأ الانتعاش الاقتصادي للكنعانيين يتحقق داخليا وسرعان ما أصبح يلعب دوراً كبيراً وبارزاً في اقتصاديات الشرق القديم، سواء عن طريق الصناعة أو التجارة إلى جانب اهتمامهم بالزراعة والبستنة والصيد والرعي، حيث استطاعوا الحصول بواسطة الزراعة المنظمة على أكثر المواد الغذائية التي شملت القمح والشعير والشوفان والعدس والباقلاء والكروم والزيتون[٤].

---

(١) – إبراهيم، مصر والشرق، ج٣، ص ٥٠ .

(٢) – ايمار، أندريه وأوبوايه، جانين، الشرق واليونان القديمة، ترجمة: فريد م. داغر وفؤاد ج. أبو ريحان، ط١،(بيروت: منشورات عويدات)، ١٩٦٤، ص ٢٥٦ .

(٣) – إبراهيم، مصر والشرق، ج٣، ص ٥٤ .

(٤) – الدباغ، بلادنا، ج١، ص ٤٦٢– ٤٧٧ .

استخدم الكنعانيون المحاريث للزراعة، وطحنوا الحبوب الغذائية بالرحى الحجرية وخبزوا في تنانير اسطوانية الشكل ونقلوا الماء من الآبار والعيون والجداول هذا إلى جانب تربية المواشي كالبقر والغنم والماعز [١].

وبشكل عام فقد تمكنت فينيقيا أن تمثل الكنعانيين خير تمثيل وأن تمسك عصا الاقتصاد القديم من المنتصف ببلوغها أرقى درجات التطور الصناعي في تلك الفترة، تتأرجح بين طرفيها زراعة مزدهرة وتجارة رائجة بتوازن عجيب كان يستقطب اهتمام الدول والإمبراطوريات الكبرى، لما في أسواقها من فسيفساء صناعية بين حاجات مصنوعة من المعدن وأخرى من الزجاج وغيرها من العاج بالإضافة إلى صناعة الأقمشة والأرجوان الذي أنفرد به الكنعانيون أو الفينيقيون دون غيرهم[٢]، إذ تمكنوا من الوصول إلى شواطئ نائية جداً بحثاً عن المواد الخام لتصنيعها، فبلغوا أفريقيا سعياً وراء طلب أصداف (الوركس) التي يستخرج منها صبغ الأرجوان[٣].

كما أن النجاح الاقتصادي لم يتأتى من اجتهاد أطراف كنعانية دون أخرى، بل ساهمت جميعها فيه وكل حسب دوره، زراعيا كان أو صناعيا أو تجاريا.

أن التطور الحضاري المذهل الذي تمتع به الكنعانيون، يفسر لنا أسباب التغير السريع الذي طرأ على الحياة البدوية البسيطة لليهود في بداية استقرارهم في فلسطين شاملا كل مظاهر حياتهم بما فيها الجانب الديني[٤].

اليبوسيون:

هم سكان فلسطين القديمة (بلاد كنعان) قبل مجيء اليهود إليها[٥]، دُعوا بهذا الاسم نسبة إلى جدهم الأعلى (يبوس) وكانت منازلهم في مدينة يبوس وما حولها[٦]، وقد

---

[١] – سليمان، والفتيان، محاضرات، ص ٣٤٥ .

[٢] – لمزيد من المعلومات عن الاقتصاد الكنعاني أو الفينيقي. أنظر: حتي، تاريخ سورية، ص ٩٢ – ١٠٣ ؛ ديورانت، ول، قصة الحضارة، ترجمة: زكي نجيب محمود ومحمد بدران، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠١)، مج١، ص ٣١٠ – ٣١٣ .

[٣] – سليمان، والفتيان، محاضرات، ص ٣٤٦ .

[٤] – أنظر الفصل الثاني، المبحث الثاني ، ص ٨٧ وما بعدها ؛ الفصل الثالث، المبحث الثاني، ص ١٣٤ .

[٥] – عبودي، معجم الحضارات، ص ٩٠٦ .

[٦] – هيكل، فلسطين قبل، ص٢٩ .

حصن اليبوسيون مدينتهم بسور عظيم كان له الفضل الكبير في صد هجمات الأعداء وبقاءها في يد أصحابها لفترات طويلة[١]، ولقد جاء ذكر اليبوسيين في العهد القديم مرات عدة، ومنها في سفر التكوين[٢].

وقد كان من أشهر ملوكهم الملك (ملكي صادق) الذي عاصر النبي إبراهيم(عليه السلام)، إذ ورد في العهد القديم أنه قدم إلى إبراهيم ما يلزمه من معونة ومأكل ومشرب[٣]، وكان هذا الملك كنعاني يبوسي من ملوك القدس[٤] التي كانت تدعى في في أيامه (شاليم)[٥]، مما يشير إلى أن اليبوسيين قد عاصروا اليهود في فترات مختلفة.

العناقيون:

وكانوا يقيمون ما بين الخليل والقدس، ونزلوا أيضاً غزة وجت، وكانوا مولعين ببناء المدن والحصون كغيرهم من القبائل الكنعانية، فشادوا مدينة الخليل عاصمة دولتهم، زمن ملكهم (أربع) ودعيت يومئذ (قرية أربع) بمعنى مدينة أربع وبنوا مدينة (أشدود) ومعناها بالكنعانية (حصن) و(قرية سفر) وبلدة (عناب)[٦].

أشتهر العناقيون بطول قامتهم وقوتهم وبأسهم في الحروب، كما أن التوراة تروي بأنهم أرعبوا جواسيس اليهود الذين بعثهم النبي موسى(عليه السلام) إلى فلسطين لمعرفة أحوالها وكيفية الدنو منها والتسلل إليها[٧].

---

[١] – الدباغ، بلادنا، ج١، ص٣٩٦ .

[٢] – سفر التكوين/ ١٥ : ١٨ .

[٣] – سفر التكوين/ ١٤: ١٨ .

[٤] – زايد، عبد الحميد، القدس الخالدة ، (القاهرة: ب مط، ١٩٧٤)، ص٤٠ .

[٥] – شاليم: كان اله السلام عند الكنعانيين، وأول مرة ورد فيها اسم (أورشليم) هو في نقش مصري قديم يرجع إلى القرن التاسع عشر قبل الميلاد، وفي ألواح تل (العمارنة) في القرن الرابع عشر قبل الميلاد، ذكرت القدس بأسم (اورسلمو) أو (أورسالم) أنظر: عبودي، معجم الحضارات، ص ١٥٤ ؛ جرجيس، طلال جورج عبد النور، القدس في العصور القديمة دراسة في تاريخها السياسي والحضاري ٣٠٠٠– ٦١٢ ق.م.، (رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الآداب، ٢٠٠٩)، ص ٣١– ٣٥ .

[٦] – هيكل، فلسطين قبل، ص ٢٩ .

[٧] – سفر العدد/ ١٣ : ٢٨ ، ٢٩ .

الحويون:

وكانوا يسكنون في مدينة شكيم (بلاطة) وهي نابلس، ثم انتشروا في شمال فلسطين حتى جبل الشيخ وجبل لبنان وكانت هذه المدينة عاصمة ملكهم، ومن أهم مدنهم (عيون) وهي دبين، وقد نزل فريق منهم شمالي القدس وانشأوا[١] (قرية يعاريم[٢]، ومن الحويين (حُمور الحوي) رئيس مدينة شكيم الذي باع قطعة من أراضيه ليعقوب(عليه السلام)[٣]، ويذكر العهد القديم اصطدام الحويين باليهود، باستثناء سكان جبعون من الحويين، فكافأهم يوشع بأن جعلهم (محتطبي حطب ومستقي ماء لقومه)[٤].

الآراميون:

من الشعوب السامية (الجزرية) الكبرى التي تمثل ثالث الهجرات الرئيسة إلى بلاد الشام بعد الاموريين والكنعانيين، وقد استوطنوا شمالي الشام وشواطئ الفرات الأوسط، كما نزل قسم آخر منهم في جنوبه الشرقي[٥]. كان الآراميون قبل استيطانهم استيطانهم واستقرارهم في بلاد الشام من بين الجماعات البدوية التي كانت تتجول في بوادي الجزيرة الشمالية، فكانت تتغلغل منها جماعات بين الحين والآخر في البلدان المتحضرة المجاورة مثل سورية والعراق[٦]. ومن الملاحظ أن مدونات[٧] الألف الثاني

---

[١] – هيكل، فلسطين قبل، ص ٢٩ .

[٢] – يعاريم: بمعنى(مدينة الغابات) وتعرف أيضاً أسم (قرية بعل) ومعناها مدينة بعل وهي قرية العنب اليوم وقد ذكرها ياقوت الحموي في معجمه باسم (حصن العنب) من ارض بيت المقدس. أنظر: الحموي، معجم، ج٢، ص ٢٦٥ ؛ الدباغ، بلادنا، ج١، ص ٤٤٥ .

[٣] – المصدر نفسه، ص ٣٩٨ .

[٤] – سفر يشوع/ ٩:٢٧ .

[٥] – الدباغ، بلادنا، ج١، ص ٤٩٦ .

[٦] – باقر، المقدمة، ج٢، ص ٢٦٨ .

[٧] – ومن هذه المدونات ما تشير إلى عمليات عسكرية قام بها الملوك الآشوريين منذ القرن الرابع عشر ضد قبائل (الأخلامو) من ذلك ما يخبر به أدد نيراري الأول (١٣٠٦– ١٢٧٤ ق.م.) عن مهاجمة أبيه لجماعات الـ (أخلامو) وما يخبر به بعد ذلك أبنه وخليفته شلمانصر الأول (١٢٧٤– ١٢٤٤ ق.م.) . أنظر: الحلو، عبد الله، سوريا القديمة التاريخ العام من أقدم الأزمنة المعروفة حتى أوائل العصر البيزنطي،

الثاني قبل الميلاد بما فيها رسائل تل العمارنة كانت تشير إلى الآراميين بتسمية الـ (أخلامو) قبل أن تغلب عليهم تسمية آرامو (الآراميون)[١].

ولم يكتسبوا أسمهم هذا حتى أيام تجلاتبليزر الأول (١١١٥- ١٠٧٧ ق.م.) حين أقاموا في منطقة الفرات الأوسط حتى سورية في الغرب، وفي هذه البقعة نشأت لغتهم وقوميتهم وثقافتهم الخاصة بهم[٢].

ويرى آخرون أن كلمة (آرامو) هي تسمية لشعب، ويقصد به سكان الأراضي المرتفعة. ويتوسع البعض في أطلاق لفظ (الآراميين) على الشعوب التي توالت على منطقة الهلال الخصيب، و(آرام) عند اليهود هو أبن سام بن نوح، وأن جميع الآراميين ينحدرون من نسله، ويطلقون على بلاد الآراميين اسم آرام[٣].

أقام الآراميون دولاً تجارية مهمة في الفرات الأوسط وما بين النهرين وفي مدن الشام منذ نهاية القرن الثالث عشر قبل الميلاد، وهي الفترة التي شهدت أيضاً انتهاء تنقلات العبريين (اليهود) واستقرارهم في منطقة فلسطين[٤]. ومن أشهر دويلاتهم وأقدمها في الفرات الأوسط هي دويلة (آرام نهرايم) أو آرام النهرين، والنهران المقصودان هما الفرات ورافده الخابور، ويظهر هذا الاسم في الكتابات المسمارية في أواخر القرن الثالث عشر قبل الميلاد[٥].

ومن دويلاتهم الشهيرة أيضا فيما بين النهرين دويلة (فدان آرام) وهي دويلة صغيرة لم تكن بسعة دويلة آرام نهرايم وكان مركزها في حران، التي كانت تقع على طريق تجاري عظيم[٦].

ط١، (دمشق: الف باء- الأديب، ٢٠٠٤)، ج١، ص ٦٥٦ ؛ سليمان، والفتيان، محاضرات، ص٣٥٤ – ٣٥٥ .

[١] – الحلو، سوريا القديمة، ج١، ص ٦٥٦ .

[٢]– حتي، تاريخ سورية، ص ١٧٤ .

[٣] – إسماعيل، حلمي محروس، الشرق العربي القديم وحضارته، بلاد ما بين النهرين والشام والجزيرة العربية القديمة، (الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة، ١٩٩٧)، ص ١٦٠ .

[٤] – باقر، المقدمة، ج٢، ص ٢٧٠ .

[٥] – النجفي، معجم المصطلحات، ج٢، ص ١٥.

[٦] – الأحمد، واحمد، تاريخ الشرق، ص ٢٣٤ .

غير أن أهم تلك الدول التي أسسها الآراميون كانت دويلة (آرام دمشق) التي كان مركزها أولاً في صوبة، ثم في دمشق، وقد تأسست مملكة دمشق في أواخر القرن الحادي عشر قبل الميلاد، وكانت معاصرة تقريباً لتأسيس المملكة اليهودية الموحدة، وتطورت فأصبحت مملكة كبرى تمتد إلى الفرات من جهة، والى اليرموك من جهة أخرى(١)، وكانت متاخمة للمملكة الآشورية في الشمال والمملكة اليهودية الموحدة في الجنوب(٢). كما كان للآراميين دويلات أخرى في سوريا الشمالية، ومن أهمها دويلة (شمأل)(٣).

كان لموقع مدنهم الجغرافي كنقطة وسط بين بلاد الرافدين وسورية، وارتباطهم بالطرق التجارية التي تصل الساحل الفينيقي بآسيا الصغرى من جهة، ومناطق الفرات السفلى ودجلة من جهة أخرى، الأثر الكبير في إعطائهم دور الوسيط التجاري بين مختلف المراكز الحضارية القديمة(٤).

ونتيجة لاشتغالهم بالتجارة وتوسعهم بها فقد انتشرت لغتهم في مختلف البلدان وأصبحت لغة رسمية إلى جانب كونها اللغة العامة للتجارة، بل وأُستعملت لغة رسمية في الإمبراطورية الفارسية، وكان انتشارها سببا في انتشار الأبجدية الفينيقية التي استخدموها. وتفرعت اللغة الآرامية إلى مجموعتين، شرقية في وادي الفرات ومنها السريانية، وغربية ومنها التدمرية وغيرها(٥).

ومعظم الآداب الدينية اليهودية والمسيحية (السريانية) مكتوبة باللغة الآرامية(٦). وذلك لوجود الصلات التاريخية والثقافية بين الآراميين والعبرانيين

(١) – حتي، تاريخ سورية، ص ١٧٧ .

(٢) – النجفي، معجم المصطلحات، ج٢، ص ١٥ .

(٣) – عبد القادر، حامد، الأمم السامية مصادر تاريخها وحضارتها، (القاهرة: دار النهضة،١٩٨١)، ص١٠٦.

(٤) – نور الدين حاطوم وآخرون، موجز تاريخ الحضارة، (دمشق: ب مط، ١٩٦٤)، ج١، ص ٢٥٦ .

(٥) – عصفور، محمد أبو المحاسن، معالم حضارات الشرق الأدنى القديم، (بيروت: دار النهضة العربية، ١٩٨٧)، ص ١٦٧– ١٦٨ ؛ أنظر: المخطط اللغوي، شكل رقم (٢)، ص٣١٧ .

(٦) – لانجر، وليم، موسوعة تاريخ العالم، ترجمة: محمد مصطفى زيادة، ط٣، (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٢)، ج١، ص ٧٩ .

(اليهود)، حتى أن أكثر الباحثين يرى أنه لم تكن هناك فوارق واضحة بين الشعبين من ناحية الأصول، ومن المحتمل أن الجنسين امتزجا على الحدود منذ البداية[١].

وعلى مستوى العلاقات السياسية فقد مرت فترات نزاع بين الدويلات الآرامية ومملكة اليهود المتحدة، أعقبتها فترات هدوء، سرعان ما اضطربت مرة أخرى بعد انقسام هذه المملكة حوالي (٩٢٢ ق.م.)[٢]، وكانت الممالك الآرامية تتقلب في مواقفها مع شقي المملكة اليهودية المنقسمة على نفسها، فتارة تحالف المملكة الجنوبية (يهوذا)، وتارة تحالف أختها الشمالية (إسرائيل).

تعود جذور العداء بين الآراميين واليهود إلى الفترة التي سبقت اتخاذ دمشق مركزاً للدولة الآرامية، أي عندما كانت مدينة (صوبة) مركزاً للمملكة الآرامية التي عرفت بأسم (آرام صوبا)، حيث بدأت الحرب بين ملوكها وبين أول ملك من بني إسرائيل وهو شاءول (١٠٢٠- ١٠٠٤ ق.م.)، حتى تمكن خلفه داود من حسم هذا الصراع لصالحه، والاستيلاء مؤقتاً على دمشق[٣]، أستمر العداء بين الطرفين طيلة أيام الملك سليمان[٤]، إلا أن الانقسام السياسي الذي تعرضت له المملكة اليهودية، قد ساعد الآراميين على بسط سلطانهم على اليهود، وفرض الجزية على ممالكهم[٥].

أما ديانة الآراميين فكانت قائمة على عدد من الآلهة، لتأثرها بديانات الأقوام السامية (الجزرية) المجاورة، كالكنعانيين وقبلهم الأموريين[٦]، وأهمها(حدد)، وهو في الأصل إله الزوابع والعواصف، وكان هذا الإله يعبد في كركميش (جرابلس) وفي شمأل (زنجرلي) وفي حلب وفي دمشق، ومما يدل على تعلق الآراميين بهذا الإله وتمييزهم له، هو إضافة أسمه إلى ثلاثة من أسماء ملوكهم في دمشق[٧]. وكان الآراميون يعتقدون أن إلههم (حدد)، أو كما يلفظ في بعض القراءات (أدد) أو (هدد)،

---

[١] – إبراهيم، مصر والشرق، ج٣، ص ٤٨٨ .

[٢] – الأحمد، وأحمد، تاريخ الشرق، ص ٢٣٤- ٢٣٧؛ عبد القادر، الأمم السامية، ص ١٠٦.

[٣] – حتي، تاريخ سورية، ص ١٧٩ .

[٤] – أنظر: الفصل الثالث، المبحث الأول، شخصيات الملوك (شاءول، داود، سليمان) ص ١١٦ وما بعدها.

[٥] – باقر، المقدمة، ج٢، ص ٢٧٣ .

[٦] – عصفور، معالم حضارات، ص ١٦٧ .

[٧] – سوسة، مفصل العرب واليهود، ص ١٧١ .

مفيداً حين يرسل المطر الذي يخصب الأرض، ومضراً حين يرسل السيول، ومن ألقابه ريمون (الراعد)[1].

القبائل العمونية والمؤابية والآدومية:

يتفق المؤرخون على أن قبائل العمونيين والمؤابيين والآدوميين من القبائل السامية (الجزرية)، وأنهم قد سبقوا القبائل العبرانية استقرارا في فلسطين، ولكنهم يختلفون بشأن تاريخ هذا الاستقرار، فمنهم من يرى أن تاريخ استقرار هذه القبائل في فلسطين هو في أواخر القرن الرابع عشر قبل الميلاد[2]، ومنهم من يقول أن تاريخ استقرارها كان معاصراً للهجرة الآرامية، وذلك في نحو القرن الخامس عشر قبل الميلاد[3]، ومنهم من يرجع تاريخ هذا الاستقرار إلى نحو منتصف الألف الثالث وأواخر الألف الثاني قبل الميلاد، جاعلاً إياهم معاصرين للهجرة الكنعانية[4]. ويبدو أن الرأي الأخير أقرب إلى الصحة نظراً للمراحل الحضارية التي قطعتها هذه القبائل.

استوطنت هذه القبائل الجنوب الشرقي من الشام، وعملت في الزراعة، وشادت العديد من المدن وحصنتها، وكانت لغتها فرعاً من الآرامية، لا تختلف عنها إلا في اللهجات، ولقد أسس كل من هذه القبائل دولة في الجهات التي استوطنت فيها[5]، وفيما يأتي تعريف مجمل بهذه القبائل:

العمونيون:

أقام العمونيون دولتهم جنوبي نهر اليرموك، وكانت عاصمتهم (ربة عمون) وقد سقطت كلمة (ربة) من اللفظ للتخفيف وبقيت (عمون)[6]، وقد أطلق عليها الإغريق اسم (فيلادلفيا) خلال القرن الثالث قبل الميلاد أكراماً لبطليموس الفيلادلفي[7].

---

(1) – حتي، تاريخ سورية، ص ١٨٦ .

(2) - http: // www. Elmessiri . com / encyclopedia / JEWISH / ENCYCLOPIDIA.

(3) – الدباغ، بلادنا، ج١، ص ٤٩ .

(4) – إبراهيم، مصر والشرق، ج٣، ص ١٨٤ .

(5) – هيكل، فلسطين قبل، ص ٣٥ .

(6) – الدباغ، بلادنا، ج١، ص ٥٠١ .

(7) – عبودي، معجم الحضارات، ص٦٢١ ، ٦٥٣ .

أشتغل العمونيون بالزراعة وتربية المواشي، وكانوا يعبدون الأصنام، ومن طقوسهم الدينية تقديم الضحايا البشرية أو الحيوانية، وكان أشهر أصنامهم (مولك) المصنوع من النحاس، والجالس على عرش من نحاس، ورأسه رأس عجل كبير مزين بإكليل، ويمد ذراعيه إلى الأمام[١]، وكان العرش والصنم مجوفين، تُشعل النار في الجوف، ومتى أحمرَّ الذراعان من شدة الحرارة كانوا يضعون عليهما قربانهم، وفي تلك اللحظة تدق الطبول وترتفع أصوات المرتلين (الكهنة) حتى لا يسمع صراخ الضحية التي تحترق، ويتفرق الحاضرون وهم يتضرعون إلى إلههم ليحقق آمالهم التي من أجلها قدموا القربان[٢].

ومن الناحية السياسية كان العمونيون في صراع مستمر مع الاموريين المقيمين إلى الشمال منهم، كما تحالفوا مع المؤابيين والادوميين ضد اليهود[٣].

المؤابيون:

تقع مملكة المؤابيين في سهل مرتفع شرقي البحر الميت، يحدها شمالاً نهر الأردن وتمتد جنوباً إلى أدوم، وكان يتاخم مملكتهم العمونيون شمالاً والأدوميون جنوباً[٤]، وبلاد مؤاب عبارة عن هضبة ترتفع نحو(٣٢٠٠) قدم عن سطح البحر[٥]. البحر[٥]. وهي بلاد زراعية تصلح لرعي المواشي[٦]، ومن مدنها القديمة (قير حارسة)[٧]، وقد حارب المؤابيون اليهود وهم في طريقهم إلى فلسطين، ومن أشهر

---

(١) – هيكل، فلسطين قبل، ص ٣٥ .

(٢) – الدباغ، بلادنا، ج١، ص ٥٠١ .

(٣) – عبودي، معجم الحضارات، ص ٦٢١ .

(4)- http: // www. Elmessiri . com / encyclopedia / JEWISH / ENCYCLOPIDIA.

(5) – www.studylight.org/enc/isb/view.cgi?number=T6108

(٦) – الدباغ، بلادنا، ج١، ص ٥٠٠ .

(٧)– قير حارسة: وهي عاصمة موآب قديماً ومكانها اليوم كرك في الأردن، وتبعد حوالي إحدى عشر ميلاً شرقي الجزء الجنوبي من البحر الميت وتقع على هضبة صغيرة على ارتفاع (٤٤٠٠) قدم فوق سطح ذلك البحر. وقد حاصر يهوشافاط ملك يهوذا (٨٧٣– ٨٤٩ ق.م.) ويهورام ملك إسرائيل (٨٥٢– ٨٤١ ق.م.) ومعهما ملك أدوم هذه المدينة، وفي أثناء الحصار أخذ ميشع ملك موآب (٨٥٠– ٨٤٠ ق.م.) ابنه البكر وأصعده محرقة على السور فثارت حمية المؤابيين وهزموا اليهود واستولوا على العديد من المدن الفلسطينية. أنظر: عبودي، معجم الحضارات، ص ٨٢٧ ؛

ملوكهم الملك ميشع (٨٥٠- ٨٤٠ ق.م.) الذي وسع حدود مملكته حتى وصل إلى (معان)[١]، وخلد أعماله وحروبه مع اليهود، في الحجر المؤابي الشهير[٢] (حجر ميشع)[٣]، أما من ناحية الديانة، فقد كان (شموش- الشمس) أهم معبود عند المؤابيين ويزعمون أنه كان يُسر بالذبائح البشرية[٤] .

الادوميون:

أنشأ الادوميون دولتهم في البقاع الواقعة بين نهر الحسا وخليج العقبة، جنوبي الدولة المؤابية، وبذلك حلّوا مكان الحوريين[٥] الذين سكنوا هذه البقاع قبلهم[١]، وكانوا

---

books.arabicbible.com/outlines/dictionary/qaf.htm.

(١) – معان : تذكر المصادر التاريخية أن معان ذكرت في التوراة بلفظ معون ومعين وماعون. هذا اللفظ (معين) يعني الماء الجاري ولفظ معان يعني المنزل، وهنالك بعض المعلومات تقول أن معان سميت بهذا الاسم نسبة إلى الدولة المعينية التي ظهرت في جنوب الجزيرة العربية باليمن خلال عام (١٢٠٠ ق.م) والتي بسطت نفوذها شمالاً واتخذت من مدينه معان مركزاً تجارياً و سياسياً أنظر : ar.wikipedia.org/wiki http: //

(٢) – الدباغ، بلادنا، ج١، ص٥٠٠ .

(٣) – عُثر على هذا الحجر في ديبان التي تبعد ثلاثة أميال إلى الشمال من نهر الموجب، عام ١٩٦٨، وهو موجود الآن في متحف اللوفر في باريس، وخطوطه مكتوبة باللغة المؤابية، أنظر: الدباغ، بلادنا، ج١، ص٥٠٠ ؛ ولفنسون، تاريخ اللغات، ص ٩١ .

(4) – www.realtime.net/~wdoud/topics/moabites.html.

(٥) – الحوريين: سكان جبل سعير الأصليين ولذلك يدعون بني سعير، هزمهم كدر لعومر وحلفاؤه، وكان يحكمهم أمراء، ثم أبادهم فيما بعد نسل عيسو وسكنوا مكانهم، وكان الاعتقاد سابقاً أن الكلمة مشتقة من كلمة عبرية (حور) بمعنى شق, أو (كهف) وفسر الاسم على أنه يعني سكان الكهوف إنما هذا الاشتقاق المتداول لا يقابل بعد بقبول عام منذ اكتشاف الحوريين (الخوريين) كعنصر سلالي في الشرق الأدنى. وكان الحوريون شعباً غير سامي من الجبال, هاجر بعد سنة (٢٠٠٠ ق. م.) إلى شمالي وشمال شرقي مابين النهرين. وانتشروا بعد ذلك في أراضي ما بين النهرين وسوريا المنخفضة الخصبة, ووصلوا فعلاً إلى فلسطين وحدود مصر، وقد سبقوا العبرانيين في فلسطين. أنظر: السلماني، جمال ندا صالح، الدولة الميتانية دراسة في التاريخ السياسي والحضاري، (أطروحة دكتوراه، غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الآداب، ٢٠١٠م)، ص ٢٠ وما بعدها ؛

books.arabicbible.com/outlines/dictionary/qaf.htm ؛ سفر التكوين/ ٢٠: ٣٦ ،٢١، ٢٩: ٣٦ ، ٣٠، سفر التثنية/ ١٢: ٢ ، ٢٢ ؛ عبودي، معجم الحضارات، ص ٣٧٥ .

ينقسمون في البداية إلى قبائل يحكمها شيخ القبيلة ثم اتحدوا وكونوا مملكة، واحتكروا تجارة شمال البحر الأحمر في فترة قوتهم[٢].

وقد ذكر العهد القديم أسماء ثمانية من ملوكهم[٣]، وكانت (بُصرة)[٤] عاصمتهم ومن اشهر مدنهم، كما كانت (سالع- بترا) اشهر مدنهم الجنوبية[٥] ويُعَدُّ الأدوميون الأعداء التقليديين للقبائل العبرانية، فقد عارضوا (هم والمؤابيون) مرور العبرانيين عبر بلادهم عند قدومهم من مصر، وقد جرت بينهم وبين القبائل العبرانية حروب تبادل كل جانب فيها السيطرة على الآخر[٦]، وكانت هذه الحروب سبباً لعداوة استمرت بين الشعبين إلى انقضاء ملك الادوميين[٧]، مما أثر سلباً على مستواهم الحضاري.

كان الادوميون يتحدثون بلهجة شديدة الشبه بالعبرية، أما ديانتهم فقد وردت عنها معلومات فقيرة تكاد لا تتجاوز أسماء بعض الآلهة، مثل قوس وهدد، كما أن أحد آلهتهم كان يُدعَى (إلواه)[٨].

الفلسطينيون:

شعب غير سامي (ليس من أصول جزرية)، بل هو أحدى شعوب البحر[٩]، استوطن بلاد كنعان، وأجمع الباحثون على أن هجرته إلى بلاد كنعان كانت من آخر

---

(١) – هيكل، فلسطين قبل، ص ٣٦ .

(2) - http: // www. Elmessiri . com / encyclopedia / JEWISH / ENCYCLOPIDIA.

(٣) – سفر التكوين/ ٣٦ : ١٥- ١٩ .

(٤) – (بُصرة) اسم عبري معناه (قلعة) أو (حظيرة) ويطلق هذا الاسم على مدينة في بلاد أدوم، وقد خربت كما تنبأ عنها ارميا النبي أنظر: سفر اشعيا/ ٣٤: ٦ ، ٦٣ ؛ سفر ارميا ٤٩/ ١٣ ؛ books.arabicbible.com/outlines/dictionary/qaf.htm.

(٥) – الدباغ، بلادنا، ج١، ص ٤٩٨ .

(6)- http: // www. Elmessiri . com / encyclopedia / JEWISH / ENCYCLOPIDIA.

(٧) – شقير، نعوم بك، تاريخ سينا القديم والحديث وجغرافيتها، (مصر: مطبعة المعارف، ١٩١٦)، ص٤٦١ .

(8)- http: // www. Elmessiri . com / encyclopedia / JEWISH / ENCYCLOPIDIA.

(٩) – شعوب البحر: أطلقت هذه التسمية على موجة بشرية هائلة اجتاحت منطقة الشرق الأدنى القديم حوالي العام (١١٨٠ ق.م.) قادمة من الشمال والجزر، تسببت شعوب البحر بدمار الإمبراطورية الحثية، ودمرت المناطق السورية، ووصلت إلى مشارف دلتا النيل عن طريقي البر والبحر. أنظر: عبودي، معجم

الهجرات التي حدثت ما بين أواخر القرن الثالث عشر وبداية القرن الثاني عشر قبل الميلاد، أي أنها تلت هجرة بني إسرائيل (اليهود) إلى هذه البلاد.

وأصل تسمية هذا الشعب هو (بليست) Peleset أو بليستي، وقد أعطى أسمه لبلاد كنعان، فعرفت فيما بعد بـ (فلسطين)[١] كما مر علينا فيما سبق. وقد ذكر العهد القديم هذا الشعب بأسم (الفلسطيون) عندما تحدث عن علاقتهم وحروبهم مع بني إسرائيل[٢]. نزح هذا الشعب من منطقة بحر إيجة، تحت ضغط الشعوب الهندواوربية[٣] على بلاد اليونان[٤] وأخذ يبحث عن موطن له في مناطق أقل اضطرابا، فتمكن من تقويض بعض الدول ومنها اوغاريت[٥] حتى وصل سواحل سورية ومصر، إلا أن مرنفتاح (١٢٢٤- ١٢١٤ ق.م.) الفرعون المصري أستطاع أن يصدهم في بداية حكمه[٦]، وبعد ذلك حاربهم الفرعون رعمسيس الثالث (١١٧٩ – ١١٤٧ ق.م.) في سنة ١١٧٤[٧].

وقد تناقلت المصادر التاريخية الأخبار عن تنظيمهم العسكري وقوتهم الحربية حيث كان لهم عدد كبير من العجلات الحربية والفرسان، وأستعمل مشاتهم الخوذ والدروع والجرموقات النحاسية، ومن أسلحتهم الحربة والرمح المصنوعة من الحديد،

الحضارات، ص ٥٣٢ ؛ אנציקלופדיה העברית . כללית .יהודית . ארץ ישראלית, (ירושלים ותל – אביב . 1974), כרך שמונה, עמ 266- 267.

(١) – أنظر: المبحث الأول ، من هذا الفصل ، ص ٢٦ .

(٢) – سفر صموئيل الأول/ الإصحاحات: ٤، ٥ ، ٦ .

(٣) – الشعوب الهندواوربية: وهي تسمية أطلقت على الأقوام الذين يتكلمون عائلة لغوية واحدة وهي عائلة اللغات الهندوأوربية، فهي تسمية لغوية تشير الى اللغة التي يتكلم بها أولئك الأقوام ومنهم والحيثيون والكاشيون الميديون والأخمينيون وغيرهم من الأقوام الأخرى وأشارت المصادر إلى أن الموطن الأصلي لتلك الأقوام هو منطقة القوقاز جنوب روسيا وكانت المهنة المفضلة لهؤلاء الأقوام هي " مهنة الحرب" والفروسية وقد ساعدهم على ذلك امتلاكهم للخيل والعربات البدائية. أنظر: باقر، مقدمة, ج٢، ص٣٨٩ .

(٤) – אנציקלופדיה העברית , שם , כרך שמונה, עמ 266 .

(٥) – حتي، تاريخ سورية، ص ١٩٦ .

(٦) – الدباغ، بلادنا، ج١، ص ٥٣٤ .

(٧) – الأحمد، تاريخ فلسطين، ص ١٦٦ .

وكان لكل منهم حامل سلاح، وكانوا يحصنون مدنهم بأسوار وأبراج أضف إلى ذلك تطور أساليبهم الحربية[١].

حتى أن مصر الفرعونية لم تتمكن من حسم المواجهة معهم وتصفية وجودهم نهائيا من المنطقة، فاكتفت بأبعادهم عن حدودها، وتم ذلك من خلال سلسلة من المعارك الضارية، قادها الفراعنة العظام بأنفسهم، فأجبرتهم على التقهقر ثم الاتجاه نحو الساحل الجنوبي من بلاد كنعان واحتلاله، وتأسيس دولة ما بين يافا وغزة، شكلوا من خلالها اتحادا مؤلفا من خمس مدن هي: غزة وعسقلان وأشدود وعقرون وجت، التي أنشأها الكنعانيون قبلهم[٢].

وتشير التوراة بأن الفلسطينيين أبادوا العويين[٣] سكان هذه القرى وسكنوا مكانهم[٤]، مكانهم[٤]، وقاموا بإنشاء مدينتي (اللد) و(حقلاغ) التي كانت تقوم على(تل خويلفة) على بعد (٢٥ كم) إلى الشمال الشرقي من بئر سبع، وكانت كل هذه المدن مستقلة عن الأخرى لكنها تتحالف عند الخطوب وعند مواجهة الأعداء[٥].

بقي الفلسطينيون سادة المنطقة لفترة قياسية اصطدموا خلالها باليهود وانتصروا عليهم وذلك لقوتهم العسكرية وتفوقهم في الأسلحة والمعدات الحربية خلافا لليهود الذين لم يعرفوا هذه الأسلحة.

استمرت المعارك بين الفلسطينيين واليهود، وكانت الغلبة للفلسطينيين في أكثرها، بعد ذلك أصبحت الحرب سجالا بين الطرفين، ومن أهم هذه المعارك معركة أفيقة (رأس العين) التي وقعت نحو سنة (١٠٥٠ ق.م.) والتي أنكسر اليهود فيها وغنم الفلسطينيون غنائم كثيرة[٦] من بينها (تابوت العهد)[١]، ومعركة جبل جلبوع

---

[١] – الدباغ، بلادنا، ج١، ص ٥٣٩ .

[٢] – هيكل، فلسطين قبل، ص ٤٠ .

[٣] – العويون: قبيلة من الكنعانيين كانت تسكن السهول الواقعة في الجنوب الغربي من بلاد كنعان إلى غزة تغلب عليهم الكفتريون الخارجون من كفتور وأقاموا مكانهم، والكفتوريون هم أحدى قبائل الفلسطينيون. أنظر: سفر التثنية / ٢ : ٣ .

[٤] – سفر التثنية / ٢: ٢٣ .

[٥] – هيكل، فلسطين قبل، ص ٤٠ .

[٦] – حتي، تاريخ سورية، ص ١٩٨ .

التي انتصر فيها الفلسطينيون أيضا[٢]، ولكن ظهور شخصية النبي داود(ﷺ) فيما بعد أرجحت الكفة لصالح اليهود واستطاعوا أن يهزموا الفلسطينيين بعد ذلك[٣].

أما ديانة الفلسطينيين فأنها لا تختلف كثيرا عن ديانة الكنعانيين، حتى أن أغلب الباحثين يذهبون إلى أن الفلسطينيين تأثروا بالفكر الديني والمعبودات الكنعانية. وكانت معبوداتهم تتألف من ذكر وأنثى كما هي العادة عند الساميين (الجزريين)، ومن آلهتهم (داجون)[٤] إله الحبوب عند الكنعانيين، وكان مركز عبادته في أسدود وزوجته (عشتاروت) في عسقلان[٥].

والطبيعة الأصلية للإله داجون هي أنه كان إلها للحصاد والحبوب بصورة عامة ويشابه في هذه الناحية الإله آشور أيضا[٦].

والمشهور أن داجون إله الفلسطينيين كان رأسه ويداه كرأس الإنسان ويديه وجسمه جسم سمكة، ويبدوا من شكل إلههم أنهم متأثرون بمهنتهم البحرية[٧].

وقد ذكر هذا الإله في التوراة **(فأجتمع زعماء الفلسطينيين ليقدموا ذبيحة عظيمة لإلههم داجون تعبيرا عن الفرح وقالوا: قد دفع إلهنا إلى أيدينا شمشون عدونا)**[٨]، وكذلك في موضع آخر **(ثم أخذ الفلسطينيون تابوت العهد وأدخلوه بيت داكون إلههم، ووضعوه بقربه)**[٩].

---

(١) – أنظر: الفصل الرابع، المبحث الثالث، ص ٢٨٥

(٢) – سفر صموئيل الأول / ٣١ .

(٣) – سفر صموئيل الأول / ١٧: ٢٤- ٥٣ .

(٤) – يلفظ أسم هذا الإله بألفاظ مختلفة منها : داجون ، داكون ، داجان ، داكان. (الباحث).

(٥) – الدباغ، بلادنا، ص ٥٤١ .

(٦) – المعموري، ناجح، أساطير الآلهة في بلاد الرافدين، ط١، (دمشق: المدى، ٢٠٠٦)، ص ١١١ .

(٧) – الدباغ، بلادنا، ج١، ص ٥٤١ .

(٨) – سفر القضاة / ١٦ : ٢٣.

(٩) – سفر صموئيل الأول / ٥ : ٢ .

تأثر الفلسطينيون بالوضع السياسي العام في منطقة الشرق الأدنى القديم مما أدى إلى جرهم نحو غياهب الصراع بين الإمبراطوريات العملاقة، فاشتركوا في القتال الذي وقع بين مصر وآشور لوقوع بلادهم في طريق القوتين المتحاربتين[١].

وفي القرن الثامن قبل الميلاد حاصر قائد جيوش سرجون الثاني (٧٢١- ٧٠٥) ملك أشور مدينة (اشدود) واحتلها بعد حصار دام ثلاث سنوات، واحتلت مصر مدينة غزة، فزالت سيادة الفلسطينيين السياسية[٢]، واندمجوا بالكنعانيين وذابوا فيهم بصورة نهائية في نحو نهاية القرن الحادي عشر قبل الميلاد، أي بعد (١٥٠عاماً) من استقرارهم في فلسطين[٣].

---

[١] – هيكل، فلسطين قبل، ص ٤١.

[٢] – المصدر نفسه، ص ٤٢.

[3]-Lods, A., Israel From its Beginning to the Middle of the Eight Cent, (London, 1932) , p. 59.

المبحث الثالث: ظهور اليهود على مسرح الأحداث والتغلغل داخل فلسطين

العبريون كما عُرفوا في مراحل تاريخهم الأولى، أو بني إسرائيل كما أُطلق عليهم فيما بعد، هم الجماعة الرابعة من الهجرات السامية (الجزرية) التي استوطنت الجزء الجنوبي من بلاد الشام مثلما أستوطن الاموريون في شماله، والكنعانيون في الساحل، والآراميون في وسطه، بالإضافة إلى أنهم مثل هذه الشعوب نزحوا أيضا من الجزيرة العربية[١]. إلا أن ما يميز العبرانيين عن بقية الشعوب السامية (الجزرية)، هو أن استقرارهم في هذا الجزء من بلاد الشام (فلسطين) قد تم في ثلاث هجرات مفترضة وغير معروفة بوجه التأكيد وإنما هي مستنتجة بالدرجة الأولى من المآثر العبرانية كما وردت في التوراة والتي نستطيع أن نستنتج منها، أن أقدم هذه الهجرات قد جاءت من مناطق جنوب بلاد الرافدين سنة(١٨٠٠ ق.م.)[٢].

وتقرن الهجرة الثانية في زمنها مع هجرة الآراميين في نحو(١٤٠٠ ق.م.) أما الهجرة الثالثة فكانت خروجهم من مصر، وهذه الهجرة هي التي تهم بحثنا، إذ يتفق معظم العلماء والباحثين أنها تمت حوالي عام (١٢٠٠ق.م.) وهي الفترة التي شهدت نهاية العصر البرونزي وبداية العصر الحديدي، لكنهم يختلفون بشكل كبير حول الكيفية التي تم لهم بها السيطرة على تلك البلاد، وهنا تتجلى لنا أولى مشاكل البحث في تاريخ اليهود القديم، وهي مشكلة الصدام بين المرويات التوراتية ونتائج التنقيب الآثاري فيما يخص الكيفية أو الصورة التي تغلغل بها بني إسرائيل إلى داخل فلسطين، إذ يصور لنا العهد القديم هذا الدخول أو التغلغل بصورة غزو مسلح وذلك في سفري يشوع والقضاة، على الرغم من التعارض الجلي بين روايات هذين السفرين.

ففي الوقت الذي نقرأ في سفر يشوع أن بني إسرائيل استطاعوا احتلال الأرض واقتسامها بعد أن جرى إفناء معظم الكنعانيين وتحويل من تبقى منهم إلى عبيد وذلك

---

(١) – باقر، مقدمة، ج٢، ص٢٨١ .

(٢) – أوج آلان، عبد الله، من دولة الكهنة السومرية نحو الحضارة الديمقراطية، ط٢، (بغداد: ب مط، ٢٠٠٣)، ج١، ص٥٣ .

خلال خمسِ سنوات[١]، نجد سفر القضاة بعد يشوع مباشرة يروي لنا بأن عملية الحلول محل الكنعانيين في الأرض كانت عملية بطيئة ومعقدة، وأنها جرت على مدى عدة أجيال، وربما استغرقت قرونا[٢]، ومهما كان وصف العهد القديم لعملية دخول اليهود إلى فلسطين، فأنه يصطدم بنتائج الأبحاث الآثارية الحديثة التي قدمت الدلائل والحجج على أن اليهود لم يدخلوها عن طريق غزو مسلح أو انتصار عسكري وإنما عن طريق التسلل التدريجي والاندماج في السكان الأصليين.

يحوي الإصحاحان الأول والثاني من سفر يشوع رواية لا تخلو من الخيال عن قيام الأسباط باحتلال ارض كنعان (فلسطين) وأخبار تقسيمها بينهم، وكذلك أخبارا متباينة التفاصيل عن طريقة احتلالهم بعض مدنها وعن سكانها...الخ.

المهم من هذه الروايات قولها بأن الأسباط قاموا بإحراق تلك المدن وأبادوا أهلها، ويحدد الرأي السائد ذلك القسم من ارض كنعان الذي يتحدث عنة سفر يشوع بأنه جبال فلسطين الغربية، كما يحدد تاريخ تلك المرحلة، بأنها تقع في القرن الثاني عشر قبل الميلاد، وانطلاقاً من هذه الأحكام والآراء المسبقة، عمل أهل الاختصاص على التنقيب في شرقي فلسطين على تلك الطبقات من التربة التي رأوا أنها تعود إلى تلك المرحلة الزمنية، وهنا تبين لهم أن ما اكتشفوه من آثار وربطوه بتلك المرحلة الزمنية، لا يؤيد الرواية التوراتية، حيث لم يُعثر على أي تدمير للمستوطنات السكانية المكتشفة[٣].

ولهذا فقد انهارت النظريات السائدة حول الكيفية المفترضة لوجود بني إسرائيل في فلسطين بمجرد عرضها على المكتشفات الآثارية التي أوضحت بأن سكان مرتفعات غرب فلسطين الجنوبية، أي جبال الخليل، والتي عادة ما تُعرف بأنها هي التي احتضنت مملكة يهوذا، لم يختلفوا عن سكان باقي مناطق فلسطين[٤].

---

[١] – سفر يشوع /الإصحاحات ٣ – ٥ .

[٢] – سفر القضاة / الإصحاحات ٢ – ٤ .

[٣] – منى، مقدمة، ص ٣٨ .

[٤] – منى، مقدمة، ص ٣٧ .

علماً أننا أمام فريقين من الباحثين الآثاريين أحدهما يحاول إستنطاق اللقى الأثرية بما لا تحويه من معلومات دون تقديم شروح كافية، وعلى سبيل المثال لا الحصر[1] الباحث الكتابي **وليم أولبرايت** الذي ركز اهتمامه بشكل كبير على المكتشفات الأثرية الحديثة لتدعيم تراث الدراسات التوراتية كما جاءت في سفر يشوع، لإثبات وجود حملة عسكرية، المفترض أنها قضت على المجتمعات السكانية للفلسطينيين في تجمعاتهم المدنية[2]، ورأى أن هناك ارتباطاً مباشراً بين تدمير هذه التجمعات في نهاية العصر البرونزي المتأخر(١٦٠٠-١٢٠٠ ق.م.) والاستعاضة عنها بمستوطنات أكثر فقراً تميزت بتغيير ثقافتها المادية، مثلاً (أعمال فخارية أو عمرانية مختلفة)، وبين سفر يشوع حول الغزو الإسرائيلي واحتلال فلسطين[3]، وأما الفريق الآخر فيرد بأسلوب علمي، ويقدم تفسيراته بالأدلة والحجج الأثرية ويتفق على رفض فرضية الغزو ويعتبرها ميتة للأسباب التالية:

١. العديد من المواقع لم تكن مأهولة في فترة نهاية العصر البرونزي المتأخر.

٢. العديد من المواقع هُجرت في نهاية تلك الفترة الزمنية لكنها لم تتعرض للتدمير.

٣ـ العديد من المواقع العائدة للعصر البرونزي استمرت قائمة في العصر الحديدي الأول، وتلك المواقع العائدة للعصر البرونزي المتأخر التي لم تظهر فيها آثار تدمير، كانت مهجورة لفترة طويلة بعد الدمار الذي لحق بها أو سكنها الناس مجددا[4].

---

[1] – من ابرز العلماء التوراتيين الذين يتمسكون بنظرية الغزو أي (رواية العهد القديم) تلك النظرية التي لا تأخذ بعين الاعتبار التحليلات النقدية لأسفار التوراة منذ عصر التنوير هم كل من : وليم اولبرايت، وارنست رايت، وجون برايت، وبول لب). أنظر: تومبسون، التاريخ القديم، ص ٩ – ٢٩ ؛ وايتلام، كيث، اختلاق إسرائيل القديمة إسكات التاريخ الفلسطيني، ترجمة: سحر الهنيدي، ط١، (الكويت: عالم المعرفة، ١٩٩٩)، ص ٢٤ – ٣٩ .

[2] – وايتلام، اختلاق إسرائيل، ص١٢٤ .

[3] – المصدر نفسه، ص ١٢٦ .

[4] – منى، مقدمة، ص ٣٥ – ٣٦ .

وكان من أبرز علماء الفريق الثاني هو عالم الآثار الكتابي الدكتور **توماس ل. تومبسون** (Thomas L. Thompson) الذي أكد على أن السيناريو القديم عن الغزو الخارجي كسبب للدمار المفاجئ في مدن وقرى العصر البرونزي القديم قد تخلى عن مكانته بسبب الإيضاحات المناخية والإيكولوجية للانهيار التدريجي لحضارة ذلك العصر [١].

وقد اعتمد تومبسون في دراسته الطبوغرافية على تحديد المرحلة شبة الماطرة في مناخ البحر المتوسط الشرقي من حوالي (٣٥٠٠ – ٢٣٥٠ ق.م.) التي دعمت التقدم الكبير في الزراعة والنمو السكاني في العصر البرونزي القديم.

إن هذه الحقبة القليلة الأمطار تلتها فترة جفاف حاد أثرت على فلسطين منذ حوالي (٢٣٥٠ – ١٩٥٠ق.م.) تقريباً، شاملة فترة العصر البرونزي القديم الرابع – البرونزي الوسيط الأول، مما أدى إلى فائض كبير في السكان واضطراب النمط الزراعي المتوسطي في معظم أقاليم المناطق الهامشية في فلسطين، وهذا بدوره أدى إلى انخفاض حاد في عدد السكان واعتماد متزايد على الاقتصاديات المقاومة للجفاف مثل زراعة الحبوب والرعي وانتشار السكان على نطاق واسع في مناطق السهوب القليلة السكان في شرق الأردن والنقب الأوسط [٢].

أما المناطق الأكثر أمطاراً في لبنان وسوريا الساحلية فكانت خلافاً لمعظم مناطق فلسطين، إذ تمكنت من المحافظة على الشكل التقليدي لزراعة المدن والقرى المتوسطية.

إن تواصل الاستيطان في سوريا ولبنان طوال هذه الفترة وإبان العصر البرونزي الوسيط، يتيح فرصة إيضاح الانتقال إلى ثقافة العصر البرونزي الوسيط، بأنه انتشار ثقافي تكنولوجي من الشمال إلى فلسطين، حتى أطرافها[٣].

---

[١] – تومبسون، التاريخ القديم، ص ٦ .

[٢] – السواح، آرام دمشق، ص ٧٩ .

[٣] – تومبسون، التاريخ القديم، ص ١٣٢ .

وقد أثبت الدكتور تومبسون من خلال تحليله الأيكلوجي والمناخي أن دمار المدن الفلسطينية لم يكن بسبب غزو خارجي وإنما بسبب التغيرات المناخية التي أورثت القحط والجفاف في هذه المدن مما أدى إلى انهيار زراعي بحجم كارثي، وهذا بدوره دفع السكان إلى هجرها لعدم ملائمتها لمعيشتهم.

وخلال فترة القحط هذه تناقص سكان السهول الواطئة والوديان كثيراً، وعموماً فقد أختلف أسلوب مواجهة سكان فلسطين للتغيرات المناخية من منطقة إلى أخرى، إذ تمكن سكان معظم المدن الرئيسية في وديان الأراضي المنخفضة من الاستمرار، ويلاحظ أن معظم هذه المستوطنات اقتصرت على مناطق فيضان الأودية الكبيرة والأنهار (كالمناطق التي تتوفر فيها مصادر المياة مثل بيسان ووديان شمال الأردن) وأن حجم هذه المستوطنات قد تقلص كثيراً، ففي جبال السامرة ووادي الفارعة، اقتصرت معظم المستوطنات على الأماكن التي تتوفر فيها مصادر مياة دائمة[١]، وبالإضافة إلى ذلك هُجرت مواقع عديدة في العصر البرونزي القديم في مناطق المرتفعات الوسطى، والغربية الأكثر ملائمة لزراعة الأشجار المثمرة، أما المناطق الزراعية في الجهات الوسطى والشرقية فأنها استمرت، ويبدو أن أطراف المناطق الزراعية في المرتفعات، ولاسيما في يهودا قد تخلت عن الزراعة المستقرة، كما حصل مثل ذلك أيضا على طول الساحل الجنوبي للبحر المتوسط وفي بئر السبع وحوض آراد [٢]، وكان الوضع في شرق الأردن يتشابه مع معظم المواقع الزراعية التي تجاوزت القحط، والتي وجدت على الأطراف، وفي السهوب والصحراء إلى الشرق بعيداً عن المناطق الوعرة الأكثر قابلية لزراعة الأشجار المثمرة في الغرب، مما يشير إلى حصول انهيار جزئي كبير، أرغم المستوطنين على هجر المنحدرات غير المستوية في الغرب والتركيز على زراعة الحبوب والرعي[٣].

---

[١] – المصدر نفسه، ص٢٧ .

[٢] – السواح، آرام دمشق، ص ٢١ .

[٣]– تومبسون، التاريخ القديم ، ص٢٧ .

ولهذا فإن إيجاد سمات زراعية محلية مستقرة في المناطق التي تم التنقيب فيها يُعد بحد ذاته تحدياً لفرضيات الغزو.

إن النقص الحاد في عدد السكان والتحول إلى اقتصاديات الرعي الأكثر جدوى قد أدى إلى هجرة البعض بعيداً عن فلسطين، كما فعل سكان القرى والمزارع والمخيمات في جنوب شرق الأردن والنقب الأوسط والذين دلوا على تحركات واسعة قام بها الساميون الغربيون للابتعاد عن فلسطين[١]، أي انه في الوقت الذي تمكن فيه الساميون أو الجزريون الغربيون من سكان فلسطين الأصليين من المحافظة على الاستقرار في المناطق الزراعية شمال فلسطين وشرق الأردن بعد التكيف مع المناخ الجاف، أصبحت مناطق الأطراف مضطربة تماماً، مما أرغم مجموعات عديدة على التحول إلى اقتصاد شبة مستقر يعتمد على زراعة الحبوب والرعي وأجبر العديد منها على عبور سهوب شرق الأردن[٢] إلى العربة[٣].

يؤكد تومبسون إلى أن الدارسين لم يعودوا يجدون براهين آثارية ظاهرة على غزو إسرائيلي للمدن الكنعانية، وفشل الحفريات الكبرى في مواقع عاي وأريحا، قد أضعف حجج اولبرايت، كما أن عدم قدرة العوامل الآثارية على التمييز بشكل واضح بين المجموعات الإثنية الإسرائيلية والكنعانية، يجعل مسألة الانتقال من العصر البرونزي المتأخر إلى العصر الحديدي غير صالحة على فتح إسرائيلي[٤]. وكذلك رغم كل أعمال الحفر والبحث والتنقيب في مدينة أريحا فإن علماء الآثار لم يجدوا

---

[١] – المصدر نفسه، ص ١٢٧ – ١٢٨ .

[٢] – المصدر نفسه، ص ١٢٨ .

[٣] – العربة: وهي منطقة تقع جنوب مدينة غزة، تربط بين خليج العقبة والبحر الميت، وتشمل صحراء النقب وشبه جزيرة سيناء، انشأ الآشوريون فيها مركز مراقبة على الحدود المصرية في نحو (٧٣٣ ق. م.) وتسمى هذه المنطقة أيضا باسم (عربايا)، وقد شملت لفظة عربايا بصورة عامة مجموع القبائل البدوية العربية المنتشرة من الفرات حتى الحدود المصرية. أنظر: عبودي، معجم الحضارات، ص ٦٠٤ .

[٤] – تومبسون، التاريخ القديم، ص ٢٢ – ٢٣ .

أي دليل على أن جدران أريحا الضعيفة قد انهارت[١] كما وصفها يوشع في القصة التوراتية[٢].

وليس هذا فحسب ولكن ليس هناك ما يدعم قصة المعجزة العظيمة التي تلت انهيار جدران أريحا كما ترويها التوراة[٣].

وترى كينون وبالادله الأثرية أيضاً، أن دخول اليهود إلى كنعان كان تسربًا بطيئاً ولا يوجد أي فاصل بين حضارة عصر البرونز المتوسط (١٩٥٠ -١٦٠٠ ق.م.) والأخير (١٦٠٠-١٢٠٠ق.م.) من الناحية الحضارية أو الثقافية[٤].

بالإضافة إلى ما وضحته مختلف المكتشفات الآثارية الأخرى أن سكان مرتفعات فلسطين الغربية لم يختلفوا عن محيطهم لا مادياً ولا روحياً[٥]. مما يدل على تأثر اليهود بالحضارة الكنعانية عبر فترات طويلة، وأنهم لم يدخلوا فلسطين كغزاة حاكمين، بل سكنوا بين أهلها كلاجئين، وهذا رأي الكتّاب اليهود المحدثين[٦].

ولم يتوصل الباحثون الآثاريون إلى دحض نظرية الغزو الإسرائيلي فقط، بل إلى تقويض فرضيات الغزو الخارجي المرتبطة بظهور بعض الشعوب في فلسطين بصورة عامة، كتخليهم عن فرضية الغزو العمورية البدوية، وذلك من خلال النتائج الآثارية والتي مفادها: انه من خلال تحليلهم لأشكال أواني العصر البرونزي الوسيط الأول الذي اظهر تعدد العائلات الثقافية الإقليمية، والذي حاولوا فيه شرح التسلسل الزمني للغزو العموري المفترض ومساره، تبين انه هناك علاقة وثيقة بين هذه الأواني وأشكال العصر البرونزي القديم، وكذلك مع معظم البيانات الآثارية عن البنى

---

[١] – مجلة القدس، (عالم آثار إسرائيلي يشكك في فكرة أرض الميعاد)، الأعداد، (١، ٢، ٣)، (القدس، ٢٠٠١) ص ٥٥ .

[٢] – أنظر: سفر يشوع، الإصحاح السادس .

[٣] – سفر يشوع / ٦ : ٥ – ٢٠ .

[٤] – غربية، فلسطين، ص١٨٣ .

[٥] – منى، مقدمة، ص٤١ .

[٦] – زلوم، حمودة، الشخصية اليهودية في الأدب الفلسطيني الحديث، (الأردن: مكتبة الجامعة الأردنية، ١٩٨٢)، ص ١٦ .

الاقتصادية والاجتماعية، ومن ابرز هؤلاء الباحثين هو الآثاري و. جي ديفر (W.G.Dever)[١].

وتشير كذلك البراهين الآثارية الأخيرة إلى أن النمو في قرى الريف الواقعة في مرتفعات وسهول فلسطين خلال فترة العصر الحديدي المبكر (١٢٠٠ق.م.) والذي عادة ما يُربط ببدايات بني إسرائيل، يشير إلى استمرارية ملحوظة في الثقافة المادية وتلائم شكل الاستيطان المعروف في حقب أخرى من التاريخ الفلسطيني[٢].

إن قراءة فاحصة للأحداث التأريخية التي عاصرت مرحلة (التيه اليهودي)[٣] الذي بلغ أربعين سنة، والأحداث التاريخية التي أعقبته قد تلقي مزيدا من الضوء على صحة رأي علم الآثار، الذي يلوح لنا أنه أقرب إلى الصواب، فالمشهد التاريخي أبان مرحلة التيه لا يخلو من الاضطرابات السياسية والصراعات المستمرة بين القوى والإمبراطوريات حيث كانت أرض كنعان آنذاك ساحة حرب بين رعمسيس الثاني (١٢٩٠- ١٢٢٤ق.م.) والحيثيين من اجل التسابق في السيطرة على هذه المنطقة وقد أستمر الصراع بينهما إلى أن انتهى بعقد صلح بين الطرفين المصري والحيثي والتوقيع على ميثاق دفاع مشترك ضد أي غزو خارجي أو ثورة داخلية سنة (١٢٦٩ق.م.) لذلك تجنب النبي موسى(عليه السلام) التوغل داخل فلسطين[٤].

أما المشهد التاريخي العام للمنطقة في منتصف القرن الثاني عشر قبل الميلاد، وهي الفترة التي أعقبت مرحلة التيه اليهودي، فقد كان ملائما للتحرك اليهودي والتوجه شمالا نحو فلسطين، وذلك لأن الإمبراطورية الحثية كانت قد دمرت كليا ولم يعد لها وجود، ومصر الفرعونية كانت منهمكة بقضاياها الداخلية ومنكفئة على

---

[١] – تومبسون، التاريخ القديم، ص ١٣١ .

[٢] – منى، مقدمة، ص ٣٣ .

[٣] – التيه اليهودي: وهو المفهوم الذي أطلق على الحادثة التي شهدها بنو إسرائيل (اليهود)، بعد خروجهم من مصر الفرعونية، بقيادة النبي موسى (عليه السلام)، وقد أتفقت الكتب السماوية على أن هذه الحادثة كانت عقاب إلهي نزل في بني إسرائيل لعصيانهم أمر نبيهم في دخول الأرض المقدسة (فلسطين)، في تلك الفترة، وكانت مدة التيه أربعون سنة. أنظر: سفر العدد/ ١٣، ١٤ ؛ سورة المائدة، الآية (٢١- ٢٦) .

[٤] – سوسة، مفصل العرب واليهود، ص ٥٦٢ .

نفسها داخل حدودها القديمة[١].

كما لم يكن هنالك خطرا يهدد اليهود من جهة الشرق لان الآشوريين كانوا خاضعين آنذاك لحكم الكاشيين[٢] في العراق وكذلك الآراميين لم يكونوا قد بلغوا من القوة ما يخشى منه[٣].

ونخلص من هذا أن اليهود لم يكونوا عازمين للدخول في صراعات وخوض المعارك، إذ أنهم كانوا يبحثون عن الظروف الملائمة للتحرك والدخول إلى فلسطين، ويتجلى ذلك لنا أكثر إذا التفتنا إلى الطريق التي اختارها بني إسرائيل بقيادة النبي موسى(عليه السلام) عند تسللهم إلى فلسطين والتي تحاشوا فيها الاصطدام مع الممالك الواقعة في تلك الطريق التي سلكوها وهي طريق البتراء[٤] التي وصفها المؤرخون بأنها أقل خطراً من طريق الفرما، التي كانت محمية بحصون المصريين من جهة ومؤدية إلى بلاد الفلسطينيين الأشداء الممالئين للمصريين من جهة أخرى[٥]، وفي سفر الخروج نص صريح عن السبب الذي أوجب ترك طريق الفرما على الرغم من سهولتها واختصارها مقارنة مع طريق البتراء، حيث جاء فيه **(رأى الله أن لا يسير بهم في طريق أرض الفلسطينيين مع انه قريب، لأنه قال في نفسه: لعل الشعب**

---

[١] – داؤد، أحمد يوسف، الميراث العظيم، ط١،(دمشق: ١٩٩١،)، ص ٣٨٣ .

[٢] – الكاشيون: (١٦٨٠ – ١١٥٧) وهم شعب من جبال زاكروس الجنوبية، هدد بابل بعد وفاة حمورابي (القرن السابع عشر قبل الميلاد)، زحف الكاشيون من الجبال الشمالية الشرقية من منطقة لورستان بقيادة زعيمهم كانداش الذي يقدر زمن حكمه في نحو (١٦٨٠ – ١٦٦٥ق.م.) ، أغتنم هذا القائد فرصة الاجتياح الحثي فأستولى على بابل وأسس فيها السلالة البابلية الثالثة الكاشية تحت أسم مملكة كردونياش. أنظر: عبودي، معجم الحضارات، ص ٧٠٤ ؛ بصمجي، فرج، كنوز المتحف العراقي، (بغداد: وزارة الأعلام، ١٩٧٢)، ص ٤٣ .

[٣] – سوسة، مفصل العرب واليهود ص ٥٦١ .

[٤] – البتراء: وتعرف كذلك بـ (البطراء) وهي مدينة في الجنوب من البحر الميت، كانت عاصمة للأدوميين ثم عاصمة النبط من القرن السادس قبل الميلاد حتى القرن الثاني الميلادي. يمكن الولوج إلى البتراء عن طريق ممر ضيق. إلا أن هذا لم يشكل عائقاً دون ازدهار هذه المدينة نظراً لوقوعها على طرق القوافل المتنقلة بين الجزيرة العربية وايلات من جهة فلسطين، وفينيقية وسورية من جهة ثانية. أنظر: عبودي، معجم الحضارات، ص ٢١٤ .

[٥] – شقير، تاريخ سينا، ص ٤٥٢ .

يندم إذا واجهتهم حرب، فيرجعون إلى مصر)[١]، كذلك لم يتمكن الباحثون من الفهم الدقيق لعملية الدخول من خلال المعلومات التي وردت في المصادر الأخرى كالقرآن الكريم، ففي قوله تعالى على لسان النبي موسى(عليه السلام) **(يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ)**[٢] فلم يتوصل المفسرون إلى تحديد (الأرض المقدسة) جغرافياً، إذ فسرت على أنها بيت المقدس وقيل هي دمشق وفلسطين وبعض الأردن وقيل هي الشام وقيل أيضاً أنها الطور وما حوله[٣]. فضلاً عن إن البعض منهم قد أضاف منطقة أريحا في تفسيره لمعنى الأرض المقدسة[٤].

إن عدم توصل المفسرين إلى تحديد معنى (الأرض المقدسة) جغرافياً، لهو دليل آخر يُضاف إلى الشك الذي يحوم حول نظرية الغزو التوراتية، هذا إن كان بني إسرائيل قد دخلوها حقاً في عهد النبي موسى(عليه السلام)، فالقرآن الكريم يخبرنا بأنهم قد نكلوا عن دخولها **(قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْماً جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ (٢٢) قَالَ رَجُلانِ مِنْ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمْ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ (٢٣) قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَداً مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ (٢٤) قَالَ رَبِّ إِنِّي لا أَمْلِكُ إِلاَّ نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ (٢٥) قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الأَرْضِ فَلا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ)**[٥].

---

[١] – سفر الخروج/ ١٣: ١٧ .

[٢] – سورة المائدة، الآية (٢١) .

[٣] – الطبرسي، الشيخ أبو علي الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن، (بيروت: دار المعرفة، ١٩٨٦)، ج٣، ص ٢٢٤ .

[٤] – أبن كثير عماد الدين أبي الفداء إسماعيل، تفسير القرآن العظيم، ط١،(بيروت: دار الأندلس، ١٩٦٦)، ج٢، ص ٥٣٥ .

[٥] – سورة المائدة، الآيات (٢٢ – ٢٦) .

بعد انقضاء فترة التيه تخبرنا التوراة[١] أن اليهود عقدوا العزم للتحرك إلى فلسطين من جهة شرقي الأردن لصعوبة اختراق الجبهة الغربية، وكانت في هذه الجهة خمس ممالك: الأولى مملكة عوج في باشان وهي بيد الرفائيين والثانية مملكة سيحون في جلعاد وهي بيد العموريين، والثالثة مملكة عمون وقد استولى عليها العموريون من العمونيين، والرابعة مملكة موآب بيد الموآبيين والخامسة مملكة أدوم بيد بني عيسو[٢].

ومن خلال وصف التوراة لحركة اليهود باتجاه فلسطين، نلاحظ بأن تسللهم هذا لم يكن ذو طابع هجومي بقدر ما كان ذو طابع سلمي، أو دفاعي إزاء بعض المواقف الحرجة، ولم يكونوا راغبين في المغامرة والاصطدام مع الممالك الواقعة في طريقهم نحو فلسطين، كما جاء في سفر العدد عندما طلب اليهود بقيادة النبي موسى(عليه السلام) من ملك أدوم عبور أرضه (**دعنا نعبر أرضك، على ألا نعبر حقلاً ولا كرماً ولا نشرب ماء بئر، وإنما نسير في الطريق العام، لا نميل يميناً ولا شمالاً حتى نعبر أرضك، فأجابه ملك أدوم: لا تعبر أرضي لئلا أخرج عليك بالسيف، فقال له بنو إسرائيل: نصعد في الطريق العام، وإن شربنا من مائك نحن وماشيتنا دفعنا إليك ثمنه، كل ما نطلبه هو أن نعبر أرضك مشياً على أقدامنا، فأجابهم ملك أدوم: لا تعبروا، وخرج عليهم بجمع كبير وقوة عظيمة، ورفض أن يدع بني إسرائيل يعبرون أرضه، فمالوا عنه)**[٣].

وأتبع اليهود الأسلوب نفسه مع سيحون ملك الأموريين في طلبهم العبور من أرضه، فقابلهم بالرفض واعترض طريقهم وهاجمهم[٤]، فكانت ردود فعل بني إسرائيل دفاعية، حتى استطاعوا رد هجوم الملك سيحون والاستيلاء على أرضه.

---

[١] – سفر التثنية/ ٢: ١٤ – ٢٠ .

[٢] – سوسة، مفصل العرب واليهود، ص ٥٦٢ .

[٣] – سفر العدد/ ٢٠ : ١٧ – ٢١ .

[٤] – سفر العدد/ ٢١: ٢١ – ٢٦ .

ويمكننا أن نلاحظ من خلال هذه المرويان على الرغم من تناقضها في عرض أحداث الدخول إلى فلسطين أن اليهود لم يكونوا جماعات منظمة أو معبئة عسكرياً إلى الدرجة التي تسمح لهم بمجاراة تلك الممالك، ولهذا لم يكن أسلوبهم في التقدم أسلوب غزو عسكري كما وصفته التوراة قي أسفارها[١]، وإنما تسلل سلمي وتدريجي.

أما دخولهم إلى أورشليم فلا يخلو من تناقض، ففي سفر يشوع نرى إن ملك أورشليم المدعو(أدوني صادق) يقوم بتشكيل حلف يضم خمسة ملوك كنعانيين للوقوف في وجه (الغزاة) اليهود ولكنه ينهزم أمامهم[٢]، ثم سرعان ما نجد في نفس السفر[٣] إن أبناء قبيلة يهوذا الذين قُسمت لهم أورشليم لم يقدروا على طرد سكان أورشليم اليبوسيين، فعاشوا جنباً إلى جنب في المدينة معهم.

وتصور لنا التوراة أن أورشليم خلال عصر الحديد الأول (١٢٠٠ – ١٠٠٠ ق.م.) على أنها مدينة قوية التحصينات يسكنها اليبوسيون من أهلها الأصليين، وقد استولى على المدينة في ما بعد الملك داود وجعلها عاصمة له[٤].

أما الاكتشافات الأثرية فأنها تقدم لنا صورة مختلفة عن وضع أورشليم في فترة عصر الحديد الأول وتؤكد أنه من خلال تحليل الركام الأثري من تيراسات جدارية وجرة فخارية كاملة عثر عليها تحت التيراسات تبين بأن أورشليم في تلك الفترة ما هي إلا عبارة عن حصن صغير يتحكم بمساحة محدودة من الأراضي المحيطة به[٥].

أما هوية بناة التيراسات فأنها تبقى في حيز التخمينات، فقد خمن أكثر الباحثين أنها تعود إلى الإمبراطورية المصرية التي كانت في أواخر القرن الثالث

---

[١] – سفر العدد/ الإصحاحات : (٢٠،٢١،٢٢) ؛ سفر التثنية/ الإصحاحين: (٢،٣) ؛ سفر يشوع/ الإصحاحات: (٨،٩،١٠،١١،١٢) ؛ سفر القضاة / الإصحاحين: (١،٢) .

[٢] – سفر يشوع/ ١٠: ٣ – ١٠ .

[٣] – سفر يشوع / ١٥ : ٦٣.

[٤] – سفر صموئيل الثاني/ ٥ : ٦ – ١٦ ؛ الفصل الثالث، المبحث الأول، ص ١٢٢ .

[٥] – تومبسون، والجيوسي، القدس، ص ١٢١ .

عشر قبل الميلاد تسيطر على فلسطين وتبني عدداً من القلاع في مناطق متفرقة مثل بيت شان وتل مور [١].

وإذا كان هذا التخمين قريب من الحقيقة، فكيف استطاع بنو إسرائيل دخول كنعان، وهي ولاية مصرية، ثم تدمير أريحا وعاي وبيت إيل وغيرها من مدن فلسطين، دون أن يحرك الفرعون ساكناً ؟ هذا إذا افترضنا أن اليهود تحركوا أثناء السيطرة المصرية على فلسطين مع بداية القرن الثاني عشر قبل الميلاد[٢].

ولهذا فأن وليام ديفر (W.Dever) يرى أن تدمير المواقع الذي حصل في جنوب فلسطين في العصر البرونزي الوسيط قد تم جزئياً من قبل أحموسة (١٥٧٥ -١٥٥٠ق.م.) وتحتموس الثالث (١٤٩٠- ١٤٣٦ق. م.)[٣].

بينما يرى ديفد يوشيشكان (D. Ussishkin) أن الذين قاموا بعملية التدمير هذه هم الفلسطينيون القادمون من بحر إيجة، وكلاهما يتفق على أن الإسرائيليين لم يكونوا هم الذين قاموا بتدمير المدن في فلسطين، وذلك لأنهم أتوا إليها بشكل شعوب مسالمة كرعاة أغنام وأنهم لم يكونوا في مركز القوة ليتمكنوا من محاصرة هذه المدن(الدول المحصنة)[٤]، وإخضاعها بوقت قياسي، كما يصف العهد القديم ذلك في أغلب أسفاره.

وهنا يبرز رأي علم الآثار، ولكن دون أن يحدد هوية المسؤول عن هذا الدمار، حيث أثبتت البعثة الأمريكية بعد اكتشافها مدينة بيت لحم التي تبعد كيلومتر واحد ونصف عن مدينة عاي، وبعد أن تجاوزت عددا من الطبقات الثقافية ووصلت إلى الأنقاض التي يرجع تاريخها إلى القرن الثاني عشر قبل الميلاد، أن هناك آثار حريق عظيم، بلغ ارتفاع رماده في أنقاض البيوت مترا واحدا، وقد أكدت تماثيل الآلهة المحطمة أن مدينة عاي قد تحولت إلى تل من الأنقاض قبل ظهور يشوع بن نون بقرون عديدة، حتى أن الإسرائيليين أقاموا بيوتهم على أنقاض بيت لحم، كما أن هذه

---

[١] - المصدر نفسه، ص١١٢.

[٢] - مهران، مصر والشرق الأدنى، ج٣، ص٤٦٧ .

[٣] - الصمادي، طالب عبد الله، "العوامل الاقتصادية خلف السيطرة الآشورية الحديثة في سورية وفلسطين"، مجلة راية مؤته، ، مج٣، ع٣، (عمان، ١٩٩٧) ، ص ١٧ .

[٤] - المصدر نفسه، الصفحة نفسها .

البعثة اكتشفت أنقاض لايش وعجلون ودافير وحبرون وغيرها، أي أن هنالك آثار عنف وحرائق كانت تنتشر في كل مكان من طبقة القرن الثاني عشر قبل الميلاد[١].

[١] – كاسيدوفسكي، زينون، الواقع والأسطورة في التوراة، ط١،(دمشق: الأبجدية للنشر،١٩٩٠)، ص١٥٣.

الفصل الثاني: المجتمع اليهودي في مرحلة النشوء

المبحث الأول: أصول تشكل المجتمع اليهودي وبداية الاستقرار في فلسطين

المبحث الثاني: بدايات الحياة الاقتصادية للمجتمع اليهودي في فلسطين

المبحث الثالث: نشأة نظام الحكم وإدارة المجتمع

(١١٥٠ - ١٠٢٠ ق. م.)

المبحث الأول: أصول تشكل المجتمع اليهودي وبداية الاستقرار في فلسطين

مثلما أن عملية دخول اليهود إلى فلسطين قد شغلت المؤرخين والباحثين، فأن قضية الأصول كذلك تُعد من أكثر القضايا صعوبة في دراسة تاريخ اليهود القديم، حيث احتلت حيزاً كبيراً في دراساتهم منذ نهاية القرن التاسع عشر الميلادي وحتى يومنا هذا، ولا سيما أن التباين الكبير في الأساليب والاستنتاجات بين هؤلاء الدارسين، هو الذي يزيد الأمر تعقيداً إلى درجة يصعب معها على الباحث أن يزعم وجود ما يشبه التوافق في هذا الجانب[١].

ولكن بالرغم من ذلك، فأن هناك أرضية مشتركة بين هؤلاء الباحثين، تتمثل في تأكيدهم على ضرورة فهم مجتمع فلسطين القديمة في العصر البرونزي السابق لظهور المجتمع اليهودي، متخذين من هذا الأساس نقطة انطلاق في كافة دراساتهم التي تبحث في أصول المجتمع اليهودي، ولهذا فقد جاءت نتائج هذه الدراسات مُعبرة عن فهم كل واحد منهم، مما جعلنا أمام فرضيات ونظريات مختلفة تتلخص في ثلاثة نماذج:

النموذج الأول: فرضية الاقتحام والهيمنة، لصاحبها (أولبرايت) الذي دافع بشدة عن وجهة النظر التوراتية في البحث عن أصل المجتمع الإسرائيلي (اليهودي)، وحاول تجسيد نظرية الغزو العسكري.

وقد لقيت هذه الفرضية معارضة كبيرة ودحضت أواسط السبعينات[٢]، ودحض كل ما ترتب عليها من أحداث مصدرها العهد القديم، سيما رواية تقسيم الأراضي (المدن والقرى الكنعانية) التي وردت تفاصيلها في سفر يشوع، والذي يتحدث بأسلوب قصصي عن استيلاء اليهود على معظم أرض فلسطين في نحو سبع سنين، وإبادة شعوبها.

ويتابع هذا السفر سرد الأحداث، فيتحدث عن قيام يوشع بن نون بقسمة الأرض التي أغتصبها بين أسباط إسرائيل، ما عدى سبط رأوبين وسبط جاد ونصف

---

[١] – للإطلاع على آراء الباحثين المختلفة بشأن هذا الموضوع، وهم كل من (اولبرايت، إلت ، ويلهاوزن، مندنهول، غوتولد، إلن، بي مازار)، وغيرهم، أنظر: تومبسون، التاريخ القديم، ص ٤ وما بعدها .

[٢] – المصدر نفسه، ص ١٥ – ٢٠ .

سبط منسى الذين سبق لهم أن أخذوا نصيبهم في الأرض التي أغتصبها اليهود بقيادة موسى شرقي الأردن، وقد حدد العهد القديم الأنصبة التي تولى موسى توزيعها على بعض الأسباط شرقي الأردن(١)، ثم تولى يشوع توزيع باقيها على بقية الأسباط غربي الأردن، وفي جهات أخرى(٢).

ويرى بعض الباحثين أن خير سفر يُعبّر عن أصول إسرائيل هو سفر القضاة، إذ نجد فيه صورة مختلفة عن قبائل متنوعة ومتنازعة، تجمعها أحياناً أحلاف تتسع أو تتقلص تبعاً للظروف، من هذه الأحلاف انبثق الشعب اليهودي (شعب إسرائيل، وشعب يهوذا)، فضلاً عن ذلك يبدو أن قصص سفر القضاة تحتوي على ذكريات بخصوص مدينة أورشليم التي لم يسيطر عليها الإسرائيليون إلا في وقت متأخر، وحافظت على سكانها القدماء كجزء من التركيب الإثني للمدينة إلى وقت لا بأس به بعد ذلك(٣).

النموذج الثاني: نظرية الثورة الداخلية، التي ظهرت في ستينيات القرن العشرين، على يد الباحث جورج مندنهول Georg Mendenhall، وطورها بعده الباحث والمؤرخ نورمان غوتولد Norman Gottwald (٤).

ترفض هذه النظرية الأصل الخارجي للجماعات الإسرائيلية، وهي بهذا تعاكس النظرية الأولى جملة وتفصيلا، وترى بأن الإسرائيليين (اليهود) لم يفدوا من خارج كنعان، ولا بد أنهم شريحة اجتماعية محلية أفرزتها ظروف معينة عن المجتمع الكنعاني(٥).

اقترح غوتولد في نظريته هذه وجود حادثة تاريخية (ثورة اشتراكية) كمحور للاندماج الإسرائيلي الذي أدى إلى تحول سياسي جذري من دول كنعانية إلى دول إقليمية تجسدت بملكية إسرائيل القديمة(٦).

---

(١) – سفر العدد/ ٣٢: ٣٣ – ٤٢ ؛ سفر يشوع/ ١٣: ١٤ – ٣٢ .

(٢) – سفر يشوع: الإصحاحات/ ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٨ ، ١٩ .

(٣) – تومبسون، والجيوسي، القدس، ص٢٢٥ .

(٤) – تومبسون، التاريخ القديم، ص ٣٨ – ٣٩ .

(٥) – السواح، آرام دمشق، ص ١٦٦ .

(٦) – تومبسون، التاريخ القديم، ص ٣٩ .

وبيَّن غوتولد أن هذه الثورة قامت بها شرائح فلاحية كنعانية لجأت إلى الأسلوب الثوري في وجه حكام دويلات المدن الطغاة[١].

وتخلصاً من بعض الاعتراضات التي أثارتها النظريات الأخرى، فقد أضاف غوتولد، أن خميرة هذه الحركة الثورية كانت جماعة آبقة من العبودية في مصر، جاءت معها بعبادة يهوه، والتي تبنتها الجماعات الفلاحية الثائرة، وقد كان تبني هذه الجماعات لعبادة يهوه بمثابة إعلان لرفضها لكل ما تمثله دويلات المدن الكنعانية المتسلطة على الشرائح الزراعية المُضطَهدة[٢].

إلا أن نظريته هذه لم تصمد أمام النقد، لأنه لم يأت بأي بينة تاريخية على حصول مثل هكذا ثورة، وإنما اعتمد على أسلوب المقارنة، وذلك بمقارنة مراحل نشوء الشعوب الأخرى التي تمتلك وثائق تاريخية هائلة، محاولاً تطبيقها على مراحل النشوء المفترضة للمجتمع اليهودي.

كما أنه لم يقم بدراسة تفصيلية عن مجتمع (الدولة المدينية)[٣] السابق لهذه الثورة والذي يزعم أنها قلبته[٤].

إن المنهج الذي أتبعه غوتولد في البحث عن أصول الشعب اليهودي هو منهج التفسير المادي (الاقتصادي)[٥]، والذي حاول فيه أن يقدم تأييداً لنظريته عن إسرائيل قديمة تمثل اختراقا للنظام السياسي السائد في كنعان القديمة ولهذا فقد أقترح

---

[١] – السواح، آرام دمشق، ص ١٦٦ .

[٢] – المصدر نفسه، الصفحة نفسها .

[٣] – (الدولة المدينية) يُعد استخدام هذا المصطلح من قبل الدكتور غوتولد مبالغة بعض الشيء لأن حجم المستوطنات في فلسطين القديمة كان يتناسب طرداً مع الاستغلال الزراعي للإقليم الذي توجد فيه، بالإضافة إلى أن عدد سكان المدن يتجاوز الألف أو الألفي نسمة بينما المجتمع الذي وصفه غوتولد لا يتجاوز مئات قليلة، وكان الأجدر به من الناحية العلمية أن يستخدم مصطلح (قرية أو قرى) أنظر: تومبسون، والجيوسي، القدس، ص ١٧٢ .

[٤] – المصدر نفسه، ص ٤٠ .

[٥] – التفسير المادي (الاقتصادي): هو أحد الفلسفات المتبعة في تفسير التاريخ، وتعني إرجاع حركة التاريخ إلى عوامل مادية(المادة تتحكم بحركة التاريخ)، أكد أصحاب هذه النظرة للتاريخ، لا سيما ماركس أن المثل العليا والأفكار عند الإنسان، إنما هي نفسها من نتاج البيئة الطبيعية (المادية)، وأن العوامل الاقتصادية تؤدي فعلاً كبيراً في مسيرة التاريخ وأحداثه . أنظر: الدليمي، فلسفة التاريخ، ص ١٨١ وما بعدها .

تعبيراً ماركسياً هو (نمط الإنتاج الآسيوي)[١] كطراز مميز للمجتمع الطبقي في فلسطين القديمة[٢]، وطبقاً لرأي الدكتور تومبسون، فأن غوتولد في كتابه(قبائل يهوه)[٣] أعتمد بصورة مباشرة على معلومات مغلوطة حول المجتمع الكنعاني، استعارها من جورج مندنهول Georg Mendenhall وآخرين، وهذه المعلومات، لا تتفق مع ما قاله غوتولد نفسه، في تعريف المجتمع وفق المفهوم الماركسي عن نمط الإنتاج الآسيوي[٤] وفي وصفه لهذا المجتمع الطبقي، أدرج أربعة عشرة سمة متفاوتة الأهمية لغرض تقديم خصائص للمجتمع الكنعاني، وهي كالآتي:

١. ملكية جماعية، لا شخصية.
٢. تماسك واستمرارية المجتمع القروي.
٣. تقارب وثيق بين العمل الزراعي والحرفي.
٤. ري على نطاق واسع يستلزم وجود سلطة مركزية.
٥. طبقة اجتماعية من النخبة، ناشئة عن تركيز الفائض الاقتصادي في أيدي السلطة المركزية.
٦. اعتماد اقتصاد المدن على الزراعة والخضوع السياسي للسلطة المركزية.
٧. إنتاج غذائي، لا سلعي.
٨. تخلف في تطوير وسائل الإنتاج.
٩. فئات اجتماعية أخرى: كبار الملاك، التجار، وغيرهم.
١٠. القرية وحدة الإنتاج الأساسية.
١١. تأثر التجارة بالحدود الداخلية.
١٢. لا برجوازية حرة، ولا عمل حر، ولا تطور رأسمالي.

---

(١) – لاقى مفهوم (نمط الإنتاج الآسيوي) اعتراضات شتى من قبل كثير من الباحثين، لأنه حسب رأي أغلبهم يثير من المشكلات أكثر مما يحل. للمعلومات عن هذا المفهوم أنظر: كانال، جان سوريه، وآخرون، حول نمط الإنتاج الآسيوي، ترجمة: جورج طرابيشي، ط٢،(بيروت: دارالطليعة، ١٩٧٨)، ص٨–١١ .

(٢) – تومبسون، التاريخ القديم، ص٤٠ .

(٣) – تعذر علينا الحصول على كتاب (قبائل يهوه) لمؤلفه غوتولد، المنشور عام ١٩٧٩، وبذلك اعتمدنا على ما نقله الدكتور تومبسون في كتابه المذكور والمعتمد في بحثنا .

(٤) – تومبسون، التاريخ القديم، ص٤٠ .

١٣. سلطة مركزية تسيطر على المجتمع بكامله.
١٤. بعض المظاهر الإقطاعية[١].

لكن باعتماده المباشر كما أسلفنا على دراسات كتبها آخرون مثل كارل ماركس وأنجلز (karl Marx)،(Anjls) عن الصين والهند لم يكن غوتولد موفقاً في هذا الوصف[٢]، ولهذا فإن المفهوم الماركسي لم يكن ملائماً لوصف أوضاع فلسطين القديمة في فترة العصر البرونزي المتأخر لإثبات نظرية الثورة في نشوء المجتمع اليهودي.

إن هذه النظرية، تبقى نظرية قائمة على تجريديات ذهنية لا أساس لها في الواقع الاجتماعي والسياسي لفلسطين في عصر الحديد، فضلاً عن أن المعلومات التاريخية لا تؤيد وقوع مثل هذه الثورة في أي وقت فيما بين(١٢٠٠ – ١٠٠٠ ق.م.) كما أن الشواهد الآثارية لم تعثر على ما يؤيد قيام مثل هكذا ثورة[٣]، رغم أنها اتفقت مع هذه النظرية اتفاقا جزئياً عندما أكدت أن الجماعة المدعوة إسرائيل لم تفد إلى فلسطين على شكل هجرة جماعية من الخارج، وإنما تشكلت عن طريق اندماج مجموعات فلسطينية محليه، وهناك الكثير من الجدل حول الكيفية التي تمت بها هذه العملية، ولكن الخطوط العامة المتفق عليها ضمن حدود هذا الرأي، هو أن الإسرائيليين القدماء كانوا جماعات كنعانية كونت لنفسها تجمعاً جديداً خاصاً في المناطق الهضبية الفلسطينية وربما انضم إلى هؤلاء جماعة قليلة من المهاجرين من مصر [٤].

إلا أن فريق آخر من الباحثين قد نحى في بناء فرضياته حول نشوء المجتمع اليهودي منحاً مُغايراً لما أكدته نتائج التنقيبات الآثارية، وذلك بتصوره أن هناك تناقض بين المدينة والقرية، المدينة الممثلة بالمجتمع الكنعاني في العصر البرونزي

---

[١] – تومبسون، التاريخ القديم، ص ٤١ .
[٢] – المصدر نفسه، الصفحة نفسها .
[٣] – السواح، آرام دمشق، ص ١٦٨ .
[٤] – تومبسون، والجيوسي، القدس، ص٢٢١ .

الأخير(١٦٠٠-١٢٠٠ ق.م.) والقرية الممثلة بالتكوينات القروية الإسرائيلية، أو كما أطلق عليه البعض (التناقض بين الراعي والفلاح)[١].

ولهذا فأن تومبسون يقول، إن عملية تحليل أصول المجتمع اليهودي على أساس افتراض وجود تناقض حاد بين الكنعانيين والإسرائيليين يُعتبر من اكبر الأخطاء التي تشوه تصورات العلماء والباحثين[٢].

لقد انهارت كل هذه النظريات التي عرضناها، ولم تصمد بمجرد عرضها على المكتشفات الآثارية، ولهذا فقد ظهرت نظرية أخرى حاولت التوفيق بين أغلب المفاهيم وشكلت **نموذجاً ثالثاً** عُرف بأسم **(افتراضية التعايش المتكافل)**[٣].

انبثقت هذه الافتراضية بدافع المحاولات الجادة لدراسة أصول المجتمع اليهودي على أساس التوفيق بين البينات التوراتية والآثارية والمعلومات المتوفرة عن الشرق الأدنى القديم، إذ أن الفجوة بين أصول هذا المجتمع في ضوء علم الآثار من جهة، وأصوله في ضوء كتاب التوراة من جهة أخرى، هي من السعة بحيث تضعنا أمام مجتمعين متباينين كلياً على الرغم من اشتراكهما في مكان جغرافي واحد[٤].

أثبت علم الآثار، أن المرتفعات والهضاب المركزية في فلسطين القديمة كانت شبه خالية من السكان خلال عصر البرونز الأخير، ولم تكن تحتوي إلا على عدد قليل جداً من القرى الصغيرة والمتباعدة، كما أن الاستيطان فيها لم يحصل دفعة واحدة، وفي وقت واحد، بل كان تدريجي ومستقل في كل منطقة، وله تسلسل زمني منفصل عن غيره، وذلك منذ أواخر العصر البرونزي وحتى العصر الحديدي الثاني(١٣٠٠- ٥٥٠ ق.م.)[٥].

وقد توصل الباحث الألماني ألبرشت ألت Albrecht Alt إلى هذا الاستنتاج قبل نصف قرن من ظهور أسلوب البحث الآثاري، إذ كان يعتقد أن

---

(١) – تومبسون، التاريخ القديم، ص٤٨ .

(٢) – المصدر نفسه، ص ٢٨ .

(٣) – منى، مقدمة، ص ٣٦ .

(٤) – تومبسون، والجيوسي، القدس، ص ١٧١ .

(٥) – تومبسون، التاريخ القديم، ص ١٠٨ .

المواقع التي سكنها أوائل الإسرائيليين كما ورد في الرواية التوراتية، كانت بعيدة عن مناطق دويلات المدن الكنعانية، فضلاً عن قيامها في المناطق الهضبية شبه الخالية من السكان[١]، ومن هنا فقد أنطلق هذا الباحث في نظريته (التسرب السلمي) والتي غدت سُنَّة متبعة بعده من قبل أغلب كبار الباحثين.

شكلت نظرية ألت ورفاقه، أساساً لفرضية (التعايش المتكافل)، حيث كانت تتلخص رؤيتها، في أن الجماعات التي شغلت الهضاب المركزية، كانت عبارة عن عشائر بدوية من أصول مختلفة أخذت بالتسرب تدريجياً إلى هذه المنطقة، وعلى فترات متقطعة ومتباعدة، اعتبارا من منتصف القرن الثالث عشر قبل الميلاد، تسوق قطعانها الصغيرة عبر نهر الأردن، باحثة عن مراع جديدة في كنعان[٢].

وكان هؤلاء الرعاة يتوقفون خلال الشتاء والربيع عند أطراف المناطق الزراعية، فإذا يبست الأعشاب صيفاً، أخذوا بالتوغل أكثر فأكثر نحو المناطق الزراعية من أجل رعي القش المتبقي بعد الحصاد، وذلك بالاتفاق مع أصحاب الحقول، الذين كانوا يدخلون معهم في علاقات منافع متبادلة[٣].

وشيئاً فشيئاً، وجد بعض هذه العشائر أماكن مناسبة لإقامتهم في المناطق الخالية والفاصلة بين دويلات المدن الكنعانية[٤]، ثم ما لبثوا أن اقتربوا تدريجيا وبطريقة سلمية من خلال التوسع في استغلال أراضي هذه المناطق[٥]، وبمرور الزمن عرفت هذه الجماعات البدوية القرية، ولكن بأسلوب بدائي، وقد عاشوا في مستوطنات قروية كان حجم السكان فيها يتحدد على أساس المنطقة الملائمة للحراثة[٦].

---

[١] – تومبسون، التاريخ القديم، ص٣٣ .

[٢] – ف٠دياكوف٠وس٠كوفاليفن، الحضارات القديمة، ترجمة: نسيم واكيم اليازجي، ط١،(دمشق: دار علاء الدين، ٢٠٠٠)، ج١، ص١٧١ ؛ السواح، آرام دمشق، ص ١٦٢ .

[٣] – السواح، آرام دمشق، ص ١٦٢ .

[4] – Blunt,A.W.F.,Israel Before Christ an Account of Social and Religious Development in the Old Testament , (London, Oxford University, 1924), p. 38.

[5] –Ibid . p. 38.

[٦] –هودجز ،هنري،التقنية في العالم القديم، ترجمة: رندة قاقيش، ط١،(عمان: الدار العربية، ١٩٨٨)، ص ٦٠

ثم إن هذه العشائر المسالمة والمتباعدة عن بعضها، أخذت بالتقارب بعد فترة من الاستقرار، وأخذت تدريجياً بالإحساس بنوع من الرابطة الاثنية، وبدأت بعد ذلك بالتلاحم والتزاوج فيما بينها[١].

وليس الاندماج حدثاً جديداً في التاريخ اليهودي، حيث يندمج اليهود تماماً في المجتمعات المجاورة، ويتوقفون عن تكوين جماعة اجتماعية متميزة[٢].

ومن المرجح أن عبادة واحدة قد نشأت تدريجياً وتركزت طقوسها حول مقام مقدس أم مذبح مشترك، الأمر الذي زاد من ترابط هذه الجماعات البدوية وإحساسها بالتمايز عمن حولها[٣].

على الرغم من أن نظرية ألت التي بناها على ثلاثة مفاهيم مستخلصه من تصوره للمجتمع القديم، وهي (التحالف الديني، والدولة المدينية، والبداوة)[٤]، قد لاقت قبول أوسع من غيرها إلا أن بعض الباحثين قد أخذوا عليها بعض المآخذ:

فبالنسبة لمفهوم التحالف الديني (جماعة دينية قبلية) فقد رُفض لأنه بُني على أساس المقارنات مع (الجماعات الدينية الإغريقية القديمة)[٥]، وليس على أساس بينات تثبت تاريخ اليهود القديم[٦]، كما لا يوجد تعريف واضح أو فهم مشترك لمفهوم الجماعة الدينية، مما جعل بقية الباحثين يقف موقف سلبي منها، وحجتهم في ذلك أن القبائل الإسرائيلية الاثنتا عشر تعود بأصولها إلى تطور لاحق للنظام الإقليمي في عهد النبي سليمان(عليه السلام) وليس إلى تلك الفترة[٧].

وكذلك بُني هذا المفهوم على أساس وجود معبد مركزي لكل الجماعات الدينية في فلسطين، وهذا الزعم غير مؤكد ومشكوك به، وبُني أيضا على أساس التصور

---

(1)-Blunt, A. W. F., op. cit. p. 38.

(٢) – ليون، أبراهام، المفهوم المادي للمسألة اليهودية، ترجمة: عماد نويهض، ط١،(بيروت: دار الطليعة، ١٩٦٩)، ص ٣١ .

(٣) – السواح، آرام دمشق، ص ١٦٣ .

(٤) – تومبسون، التاريخ القديم، ص٣٤ .

(٥) – كانت القبائل الإسرائيلية الاثنى عشر على رأي ألت تنقسم إلى عشائر تشبه العشائر (gentes) الرومانية، وكانت القبائل الإسرائيلية متجمعة حول هيكل مركزي في سيلون، وهو نظام قارنه بعض العلماء بمجلس الامفكتيون (amphictyony) اليوناني إذ يقوم على مبدأ مماثل من المركزية الدينية. أنظر: موسكاتي، الحضارات السامية، ص ١٤٠ .

(٦) – تومبسون، التاريخ القديم، ص ٣٥ .

(٧) – المصدر نفسه، نفس الصفحة .

التاريخي (للميثاق الاجتماعي) الذي يوحد القبائل، ولم يتم قبول هذا التصور، لأن هذه القبائل متباعدة جغرافياً ومنفصلة عن بعضها البعض[١].

أما المفهوم الثاني المتعلق بهيكل المجتمع الكنعاني القديم فهو(الدولة المدينية) والذي أستخدمه ألت، وحاول من خلاله أن يتابع التغيرات الاجتماعية والسياسية من الدول المدينية الكنعانية في العصر البرونزي المتأخر إلى دولة قومية إسرائيلية في العصر الحديدي[٢].

ولقد تصور ألت الدولة المدينية في فلسطين أنها إمارة سلالية تتألف من مستوطنة أو مدينة مركزية ومجموعة من القرى والمستوطنات التابعة لها في منطقتها تحقق مزيداً من القوة السياسية بإبرام تحالفات ومعاهدات مع دول مدينية أخرى[٣].

ولقد فاته أن يتنبه إلى أن السلالة الثامنة عشر المصرية (١٥٨٠-١٣٥٠ ق.م.) حافظت خلال حكمها على نظام سياسي شبه إقطاعي وذلك بتعيين الأمراء وعائلاتهم عبيداً للعرش المصري والسيطرة غير المباشرة على المنطقة[٤].

أما المفهوم الأخير في نظرية ألت فهو (البداوة)، حيث نجد هذا المفهوم قد بُني على أساس تصوره لعلاقة تكافلية وثيقة بين البدو الرعاة ومزارعي القرى[٥].

---

[١] – تومبسون، التاريخ القديم، ص ٣٥ .

[٢] – المصدر نفسه، ص ٣٦ .

[٣] – المصدر نفسه، ص ٣٧ .

[٤] – المصدر نفسه، نفس الصفحة .

[٥] – المصدر نفسه، ص ٤٨ .

المبحث الثاني: بدايات الحياة الاقتصادية للمجتمع اليهودي في فلسطين

مدخل:

مرت الحياة الاقتصادية للمجتمع اليهودي عبر تأريخه الطويل بمراحل مختلفة تُكمِّل أحداها الأخرى، نرى من الضروري تتبعها لمعرفة جذور النشاط الاقتصادي لليهود، ليتسنى لنا الولوج إلى نمطهم الاقتصادي والمعيشي بعد استقرارهم في فلسطين.

أولاً : الأحوال الاقتصادية لليهود (العبرانيين) في المراحل الأولى من تاريخهم

كانت البداوة هي النمط المعيشي السائد الذي يشكل عماد الحياة الاقتصادية عند العبرانيين كما كانت تسميهم الشعوب الأخرى، كالكنعانيين، والمصريين والفلسطينيين، لعلاقتهم بالصحراء وتمييزاً لهم عن أهل العمران[١].

ويبدو أن هذه التسمية كانت مصداقاً لطبيعة الحياة التي تعيشها الجماعة في حدود القرن التاسع عشر قبل الميلاد تقريباً، إذ أنهم في الأصل كانوا من الأمم البدوية الصحراوية التي لا تستقر في مكان بل ترحل من بقعة إلى أخرى بإبلها وماشيتها للبحث عن الماء والمرعى، ويتضح هذا المعنى أكثر في أصل كلمة عبري المشتقة من الفعل الثلاثي (عبر) بمعنى قطع مرحلة من الطريق أو عبر الوادي أو النهر من عبرة إلى عبرة، أو عبر السبيل شقها، وكل هذه المعاني نجدها في هذا الفعل سواء في العربية والعبرية، وهي في مجملها تدل على التحول والتنقل الذي هو من أخص ما يتصف به سكان الصحراء وأهل البادية، فكلمة عبري مثل كلمة بدوي، أي ساكن الصحراء والبادية[٢].

وبإمكاننا أن نقسم تاريخ الحياة الاقتصادية لليهود قبل استقرارهم في فلسطين إلى مرحلتين رئيستين: الأولى، عندما كانوا يجوبون المناطق المختلفة في كل من وادي الرافدين وسورية القديمة سعياً وراء الكلأ والماء، والثانية، في مصر أثناء إقامتهم فيها وكان طابع المعيشة رعوياً في كلتا المرحلتين.

---

[١] – ولفنسون، تاريخ اللغات، ص ٧٨ .

[٢] – المصدر نفسه، ص ٧٧– ٧٨ .

كان المجتمع اليهودي في مراحله التاريخية الأولى يعتمد بالدرجة الأساس على مصدرين أساسيين في حياته المعيشية، هما الرعي والصيد، ولهذا فقد كان يمثل صورة من الحياة السامية بما يتبعه من أسلوب في رعي الحيوانات، وأهمها الأغنام والماعز والجمال وكلها حيوانات معتادة على الرعي الفقير[١].

ولقد شكلت هذه الثروة الحيوانية بأنواعها مصدراً أساسياً لإشباع حاجات اليهود من مأكل وملبس ومسكن، فمن لحومها وألبانها يتخذون غذائهم، ومن أصوافها وأشعارها وجلودها كانوا يتخذون ملابسهم وأثاثهم ومساكنهم، إذ كانت بيوتهم في هذا العهد خياماً من الشعر[٢].

وبالرغم من أن قبائل اليهود الرحل كانوا يصنعون بعض الأشياء المهمة في حياتهم البدوية مثل الملابس والخيام، فأن هذه القبائل لم تكن لديها صناعات تذكر[٣]، لأنها احتقرت الصناعة والزراعة لتأثرها بالبيئة الصحراوية التي طبعت أحوالها الاجتماعية والمعيشية[٤]، إذ كان البدوي يقدس حياة الرعي ويعتبر نفسه في مركز أعلى من مركز الفلاح[٥].

ولهذا فقد كان هؤلاء البدو يتتبعون مواقع المطر ويرحلون من مكان إلى آخر طلباً للكلاء والماء، وإذا احتاجوا إلى غير ما تنتجه ماشيتهم تعاملوا بطريقة البدل، فاستبدلوا بالماشية ونتاجها ما يتطلبون من تمر ولباس، أو لجأوا إلى الغزو والسلب[٦].

---

[١] – لنتون، رالف، شجرة الحضارة منذ فجر ما قبل التاريخ حتى بداية العصر الحديث، ترجمة: أحمد فخري، (ب مط، ب ت)ج٢،ص ١٨٧ .

[٢] – وافي، علي عبد الواحد، اليهودية واليهود بحث في ديانة اليهود وتاريخهم ونظامهم الاجتماعي والاقتصادي، ط١،(القاهرة: مكتبة غريب، ١٩٧٠)، ص ١١٢ .

[٣] – لنتون، شجرة الحضارة، ج٢، ص ١٨٨ .

[٤] – الفاخوري، حنا، تاريخ الأدب العربي، ط٣، (بيروت: المطبعة البوليسية، ١٩٦٠)، ص ١٥ .

[٥] – لنتون، شجرة الحضارة، ج٢، ص ١٨٩ .

[٦] – الفاخوري، تاريخ الأدب، ص ١٥ .

فضلاً عن أن هذه القبائل كانت تعتمد أيضا على أهل المدن في الحصول على بعض الحاجات المهمة، بالرغم من أن نسائهم كن يغزلن الأقمشة من شعر الماعز الأسود الذي كانوا يستخدمونه في عمل الخيام(١).

كان اليهود إلى جانب اعتمادهم على اقتصاد رعي الحيوانات في تلك الفترة يحترفون حرفة أخرى، يحققون من خلالها المتعة والرياضة والفائدة الاقتصادية وهي حرفة الصيد(٢)، كما يستفاد من قصة النبي يوسف(عليه السلام) في القرآن الكريم **(قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا**(٣) **نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ)**(٤). أن القوم كانوا يمارسون حرفة الصيد من خلال ورود كلمة نستبق أي (نترامى)(٥)، ومن معانيها أيضاً العدو والتسابق، كما فسرها آخرون بأنها تعني مجموعة نشاطات من بينها ممارسة الصيد والترامي بالسهام وأعمال أخرى تتوزع ما بين سقي ورعي واحتطاب(٦). وكذلك ما جاء في سفر التكوين من قصص يبين أن حرفة الصيد كانت تمثل جانباً مهماً في حياة المجتمع اليهودي في عهوده الغابرة **(خذ عدتك وجعبتك وقوسك وأخرج إلى البرية وتصيد لي صيداً)**(٧). وعلى الرغم من أن حرفة الصيد لا تمارس على نطاق واسع إلا أنها كانت توفر مورد غذائي لا يستهان به. أما أهم الحيوانات التي كانت هدفاً للصيادين فهي الطيور البرية(٨)، إذ كانت هذه الطيور تُصطاد بواسطة الشباك، كما يتم الحصول على البيض أيضا من أعشاشها(٩)، وكذلك الأرانب البرية وغيرها من الزواحف والحيوانات الصحراوية الأخرى. أما صيد الأسماك فكان نادراً، لبعد الأنهار

---

(١) – لنتون، شجرة الحضارة، ج٢، ص ١٨٨ .

(2) – Sasson , Jack. M.,Civilization of the Ancient Near East ,(New York,1996), p. 641.

(٣) – الضمير في ذهبنا يعود إلى أخوة النبي يوسف وأبناء النبي يعقوب (عليه السلام) الباحث .

(٤) – يوسف/ الآية : ١٧ .

(٥) – أبن كثير، تفسير القرآن العظيم، ط١، (بيروت: دار الأندلس، ١٩٦٦)، ج٤، ص ١٤ .

(٦) – الآلوسي البغدادي، أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، (ب مط، ب ت)ج١٢، ص ١٧٨ .

(٧) – كلام النبي يعقوب(عليه السلام)إلى أبنه عيسو عندما أراد أن يباركه حسب رواية التوراة، أنظر: التكوين/٢٧: ٤ .

(8) –Sasson, Jack, M., op. cit . p. 641.

(9)–Ibid , p . 638 .

أو البحار عن المناطق الصحراوية التي يجوبونها، وبهذا فقد تعذر عليهم مثلاً الوصول إلى البحر الأبيض المتوسط في هذه الفترات من تاريخهم[١].

ثانياً: أحوالهم الاقتصادية في مصر

وعندما أنتقل بنو إسرائيل للإقامة في مصر بقوا على اقتصادهم الرعوي وتدجين الحيوانات، وهذا ما يتضح من خلال جواب أخوة يوسف عندما سألهم فرعون **(ما حرفتكم ؟ فقالوا لفرعون: نحن يا سيدي رعاة غنم، نحن وآباؤنا جميعاً)**[٢].

وكانوا قد حصلوا على أرض جيدة وصالحة للرعي منحها لهم فرعون مصر بواسطة النبي يوسف(عليه السلام) وهي أرض جاسان أو رعمسيس التي تعد من بين أحسن الأراضي في مصر[٣]، وهي أرض في الشمال الشرقي تجاه الصحراء وكانت مناسبة لرعي مواشيهم وانفرادهم عن المصريين، وكان هذا الأمر مفيداً لهم، ويُظهر دراية الفرعون أن جعل بني إسرائيل وقاية لأرضه من الغزاة الذين طالما جالوا في الصحراء وأخافوا سكانها[٤]. وبهذا فقد انتقلوا من بداوة قوامها التنقل سعيا وراء المرعى والماء إلى حياة الحضر المستقرة التي تتوفر فيها مقومات المعيشة، ونجد في القرآن الكريم أشارة إلى مراحل هذا الانتقال على لسان النبي يوسف(عليه السلام) عندما أمر أخوته قائلاً **﴿وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾**[٥]، ثم ترحيبه بهم **﴿وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾**[٦]، وأخيراً مخاطبته أباه النبي يعقوب(عليه السلام) **﴿وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّاً وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنْ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنْ الْبَدْوِ﴾**[٧].

ولم يمارسوا الزراعة في بداية أقامتهم، إلا على نطاق ضيق لسد حاجتهم الغذائية لبعض محاصيل الخضرة، فضلاً عن أن الزراعة في مصر كانت تحتاج إلى

---

[1]-http: // www. musem. upenn.edu / Canaan / index. html.

[٢] – سفر التكوين/ ٤٧ : ٣ .

[٣] – سفر التكوين / ٤٧ : ١١ .

[٤] – بورتر، هارفي، موسوعة مختصر التاريخ القديم، ط١،(القاهرة: مكتبة مدبولي،١٩٩١)، ص ١١٦ .

[٥] – يوسف / الآية : ٩٣ .

[٦] – يوسف / الآية : ٩٩ .

[٧]– يوسف/ الآية (١٠٠) .

جهد كبير نظراً لاعتمادها على أسلوب السقي من النهر، وبهذا فقد كانت تختلف عن الزراعة في أرض كنعان التي تعتمد على مياه الأمطار، بشهادة العهد القديم **(فالأرض التي أنتم داخلون لتمتلكوها لا تشبه أرض مصر التي خرجتم منها كنتم هناك تزرعون زرعكم وتسقونه بأنفسكم كبساتين الخضرة، لكن الأرض التي أنتم عابرون إليها لتمتلكوها هي أرض جبال وأودية تشرب من مطر السماء)**[١].

وكانت ثرواتهم ذات ملكية عائلية لا فردية، إذ أنهم لم يحرموا قط من حق الملكية حتى في مرحلة اضطهادهم[٢] بدليل ما يحدثنا عنه العهد القديم من أنهم قد حملوا معهم وساقوا أمامهم عند خروجهم من مصر ما كانوا يملكونه من متاع وأنعام، وأن أنعامهم تلك كانت تتألف حينئذ من قطعان ضخمة غزيرة العدد من الأغنام والأبقار كما مر ذكره[٣].

ثالثاً: أحوالهم الاقتصادية بعد خروجهم من مصر وتيههم في صحراء سيناء

تعرض النمط الاقتصادي لبني إسرائيل إلى تغيير مفاجئ، عقب خروجهم من مصر، ولم يكن هذا التغيير تحولاً إلى نمط اقتصادي أكثر تطوراً، بل العكس، فبعد أن كانوا يتمتعون بحياة اقتصادية شبة مستقرة، يمارسون حرفة الرعي وزراعة بعض المحاصيل اللازمة لها، لتوفير غذائهم وإشباع حاجاتهم الأخرى في ظل ظروف ملائمة، من وفرة مياه عذبة، وأرض خصبة، وجدوا أنفسهم بعد كل هذا، وبين ليلة وضحاها، يعودون إلى حياة البداوة التي تركوها على ما يزيد من نيف وأربعمائة سنة تقريباً، بسبب طبيعة الظروف الاقتصادية التي فرضت عليهم عند خروجهم من مصر، واتجاههم إلى أرض كنعان عبر صحراء سيناء.

وتذكر التوراة أن أعدادهم عند الخروج كانت ست مائة ألف[٤] رجل قادر على حمل السلاح عدا النساء والأطفال والخدم[١]، وكانوا يصطحبون معهم أغنامهم

---

(١) – سفر التثنية / ١١: ١٠ – ١٢ .

(٢) – وافي، اليهودية واليهود، ص ١١٠ .

(٣) – سفر الخروج / ١٢ : ٣٢ ، ٣٨ .

(٤) – أن مسألة عدد من هاجر من مصر من بني إسرائيل غامضة غموضاً شديداً ، سواء بالنسبة للذين ألفوا النص الأصلي للتوراة في العبرية أو بالنسبة للمترجمين الذين جاءوا بعدهم، وهذا الغموض ناشئ من استعمال

وأبقارهم[٢]، وأنواع أخرى من الماشية والماعز، وكثير من الحمير المحملة[٣]، فضلاً عن حاجاتهم من المواد المنقولة، سيما الحلي الذهبية[٤].

كانت أنواع هذه الأنعام تشكل عماد الحياة الاقتصادية للجماعات الهاربة، كما يفضل بعض الباحثين أن يصفهم، فمما تنتجه كان غذائهم ولباسهم وسكنهم، ولهذا فقد حرصوا على العناية بها، والبحث عما يلزم لتربيتها من مراع ومياه.

لكن طبيعة المناطق التي كانوا يمرون بها أثناء تجوالهم في الصحراء، كانت تتفاوت، بين شحيح وفقير في مصدرين أساسيين، وهما الماء والنبات، لأن النبي موسى(عليه السلام) سلك أسلوبا خاصا في التحرك والانتقال من مكان إلى آخر، حيث قادهم في البدء متبعاً طريق القوافل الممتد على طول ساحل البحر المتوسط، ثم أنعطف نحو الجنوب في منطقة أيثام متحاشياً الصدام مع الشعوب التي تسكن قلاع السواحل[٥].

ومن الطبيعي فأن وجود هكذا طرق في مواقع خالية من السكان من جهة، وبعيدة عن المناطق المسكونة من جهة أخرى، لهو دليل على عدم صلاحيتها، وبالتالي فلم تكن ملائمة للإقامة المؤقتة لهذه الجماعات الهائمة، ومن هنا فقد اكتست حياتهم بلون من المعاناة، لأنهم لم يعتادوا على شظف العيش في الصحراء، وكانوا كثيراً ما يتذمرون، تعبيراً عن الندم، إذ يذكر العهد القديم أنهم قالوا لقائدهم موسى وأخيه هارون(عليه السلام) في أحد المواقف **(ليتنا متنا بيد السادة في أرض مصر، إذ كنا**

كلمة (ألف) وهي لفظة مشتركة بين مدلولين : (العائلة) و(١٠٠٠ العدد)، ويرى الآثاري الشهير وليم ويلكوكس، أنه لا بد أن يكون المقصود منها في النص الأصلي هو معنى (العائلة) لأنه كان من الممكن لستمائة عائلة أن تعيش في أرض جاسان، وأن تهاجر منها عبر صحراء سيناء ، في حين لم يكن ممكناً لستمائة ألف رجل هم وزوجاتهم وأولادهم وآباؤهم أن يعيشوا في أرض جاسان أو أن يسافروا عبر صحراء سيناء . أنظر: ويلكوكس، السير وليم، من جنة عدن إلى عبور نهر الأردن، ترجمة: محمد الهاشمي، (بغداد: المعارف، ١٩٥٥)، ص ١٠٨ .

[١] - سفر الخروج/ ١٢: ٣٧ .

[٢] - سفر الخروج/ ١٢: ٣٢، ٣٨ .

[٣] - كاسيدوفسكي، الواقع والأسطورة، ص ٩١ .

[٤] - سفر الخروج/ ٣٢: ٣٥ .

[٥] - كاسيدوفسكي، الواقع والأسطورة، ص ٩١ .

جالسين عند قدور اللحم، نأكل خبزاً حتى الشبع، فأنكما أخرجتمانا إلى هذا القفر، لكي تميتا هذا الجمهور جوعاً)[1].

وكانت نتيجة هذا التذمر أن حصلت كثير من المعجزات الخارقة للطبيعة، التي لم يستطع العلم أن يفسرها، سوى أنها عناية الله وقدرته التي أحاطت بهؤلاء القوم لإثبات نبوة موسى(عليه السلام)، وأنه مرسل من قبل ربٍّ قادر على كل شيء.

ومنها معجزة توفير الطعام لهذه الجماعات بطريقة أثارت دهشتهم، كما جاء في القرآن الكريم (**وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ**)[2].

أما الماء، فلم يفارقهم شبح شحته عند انتقالهم من مكان إلى آخر، كصحراء شور الواقعة في القسم الشمالي من جزيرة سيناء التي كانت طريقهم فيها خالية من المياه، أو منطقة مارَّة ذات المياه المرة المذاق[3].

أما بالنسبة لمنطقة رفيديم فلم يكن فيها بئر، وهنا نجد آيات الله تعالى تتجلى مرة أخرى لهداية هؤلاء القوم، حيث يروي العهد القديم، ذهاب موسى(عليه السلام) إلى جبل حوريب، وأنه أقترب من السفح وضرب بعصاه صخرة صلدة، فانبثق منها ماء جبلي عذب، فاستطاعوا أن يرووا ضمأهم ويسقون بهائمهم[4].

كما ذكر القرآن الكريم هذا الموقف، بقوله تعالى (**وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ**)[5].

وبعد عدة شهور من التنقل المستمر، أختار بني إسرائيل منطقة في الصحراء مقابل جبل سيناء، وكانت هذه المنطقة تصلح للإقامة فيها لفترة طويلة، فهي تحوي

---

(1) – سفر الخروج/ ١٦: ٣ .

(2) – البقرة / الآية ٥٧ .

(3) – سفر الخروج/ ١٥: ٢٣ .

(4) – سفر الخروج / ١٧ .

(5) – البقرة / الآية :(٦٠) .

وفرة من المياه وأشجار النخيل وحطب الوقود، وأشجار تصلح أخشابها مواد لبناء المساكن، وهكذا أخذ الرجال يمارسون الأعمال الحرفية واهتمت النساء بأمور الطبخ والغزل والحياكة أما الأطفال فقد كانوا يمرحون بين الخيام[1].

بقي بني إسرائيل عند جبل سيناء طيلة عام كامل، حدثت خلاله تغيرات اجتماعية كبرى بفضل الجهود التي بذلها موسى(عليه السلام) حيث تحول الإسرائيليون من جماعة فوضوية إلى مجتمع منظم، يقوده هرم من الموظفين على الصعيدين الديني والعسكري. إلا أن ما بلغوه من تحول لم يحملهم على التقدم نحو بلاد كنعان، لأسباب معنوية ومنها الخوف والتردد، ولهذا فقد ضربت عليهم عقوبة التيه، وهذا ما أجمعت عليه الكتب المقدسة، فقد ورد في العهد القديم **(لن يرى أحد من الإسرائيليين ممن هم فوق سن العشرين ارض كنعان، وسوف يتيه شعب موسى أربعين عام في الصحراء، أما الإسرائيليين الذين هم دون سن العشرين، أي أولئك الذين ولدوا ونشأوا في ظروف حياة التنقل وعرفوا قساوتها وشظفها فهؤلاء فقط سوف تكون لهم أرض الكنعانيين)**[2].

وفي القرآن الكريم ﴿**قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ**﴾[3].

بقي بني إسرائيل في التيه، واختاروا منطقة قادش لتكون محل أقامتهم، ريثما يخرجون من متاهتهم، وهو المكان الأنسب، فقد شكل وجود بئرين ومراع واسعة هنا شروطا ملائمة لتربية القطيع، زد على ذلك أن الشعوب المسالمة التي كانت تعيش قريباً من المكان، أقامت مع الإسرائيليين علاقات ودية اقتصادية أساسها المنفعة المتبادلة[4]. غير أنه لم يكن ثمة أتفاق بين أسباط إسرائيل نفسها، وذلك بسبب النزاعات المستمرة على المراعي وآبار المياه[5].

---

(1) – كاسيدوفسكي، الواقع والأسطورة، ص ٩٣ .

(2) – سفر العدد / ١٤ : ٢٨ – ٣٤ ؛ المصدر نفسه، ص ٩٩ .

(3) – المائدة / الآية : ٢٥ .

(4) – كاسيدوفسكي، الواقع والأسطورة، ص ٩٩ .

(5) – وافي، اليهودية واليهود، ص ١١٥ .

أقام الإسرائيليون في قادش حوالي ثمانية وثلاثين عاماً[١]، عاشوا خلالها حياة رعوية سلمية، حيث انتشروا على السفوح وفي المراعي، وعاشوا حياة عزلة تامة عن بعضهم البعض مما أضعف روابط وحدتهم الاجتماعية.

أحوالهم الاقتصادية في فلسطين

تركز استيطان الجماعات اليهودية في بادئ تغلغلها داخل فلسطين في الهضاب والمرتفعات، أو في المناطق الجنوبية البعيدة عن المدن، وهي مناطق هامشية، قد تكون مهجورة من جهة أو غير مأهولة من جهة أخرى، وكانت تعرف هذه المناطق باسم الصحراء الفلسطينية.

وقد استمرت هذه الجماعات في بادئ أمرها على نمط البداوة وأخذت تتنقل وراء أسباب الحياة من مرعى ومياه، وأختلف مكوثها من منطقة إلى أخرى تبعا لمقومات الحياة التي تتوفر في هذه المناطق.

وبقيت هذه الجماعات اليهودية بقبائلها محافظة على نظامها العشيري ردحاً طويلاً من الزمن، حتى تحول أسلوب حياتها الرعوي شيئاً فشيئاً إلى الأسلوب الزراعي[٢] بتأثير الكنعانيين الذين منحتهم طبيعة فلسطين وخصوبة أرضها زراعة راقية كانت المهنة الرئيسة بالنسبة لهم[٣]. وأدى ارتباط المجتمع اليهودي بالزراعة إلى ظهور أسلوب يختلف كل الاختلاف عن تلك الحياة البدوية المضطربة، غير المستقرة، لأن الشكل الجديد من أشكال الاقتصاد قد جلب معه قدراً من الاستقرار، عوضاً عن عدم الانتظام الذي كانت تتصف به حياة البداوة التي لم تحقق أدنى ارتباط بالأرض سوى اعتمادها على التغيير الدوري لمكان الإقامة بعد استهلاك الحقل أو المرعى في وقت معين وبدلاً من هذا الاقتصاد الذي يفتقر إلى أية خطة منظمة، أقتبس اليهود اقتصاداً ينظم الاستهلاك لفترات طويلة، وينطوي على استعدادات لشتى أنواع الاحتمالات.

---

(١) – سفر التثنية / ٢ :١٤ .

(٢) – دياكوف، وكوفاليف، الحضارات، ج١، ص ١٧١ .

(٣) – الدباغ، بلادنا، ج١، ص ٤٦٢ .

تنقسم فلسطين إلى منطقتين متمايزتين بواسطة نهر الأردن الذي يجتاز البلاد من الشمال إلى الجنوب ويصب في البحر الميت وهاتان المنطقتان هما: منطقة غرب الوادي حيث الأراضي الخصبة ووفرة النبات، ومنطقة الضفة الشرقية حيث الأرض الصخرية والجرداء، كما تميزت فلسطين بشمال خصيب، تنتصب فيه جبال لبنان ذات المسالك الحرجية والغابية، وجنوب فقير حيث البحر الميت، والسهول المنبسطة التي تزهر في أثناء فصل الأمطار وتتحول إلى صحراء خلال فصل الصيف[١]. ولقد أدى الاختلاف الواضح بين مناطق فلسطين في طبيعتها ومناخها وتضاريسها إلى التنوع في الأنماط الاقتصادية التي تمتهنها شعوب فلسطين بصورة عامة والشعب اليهودي بصورة خاصة، فبالنسبة إلى تضاريسها فقد ذكرنا أنها تتألف من أربعة أقسام طبيعية، هي السهول الساحلية، والمرتفعات الوسطى، ومنخفض الغور، والصحراء الفلسطينية[٢].

أما مناخها، فهو انتقالي بين المناخ البحر المتوسطي والمناخ الصحراوي القاري[٣]، وبهذا فهي لا تشهد الفصول الأربعة بصورة واضحة، بل تنقسم السنة تقريباً إلى فصلين متباينين، أحدهما صيف لا يعرف الغيث والآخر شتاء مطير[٤].

أما فصلي الربيع والخريف فهما فصلان انتقاليان يتميزان بطقس جاف تصحبه رياح شرقية آتية من الصحراء[٥]. ويبدأ فصل الخريف תקופת תשרי (تقوفت تشري) في (٢٤ أو ٢٥) سبتمبر(أيلول)، بينما يبدأ فصل الشتاء תקופת טבית (تقوفت طبيت) في (٢٤ أو ٢٥) ديسمبر(كانون أول)، ويبدأ فصل الربيع תקופת ניסן (تقوفت نيسان) في (٢٤ أو ٢٥) مارس(آذار)، ويبدأ فصل الصيف תקופת תמוז (تقوفت تموز) في (٢٤ أو ٢٥) يونيه(حزيران)[٦].

---

[١] – دياكوف، وكوفاليف، الحضارات، ج١، ص ١٧١ .

[٢] – أنظر: الفصل الأول، ص ٣٠ وما بعدها من بحثنا .

[٣] – خمار، قسطنطين، موسوعة فلسطين الجغرافية، ط١،(بيروت: منظمة التحرير الفلسطينية، ١٩٦٩)، ص ١٨٥ .

[٤] – علي، فؤاد حسنين، إسرائيل عبر التاريخ، (القاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٧٨)، ج١، ص ٦٧ .

[٥] – خمار، موسوعة فلسطين، ص ١٨٥ .

[٦] – مهران، محمد بيومي، بنو إسرائيل، (الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٩) ج٤، ص ٥٢٦.

إن طبيعة تضاريس فلسطين جعلت كل قسم من أقسامها الطبيعية يتميز بنوع خاص من المناخ، فمناخ إقليم السهول الساحلية معتدل أجمالاً، يكون فيه معدل درجة حرارة الشتاء (١٣ْمْ) ومعدل درجة حرارة الصيف (٢٦ْمْ)، والأمطار في هذا الإقليم تتراوح في القسم الشمالي بين (٤٠ و٦٠) يوماً، وفي الجنوبي ما بين (٣٠ و٤٠) يوما(١).

أما مناخ إقليم المرتفعات فتكون فيه الحرارة أبرد وأجف من سابقه، إذ أن المعدل الشتوي يكون (٥،٨ْ مْ), والصيفي (٢٢ْمْ)، والأمطار على وجه الأجمال أغزر من سابقه(٢).

وإقليم غور الأردن أشد حرارة من سابقيه، وذلك لعدم وصول الرياح الجنوبية الغربية العكسية إليه، وهذه من أهم عوامل تلطيف المناخ سيما في فصل الصيف، ولذا كان صيف هذا الإقليم حارا وشتاؤه باردا(٣).

أما إقليم النقب، فيختلف كلياً عن بقية أجزاء فلسطين، فهو يمتاز بشدة الحرارة في الصيف، والبرودة في الشتاء، والجفاف طيلة أيام السنة لندرة سقوط المطر، إذ أن قسمه الشمالي نصف صحراوي، أما بقية الأجزاء فصحراوية تماماً، وتزداد درجة الحرارة كلما اتجهنا جنوباً(٤).

وعلى هذا الأساس فقد ظهر لدينا قسمين رئيسيين في فلسطين أحدهما جنوبي يتمثل في الصحراء الفلسطينية أو النقب، والآخر شمالي يتمثل في السهول والوديان والمرتفعات.

وقد أفرز هذا التنوع في المناخ والطبيعة نمطين اقتصاديين هما النشاط الرعوي والنشاط الزراعي، انعكسا على تركيبة المجتمع اليهودي، فهو مجتمع زراعي على السهول الزراعية، ورعوي على سفوح الجبال والهضاب وفي بعض الأقاليم الصحراوية كصحراء يهوذا، من أريحا إلى أورشليم إلى المجدل جنوباً، وصحراء

---

(١) – خمار، موسوعة فلسطين، ص ١٨٦ .

(٢) – نفس المصدر، ص ١٨٧ .

(٣) – نفس المصدر، نفس الصفحة .

(٤) – خمار، موسوعة فلسطين، ص ١٨٩ .

النقب من أورشليم إلى بئر سبع[١]، ومن هنا يتضح التعبير التوراتي الذي ورد في العهد القديم **(من دان إلى بئر سبع)**[٢] ويبدو أن المقصود من هذه العبارة، أن دان في سهل الحولة وبئر سبع في صحراء النقب، أي تعني من الشمال إلى الجنوب أو بمعنى آخر من الحضر إلى البدو[٣]، من الفلاحين إلى الرعاة ولذلك أستعمل للشمال أسم سبط دان وللجنوب اسم مدينة بئر سبع.

النشاط الرعوي

تركز النمط الرعوي للمجتمع اليهودي في جنوب فلسطين[٤]، حيث إقليم بئر السبع (الصحراء الفلسطينية) وهي منطقة تتألف من تلال وعرة المسالك تتوسطها سهول كثيرة الحصى والحصباء والرمال الناعمة الناتجة عن عمل الرياح، وفي القسم الجنوبي والجنوبي الغربي منها ترتفع مجموعة من السلاسل الجبلية التي تمثل (٧٩%) من مساحة هذه الصحراء الفلسطينية[٥].

وتغطي الصحراء الفلسطينية تربة رملية مختلطة بالجير، ولا سيما في القسم الشمالي منها[٦]، وعلى الرغم من مواصفاتها هذه، إلا أنها تعد من بين المناطق الملائمة لزراعة الحبوب ولا سيما القمح والشعير[٧]، وتعتمد بصورة رئيسة على مياه الأمطار وذلك لبعد مصادر السقي الأخرى كالأنهار والبحيرات.

وكانت الأغنام والماعز تشكل القطعان الرئيسة لهم في هذه المنطقة أو في غيرها من بين سائر الحيوانات، فهي سهلة الحركة وقابلة للتكيف مع مواسم القحط وتزودهم باللحوم والحليب والصوف والسماد والجلود، ورغم أن الماشية قد تزودهم

---

(١) – راشد، سيد فرج، السامريون واليهود، (الرياض: دار المريخ، ١٩٨٧)، ص ٦٨ .

(٢) – سفر صموئيل الأول/ ٣ : ٢٠ .

(٣) – راشد، السامريون، ص ٦٨ .

(4) -Blunt A. W. F.,op.cit . p.45.

(٥) – النحال، محمد سلامة، فلسطين أرض وتاريخ، ط١،(بيروت، ب مط،١٩٨١)، ص ٥٠ .

(6)- Breasted, James Henry, Ancient Times A history of the Early World,(London, 1935), p. 217.

(٧) – النحال، فلسطين أرض، ص ٦٩ .

بنفس هذه المنتجات، ويستفاد منها أيضا في الحراثة إلا أنها لا تستطيع أن تتكيف لظروف الجفاف والأراضي المتعرجة[١].

ولهذا فقد كانت تربيتها سائدة في المناطق السهلية، كما كانت تربى في عمق جنوب يهوذا، حيث سهوب النقب[٢]، وكان علفها من التبن المتبقي من عملية الحصاد بعد درس المحصول وتذريته وكذلك الشعير[٣].

وقد أزداد اهتمام الشريعة اليهودية بتربية الماشية لارتباطها المباشر بالطقوس الدينية التي يمارسها المجتمع اليهودي مثل تقديم القرابين والأضاحي**(كل بكر ذكر يولد لك في غنمك وبقرك تقدسه هبة للرب إلهك)**[٤].

كما وضعت الشريعة اليهودية شروطاً للذبح، مما دفع الرعاة إلى الاعتناء بتربية الماشية والأغنام تلافياً للأمراض أو العيوب التي ربما تصيب حيواناتهم وتحول دون صلاحيتها للذبيحة أو القربان مما يقلل أخيراً من فائدتها **(لا تذبحوا للرب إلهكم ثوراً أو شاة يكون فيه عيب أو عاهة، لأن ذلك رجس لدى الرب إلهكم)**[٥] بالإضافة إلى نصيب الكهنة التي أقرته وفرضته الشريعة على أصحاب الثروة الحيوانية[٦]، وضمنت لهم حماية أملاكهم من أي اعتداء أو سرقة أو ضرر[٧].

ومن خلال بعض فقرات أسفار العهد القديم نستطيع أن نتعرف على أسلوب عمل الراعي الذي كان يحصل على أجره أما نقداً[٨]، أو يمنح بعض الخراف التي يرعاها كما جرى مع النبي يعقوب(عليه السلام)[٩]، فلم تكن حياة الرعاة ناعمة سهلة، بل على العكس كانت

---

(3)- http: // www. musem. upenn.edu / Canaan / index. html.

(2) - Dubnov ,Simon , History of the Jews from the Beginning to Early Christianity, V.1 ,(London , 1967), p.213 .

(٣) – علي، إسرائيل عبر، ص ١٢٥ .

(٤) – سفر التثنية / ١٥ : ١٩ .

(٥) – سفر التثنية/ ١٧ : ١ .

(٦) – سفر التثنية/ ١٨ : ٣– ٥ .

(٧) – سفر الخروج/ ٢٢ : ٩ – ١٤ .

(٨) – سفر زكريا/ ١١: ١٣ .

(٩) – سفر التكوين/ ٣٠ : ٧٨ .

(١٠) – سفر التكوين/ ٣١ : ٤٠ .

ويبدو هذا واضحا من خلال عمل الراعي الشاق الذي يشمل جمع الماشية ومعالجة المريض منها، والعناية بالضعيفة، بحملها واستخراج الماء من النبع لسقايتها، وحمايتها من الحيوانات المفترسة، كما دلت فقرات العهد القديم(١). وفي نهاية النهار، حيث يقبل المساء تساق الحيوانات إلى حضائر مسورة بحيطان من الحجر(٢)، وعند المبيت يحصي الراعي ماشيته من خلال عدها بعصاه التي تمر الضان تحتها(٣)، وكانت البيوت في تلك الفترة تحتوي على فسحة لإيواء الحيوانات إلا أن القطعان الكبيرة كانت تؤوى في القرى أو حولها، وكانت هذه القطعان تسير مسافات طويلة للوصول إلى الماء والمراعي الغنية(٤).

أما ملكية الأنعام في هذه الفترة فلم تكن ملكية جماعية واسعة النطاق، أي تملكها القبيلة كلها، ولا ملكية فردية خاصة أي يملكها الأفراد، وإنما وسطاً بين المنزلتين، حيث كانت ملكية أسرية، أي أن كل أسرة لها ملكيتها من الأنعام(٥).

وبالنسبة لأراضي المراعي وآبار المياه فيظهر أن ملكيتها كانت جماعية واسعة النطاق، إذ أن كل قبيلة كان لها من هذه الأراضي وهذه الآبار قسم معلوم تنتفع به عشائرها وأُسَرِها في تربية أنعامها بصورة مشاعة للجميع(٦).

ولم تكن الفروق المادية كبيرة في هذه الفترة بين القبائل أو بين الأسرات أو بين الأفراد، ولم يكن للثروة حينئذ سلطانها ولا تأثيرها السلبي، فجميع الناس كانوا سواسية تقريباً في مآكلهم ومشاربهم وملابسهم وسائر شؤونهم، وكان هذا بدوره يقلل الفروق بين أفراد المجتمع بصورة عامة.

---

(١) – سفر التكوين/ ٢٤: ١٠ ، ٢٩: ٢؛ سفر صموئيل الأول/ ١٧: ٣٠ ؛ سفر ارميا/ ٤٩ : ١٩ .

(٢) – سفر العدد/ ٣٢ : ١٩؛ سفر صموئيل الأول/ ٢٤: ٤ .

(٣) – سفر اللاويين/ ٢٧ : ٣٢ ؛ سفر أرميا/ ٣٣ : ١٣ .

(10) - http: // www. musem. upenn.edu / Canaan / index. html.

(٥) – وافي، اليهودية واليهود، ص ١١٤ .

(٦) – وافي، اليهودية واليهود، ص ١١٤ .

النشاط الزراعي

أثارت الزراعة في فلسطين اهتمام أكثر الشعوب المحيطة بها ولا سيما المصريين، فبالرغم من أن الزراعة في مصر الفرعونية قد قطعت أشواطاً من الرقي والتطور، إلا أن مثيلتها في فلسطين القديمة قد أثارت اشتهاء الفراعنة فقالوا في وصف خيرات أهلها الزراعية في حدود القرن الخامس عشر قبل الميلاد **(كانت بساتينهم ملأى بفواكههم، ووجدنا أنبذتهم في دنانها، كالماء في كثرتها، وكانت حبوبهم في الأجران بعد درسها أكثر من رمال الشاطئ)**[1].

وتعطي التوراة عين الصورة تقريباً، إذ تصف الأرض وخصوبتها **(لأن الرب إلهك هو الذي يدخلك أرضاً صالحة، لها أنهار وينابيع وعيون تتفجر في البقاع والجبال، أرض حنطة وشعير وكرم وتين ورمان، أرض زيت وعسل، أرضاً لا تفتقر فيها إلى خبز تأكله ولا تتحسر فيها على شيء، أرضاً من حجارتها الحديد، ومن جبالها تطلب النحاس)**[2].

اندمج المجتمع اليهودي مع مجتمع الكنعانيين سكان فلسطين المحليين، ويُفسَّر هذا الاندماج بكون اليهود تحولوا من تشكيلهم طبقة اجتماعية متميزة إلى جماعة غير متميزة، جماعة متلقية من الطراز الأول لكي يصبحوا مزارعين.

ويبدو من خلال تأثر اليهود بعادات وتقاليد وأفكار الكنعانيين الخاصة بالزراعة والخصب والإنبات أنهم لم يمارسوا الزراعة قبل دخولهم فلسطين إلا على نطاق ضيق جداً، ولو كانوا قد مارسوها قبل محطتهم في فلسطين بصورة فعلية ومنظمة، لكانت لهم ثقافتهم وتقاليدهم الخاصة بهذا المضمار كما للشعوب الكنعانية المستقرة التي ولجت أبواب الحضارة قبلهم، وكذلك الشعوب الأخرى في العراق القديم ومصر الفرعونية.

في البدء قامت الجماعات اليهودية باستغلال الأراضي المهجورة الخالية من السكان، والتي لم يتم حراثتها لفترات طويلة[3]، ثم سرعان ما توسعت وأخذت تتواجد

---

[1] – الدباغ، بلادنا، ج١، ص ٤٦٢ .

[2] – سفر التثنية / ٨ : ٧- ١٠ .

[3] – Dubnov ,Simon ,op . cit . p. 214.

في الأراضي المرتفعة، لأن الجماعات الزراعية تفضل مثل هكذا أراضي، حيث التربة خفيفة نسبيا ويمكن فلاحتها بسهولة[١].

ولهذا فقد كان الموطن الرئيس للقبائل اليهودية في فلسطين هو المناطق الهضابية، ولم تأخذ هذه القبائل بالامتداد نحو المناطق السهلية والوديان الخصيبة ومناطق شرقي الأردن إلا عقب تشكيل المملكة الموحدة[٢].

حيث تركز النشاط الزراعي للمجتمع اليهودي بعد ذلك في السهول الساحلية والوديان الشمالية التي تعد من الأراضي المنتجة والغنية، والتي تعتمد على موسم أمطار الشتاء[٣]. وقد تم زراعة الحنطة والشعير بكثرة في هذه السهول والوديان، كما كانت جوانب التلال مغطاة بالحقول وبساتين الفاكهة وبساتين الزيتون[٤]، التي كانت تمثل المحاصيل الرئيسة التي تعلَّم اليهود زراعتها والاهتمام بها من الكنعانيين[٥].

أما آلات العمل الزراعي التي كان يستخدمها الفلاح اليهودي فقد ورد ذكر عنها في مواقع متفرقة من العهد القديم، وجلها مقتبس من الكنعانيين[٦]، ومنها الفَدَان لحراثة الأرض[٧]، والمنجل الذي يستخدم للحصاد، الذي يحمل عادة إلى تل مرتفع ويدرس بالنورج[٨] وكان عبارة عن قطعة من الخشب مثبتة على أحجار مدببة يجرها الثيران، وأحيانا كان يؤتى بالثيران أو الحمير وتترك على الحصاد فتهرسه وتدوسه[٩].

---

[١] – هودجز، التقنية، ص ٥٩ .

[٢] – السواح، آرام دمشق، ص ١٠٨ .

[3] – Breasted, James Henry, op. cit . p. 217.

[4] – Dubnov ,Simon ,op . cit . p. 214.

[٥] – الدباغ، بلادنا، ج١، ص ٤٦٢ – ٤٦٣ .

[٦] – الأحمد، تاريخ فلسطين، ص ٢٦١ .

[٧] – سفر أشعيا / ٢٨ : ٢٤ .

[٨] – سفر أشعيا / ٢٨ : ٢٧ ، ٤١ : ١٥ .

[٩] – علي، إسرائيل عبر، ص ١٢٥ .

وهناك نوع آخر من وسائل الدراس وهو العربة وتسمى العجلة[١]، وإذا كانت الكمية صغيرة فيكتفي لدرسها بدقها بالعصا[٢]، ثم تذرى الحبوب بالمذرى[٣] وتحفظ بعد ذلك في حفر تعرف باسم מטמונים (مطمونيم) وكانت تحفر عادة في الحقل[٤].

العمل، ملكيته وتقسيمه وأحكامه

كان أفراد كل سبط يؤلفون لدى اليهود قبيلة متحدة متبادلة العون على الدوام، كما عند جميع الشعوب القائلة بالنظام الرعوي[٥].

وكان العمل الزراعي يتم بالمشاركة والتعاون بين أفراد الأسر بعد أن يتم تقسيم العمل بين أعضائها، حيث كانت مهمة النساء جلب المياه من الآبار للاستخدامات العائلية وللأمور المعيشية الأخرى[٦].

أما العوائل الغنية فكان لديها عبيد من الذكور يجلبون الماء لعمال الزراعة وهؤلاء وغيرهم من العمال يبدؤون العمل من شروق الشمس صباحا وحتى المساء[٧].

وقد اقترنت نوعية الأيدي العاملة وما يتبعها من تقسيم للعمل بطبيعة ملكية الأرض، ففي بداية الاستقرار عندما كانت ملكية الأرض جماعية، كانت القبيلة هي التي تملك الأرض وتقسمها بين أسراتها، كما تقسم الأعمال بين أفرادها، ولكنها عندما استحالت إلى ملكيات أسرية، فأن الأسرة وحدها هي المسؤول المباشر عن العمل وتقسيمه بين أفرادها[٨].

---

(١) – سفر عاموس / ١: ٣ .

(٢) – سفر القضاة / ٦ : ١١ .

(٣) – سفر اشعيا / ٣٠ : ٢٤ ؛ سفر أرميا / ١٥ :٧ .

(٤) – سفر أرميا / ٤١ : ٨ .

(٥) – لوبون، غوستاف، اليهود في تاريخ الحضارات الأولى، ترجمة: عادل زعيتر، (مصر، ب مط، ١٩٧٠) ص ٤٨ .

(6) – Jack . M . Sasson , op . cit . p. 644.

(7) – Ibid . p. 644.

(٨) – وافي، اليهودية واليهود، ص ١٢٠ .

وقد تم سن القوانين الخاصة بالأراضي والتي ترعى وتصون ملكيات الآخرين وتحفظ أراضي الأسر[١]. ومن هذه القوانين ما يفرض عقوبات قاسية[٢] على الغاصب والمعتدي على الملكية الزراعية والعقارية وعلى حدود الأرض، ومن جملة هذه العقوبات هو حكم التعويض عن العطل والضرر الذي يلحق بالأراضي المزروعة والبساتين[٣].

وتهدف أحكام الشريعة اليهودية فيما يخص الزراعة إلى تشجيع العمل الزراعي الذي تعتبره توجيه من الله تعالى، ولهذا نجد أسفار العهد القديم في غير موقع تحث اليهود على استغلال الأراضي، وتحبب لهم العمل فيها من خلال مغريات كثيرة، منها أنها قررت أن يعفى من الخدمة العسكرية كل من زرع كرماً حتى يؤتي الكرم ثماره، أي مدة خمس سنوات وهي المدة التي تتطلبها عادة زراعة الكروم حتى يتحقق أول نتاج لها[٤].

غير أن الشريعة اليهودية قيدت المالك في استغلال أرضه بعدة قيود، كما فرضت عليه عدة واجبات، فمن ذلك أنه كان يجب عليه أن يرفق بعامل الأرض وأن يدفع له أجره قبل أن تغرب الشمس من كل يوم يعمل فيه[٥]. وأن يريحه ويريح دوابه نفسها من العمل في اليوم السابع من كل أسبوع[٦].

وكذلك فرضت عليه أن يريح الأرض نفسها، أي يتركها بوراً سنة كاملة كل ست سنين (**ازرع أرضك واجمع غلتها ست سنين، وفي السابعة أتركها بوراً، فيأكل منها بؤساء شعبك، وما فضل عنهم يأكله وحش البرية، وكذلك تفعل بكرمك وزيتونك**)[٧]، وهذه الطريقة في الزراعة مقتبسة من الكنعانيين، الذين اعتادوا أسلوب التناوب في زراعة الأرض وإراحتها سنة في كل بضع

---

(1)-Blunt, A. W. F., op. cit . p . 45.

(٢) – أنظر : الفصل الرابع، المبحث الأول، ص ٢٠٥ وما بعدها .

(٣) – المصدر نفسه، ص ٢١١ .

(٤) – وافي، اليهودية واليهود، ص ١٢١ .

(٥) – سفر التثنية/ ٢٤ : ١٤ ، ١٥ ؛ سفر اللاويين / ١٩ : ١٣ .

(٦) – سفر الخروج / ٢٠ : ٨ – ١١ .

(٧) – سفر الخروج / ٢٣ : ١٠ ، ١١ ؛ سفر اللاويين / ٢٥ : ٤ – ٧ .

سنوات[١]. ويبدو أن هذا التشريع كان مثالياً ومنسجماً مع خصائص الأرض الفلسطينية وطبيعة الزراعة فيها.

وفرضت عليه أيضاً أن يقدم للاويين زكاة أرضه وهي العشر من كل ما تخرجه الأرض من غلة أياً كان نوعها **(عشر محاصيل الأرض كلها من الحب، ومن ثمر الشجر يكون للرب)**[٢]، كما كان يجب عليه أن يقدم لهم ثمار سنة كاملة كل أربع سنين من نتاج بساتينه من الفواكه **(وفي السنة الرابعة يكون جميع ثمره قرباناً مقدساً لتمجيد الرب)**[٣].

كذلك فرضت الشريعة عدة قيود على انتقال الأرض عن طريق البيع، ربما يتحرر منها المالك مؤقتاً، بعدها تنتهي ملكيته عند حلول سنة اليوبيل[٤] التي تتكرر كل خمسين عاماً توجب الشريعة اليهودية أن تعود جميع الأراضي إلى ملاكها الأولين[٥] **(والأرض لا تباع بيعاً دائماً، فالأرض لي وأنتم غرباء مقيمون عندي، بل في كل أرض تملكونها تعطون للمالك الأصيل حق فكاكها)**[٦].

ويفسر أدولف لودز A. Lods [٧] أن سبب تشريع سنة اليوبيل حسب العقيدة اليهودية هو(لكي ترجع شؤون الملكية الزراعية إلى الأوضاع التي شرعها

---

(١) – الدباغ، بلادنا، ج١، ص ٤٦٨ .

(٢) – سفر اللاويين / ٢٧ : ٣٠ .

(٣) – سفر اللاويين / ١٩ : ٢٤ .

(٤) – اليوبيل: يطلق هذا المصطلح على السنة الخمسينية أو على السنة التي تحل كل تسع وأربعون سنة أي نصف قرن، ويوجد في الأدبيات اليهودية عدد من اليوبيلات منها: اليوبيل الماسي (יובל היהלום) يوبيل هياهلوم، وهو احتفال بمضي ستين سنة على حدث هام، كالزواج مثلاً، واليوبيل الذهبي (יובל הזהב) يوبيل هازاهاف، وهو احتفال بمضي خمسين سنة على حدث هام، واليوبيل الفضي (יובל הכסף) يوبيل هَكيسف، وهو احتفال بمرور خمس وعشرين سنة على حدث هام. أنظر: שגיב , שם, כרך שני, עמ 672.

(٥) – سفر اللاويين / ٢٥: ١٣ ، ٢٧: ٢٤ .

(٦) – سفر اللاويين / ٢٥ : ٢٣ – ٢٥ .

(٧) – أدولف لودز A Lods : مؤرخ فرنسي، من أشهر المؤرخين الذين كتبوا في تاريخ بني إسرائيل القديم (الباحث) .

الله عندما قسم الأرض على قبائل بني إسرائيل عقب احتلالهم لبلاد كنعان)!![١]، ولهذا انطلقت الدعوة إلى إعادة التوزيع الشرعي لملكية الأرض[٢].

ولكن يظهر من شواهد كثيرة أن هذا القانون لم يراع تطبيقه مراعاة كاملة في العهود الأولى وأنه قد أغفل تطبيقه كل الإغفال في العهود الأخيرة وانه في جملته كان مجرد أمنية تتردد في نفوس اليهود ومشرعيهم أن تظل ملكية الأراضي محافظة في صورة ما على أوضاعها الأولى[٣].

ولهذا كان من بين المجتمع اليهودي من يتوق إلى الحياة البدوية ويرفض الحياة الجديدة القائمة على الزراعة وأحكامها[٤]، ويبلغ هذا الشعور أقصى درجاته في الجنوب الأقل خصوبة، حيث نجد اليهود أكثر تلامساً واتصالا بحياة الصحراء القديمة ولهذا السبب لم يتخلى الكثير منهم عن خيمته وحريته القديمة في الصحراء[٥].

وفي الوقت نفسه نجد القبائل البدوية على استعداد للاستقرار متى سنحت لها الفرصة، وعندما لا تأتي الأرض بمحصول لمدة بضع سنوات فأنهم يهجرون أراضيهم وقراهم ويسوقون أمامهم قطعانهم إلى البادية، وقد اتخذت هذه المواقف عند اليهود كما جاء في العهد القديم، أنه في تلك الأيام العصيبة التي تلت موت سليمان قوبلت الإجراءات التعسفية من السلطة المركزية أكثر من مرة بصيحة **(إلى خيامكم يا شعب إسرائيل)**[٦]، فإذا ما وجد الملك نفسه مهدداً بفقد ما يجنيه يجنيه من فائدة بعد مهاجرة عدد كبير من دافعي الضرائب، فأنه يعود إلى الاتفاق معهم[٧].

---

[١] – وافي، اليهودية واليهود، ص ١٢٣ .

(2) – Dubnov ,Simon , op . cit . p. 215.

(3) – Ibid . p. 215.

(4) - Ibid . p. 213- 214.

(5) – Breasted, James Henry, op. cit . p. 222 .

[٦] – سفر الملوك الأول/ ١٢: ١٦ .

[٧] – لنتون، شجرة الحضارة، ج٢، ص ١٨٩ .

وهكذا نلاحظ هنا طريقتين مختلفتين لحياة اليهود، وهي في الشمال الخصيب لفلسطين حيث وجدنا حياة الاستيطان في المدينة وحقولها، وفي الجنوب من جهة أخرى نرى حياة التجوال للبدو لازالت مستمرة، وقد شكل هذا الاختلاف لقرون عديدة سبباً مهما في حدوث نزاع بين اليهود أنفسهم[١].

وقد انعكس تفاوت الأنشطة الاقتصادية على طبيعة الحياة اليومية للمجتمع اليهودي وأنتج مجتمعين متباينين أحدهما جنوبي رعوي والآخر شمالي زراعي ولا سيما بعد الانقسام السياسي الذي تعرضت له المملكة الموحدة لليهود.

فمن ناحية الممارسات الدينية من طقوس وعبادات فقد كانت عند المجتمع الرعوي في الجنوب تبدأ في الصباح الباكر، بينما تبدأ في الشمال حيث المجتمع الزراعي ليلاً بعد العودة من الحقول[٢].

كما أن طبيعة العمل للمجتمعين ألقت بضلالها على نوعية الأعياد التي كانا يحتفلان بها، إذ كان من أهم أعياد المجتمع الرعوي هو عيد الربيع لأنه عيد نتاج الغنم (عيد الجز الذي يبيعون فيه الصوف) بينما كانت أعياد المطر والحصاد هي من أهم أعياد المجتمع الزراعي، وربما تداخلت هذه الأعياد نظراً لوجود دين واحد يجمع هذين المجتمعين[٣].

وأمتد الاختلاف بين المجتمعين إلى طريقة الاحتفالات الدينية، ففي المجتمع الرعوي الذي كان أكثر ميولاً إلى المرح، لان حياته نفسها ليست مرحة[٤] نجد استعمال الآلات الموسيقية، أي آلات النقر (الدف)[٥]، وغيرها من من آلات الطرب والموسيقى. أما الاحتفال الديني في المجتمع الزراعي فكان

---

(1) – Breasted, James Henry, op. cit . p. 222.

(٢) – راشد، السامريون، ص ٦٧ .

(٣) – المصدر نفسه ، ص ٦٨ .

(٤) – راشد، السامريون، ص ٦٩ .

(٥) – سفر القضاة /١١ : ٣٤ ؛ سفر صموئيل الأول / ١٨ : ٦ ؛ سفر المزامير / ٦٨ : ٢٦ .

فخماً ومؤثراً لأن المرح كان ظاهرة يومية في هذا المجتمع، ولهذا نجده أكثر ميولاً إلى الاعتماد على الخطباء والمنشدين والشعراء[١].

---

[١] – راشد، السامريون، ص ٦٩ .

المبحث الثالث: نشأة نظام الحكم وإدارة المجتمع (١١٥٠- ١٠٢٠ ق. م.)

أولاً: نبذة تاريخية عن جذور الحكم عند اليهود

كان النظام السياسي عند اليهود في نشأته الأولى يقوم على القبيلة كما هو الحال بالنسبة لأنظمة الحكم في الشعوب السامية الأخرى في مراحل نشوءها، وقبل استقرارها في مناطقها[١].

وفي هذا النوع من أنظمة الحكم ينتمي أفراد القبيلة أو يعتقدون أنهم ينتمون إلى أصل واحد مشترك تجمعهم وحدة الجماعة وتربطهم رابطة العصبية للأهل والعشيرة[٢]، ورابطة العصبية هي شعور بالتماسك والتضامن والاندماج بين من تربطهم رابطة الدم[٣] وهي بذلك مصدرا للقوة السياسية والدفاعية التي تربط بين أفراد القبيلة، وكان هؤلاء البدو لا يخضعون لنظام غير نظام القبيلة، ولا يعرفون حكومة أو مملكة في غير الأسرة والعشيرة[٤].

ولذلك نجدهم لا يعرفون القانون، ولكن وجود عادة الأخذ بالثأر هي التي تعوض نوعا ما وظيفة القانون وتعد الرادع الوحيد الذي يمنع أفراد القبيلة من الاعتداء على قبيلة أخرى لتحقيق بعض أطماعها بوسائل النهب والسلب اللذين يدفعان إلى القتل في أكثر الأحيان[٥].

وقد تميزت قبائل بني إسرائيل منذ نشأتها الأولى بقياداتها الدينية، وهذا ما نلحظه من خلال العهد القديم الذي يروي في سفر التكوين عن تجوال النبي يعقوب(عليه السلام) وعائلته في بلاد كنعان ثم انتقاله بهم إلى مصر بسبب الكارثة الاقتصادية التي تعرضت لها البلاد في تلك الفترة، بعد أن مهَّد لذلك الانتقال ابنه

---

(١)- برستد، جيمس هنري، انتصار الحضارة تاريخ الشرق القديم، ترجمة: الدكتور احمد فخري، (القاهرة: مكتبة الانجلو مصرية، ١٩٥٥)، ص ١٥٢ .

(٢)- لنتون، شجرة الحضارة، ج٢، ص ١٩٢ .

(3) – Saggs , H .W . F,. The Encounter with the Divine in Mesopotamia and Israel, (London , 1978) , p . 93 .

(٤)- الفاخوري، تاريخ الأدب، ص ١٥ .

(٥) – برستد، انتصار الحضارة، ص ١٥٤ .

النبي يوسف(عليه السلام)[١]. وكان عددهم عند دخولهم مصر سبعين شخصا[٢]، وقد أستمر هذا الأسلوب في الزعامة من خلال الشخصيات الدينية التي تمثلت بالأنبياء (عليهم السلام)، فبعد وفاة النبي يعقوب(عليه السلام) خلفه النبي يوسف(عليه السلام) في قيادة بني إسرائيل والذي تركها بعد وفاته إلى بقية أخوته الأسباط، وعددهم أحدى عشر سبطاً كلاً عن أهله، وقد ماتوا جميعهم في مصر[٣].

بقي بنو إسرائيل، في ظل العزلة التي منحتهم خصوصية كانوا يتمتعون بها في مصر مصدرها اللغة[٤] التي كانوا يتحدثونها وهي على الأغلب اللغة الآرامية[٥]، الآرامية[٥]، وكذلك عقيدتهم الدينية التوحيدية، فضلاً عن الأرض التي أقاموا فيها وهي أرض جاسان أو ما تسمى بأرض رعمسيس[٦]، مجرد أُسر أو عشائر متناثرة لا لا تمتلك أي شكل من أشكال أنظمة الحكم، لأنها كانت تحت النفوذ الفرعوني، باستثناء السلطة الأبوية التي كان يمارسها الآباء على أُسرهم، ولهذا بعد أن ساءت العلاقة بين الأقلية الإسرائيلية والحكومة الفرعونية عانى المجتمع الإسرائيلي من نير التسلط الفرعوني والاضطهاد الذي لم تستطع معه هذه الأسر أن تشكل اعتراضا أو ضغطا على الرأي العام في مصر الفرعونية للتخفيف من شدة المعاناة التي يعانيها المجتمع الإسرائيلي، ومع الزمن تعرضت عقيدتهم التوحيدية إلى الانحراف بسبب تأثرهم بالمعتقدات الفرعونية القديمة[٧]، وكذلك تأثرت لغتهم وثقافتهم بالثقافة واللغة الفرعونية، وأزداد تعرضهم إلى شتى مظاهر الاضطهاد، حتى ظهور شخصية[٨]

---

[١] – سفر التكوين / ٤٦ : ٢٨ .

[٢]– سفر التكوين/ ٤٦: ٢٧ .

[٣]– سفر الخروج/ ١: ٦ .

[٤] – أنظر الفصل الرابع، المبحث الأول، لغة الكلام ، ص ٢١٢ وما بعدها .

[٥]– باقر، مقدمة، ج٢، ص ٢٧١ .

[٦]– سفر التكوين/ ٤٦: ٣٤، ٤٧: ١٢ .

[٧]– تذكر الأساطير المصرية القديمة أن المصريين كانوا يعبدون أوزوريس وازيس وحورس آلهة الخير، بينما اليهود كانوا من عبدة (ست) إلة الشر أو كما يسميه اليونانيين تيفون . أنظر: الخشاب، عبد المحسن، تاريخ اليهود القديم في مصر، ط١،(الإسكندرية: مكتبة مدبولي، ١٩٨٩)، ص١٤ وما بعدها .

[٨]– أرتبط نجاح الثورة الدينية والسياسية بشخصية النبي موسى(عليه السلام) الذي استطاع قيادتها ضد الفرعون المصري رعمسيس الثاني (١٢٩٠- ١٢٢٤ق.م.) طبقاً لما تؤكده أغلب المصادر التاريخية. أنظر: دويكات،

النبـي موسـى(عليه السلام) الـذي حـاول الابتعـاد بهـم وعـزلهم عمـا يفعلـه المصـريون ومـا يعتقـدون، تخلصـاً ممـا كـان عليـه بنـو إسـرائيل قبـل رسـالته مـن مشـاركة المصـريين عقائدهم وتقاليدهم[١].

ونلاحظ فـي عهد زعامـة النبـي موسـى(عليه السلام) التـي بدأت حوالي عـام (١٢٩٠ ق.م.) وهـو بدايـة تـاريخ الخـروج مـن مصـر علـى رأي أكثـر المـؤرخين، أن قيـادة المجتمـع الإسـرائيلي وإدارتـه قد ارتبطـت بشخصـيته ارتباطـا مباشـراً، إذ أسـتطاع أن يضـع اللبنـات الأولـى لنشوء هيكلية نظـام الحكم فـي بنـي إسـرائيل، وأسـتحدث منصـب جديد إلـى جانبـه، هـو منصـب الـوزير الـذي تمثـل بأخيـه هـارون بـدليل الآيـة القرآنيـة الكريمـة ﴿**وَاجْعَلْ لِي وَزِيراً مِنْ أَهْلِي*هَارُونَ أَخِي* اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي* وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي**﴾[٢].

ويبدوا أن المجتمع الإسرائيلي لم يعتاد علـى الخضوع لهكذا نظام وهذا مـا أتضـح من خـلال آيـات القـرآن الكـريم التـي تـروي جانـب مـن قصـة النبـي موسـى(عليه السلام) مـع بنـي إسرائيل عندما ذهب ليتلقى العهد (التوراة) من الله عز وجل، ولما رجع وجد قومـه لم يمتثلوا لقيادة هارون من بعده، كما قال الله تعالى على لسان هارون(عليه السلام) ﴿**وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمْ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي* قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى**﴾[٣] ثم نـلاحظ أيضـا نـوع السلطة المتبعـة من قبـل النبـي موسى(عليه السلام) التي تبدو أكثر حزماً في مواجهة مثل هكذا مواقف ﴿**قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا* أَلاَّ تَتَّبِعَنِي أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي* قَالَ يَبْنَؤُمَّ لا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي**﴾[٤].

نضال عباس جبر، قصة موسى عليه السلام مع فرعون بين القرآن والتوراة دراسة مقارنة، (رسالة ماجستير منشورة، جامعة النجاح الوطنية في نابلس/ فلسطين، كلية الدراسات العليا، ٢٠٠٦)، ص ١٨ وما بعدها .

[١]- الخشاب، تاريخ اليهود، ص ١٥ .

[٢] – طه، الآية ٢٨ – ٣٢ .

[٣] – طه، الآية ٨٩–٩١ .

[٤]- طه، الآية ٩٢– ٩٤ .

وتروي لنا التوراة عن مرحلة من مراحل نشوء نظام الحكم في بني إسرائيل أنتقل نظام الحكم من خلالها إلى آلية أخرى، وذلك بقيام النبي موسى(عليه السلام) بتعيين قضاة يتم انتخابهم من قبل مجتمع بني إسرائيل، كما ذكر العهد القديم على لسان النبي موسى(عليه السلام) **(كيف أتحمل وحدي أثقالكم وأعبائكم وخصوماتكم، هاتوا من أسباطكم رجالاً حكماء عقلاء معروفين، فأصيرهم رؤساء عليكم)**[١]، وهنا نلمس بوضوح أن النبي موسى(عليه السلام) يوجه رعاياه من بني إسرائيل إلى عملية الانتخاب ويشترط في من يتصدى لهذا المنصب أن يكون معروفاً ويتصف بالحكمة والعقلانية، وبهذا فقد أوجد موسى(عليه السلام) نظاماً تشريعياً في المجتمع الإسرائيلي القديم، استجاب فيه لرأي يثرو كاهن مدين[٢]، إذ نقرأ في العهد القديم: **(جلس موسى في اليوم الثاني ليقضي للشعب، فوقف الشعب أمامه من الصباح إلى المساء، فلما رأى يثرون كل ما كان على موسى أن يفعله للشعب قال له: ما هذا ؟ وما بالك جالساً وحدك لتقضي لجميع الشعب وهم واقفون أمامك من الصباح إلى المساء ؟ فأجابه موسى: يجيء أليّ الشعب ليعلموا إرادة الله، وإذا كانت لهم دعوى يجيئون فأقضي بين الفريقين وأُعرّفهم فرائض الله وشرائعه، فقال يثرون لموسى: لا خير فيما تعمل، فأنت تتعب نفسك وتتعب هذا الشعب معك، لان الحمل أثقل من أن تحمله وحدك، والآن اسمع نصيحتي فيكون الله معك: كن أنت وسيطاً للشعب عند الله ترفع إليه دعاويهم، وتعلن لهم الفرائض والشرائع، وتعرّفهم الطريق الذي يسلكونه والنهج الذي ينهجونه، وأختر من الشعب كله رجالا أكفاء يخافون الله وأمناء يكرهون الرشوة، وولهم على الشعب رؤساء ألوف ومئات وخماسين وعشرات، يقضون للشعب في كل وقت ويرفعون إليك كل أمر خطير ويحكمون هم في كل أمر**

---

[١] – سفر التثنية/ ١: ١٢– ١٣ .

[٢] – يثرو: تتفق الأدبيات اليهودية على أن يثرو هو كاهن مدياني وحمو النبي موسى الذي تزوج بابنته صفورة، ويدعى كذلك رعوئيل، وتقول بأنه زود موسى بالنصائح على الصعيد القضائي، كما ورد ذلك في سفر الخروج، وقد استوطن في آخر أيامه في أرض يهوذا . أنظر: عبودي، معجم الحضارات، ص٩٠٧ . وتقول المصادر الإسلامية أن يثرو هو النبي شعيب(عليه السلام)، وقد أشار القرآن الكريم إلى موقفه مع النبي موسى(عليه السلام) في سورة القصص، الآية ٢٢–٢٨ (الباحث) .

صغير، فيحملون الحمل معك ويخففون عنك، فإن أنت عملت هكذا وأمرك الله به، أمكنك الاحتمال، وجميع هذا الشعب ينصرفون إلى بيوتهم بسلام)[١].

وهنا يعيّن النبي موسى(عليه السلام) مشايخ من الأسباط اتصفت بالحكمة، ليكونوا رؤساء على بني إسرائيل وألزمهم بتعليمات أشبه بدستور لا يحيدون عنها ومنها:

١. الاستماع إلى دعاوى قومكم والنازلين[٢] بينكم.
٢. الحكم بالعدل بين المتنازعين.
٣. لا تحابوا أحدا في أحكامكم.
٤. استمعوا للصغير سماعكم للكبير.
٥. لا تجوروا على أحد لان الحكم لله.
٦. إذا صعب عليكم أمرا فارفعوه إليّ حتى أنظر فيه[٣].

وهكذا أصبح في المجتمع الإسرائيلي القديم نوعين من التقاضي، وهما النظام الكهنوتي والنظام القبلي، واستنادا إلى ما تقدم من العهد القديم فأن الكاهن أو النبي إذا ما عرضت عليه مشكلة من المشاكل أستشار الله فيوحى إليه، بالإضافة إلى وظيفته الرئيسة، وهي إرشاد المجتمع إلى إتّباع التعاليم الدينية والأحكام الشرعية، أما القضايا الصغيرة فكان يكتفي المتخاصمان بعرضها على شيوخ الأسرة أو القبيلة الذين يباشرون النظر في مثل هذه الدعاوى[٤].

ويبدو من خلال الآيات المتقدمة من سفر الخروج أن هناك نوعاً من التنظيم القضائي والإداري قد فُرض على المجتمع الإسرائيلي وهذا التنظيم ينص على أن لكل (ألف أو خمسين أو سبعين رجلا) يجب أن يُعين شيخ وهو الرئيس، وقد تشكل من مجموع هؤلاء الشيوخ (مجلس الشيوخ) الذي تولى قيادة الجماعة الإسرائيلية

---

[١]- سفر الخروج/ ١٨: ١٣ – ٢٦ (وإن كانت هذه الأسفار تختصر الزمن وتتجاوزه، إلا أنها تعبر عن بداية مراحل نشوء الحكم عند اليهود) . (الباحث) .

[٢] – ويعني بهم الأجانب، وهذا يؤيد صحة الرأي القائل بأن من بين الجموع التي خرجت مع بني إسرائيل من مصر جماعة من الأجانب ومصريين أيضا. (الباحث) .

[٣] – سفر التثنية/ ١: ١٧– ١٨ .

[٤] – علي، إسرائيل عبر، ج١، ص ١٩٠ .

عندما نزحت إلى فلسطين، وكان القوم ينظرون إلى أعضاء هذا المجلس على أن يهوه هو الذي اختارهم قضاة وحكاماً لإسرائيل لذلك حرص المجتمع الإسرائيلي على تنفيذ أحكامهم وأوامرهم وكل من يخالف هذه الأحكام يُطرد من المجتمع[١].

أما إقامة الدعوى فكانت بسيطة جدا في المجتمع الإسرائيلي فعند مدخل المدينة حيث يجتمع القوم، يجلس القضاة، الذين ينظرون في قضايا المجتمع المختلفة، وقد ورد في سفر التثنية أحكاما متنوعة في الأحوال الشخصية، والأساليب التي كان القضاة يتعاملون بها والتي دلت على شخصيتهم الحازمة[٢].

وبعد ذلك يتبين لنا من خلال أسفار العهد القديم أن هيكلية النظام القبلي وأعرافه بدأت تتغير شيئاً فشيئا متأثرة بالفكر الديني التوحيدي الذي غيّر أكثر مظاهر الحياة القبلية عند بني إسرائيل وأخذ يلج إلى جميع العادات والتقاليد وصيرها ذات صبغة دينية.

استمر الزعماء الدينيين في إدارة المجتمع من خلال سلطتهم الدينية، ومنهم يوشع بن نون خليفة النبي موسى(عليه السلام) الذي قاد القبائل الإسرائيلية بعد موت الأخير وبعد الجيل الذي تعرض للتيه والضياع ودامت هذه الفترة على أكثر التقديرات (١٩٥) سنة[٣] حتى جاء عهد القضاة.

---

[١] – علي، إسرائيل عبر، ج١، ص ١٩١ .

[٢] – سفر التثنية، الإصحاحات: ٢٤، ٢٥، ٢٦ .

[٣] – طعيمة، صابر عبد الرحمن، اليهود بين الدين والتاريخ، (القاهرة، ١٩٧٨) ص ١٩٨ .

ثانياً: عصر القضاة وبداية مرحلة النشوء السياسي (١١٣٠-١٠٢٠ ق.م.)

يبدأ هذا العصر حوالي سنة (١١٣٠ ق.م.)[١] وينتهي نحو(١٠٢٠ ق.م.) أي أنه أمتد نحو أكثر من قرن[٢] خلافاً لما زعمته إصحاحات سفر القضاة الذي يستمد تسميته منهم، من أن فترتهم قد امتدت حوالي أربعمائة عام[٣].

ولا سيما إذا ما لاحظنا أن خروج بني إسرائيل من مصر قد تم في أواخر القرن الثالث عشر، حوالي (١٢١٠ ق.م.) وأن زعامة موسى ويشوع من بعده استمرت نحو ثمانين سنة وأن الملك الرسمي لبني إسرائيل قام في أواسط القرن الحادي عشر حوالي (١٠٣٠ ق.م.)[٤].

وتشتق كلمة (قضاة) ومفردها (قاضي) في اللغة العربية من الفعل قَضَى يَقْضِي قَضَاءً وقَضْياً وقَضِيَّةً بين الخصمين[٥].

أما في اللغة العبرية القديمة فأن كلمة قضاة שופיטים (شوفاتيم)، تشتق من الفعل שפט (شافط) الذي يعني حكم، قَضَى[٦]، ويقصد به الشخص أو الموظف الذي يفصل في مشاكل القوم، ولكنها هنا لا تشير إلى المعنى المتداول لغوياً، بل تشير إليه اصطلاحا إذ أنها تستخدم بمعنى (والي) أو (حاكم) كما في سفر راعوث وأحيانا يرد في أسفار أخرى بمعنى (ملك) كما في سفر عاموس[٧].

وقد عرف الساميون (الجزريون) هذا اللقب ومنحوه لكبار رجال الدولة وكانت المدن الفينيقية تنتخب سنوياً ما عرف بـ(السوفيتسيين)، وهم حكام

---

(١) – شلبي، أحمد، مقارنة الأديان– اليهودية، ط١٢(القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٩٧)،ج١، ص٨١ .

(٢) – الدباغ، بلادنا، ص ٥٥٥ ؛ هيكل، فلسطين قبل، ص ٤٨ .

(٣) – القضاة/ الإصحاحات (٣، ٥، ٦، ٨، ١٠ ، ١٢، ١٥) ؛ أبن العبري، غريغوريوس الملطي، تاريخ مختصر الدول ، ط٢، (بيروت: المطبعة الكاثوليكية، ١٩٥٨)، ص٢١– ٢٥.

(٤) – دروزة، محمد عزة، تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم ،(الفجَّالة: مكتبة نهضة مصر، ١٩٥٨)، ص٨٢ .

(٥) – معلوف، لويس، المنجد في اللغة، ط٣٥،(طهران: انتشارات إسلام، ١٩٩٦)، ص ٦٣٦ .

(٦) – שגיב, שם, כרך רבעי, עמ, 1832.

(٧) – علي، إسرائيل عبر، ج١، ص ١٧٠ .

المستعمرات، وبعد ما انفصلت قرطاجة، واستقلت عن المدن الفينيقية وأسست دولة تجارية جبارة أحتفظ حكامها بلقب (سوفيتيين)، وكان يجري انتخابهم كل عام من قبل كبار التجار[١]، أي أنه أسم أُطلق على القضاة المدنيين في المدن الفينيقية[٢].

أفرزت الظروف السياسية المضطربة التي أحاطت بالمجتمع الإسرائيلي في بدايات استقراره في فلسطين طبقة من الناس عرفت بـ(القضاة) وهم زعماء محليون أخذوا على عاتقهم التصدي للأخطار المحدقة بمجتمعهم، بعد أن تم انتخابهم من قبل المجتمع الإسرائيلي وكبرائه[٣]، وكان بعضهم من الكهنة[٤]، وبذلك جمعوا في شخصياتهم القيادتين الدينية والعسكرية ولم يقتصر دورهم على الجانب العسكري والسياسي[٥] بل تعداه إلى الجانب الاجتماعي، والنظر في قضايا المجتمع المجتمع المختلفة، وقد حاولوا على مدى قرنين من الزمان أن يمنعوا المجتمع الإسرائيلي من الانزلاق في براثن الفجور والكفر، ولهذا فقد أخبرتنا التوراة عن هذا الجانب **(وتوفي يوشع بن نون عبد الرب، وهو ابن مائة وعشر سنين ودفن في أرضه في تمنة حارس، بجبل افرايم إلى شمال جبل جاعش، وكل الذين جايلوا يشوع ماتوا أيضا وانضموا إلى آبائهم، ونشأ من بعدهم جيل آخر لا يعرف الرب ولا عمل ما عمل لبني إسرائيل، ففعل بنو إسرائيل الشر في عيني الرب وعبدوا البعل، وتركوا الرب إله آبائهم الذي أخرجهم من ارض مصر وتبعوا آلهة أخرى من آلهة الشعوب الذين حولهم، وسجدوا لها وأغاضوا الرب، تركوه وعبدوا البعل عشتاروت[٦])**[١].

---

[١] – كاسيدوفسكي، الواقع والأسطورة، ص ١٦١ .

[٢]– إيمار، وأوبوايه، الشرق واليونان، ص ٢٦٥.

[٣] – العقيلي، محمد أرشيد، اليهود في شبه الجزيرة العربية، (عمان، ب مط، ١٩٨٠)، ص ٢٧ .

[٤] – شلبي، مقارنة الأديان، ج١، ص ٨٠ .

[٥] – إيمار، وأوبوايه، الشرق واليونان، ص ٢٦٥ .

[٦] – عشتاروت: آلهة الحب والخصب وكانت عبادتها منتشرة في الشرق، في أوغاريت وتل العمارنة، وهي نفسها نفسها (عشتار) عند الآشوريين والبابليين، وقد اقتبسها الفينيقيون، ومن ثم العبرانيون في عبادتهم، وكانت عشتاروت الآلهة ألام، وسماها العبرانيون (عشتوريت) وجمعها (عشتاروت) واسماها اليونانيون (استارت) كما

وقد واصل القضاة اهتمامهم بالجانب العسكري وذلك بأعداد المجتمع عسكرياً وتعبئته قتالياً في محاولة لدرء الإخطار المحدقة بهم والاستقرار في فلسطين ولهذا نجد الصفة العسكرية واضحة في (سفر القضاة) لتجسيد الوقائع والغزوات التي قام بها هؤلاء القضاة أثناء صراعهم مع الشعوب الأخرى مثل الكنعانيين والفلسطينيين والمدينيين وغيرهم، ولكنها صفة ارتفعت إلى مصاف البطولات الأسطورية[٢]، وفي مقدمة هؤلاء القضاة أهود، وباراق بن أبي نوعم، وعثنيئيل، ويفتاح، وجدعون الذي تغلب على الميديانيين[٣]، وشمشون الذي أشتهر بحربه مع الفلسطينيين، إلا أنهم قتلوه في النهاية[٤]. ولم يقتصر هذا المنصب على الرجال، بل تعداه إلى النساء إذ أن دبورة وهي امرأة كانت قد اشتهرت بقتالها مع الكنعانيين[٥]. وقد بلغ عدد القضاة جميعاً أربعة عشر قاضياً[٦]، كان آخرهم وأشهرهم القاضي صموئيل النبي.

كان أولئك القضاة دكتاتوريين عسكريين استطاعوا بفضل صفاتهم الشخصية أن يحظوا بشهرة واسعة لدى أبناء جلدتهم ويقودوهم إلى النصر في اللحظات الحرجة[٧]، وهذا بدوره أدى إلى تقوية الشعور بالقومية التي نمت في الطور القبلي السابق لعهد القضاة، فالحرب تتطلب رؤساء يستطيعون جمع الحد الأقصى من طاقات العمل والنشاط في مجهود مشترك[٨].

اقتبسوها وادمجوها بالآلهة (افروديت) اشهر آلهات الخصب لديهم، وقد انتقلت عبادة عشتاروت إلى مصر ضمن تأثيرات حضارة بلاد الرافدين على منطقة الشرق الأدنى ووادي النيل . أنظر: النجفي، معجم المصطلحات،ج٢، ص ١٧ .

[١] – سفر القضاة / ٢: ٨-١٤ .

[٢] – ظاظا، حسن، الفكر الديني الإسرائيلي أطواره ومذاهبه، (الإسكندرية: معهد البحوث والدراسات الفلسطينية، ١٩٧١)، ص ٣٩ .

[٣] – سفر القضاة : الإصحاحات ٧،٨ .

[٤] – سفر القضاة / ١٣ .

[٥] – سفر القضاة / ٤ .

[٦] – العقيلي، اليهود في شبه، ص ٢٦ .

[٧] – كاسيدوفسكي، الواقع والأسطورة، ص ١٦١ .

[٨] – إيمار، وأوبوايه، الشرق واليونان، ص ٢٦٥ .

ويعد عهد القضاة من العهود المهمة في تاريخ المجتمع اليهودي القديم، والذي ترك بصماته في مظاهر حياتهم بمراحلها الأولى في فلسطين، حيث بدأ الكيان الاجتماعي اليهودي بالتبلور شيئا فشيئا متأثراً بعناصر داخلية وخارجية بالإضافة إلى التأثيرات التي حملها معه من الخارج، فبدءوا ينتقلون من حياة البدو إلى حياة الاستقرار بكل مظاهرها، ولكن السلطة في هذا العهد كانت تعمها الفوضى لعدم ارتباطها بحكومة مركزية[١]، وافتقارها إلى إدارة منظمة، حيث أكتفت بالأساليب البدائية[٢] ولهذا فقد أتسمت هذه المرحلة بعدم التوحد والتماسك وأخذت القبائل (الأسباط الاثنى عشر) تسعى إلى الاستقلال على نطاق ضيق أو واسع[٣].

وكانت سلطة القضاة عارضة محدودة المدة، تشبه سلطة زعماء القبائل في النظام البدوي في الحياة السامية في مراحلها القديمة[٤] ومن مميزات سلطة القضاة في تلك الفترة اعتمادها على مبدأ (الرضا الرباني) أي رضا الله عنهم وتأييده لهم، ومن ثم فقد سميت تلك الفترة بـ(عصر الرضا الرباني)[٥].

كما أن من سمات السلطة التي مارسوها هؤلاء القضاة، أنها لم تتعد حدود قبيلة واحدة، باستثناء بعضهم الذي أستطاع أن يجمع حوله عدة قبائل لمحاربة الكنعانيين[٦] وكان نظام الحكم عندهم لا يقوم على أساس الدولة بل على أساس الحكم الأبوي في الأسرة، فكان شيوخ العشائر يجتمعون في مجلس من الكبراء وهو الحكم الفصل في شؤون القبيلة، وهو الذي يتعاون مع زعماء القبائل الأخرى إذا الجأتهم إلى هذا التعاون الظروف القاهرة التي لا مفر من التعاون فيها، فإذا فشل التقاضي أمام هؤلاء لجأ المتقاضون إلى القاضي الذي

---

[١] - الدباغ، بلادنا، ج١، ص ٥٥٦ .

[٢] – إيمار، وأوبوايه، الشرق واليونان، ص ٢٦٥ .

[٣] – شلبي، مقارنة الأديان، ج١، ص ٨٠ .

[٤] – موسكاتي، الحضارات السامية، ص ٤١ .

[٥] – المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

[٦] – كاسيدوفسكي، الواقع والأسطورة، ص ١٦١ .

كان يمثل الرئيس في الجماعات اليهودية[١]، ويلوح لنا من خلال ما تقدم، أن مرحلة عهد القضاة تتفق مع المراحل القبلية السابقة من نشوء نظام الحكم، من ناحية السلطة وأسلوب الإدارة.

ثالثاً: عصر صموئيل ونهاية مرحلة النشوء السياسي

مثلما ارتبطت مراحل التاريخ اليهودي القديم بشخصيات معروفة، كشخصية النبي يوسف والنبي موسى(عليه السلام) وغيرهم، والتي كان لها الأثر الكبير في توجيه الأحداث إلى وجهة دون سواها، وصياغة المواقف إزاءها بما ينسجم مع أحوال مجتمعاتهم الاقتصادية والسياسية بغية النهوض بواقعها المتردي وتحقيق نوع من التوازن العقائدي والأخلاقي، نجد كذلك شخصية أخرى تضاف إلى سجل هذه الشخصيات الفذة، وهي شخصية صموئيل النبي، كما يصفه غوث (Guthe) **(إن التاريخ والقصص جميعا تضع صموئيل في المقدمة في كل المراحل التي تهيئ لشخصية هامة في هذه العصور، كسيد، وكاهن، وقاض ونبي، وهو برهان واضح يدل على انه في الفترة مابين موسى وقيام الملكية لم يكن هناك رجل يضارعه أهمية)**[٢].

وإذا كانت الريبة تحوم حول تاريخ القضاة الذين سبقوه لما طغى على تأريخهم من الصبغة الأسطورية، فأنها تقل كثيراً عند الحديث عن هذا الرجل، الذي كان عبقرية من العبقريات القديمة التي تظهر في أوساط البدو، فتشق طريقها، وهو طريق جديد في جملته، بالعمل والذكاء وبموهبة قيادة الجماهير، ويبدو لنا أن صموئيل هو الذي يفتتح بحق الدور السياسي والاجتماعي للأنبياء في بني إسرائيل بعد النبي موسى(عليه السلام)[٣]، وبالرغم من أن صموئيل هو أحد

---

[١] – شلبي، مقارنة الأديان، ج١، ص ٨١ .

[٢] –إبراهيم، مصر والشرق، ج٣، ص ٣٥٩ .

[٣] – ظاظا، الفكر الديني، ص ٤٠ .

القضاة الذين قضوا لبني إسرائيل إلا أنه يتميز عنهم بقدرته على الجمع بين السلطتين الدينية والسياسية، والذي أستطاع من خلالها أن ينال رضا المجتمع الإسرائيلي، ويقضي له فترة طويلة تفوق فترات القضاة الآخرين، كما أشار الكتاب المقدس: **(وتولى صموئيل الحكم على بني إسرائيل كل حياته وكان يذهب كل سنة ويطوف في بيت إبل[١]، والجلجال[٢]، والمصفاة[٣] ويقضي لإسرائيل في جميع تلك ألاماكن)**[٤]. كما تميز عنهم بكونه استطاع أن يخط لنفسه مسلكاً مبتكراً في القضاء، من خلال بقائه في هذا المنصب، من جيل إلى جيل دون حدوث، أية ثورة أو انقلاب، الأمر الذي يحصل أو يحدث عادة عند حصول تغيير كبير[٥].

وبهذا فقد اختلف عن نظرائه الذين يظهرون أيام ألازمات أو الحروب ويتولون الشؤون العامة، ثم سرعان ما يختفون، ففي عهده بدأت النبوة عند بني إسرائيل تتبلور بشكل واضح، كما تحددت صفات النبي في مفهومهم، وهي صفات زعامة سياسية ودينية تعتبر امتدادا للقضاة، وأن كانت لا تسعى إلى

---

[١] – بيت إيل: معنى التسمية بيت الإله، وهي مدينة لعبت دوراً مهماً في تاريخ المجتمع اليهودي القديم، اسمها الحالي (بيتين)، تقع هذه المدينة على بعد (٢٠كم) شمالي القدس، فوق التلال الوسطى لأرض كنعان، كانت تسمى (لوز) في السابق . أنظر: عبودي، معجم الحضارات، ص ٢٤٩ .

[٢] – الجلجال : قرية تقع في شرق سهل أريحا، والشمال الشرقي من أورشليم، تبعد حوالي أربعة أميال عن الأردن، وكانت من بين القرى الأولى التي سكنها اليهود في الجهة الغربية، جرت فيها أحداث مهمة للمجتمع اليهودي على الصعيد السياسي، إذ كان صموئيل يذهب إليها من وقت لآخر ويقضي فيها لإسرائيل، كما شهدت هذه القرية مناسبات سياسية ذات صبغة دينية ومنها مسح وتتويج أول ملك وهو شاءول على شعب إسرائيل، وتم نحر ذبائح السلامة . أنظر: ישעיהו פרס , ארץ-ישראל אנציקלופדיה טופוגרפית – היסטורית , כרך ראשון , (ירושלים , 1951) , עמ. 160- 161 .

[٣] – المصفاة : مدينة تبعد (١٢ كم) إلى الشمال الغربي من أورشليم، وردت عدة مرات في أسفار الكتاب المقدس سيما سفر صموئيل. أنظر: سفر صموئيل الأول/ ٧-١٠ .

[٤] – سفر صموئيل الأول/ ١٥- ١٧ .

[٥] – ماير، ف. ب، حياة صموئيل النبي، ترجمة: القمص مرقص داود، ط٢، (القاهرة: مكتبة المحبة، ١٩٧٩)، ص١٣ .

تسلم مقاليد الحكم رسمياً، بل تبقى لتدير هذا الحكم من وراء ستار، بينما الحاكم ملك يجلس على عرشه، ويبايعه رعاياه بأمر من هذا النبي[١].

(١) – ظاظا، الفكر الديني، ص ٤٠ .

الفصل الثالث: المجتمع اليهودي في مرحلة التطور

المبحث الأول: تطور نظام الحكم في المجتمـــع اليهودي

المبحث الثاني: تطور الحياة الاقتصادية في المجتمــــــع اليهودي

المبحث الثالث: التطور الطبقي في المجتمـــع اليهودي

المبحث الأول: تطور نظام الحكم في المجتمع اليهودي

أولاً: ظهور الملكية (١٠٢٠ ق. م.)

عاش المجتمع اليهودي فترة استقرار مؤقتة في ظل السياسة التي رسمها النبي صموئيل، والتي اتسمت بنوع من التوازن النسبي الذي حققه على الصعيدين الداخلي والخارجي كما أتضح فيما سبق.

بعد تلك الفترة دخل المجتمع اليهودي منعطفاً سياسياً جديداً نتيجة الخطوة التي قام بها النبي صموئيل، وهي أن جعل بنيه قضاة، على الرغم من أن منصب القضاة لم يكن وراثياً[١]، فساءت أوضاع المجتمع اليهودي لأن هؤلاء القضاة الجدد، أبناء صموئيل لم يسلكا نهج أبيهما في قيادة دفة المجتمع، وهذا ما أشارت إليه التوراة **(ولما شاخ صموئيل أوكل إلى بنيه القضاء لإسرائيل، فكان ابنه البكر يوئيل وأبنه الثاني أبيا، قاضيين في بئر سبع ولم يقتديا بابيهما، فسعيا وراء المكاسب، وقبلا الرشوة، واستهانا بالعدالة)**[٢].

وفي خضم التداعيات السياسية التي أخذت تتجه بسرعة نحو ولادة نظام سياسي جديد، استمرت الأوضاع الاجتماعية بالتردي أكثر، لا سيما أن الكهنوت قد تسلمته أيادٍ ضعيفة لم تتمكن من كسب ثقة المجتمع على الرغم من أنها كانت صاحبة السلطة العليا[٣]، وقلما كان رئيس الكهنة يجمع بين الخدمات الروحية والصفات الخاصة التي يجب أن يتحلى بها القائد في مثل تلك الظروف[٤]، وبالتالي فقد أخفق رجال الكهنوت في الحكم بسبب تعصبهم، وظلمهم، وكبتهم لآمال المجتمع.

وهكذا فقد أصبح المجتمع اليهودي في خطر، بسبب الفوضى الداخلية الناجمة عن عدم وجود حكومة قوية من جهة، وبسبب الهجمات الخارجية من جهة أخرى مما حدا بهذا المجتمع أن يدرك بأنه، إن لم يتوفر مبدأ التماسك أو نقطة التجمع أو قائد معترف به، فلن يتوفر من يقاوم ضغط الكنعانيين من الداخل أو

---

[١] – العقيلي، اليهود في شبه، ص ٢٧ .

[٢] – سفر صموئيل الأول / ٨ : ٣،٢ .

[٣] – ماير، حياة صموئيل، ص ١٠ .

[٤] – المصدر نفسه، ص ٩ .

غيرهم من الخارج. ولهذا كان لزاماً إدخال نظام جديد، لإيجاد وحدة وطنية، ولتطوير حكم القضاة من خلال انتخاب شخصية قوية.

وقد عبرت التوراة عن أحوال المجتمع اليهودي وما آلت إليه الأمور في تلك الفترة في أكثر من موضع **(وفي تلك الأيام لم يكن لإسرائيل ملك، فكان كل واحد يعمل ما يشاء)**[١]، وفي موضع آخر، وردت عبارة تعبر عن مدى الضائقة التي كانوا فيها**(فصرخوا إلى الرب)**[٢].

وتعتبر هذه الظروف مقدمات لقيام المَلَكية بالإضافة إلى أسباب أخرى، ومنها انبهار المجتمع اليهودي بمظاهر عظمة وأُبهة ملوك الأمم المحيطة بهم، التي قطعت أشواطاً من التقدم وكوّنت لها ملكيات صغيرة، إذ يتضح من خلال رسائل تل العمارنة، أن كنعان كانت محكومة بعدد من الملوك الذين نجحوا في ضم صفوف كثير من القبائل تحت تاج واحد أو أكثر[٣]، وهذا ما دفع المجتمع اليهودي إلى مطالبة صموئيل بأن ينصب عليهم ملك يحكمهم، كما أكدت التوراة على ذلك التأثر بأنظمة الحكم لدى الشعوب الأخرى **(أقم علينا ملكا يقضي بيننا كما هي الحال في جميع الأمم)**[٤].

كما أن الدافع العسكري أيضا كان وراء ذلك الطلب، مثلما يُرجع بعض المفكرين نشأة الدولة أو المَلَكية إلى الأصل العسكري، بمعنى أن الحروب هي التي تخلق الرئيس وتخلق الملك والدولة، فإذا نشب القتال أختار المقاتلون أشجعهم لتولي القيادة، أما في السلم فتكون السلطة بيد الكاهن[٥]، وهذا ما أكده القرآن الكريم بقوله تعالى ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ**

---

[١] – سفر القضاة / ١٧: ٦ .

[٢] – سفر القضاة /٣ : ٩ .

[٣] – علي، اليهودية واليهود، ص ١٦٨ .

[٤] – سفر صموئيل الأول / ٨ : ٥ .

[٥] – نور الدين، موجز تاريخ، ج١، ص ٣٣ .

دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلاَّ قَلِيلاً مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ)[١].وقد ورد تحذير في العهد القديم من هذا النظام السياسي الجديد المزمع إقامته، نُسب إلى النبي صموئيل، وهذا غير دقيق، حيث يقال أنه حذر المجتمع اليهودي بصراحة وكشف لهم مساوئ طلبهم الخاص بإقامة ملك، فكان يرى أن الملك يُسخِّر أبنائهم لمصالحه الشخصية، ويستغل بناتهم لترفه وترف عائلته كعطارات وطباخات وخبازات، ويغتصب أجود حقولهم، ويستغل طاقاتهم في زراعة أرضه الخاصة، وإذا حل بهم الظلم فلا يجدون من يصرخون له، لأن الله لا يستجيب لهم ما داموا اختاروا ملكاً حسب هواهم الشخصي[٢].

غير أن المجتمع اليهودي لم يستمع لنصيحة نبيهم وقالوا له **(كلا، بل يملك علينا ملك ونكون نحن أيضا كسائر الشعوب، فيقضي بيننا ويكون قائدنا ويحارب حروبنا)**[٣].

سعى صموئيل في طلب مجتمعه وتمكن من أن يجمع مجلساً من ممثلي أسباط الشمال والجنوب، ويرشح شاؤل ملكاً (١٠٢٠ – ١٠٠٠ ق.م.) على كل بني إسرائيل[٤]. وتشكلت الملكية بالتدريج على أسس مقتبسة من الدول المجاورة، الا أنها اختلفت في ناحيتين، فالتنظيم القبلي بقي لأغراض إدارية من جهة، والملك كان عليه أن يحكم حسب أوامر يهوه كما أُعلنت بوساطة الرجال الصالحين أو الأنبياء.

ثانياً: شاؤل أول ملك (١٠٢٠ – ١٠٠٤ ق.م.)

يبدأ اختيار الملك شاؤل بعملية انتخابية عادلة على أساس القرعة أجراها النبي صموئيل بصورة ذكية ضمنت له إرضاء كافة الأطراف من مختلف الأسباط[٥].

إن الحديث عن الملك شاؤل أول ملوك بني إسرائيل يقترن بانطلاق فكرة المطالبة بنظام الملوكية، وهل أنها كانت نابعة من عامة المجتمع بقيادة شيوخ القبائل أم أنها نابعة من الكهنة ؟

---

(١) – البقرة : آية ٢٤٥ .

(٢) – سفر صموئيل الأول/ ٨ : ١٠– ١٨ .

(٣) – سفر صموئيل الأول/ ٨ : ٢٠ .

(٤) – راشد، السامريون، ص ٣٣ .

(٥) – سفر صموئيل الأول / ١٠: ٢٠ – ٢٢ .

يتضح الجواب عن هذا السؤال عندما نتعرف على الامتيازات[١] التي كان يتمتع بها الكهنة في فترة ما قبل الملوكية، والتي جمعوا من خلالها أموالا ضخمة وثراء عظيم، فامتازت ثروتهم بأن عدت مقدسة، وشخصياتهم بأنها كانت الوسيلة إلى الله[٢]، ولم يقتصر دورهم في قيادة المجتمع اليهودي على الإشراف في أداء الطقوس الدينية، وإنما تعداه إلى المهام القضائية، فقد تمكن بعضهم من الوصول إلى منصب القضاء[٣].

ولهذا كان الكهنة يرون أن كل شيء احتاجه المجتمع لإقرار النظام وسلامة الحكم كان متوفراً لديهم قبل قيام الملكية، فطبقاً لمعتقدهم، أن يهوه كان يقوم على رأس المجتمع، وهو الذي يحكم بواسطة خدمه رجال الكهنوت، وفيما يتعلق بالمسائل الدنيوية مثل الحروب فقد كان يقوم عليها القاضي، الذي كان يشغل هذا المنصب طيلة حياته، كما أن وظيفته هذه لم تكن وراثية، وعلى هذا الأساس فقد كانوا يرون أن اختيار المجتمع اليهودي للنظام الملكي هو رفض لسلطان يهوه واختيار الملك إنما هو تقليد للشعوب الوثنية التي تفضل الملك على الكاهن والقاضي، ويبدو من خلال ما تقدم أن الكهنة لم يكونوا هم المطالبون بنظام ملكي، لأنهم الفئة الوحيدة المستفيدة من غياب نظام حكم بديل، ربما يجردهم من السلطات الدينية والمدنية التي كانوا يتمتعون بها، وما جاءت به التوراة من تحذير صموئيل للمجتمع اليهودي من الحكم الملكي، إن هو إلا رأي الكهنة وليس رأي صموئيل، بدليل الآية القرآنية الكريمة ﴿**وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكاً قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنْ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ**﴾[٤]، وهنا يتبين لنا، أن مسألة اختيار الملك قد أُحيطت بالعناية الإلهية، مما يُميط اللثام عن الكهنة الذين حاولوا إلصاق التحذير من قيام الملكية بنبي الله صموئيل، ويؤكد أن الاعتراض إنما هو صادر عنهم وليس العكس، كما أن التناقض الواضح في الآيات التوراتية التي يتحدث فيها النبي صموئيل لا يدل على أن الاعتراض على فكرة الملوكية

---

(١) – أنظر: المبحث الثالث، طبقة الكهنة، ص ١٦٠ وما بعدها.

(٢) – شلبي، مقارنة الاديان، ج١، ص ٢١٣ .

(٣) – المصدر نفسه، ص٨٠ .

(٤) – سورة البقرة : الآية (٢٤٧) .

ورفض الملك بعد ذلك صادر منه، فتارة نجده يعاتب **(وأنتم اليوم رفضتم إلهكم الذي خلصكم من جميع بلاياكم وضيقكم وقلتم له: أقم علينا ملكاً)**[1]، وتارة أخرى نجده يؤيد ويسعى إلى تحقيق ذلك الأمر الإلهي **(فأخذ صموئيل قارورة الزيت وصبها على رأس شاؤل وقبّله، وقال: الرب مسحك رئيساً على شعبه إسرائيل)**[2].

ومما زاد من رفض الكهنة للنظام الملكي وبالتالي لشاؤل[3] الذي ذُكر في القرآن الكريم بأسم طالوت[4] هو كونه من سبط بنيامين[5]، ولم يكن من سبط النبي يوسف(عليه السلام)،ولا من سبط لاوي سبط النبوة، ولا من سبط يهوذا سبط المملكة، حسب التقييم اليهودي، كما أشارت الآية القرآنية إلى ذلك **﴿قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ﴾**[6]، ولهذا فلم تكن علاقة النبي شاؤل بالكهنة على ما يرام حتى بلغ بهم الحقد إلى الدخول معه في صراع، أدى في النهاية إلى سقوطه ومجيء داود(عليه السلام) من بعده[7].

كانت فترة حكم الملك شاؤل[8] فترة أضطرابات سياسية وحروب ضارية، انشغلت بها السلطة في الدفاع عن نفسها وتثبيت دعائم أركانها، وكانت هذه الحروب سجالاً بين اليهود والفلسطينيين، ولهذا لم يتم التركيز حول الاهتمام بالمجتمع اليهودي، إذ أن انتخاب هذا الملك كان يعني الثورة ضد الفلسطينيين أسياد المنطقة[9].

---

(1) – سفر صموئيل الأول / ١٠ : ١٩ .

(2) – سفر صموئيل الأول / ١٠: ٢ .

(3) – ورد اسمه في التوراة : شاؤل بن قيس بن أبييل بن صرور بن بكورة بن أفيح . أنظر: سفر صموئيل الأول/ ٩: ٢، وكان لشاؤل بنون هم يوناثان ويشوي وملكيشوع، وابنتان هما ميرب الكبرى، وميكال الصغرى، وكان أسم زوجته أخينوعم بنت أخيمعص . أنظر: سفر صموئيل أول/ ١٤: ٤٩، ٥٠ .

(4) – اسم طالوت فيه قولان، الاول وهو الابرز، أنه أسم علم أعجمي عبري، كداود، ولذلك لم ينصرف، والثاني، أنه عربي من الطول، وأصله طولوت، كرهبوت ورحموت، فقلبت الواو ألفا لتحريكها وفتح ما قبلها. أنظر: الآلوسي، روح المعاني، ج١، ص ١٤٣ .

(5) – أبن العبري، تاريخ مختصر، ص ٢٧ .

(6) – سورة البقرة، الآية (٢٤٧) .

(7) – موسكاتي، الحضارات السامية، ص١٤٢ .

(8) – نجد في العهد القديم أن فترة حكم الملك شاؤل هي أربعين سنة. أنظر: سفر صموئيل الأول / ١٣: ١ .

(9) – حتي، تاريخ سورية، ص ٢٠٣ .

وقد أثبت هذا الملك جدارته السياسية والعسكرية خلال سني حكمه، فعلى المستوى السياسي، ينقل العهد القديم بعض المواقف التي تدل على حكمته وسعة معرفته بأحوال مجتمعه، وما يميلون إليه، إذ جاء في سفر صموئيل الأول، أنه في بداية حكمه، عندما أراد أن يجهز جيشه لرد هجوم العمونيين، كان يشك بمدى همة واستعداد بني إسرائيل، وتحسباً لردود فعلهم، المخيبة للآمال، قام وأخذ ثورين وقَطَّعهما وبعثهما مع رسله إلى جميع مناطق وقرى بني إسرائيل، وأصدر أوامره على كل من لا يخرج لقتال العدو، هكذا يكون مصير بقره، فكان له ما أراد، وخرج بنو إسرائيل كرجل واحد على حد تعبير المحرر التوراتي[١]، وهذا يؤكد قوة شخصيته وحزمه في اتخاذ القرار بما ينسجم مع طبيعة تفكير المجتمع اليهودي في تلك الفترة. كما كانت سياسته تتصف بالمرونة حتى مع معارضيه وكان يستغل بعض المواقف لترويضهم، إذ يحكى أنه عندما حقق انتصاره الكبير على العمونيين، همَّ بنو إسرائيل من الذين بايعوه للانتقام من المعارضين له، فلم يوافقهم شاؤل على هذا الرأي وقال **(لا يُقتل احد في هذا اليوم، لأن فيه خلص الرب بني إسرائيل)**[٢].

أما على المستوى العسكري، فقد تمكن من تنظيم جيشاً لليهود على الرغم من الإمكانيات الفقيرة في التسليح، وأستطاع أن يحقق انتصاراته المتلاحقة على أعداءه المحيطين به من مؤابيين وعمونيين وأدوميين وعمالقة[٣]، باستثناء الفلسطينيين الذين استمروا في مهاجمة اليهود في حروب كثيرة، ولم تحسم المواجهة لأي منهما.

ثالثاً : داود النبي والملك (١٠٠٤ – ٩٦٣ ق.م.)

ظل المجتمع اليهودي في عهد الملك شاؤل يعاني من الحروب الطاحنة مع الفلسطينيين الذين عظمت قوتهم في المنطقة، وبدءوا بالتوسع على حساب الممالك الصغيرة بفضل ما يمتلكونه من العُدة والتسليح ما يفوق أسلحة جيوش المنطقة ولا سيما أسلحة الجيش اليهودي الذي أنهكته تلك الحروب وأصبح بالكاد يدفع عنه خطر

---

[١] – سفر صموئيل الأول/ ١١ : ٧ .

[٢] – سفر صموئيل الأول/ ١١ : ١٢ .

[٣] – سفر صموئيل الأول/ ١٤ : ٤٧، ٤٨ .

الغزوات والهجمات المتكررة لأعدائه من الفلسطينيين وغيرهم، حتى بعد أن أخذت قبائل المجتمع اليهودي تجتمع كلها تحت قيادة رجل واحد.

وفي تلك الظروف المضطربة بقي المجتمع اليهودي يتطلع إلى قائد يستطيع أن يخلصه من خطر هجمات الأعداء، ويغيِّر من حاله المتردي، الذي لم يزدد إلا سوء في مختلف الجوانب الاقتصادية، والسياسية، والعسكرية، حتى ظهرت شخصية النبي داود(عليه السلام) في أيام الملك شاؤل، وفي أحد الحروب مع الفلسطينيين، عندما تمكن من كسر شوكتهم بقتل قائدهم جوليات، كما أشارت الآية القرآنية الكريمة (**وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ* فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ**)[١].

وهنا يبرز داود كمحارب لا يُشق له غبار، وهذه أحدى صفاته التي سببت التحاقه بجيش شاؤل إلى جانب تمتعه بصفات أخرى منها الفصاحة كما جاء في القرآن الكريم (**وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ**)[٢].

كما وردت جملة من صفاته في العهد القديم **(شجاع وأهل للحرب، وفصيح حسنُ المنظر)**[٣]. وقد لاقى داود حظوة كبيرة عند الملك شاؤل بسبب صفاته المار ذكرها حتى أمسى من المقربين له وحامل درعه، وشهد معارك كثيرة معه ضد الفلسطينيين كانت له الغلبة في جميعها بسبب وجود داود[٤].

ويتحدث العهد القديم عن العلاقة التي أخذت تسوء بين الملك شاؤل وداود بسبب نجاحات الأخير المتتالية والتي أشعلت نار الغيرة عند الملك[٥] وجعلته يتربص بداود شرا للإيقاع به[١].

---

(١) – سورة البقرة ، الآيات (٢٥٠ ، ٢٥١) .

(٢) – سورة ص، الآية (٢٠) .

(٣) – سفر صموئيل الأول / ١٦ : ١٨ .

(٤) – سفر صموئيل الأول / ١٧ : ٥٥ – ٥٨ ، ١٨ : ٥ .

(٥) – سفر صموئيل الأول / ١٨ : ٧ – ١٠ .

وهذه الأحداث المار ذكرها تمثل المرحلة الأولى لظهور شخصية النبي داود، أما المرحلة الثانية فتبدأ بمقتل شاؤل في آخر معركة له مع الفلسطينيين وانقسام اليهود إلى قسمين: قسم بايع إشبوشث بن شاؤل بالملك وقسم آخر أعلن داود خليفة لشاؤل، فأصبح داود ملكا على اليهودية في حبرون، في الوقت الذي أنفرد ايشبوشث بن شاؤل ملكا على جلعاد وعلى يزرعيل وعلى افرايم وعلى بنيامين أي على كل ما يقع شرق الأردن[٢].

أفضى هذا الانقسام إلى حرب دارت بين الطرفين بين بيت شاؤل وبيت داود، وبعد مقتل أشبوشث أقر جميع اليهود لداود بالملك[٣].

ويعد داود المؤسس الحقيقي لمملكة اليهود، إذ أنه جمع بين الملك والنبوة، وهذا ما أشارت إليه التوراة **(فأخذ صموئيل قرن الزيت ومسحه ملكاً من بين أخوته، فحل روح الرب على داود من ذلك اليوم فصاعداً)**[٤]، كما أكد ذلك القرآن الكريم: ﴿**يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلا تَتَّبِعْ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ**﴾[٥].

بدأ داود حكمه تحت سيادة الفلسطينيين، غير انه قام بسلسلة من العمليات الحربية أدت إلى التخلص من سيادتهم وسيطرتهم على المنطقة، وجعل آدوم ومؤاب وعمون تحت حكمه[٦]، كما نجح في إخضاع بعض الدويلات الآرامية السورية، بما فيها دمشق لسلطته[٧].

---

[١] – أعتاد المحررون التوراتيون على وصف العلاقات بين الملوك والأنبياء بأنها كانت سيئة إلى درجة العداء والتربص، وهذا دأبهم، لكي يبرهنوا على عدم كفاءة الأنبياء أو الشخصيات التي كانت من وجهة نظرهم غير مرغوب فيها، لتسنم مناصب القيادة في المجتمع اليهودي، أنظر: ص ١٣١ من هذا المبحث.

[٢] – إبراهيم، مصر والشرق، ج٣، ص ٣٦٦ .

[٣] – الدباغ، بلادنا، ج١، ص ٥٥٧ .

[٤] – سفر صموئيل الاول / ١٦: ١٣ .

[٥] – سورة ص الآية: (٢٦) .

[٦] – حتي، تاريخ سورية، ص ٢٠٣ .

[٧] – س. بريوشينكين، أسرار الفيزياء الفلكية والميثولوجيا القديمة، ترجمة: حسان ميخائيل اسحق، ط٢(دمشق: دارعلاء الدين، ٢٠٠٧)، ص ٤١٣ .

وبعد أن تغلب على الفلسطينيين وعلى غيرهم استطاع أن يضع يده على ساحل البحر المتوسط، كما وصل إلى البحر الأحمر عند خليج العقبة[١].

ومن الأسباب التي ساعدت على اتساع مملكته هو فترة الفراغ السياسي والانحطاط التي كانت تمر بمصر وآشور[٢].

ولهذا فقد بلغت مملكته أقصى أتساعها، إذ وصلت إلى جبل الشيخ والكرمل شمالا، والى حدود مصر ونهر الموجب جنوبا والى الصحراء شرقا، وأما الساحل الفلسطيني الممتد شمال يافا إلى غزة فكان تابعا إلى مصر[٣].

أنتقى داود مدينة يبوس اورشليم لتكون عاصمة ملكه بعد أن تغلب على اليبوسيين، وقد تم له ذلك عندما زحف نحو يبوس بجيش قوامه ثلاثون ألف مقاتل يقوده ابن أخته يوآب، وقاومه اليبوسيون في بادئ الأمر مقاومة عنيفة وصدوه عنها، إلا انه عندما أعاد الكرة، وتمكن من احتلال تل اوفل الكائن في جنوبها والمطل على قرية سلوان، أصبحت عين روجل بيده، وكانت هذه هي النبع الوحيد الذي يستقي اليبوسيون منه الماء[٤]. وقد تمكن من ذلك عن طريق خدعة ضمنت وصوله لها بوساطة نفق يؤدي إلى تلك العين التي تزود المدينة بالماء[٥].

عندئذ سقطت يبوس، وأسماها بعد أن احتلها مدينة داود وحصنها وبنى فيها قصرا من الحجارة وخشب الأرز، وكان المهندسون والبناءون من صور[٦].

وهناك بعض الأسباب التي دفعت داود أن يجعل من اورشليم قاعدة لملكه، بعد أن استولى عليها وقضى على آخر عائق يقف حائلا بين قسمي مملكة اليهود، حيث أن اورشليم كانت تمثل عنصرا رئيساً في اتحاد القبائل الشمالية والجنوبية، إذ لم يستطع بعد ذلك البقاء في حبرون، لأنها كانت تقع في الجنوب، وكانت متصلة

---

(١) – زايد، القدس الخالدة، ص ٤٨ .

(٢) – العقيلي، اليهود في شبه، ص ٢٧ .

(٣) – المصدر نفسه الصفحة نفسها .

(٤) – عارف باشا العارف، تاريخ القدس، (مصر: دار المعارف، ١٩٥١)، ص ١٥ .

(٥) – الأحمد، وأحمد، تاريخ الشرق، ص ٣٠٦ .

(٦) – هيكل، فلسطين قبل، ص ٤٩ .

بالقبائل الجنوبية وحدها، ولمثل هذا السبب لم يستطع أيضا اختيار مدينة شمالية، وكان لا بد أن تقع عاصمته بين قسمين، لذلك كانت اورشليم خير مكان له، ولم تغز من قبل، وعلى ذلك لم تكن تمثل جزءا لأحد القبائل، وكان لحيادها هذا أهمية كبرى بالنسبة له[١].

كانت يبوس قبل سيطرة داود عليها ذات حضارة، وكان فيها منازل متقنة، حوت الكثير من أسباب الراحة والرفاهية، وكان فيها حكومة وصناعة وتجارة وديانة، فأقتبس اليهود هذه الحضارة من يبوس، إلى جانب ما اقتبسوه من حضارة الكنعانيين بصورة عامة، ويلوح لنا أن هذا التأثر بحضارات الشعوب الأخرى التي خالطوها لأسباب سياسية أو أسباب اقتصادية هو بداية الانطلاق الحقيقي للتغير العمراني الذي نتج عنه بناء المعبد والقصر.

وفي أيامه وصلت الدولة اليهودية أوج عظمتها، ووصل عدد نفوسها ما بين ستمائة وسبعمائة ألف نسمة[٢].

ونلحظ في حكم داود الانتقال من حكم قبلي إلى نظام مركزي يماثل نظم الدول المجاورة، وقد أصبحت الملكية اتحادية بالمعنى الحقيقي في أيامه، ورافق تقدم الملكية نحو المركزية، تقدم ملموس أيضا نحو مركزية دينية بإقامته تابوت العهد في أورشليم[٣]، حتى يعطيها مكانة اكبر، وكان هذا التابوت يرافق الإسرائيليين (اليهود) في تجوالهم هو وخيمة الاجتماع التي تضله[٤].

وفي زمن حكم داود بدأ ظهور الأدب العبري، وهو من بين أغنى وأرفع ما تركه الشرق القديم من مظاهر حضارية[٥].

رابعاً : سليمان وريث داود (٩٦٤ – ٩٢٢ ق.م.)

---

[١] – زايد، القدس الخالدة، ص ٤٨ .

[٢] – حتي، تاريخ سورية، ص ٢٠٤ .

[٣] – المصدر نفسه، ص ٢٠٣ .

[٤] – زايد، القدس الخالدة، ص٤٨ .

[٥] – حتي، تاريخ سورية، ص ٢٠٤ .

تتفق المصادر التاريخية في ضوء اتفاق الكتب السماوية بشأن وراثة سليمان لأبية داود (عليهما السلام)، فقد جاء في العهد القديم **(ثم مات داود ودُفن مع آبائه في مدينة داود، وكان عدد السنين التي ملك فيها على إسرائيل أربعين سنة: ملك بحبرون سبع سنين، وبأورشليم ثلاثا وثلاثين سنة، وجلس سليمان على عرش داود أبيه)**[١].

كما أجمل القرآن الكريم بقوله تعالى ﴿**وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ**﴾[٢].

فقد أستطاع الملك داود أن يهب أبنه سليمان مملكة موحدة مستقرة ذات كيان خاص ومستقل من خلال الجهود التي بذلها أثناء فترة حكمه على المستوى الديني والسياسي والعسكري.

وكان لانشغاله بالقضاء على الصراعات والفتن الداخلية من جهة، ودرئه أخطار الحروب الخارجية من جهة أخرى سببا لم يتح له ظروفاً مناسبة للاهتمام بشؤون المجتمع الأخرى، لا سيما الاقتصادية والعمرانية منها، ولكنه أستغل ظروفاً أخرى كانت تجري لصالحه، ألا وهي الظروف السياسية المتدهورة لكل من مصر وآشور أكبر قطبين في منطقة الشرق الأدنى القديم في تلك الفترة، مما مكنه من التحرك بجو سياسي ملائم كفل له السيطرة على كثير من المناطق الفلسطينية وبسط سلطانه عليها، كافياً ابنه مهمة القتال وخوض غمار المعارك وبهذا فقد عُد الممهد الحقيقي لمملكة سليمان، التي شملت إلى جانب المناطق الإسرائيلية مناطق، أخرى أهمها أدوم، موآب، عمون، وبعض الممالك الآرامية الصغيرة وكل الصحراء السورية، وقد خضع كل ملوك هذه المناطق لنفوذه وسلطانه[٣].

---

[١] – سفر الملوك الأول / ٢ : ١٠ – ١٢ ؛ سفر أخبار الأيام الأول / ٢٩ : ٢٦– ٢٨ .

[٢] – سورة النمل : آية ١٦ .

[٣] – אנציקלופדיה העברית . כללית .יהודית . ארץ ישראלית , כרך שמיני , עמ. 274- 275.

أتخذ الملك سليمان منهجاً مغايراً عن سابقيه في الحكم والإدارة، حيث أحدث تغييراً جوهرياً في المملكة[1]، وكان نقطة تحول في كافة جوانب حياة المجتمع اليهودي بما يملكه من دور فعّال ومؤثر باعتباره نبي يمثل الجانب الديني والأخلاقي، وملك يمثل الجانب الإداري والسياسي، وأستطاع أن يحقق إنجازات كبيرة أبان فترة حكمه، فعلى **الصعيد الديني**، قام الملك سليمان ببناء الهيكل المسمى باسمه هيكل سليمان مجسدا بذلك مركزية دينية لقبائل المجتمع اليهودي وملاذ لهم في وقت الضيق، ففي مناجاة له وردت في سفر الملوك الأول **(إذا حبستَ من السماء عنهم المطر بسبب خطيئتهم إليك، وصلّوا شاخصين إلى هذا الموضع واعترفوا باسمك عن خطيئتهم فأسمع من السماء وأغفر خطيئة عبيدك وشعبك بني إسرائيل)**[2].

وعمل الملك سليمان أيضا على تعميق علاقتهم الروحية بهذا الهيكل **(وإذا أي واحد من بني إسرائيل شعبك ندم في قلبه على ما فعل من سوء، فصلى إليك وتضرع باسطا يديه نحو هذا الهيكل، فأسمع من السماء، من مقامك، فأغفر وأعن مجازياً كل واحد بحسب عمله ومعرفتك ما في قلبه)**[3].

وبهذا فقد أضفى سليمان على هيكله قدسية خاصة، صار يدعو من خلالها حتى الغرباء من الشعوب الأخرى **(وكذلك الغريب الذي لا ينتمي إلى إسرائيل شعبك إذا جاء من أرض بعيدة من أجل أسمك، لأن الناس يسمعون باسمك العظيم ويدك القديرة وذراعك الممدودة وصلّى في هذا الهيكل، فأسمع من السماء، من مقامك وأعمل بجميع ما يلتمس منك هذا الغريب)**[4].

وعلى **الصعيد السياسي**، فأن سليمان كأبيه جمع بين النبوة والسلطة، وأشتهر بحكمته وذكائه وذاكرته[5]، ولهذا نجده قد أدرك أن خير سبيل للمحافظة على هيبة المملكة واستقرارها، هو الاهتمام بتحسين علاقاته مع جيرانه من ملوك أو أباطرة، كانوا

---

(1) – موسكاتي، الحضارات السامية، ص ١٤٤ .

(2) – سفر الملوك الأول / ٨ : ٣٥ ، ٣٦ .

(3) – سفر الملوك الأول / ٨ : ٣٨ ، ٣٩ .

(4) – سفر الملوك الأول / ٨ : ٤١ ، ٤٢ ، ٤٣ .

(5) – الدباغ، بلادنا، ج١، ص ٥٦٢ .

يحكمون شعوب الشرق الأدنى القديم، وبمنهجه السياسي هذا يكون أول من فتح بوابة الاتصال بالعالم الخارجي لأسباب مختلفة قد تكون اقتصادية أو أمنية وعلى سبيل المثال لا الحصر، تحالفه مع أحيرام (٩٦٩ – ٩٣٦ ق.م.)[١] ملك صور وهو حلف دعت إليه حاجته إلى أرز لبنان ليقيم منه أبنيته[٢]، أو زواجه من بنت الفرعون المصري الذي هو على الاغلب سي آمون (٩٧٠–٩٥٠ ق.م.) أحد ملوك الأسرة الحادية والعشرين[٣]، وهو زواج يفسره أكثر الباحثين أنه دبلوماسي[٤]، لكي يطور علاقته مع الجانب الفرعوني ويتقي شره.

إلا أننا نرى بالإضافة إلى تلك الأسباب، هناك أسباب دينية أيضا دفعت النبي سليمان(عليه السلام) إلى إقامة مثل هكذا علاقات لنشر ديانة التوحيد وخير مثال على ذلك قصته مع ملكة سبأ كما أخبرتنا عنها الكتب السماوية في التوراة والقرآن الكريم[٥].

ولم تكن سياسته الداخلية أقل شأناً، فقد قام سليمان بتقسيم بلاده أثنى عشر قسماً إداريا، وتعمد أن تكون حدودها متفقة مع حدود منازل الأسباط الاثنى عشر، وكان يرجوا من وراء هذا أن يضعف النزعة الانفصالية بينهم، وأن يؤلف منهم شعباً واحداً[٦].

أما على **الصعيد الاقتصادي** فقد أتاحت فترة السلم التي شهدها عهد الملك سليمان مجالاً كبيراً للنشاط الاقتصادي وبلغت المملكة أوج ازدهارها، حيث أشتهر باهتمامه بالتجارة الخارجية والصناعة والتعدين والعمران.

وكان نجاحه في الشرق القديم كواحد من الملوك العظام الذين جمعوا السياسة الحكيمة بقوة الاقتصاد كفيلاً لفرض سيطرته على الطرق التجارية في سوريا وفلسطين وعلى الطريق المؤدي إلى البحر الأحمر[٧].

---

[١] – الربيعي، فاضل، الشيطان والعرش رحلة النبي سليمان إلى اليمن، ط١،(بيروت: رياض الريس للطباعة والنشر، ١٩٩٦)، ص ٢٥ .

[٢] – إبراهيم، مصر والشرق، ج٣، ص ٣٧٧ .

[٣] – زايد، عبد الحميد، مصر الخالدة، (القاهرة: دار النهضة، ١٩٦٦)، ص ٨٤٩ .

[4] –Breasted, James Henry, op. cit . p. 223.

[٥] – أنظر: سورة النمل، الآيات (٢٠– ٤٤) ؛ سفر الملوك الأول/ ١٠ .

[٦] – ديورانت، قصة الحضارة، مج١، ص ٣٣٤ .

[٧] – موسكاتي، الحضارات السامية، ص ١٤٤ .

وقد واكب التطور الاقتصادي الذي شهده عصره تقدم كبير في مجال البناء والتعمير، حيث أستخدم سليمان معظم موارده في تقوية دعائم حكومته وتجميل عاصمته أورشليم.

ومن أعماله فيها ترميم الحصن الذي أُقيم حولها، كما أقام فيها كثيراً من الحصون، ووضع حاميات في المواضع ذات الأهمية العسكرية في مملكته ليرهب بها الأعداء أو تحسباً لأي خطرا متوقع[1].

وكانت المباني التي شادها سليمان في الجزء الشمالي من التل الشرقي تشتمل على التوالي من الجنوب إلى الشمال: بيت وعر لبنان وبه الخزائن ومستودع السلاح ورواق أعمدة، ورواق آخر أمامه، ورواق الكراسي رواق القضاء وبيته الذي يسكنه في دار أخرى داخل الرواق وبيت لابنة فرعون التي تزوجها سليمان ثم الهيكل وقد بنى هذا الهيكل في السنة الرابعة من حكمه وبنى داخله لأجل المحراب أي قدس الأقداس، وكان الهيكل مبنيا من الأرز[2].

أعتمد الملك سليمان بصورة كلية على خبرة الفينيقيين في مجال الهندسة والبناء ولهذا فقد استعان بهم في تخطيط وبناء جميع أبنيته وكان أنشاء المعبد الكبير في أورشليم أشهر ما قام به سليمان من أعمال هامة، وقد ضم هذا العمل الفخم عناصر فنية من كنعان، وفينيقيا، وكذلك من مصر وأرض الرافدين[3].

وكان الأساس المالي لمشروعات الملك سليمان جميعا السخرة التي لم تقتصر على الكنعانيين بل شملت اليهود أيضا[4].

وما يلفت النظر بعد كل هذا، ما تردده أغلب المصادر التاريخية نقلاً عن التوراة وبدون تحقيق أو تدقيق بشأن النبي سليمان(عليه السلام) ناسبة له انحرافات دينية، وسياسات اقتصادية قاسية أنهكت المجتمع اليهودي.

---

(1) – المصدر نفسه، ص ٣٣٣ .

(2) – إبراهيم، مصر والشرق، ج٣، ص ٣٨٨ .

(3) – موسكاتي، الحضارات السامية، ص ١٤٤ .

(4) – المصدر نفسه، ص ٣٧٧ .

حيث جاء في اغلبها أن سليمان قد أستخدم ثروة بلاده في ملاذه الشخصية، وأخص ما أستخدمها فيه إشباع شهواته في جمع السراري[١].

في نفس الوقت الذي تجمع فيه هذه المصادر بأنه هو الذي جعل من اليهود شيئا معروفا في التاريخ، وهو الذي مد شهرتهم وصنع لهم كيانا وهو الذي انشأ لهم معبدا ظل قرونا طويلة هيكلهم الوحيد، كما تتفق على أن ما جرى للمجتمع اليهودي من انقسام سياسي وتدهور اقتصادي قد حدث عقب وفاته، وأن عهده كان خال من النزعة الانفصالية والاضطرابات السياسية.

يضاف إلى ذلك ما تذكره التوراة من إطراء واضح على سليمان فتسمه وتخلع عليه لقب سليمان الحكيم كما يتبين في أسفارها **(وأعطى الله سليمان حكمة وفهماً خارقين ورحابة صدر كرمال الشاطئ، ففاقت حكمته حكماء المشرق وحكماء مصر)**[٢].

إذن فكيف بالحكيم أن ينتهج سياسة غير حكيمة ويوقع شعبه دروب المهالك!

وهنا سؤال يطرح نفسه: لماذا يعمد محرروا التوراة إلى الطعن بسمعة النبي سليمان(عليه السلام) وإرجاع كل ما حدث بعد وفاته إلى سياسته وأسلوب حكمه؟

جاء في الإصحاح الحادي عشر من سفر الملوك الأول: وأحبَّ الملك سليمان فضلاً عن ابنة فرعون نساء غريبات من الموآبيين والعمونيين والادوميين والصيدونيين والحيثيين ومن الأمم التي عناها الرب في قوله لبني إسرائيل **(لا تختلطوا بهم، ولا يختلطوا بكم، فهم يميلون بقلوبكم إلى آلهتهم)**، فتعلق بهن سليمان حبا، وكان له سبع مئة زوجة من الأميرات وثلاث مئة جارية[٣]، فأزاغت نساؤه قلبه، وفي زمن شيخوخته مالت زوجاته بقلبه إلى آلهة غريبة، فلم يكن قلبه مخلصا للرب إلهه كما كان قلب أبيه داود، وتبع سليمان عشتروت إلهة الصيدونيين وملكوم إله بني عمون، وفعل الشر أمام عيني الرب...

---

[١] – ديورانت، قصة الحضارة، ص ٣٣٣ ؛ لوبون، اليهود في تاريخ، ص ٣٩ ؛ باقر، مقدمة، ج٢، ص ٢٩٠ .

[٢] – سفر الملوك الأول / ٥ : ٩ ، ١٠ .

[٣] – غير أن أغلب المؤرخين يرون أنه لم يكن لسليمان غير ستين زوجة وثمانين من السراري، أنظر: شلبي، مقارنة الاديان، ص ١٨٢ .

ولكن هذا السفر يناقض نفسه في مواضع أخرى، إذ ينقل لنا مناجاة النبي سليمان(عليه السلام) وقوله **(ليعرف جميع أمم الأرض أسمك ويخافونك مثل إسرائيل شعبك، ويعلموا أن أسمك على هذا الهيكل الذي بنيته لك)**[١].

كما ينسب إليه العهد القديم في أسفار أخرى حكم كثيرة ومنها **(حيث لا أنبياء يُشرد الشعب، وهنيئاً لمن يحفظ الشريعة)**[٢].

وهذه النصوص التوراتية تدل على أن الملك سليمان لم يمارس ممارسات من شأنها أن تحط من قدره مثلما وصفتها نصوص أخرى حاولت تقييمه على أساس عدائي مقصود.

وكذلك حاول محرر هذه الأسفار أن يرجع ما تعرض له المجتمع اليهودي فيما بعد من انقسام سياسي وقلاقل داخلية إلى عهد سليمان، فيصور لنا أن وصوله إلى دفة الحكم كان قلقا مضطربا وأنه اضطر إلى انتهاج أسلوب التصفية والقتل لتثبيت دعائم حكمه[٣]، ويعزو ذلك إلى عجزه عن تسوية الأمور بطريقة سلمية.

وحتى في الجانب الاقتصادي فلم يبرّأه العهد القديم، ونقل بأنه سلك سياسة اقتصادية أنهكت المجتمع اليهودي بفرضه الضرائب الباهظة، التي عملت على أثقال كاهل الناس، وذلك من اجل بناء أو تكوين ثروة هائلة، في نفس الوقت فأن هناك نصوص في العهد القديم تخبرنا أن المجتمع اليهودي في زمن الملك سليمان كان بأحسن حال:

(وكان شعب يهوذا وإسرائيل في الكثرة كرمل البحر، يأكلون ويشربون ويفرحون)[٤].

وكذلك يتفق المؤرخون بأن عصر الملك سليمان هو بمثابة العصر الذهبي[٥]، وذلك لما تحقق فيه من الرخاء الاقتصادي الذي لم يعهده المجتمع اليهودي من قبل.

---

[١] – سفر الملوك الأول / ٨ : ٤٣ .

[٢] – سفر الأمثال / ٢٩ : ١٨ .

[3] - Maly, Eugene. H., The World of David and Solomon, (London, 1952), pp. 118-119.

[٤] – سفر الملوك الأول / ٤: ٢٠ .

[٥] – سفر الملوك أول / ١٠: ٢٧ .

حتى أن التوراة تؤكد ذلك في أسفارها **(أن سليمان جعل الفضة في أورشليم كالحجارة في الشوارع)**[1]، حيث كانت لديه سياسات اقتصادية ناجحة تتفق مع وضع المجتمع اليهودي، ومن أقواله في هذا الشأن التي تدل على شخصيته قوله: **(الملك بالإنفاق يُثبت البلاد وبكثرة الضرائب يخربها)**[2]، وكذلك من أمثاله: **(يحكم الملك للفقراء بالحق يثبت عرشه إلى الأبد)**[3].

ويلوح لنا أن أسباب التشويه لسيرة النبي سليمان(عليه السلام) وللأنبياء الآخرون يعود أما لأسباب عقائدية منبعها الفلسفة اليهودية، أو لأسباب سياسية ذات جذور قديمة، إذ أن اليهود لم يقولوا بعصمة الأنبياء ويعتقدون أنهم أناس عاديون يخطأون والحكمة من خطأهم أن الله سبحانه وتعالى أراد أن يبعث إلى الخطائين خطاءون مثلهم[4]، وهذه هي عقيدة اليهود في مفهوم النبوة والأنبياء وفي مسألة عصمتهم.

ومرد ذلك إلى الكهنة، لئلا ينازعهم الأنبياء سلطانهم الديني، ولهذا عمدوا في طلبهم الاستحواذ على السلطان إلى تشويه صور أنبيائهم، وأمثلة التشويه واضحة فيما كتبوه عن لوط، يعقوب، هارون، داود، سليمان (عليهم السلام).

وربما أن المعايير الخلقية لمدوني التوراة هي التي جعلتهم يرون الرذائل مقياساً خلقياً جيداً للفترة التي دونوا فيها معلوماتهم عن أقدس البشر من الذين أختارهم الله سبحانه وتعالى ليكونوا رسله وأنبياءه! [5].

كما يُعزى ما نُسب إلى النبي سليمان وأبيه من قبله من اقتراف الخطايا والآثام إلى هدف سياسي مقصود، وهو إثارة غاشيات كثيفة حالكة حول نسب داود وذريته تحول دون صلاحيتهم لتولي زعامة اليهود، ذلك لأن النبي موسى(عليه السلام) كان يؤثر

---

[1] – طويلة، عبد الوهاب عبد السلام، مغالطات اليهود وردها من واقع أسفارهم،(دمشق: دار القلم، ٢٠٠٥)، ص ٤٧٥ وما بعدها .

[2] – سفر الأمثال / ٢٩: ٤ .

[3] – سفر الأمثال / ٢٩: ١٤ .

[4] – كاظم، سلامة حسين، مفهوم النبوة في الديانات الثلاث، اليهودية، المسيحية، الاسلام، (رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، كلية اللغات، ١٩٩١)، ص ١٦١ .

[5] – الكبيسي، صباح حمدان كلبوش، العقيدة اليهودية وأثرها في الأدب العبري الحديث، (رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، كلية اللغات، ١٩٩٩)، ص ٨٦ ؛ سعفان، كامل، اليهود تاريخ وعقيدة، ط٢،(القاهرة: دار النصر للطباعة الاسلامية، ١٩٨٨)، ص ١٦٣ وما بعدها.

بحظوته آل هارون أخيه، فسلمهم التوراة وجعل فيهم إمامة اليهود فكان منهم الكهنة والقضاة، فلما وليَّ شاؤول أمر اليهود أضطهد الهارونيين وانتقل أمر اليهود من بعده إلى آل داود[١].

ولما كان الكاهن عزرا من آل هارون فقد كان متعصباً لعشيرته، وأنتهز فرصة عودته من الاسر سنة (٥٣٨ ق.م.) واشتغاله بجمع التوراة ليكيد لبني داود غرمائه حتى تنصرف الزعامة عنهم إلى الأبد، فأضاف إلى التوراة قصة لوط وقصة يهوذا أبن يعقوب يبتغي بهما النيل من نسب آل داود بما يفقدهم الجدارة لتبوئ مناصب الزعامة، وقد تحقق هذا الهدف فعلاً، ووليَّ الهارونيين أمر اليهود من بعد عودتهم من الاسر[٢].

وتعود هذه المواقف السياسية إزاء الملك سليمان إلى عهود خلت، حدثت فيها تطورات سياسية متتابعة، فعندما توفي الملك سليمان، انقسمت المملكة إلى قسمين: مملكة إسرائيل في الشمال، ومملكة يهوذا في الجنوب، ثم ظهر في الميدان الديني توراتان مختلفتان عن بعضهما تمام الاختلاف، الأول: التوراة السامرية[٣]، نسبة إلى السامرة (نابلس) عاصمة المملكة الشمالية إسرائيل، والنسخة الثانية من التوراة، هي المتناقلة بالتواتر، عن كهنة الحكومة اليهودية في الجنوب، وراح كل من الفريقين يدعي أن التوراة التي عنده هي توراة موسى(عليه السلام)[٤].

ولا نستبعد أن يكون قد تسرب بطريقة أو بأخرى بعض نصوص التوراة السامرية صاحبة الموقف السلبي من داود وذريته إلى التوراة الأخرى المتداولة بين أيدينا الآن.

---

[١] – الهراوي، عبد السميع، الصهيونية بين الدين والسياسة، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٧)، ص ١٦٠ .

[٢] – الهراوي، الصهيونية، ص ١٦٠ .

[٣] – تختلف التوراة السامرية عن التوراة العبرية في كثير من مضامين أسفارها واسلوبها وتعاليمها . لمزيد من التفاصيل أنظر: الصوري، ابو الحسن اسحق والسقا، أحمد حجازي، التوراة السامرية – النص الكامل للتوراة السامرية باللغة العربية مع مقدمة تحليلية ودراسة مقارنة بين التوراة السامرية والتوراة العبرانية، ط١، (القاهرة: دار الانصار، ١٩٧٨)، ص٦ وما بعدها .

[٤] – الدملوجي، فاروق، تاريخ الآلهة– في الديانة العبرية،(بغداد: مطبعة المعارف، ١٩٥٠)، ج٣، ص ٩٤.

ومرد ذلك كله يعود إلى النسخ المعتمدة من التوراة التي ترجع إلى ثلاثة أصول أساسية، هي النسخة العبرانية وتعرف بالترجوم، والنسخة اليونانية وهي المعروفة بالترجمة السبعينية[١]، والنسخة السامرية، وثمة اختلاف كبير بين هذه النسخ الثلاثة بالزيادة والنقصان وفي بيان الأزمنة، وهي خلافات جوهرية إلى درجة أنها تؤثر على المعاني تأثيرا بيناً[٢].

وترجع جذور ذلك إلى القرنين الثامن والتاسع قبل الميلاد، حيث أُنشئ بالتوازي في يهودا وإسرائيل قصتان في أصل القبائل اليهودية وتاريخها قبل تشكل المملكة، استوحتا الخرافات والتقاليد الشعبية ببساطة الأسلوب والوعي، وقد ابتغى الكاتبان أموراً محددة، يسعى الكاتب اليهودي إلى أثبات أحقية قبائل يهودا بالمقام الأول بينما يدعي الكاتب الإسرائيلي العكس[٣].

حيث كان في قصور كل من ملوك يهودا وإسرائيل مؤرخون[٤] يكتبون حوليات كل مملكة، ومنذ ظهور الأنبياء بدءوا بجمع أقوالهم والخرافات التي تدور حولهم، وبعد

---

[١]– الترجمة السبعينية: هي ترجمة العهد القديم الى اللغة اليونانية، وسميت هذه الترجمة بالسبعينية بناء على التقليد المتواتر بأنه قد قام بها سبعون (أو بالاحرى أثنان وسبعون) شيخاً يهودياً في مدينة الاسكندرية في أيام الملك بطليموس الثاني فيلادلفوس (٢٨٥– ٢٤٧ ق.م.)، وقد وصلت إلينا قصة الترجمة السبعينية من رسالة اريستياس التي تقص علينا، كيف أن ديمتريوس أمين مكتبة الاسكندرية الشهيرة قدم تقريراً الى سيده الامبراطور بطليموس، مفاده أنه قد ضم الى المكتبة تسعمائة وخمساً وتسعين كتاباً تمثل أعظم الكتب العالمية التي تحوي مختلف الآداب القومية، إلا أن أعظم خمسة كتب من كل هذه المجموعة غير موجودة في مكتبته وهي الكتب الخاصة بالقانون اليهودي، ويعني بها (أسفار موسى الخمسة)، فأستجاب الامبراطور على الفور لهذا الطلب وأرسل مبعوثين الى اليعازر الكاهن الاكبر في القدس يطلب منه إرسال نسخ من هذه الكتب مع رجال أكفاء للقيام بالترجمة. أنظر: ناظم، سلوى، الترجمة السبعينية للعهد القديم بين الواقع والاسطورة، (القاهرة، ب. ت)، ص ١٧ ؛

Grant Jones, R., Notes on the Septuagint, (Abriged, 2005), pp. 4- 19 .

[٢] – الهراوي، الصهيونية، ص ١٥ .

[٣] – دياكوف، الحضارات القديمة ، ج١، ص ١٧٧ .

[٤] – يبدو أن الكتبة اليهود الذين كانوا مكلفين بتدوين حوليات ملوكهم لم تكن كتاباتهم تعبر عن الحقيقة بعينها بل كانت مجانبة لها، وكان هذا ضرب من التعظيم والتفاخر من اجل إضفاء نوع من الهيبة والإجلال لهؤلاء الملوك، ومن أجل التملق للحصول على رضاهم، وربما كان هذا تقليد لكتبة حوليات ملوك العراق القديم أو ملوك الشرق القديم بعامة . (الباحث)

سقوط مملكة يهودا استخدمت هذه القصص أساسا لكتب الأنبياء في التوراة[١]. ولهذا فقد ظهرت في يهوذا قصص ضخمة تمجد حياة داود وسليمان وتنصرهما وفي الشمال حيث إسرائيل ظهرت قصص تشوه من صورة هاتين الشخصيتين.

---

[١] – دياكوف، الحضارات القديمة، ص ١٧٧ .

المبحث الثاني: تطور الحياة الاقتصادية في المجتمع اليهودي

مدخل :

إن التطــور الاقتصــادي الــذي شــهده المجتمــع اليهــودي لــم يكــن حــدثاً فجائيــاً، بــل حصــل بخطــوات تدريجيــة ومراحــل متعــددة، كــان أولهــا التحــول مــن الملْكية الأسرية إلى الملْكية الفردية للأرض ووسائل الإنتاج.

وقد بدأ ذلك عندما استقرت حياة المجتمع اليهودي بالزراعة وتبين له أن العناية بالأرض تبلغ أقصاها من حيث الإنتاج إذا عادت ثمرات تلك العناية إلى الأسرة التي قامت بها، فأخذ ينتقل شيئاً فشيئاً إلى الملْكية الخاصة بالأسرة.

ثم أن الأسرة اليهودية نفسها اتخذت تدريجياً الصورة الأبوية التي تركز السلطة كلها في الأب أو في اكبر الذكور سناً، وبهذا فقد انتقلت الملْكية وتركزت في أيدي الأفراد يدعمها التوريث[١] لشخص معين في الأسرة اليهودية تحدده الشريعة بشروط معينة.

وبهذا فقد عملت أحكام الوراثة في الشريعة اليهودية على تثبيت الملْكية الفردية، حيث تنتقل ملْكية الأرض عن طريق الميراث العادي وتقسم بين أولاد المتوفى الذكور على أن ينال البكر نصيب أثنين منهم[٢]، وفي حالة عدم وجود أولاد ذكور فأن تركة المتوفى توزع على بناته غير المتزوجات، وفي هذه الحالة لا يصح لهن أن يتزوجن من خارج عشيرة سبط أبيهن، حتى لا تخرج الثروة إلى قبيلة أخرى[٣]، وإذا لم يكن للميت أبناء فأن تركته يرثها أخوته[٤].

وكان الميراث يشمل كل أملاك المتوفى من عقارات ومنقولات كما يشمل عبيده، حيث أن اتجاه المجتمع اليهودي إلى النشاط الزراعي قد غيَّر لديه أساليب الحياة الاقتصادية، وتعددت تبعاً لذلك أنواع الملْكية، فشملت الأراضي والعبيد والأنعام

---

(١) – نور الدين، موجز تاريخ ، ج١، ص ٣٢ .

(٢) – سفر التثنية / ٢١ : ١٥ – ١٧ ؛ أنظر: الفصل الرابع، المبحث الأول، ص ٢٠٤ .

(٣) – سفر العدد / ٣٦ : ٧ – ١٠ .

(٤) – سفر العدد / ٢٧ : ٨ – ١١ .

والمنقولات والنقود، وأصبح لكل نوع من هذه الأنواع نظمه وقوانينه وآثاره الخطيرة في عموم الحياة الاجتماعية.

وقد خلق هذا التحول في نظام ملْكية الأرض من الملْكية الأسرية إلى الملْكية الفردية تغييراً في وسائل الإنتاج، وفي مقدمتها أسلوب العمل، وبهذا نفهم إن الأساس في التطور الاقتصادي الذي طرأ على المجتمع اليهودي القديم هو تحوله من النظام العشيري إلى مجتمع العبودية أي نظام الإنتاج القائم على عمل العبيد [1].

إذ أن نمو الإنتاج في جميع فروعه، كتربية المواشي والزراعة، أعطى قوة العمل الإنسانية القدرة على خلق كمية من المنتجات أكثر مما تتطلبه حاجة العشيرة[2]. أو الأسرة في المجتمع اليهودي، وزاد في الوقت عينه مجموع العمل اليومي الذي يقع على عاتق كل فرد من أفراد العشيرة، سواء كان ضمن مشاعة منزلية، أو عائلة منعزلة، فصار من المرغوب فيه عندئذ ضم قوى عمل جديدة، فوجدت في العبيد الذين أصبحوا فيما بعد طبقة اجتماعية لها مرتبة معينة في السلم الاجتماعي عند اليهود. ولهذا فقد ازداد الإقبال على هذه القوى الجديدة المتمثلة في العبيد، وأصبحت لهم تجارة خاصة أهتم بها اليهود اهتماماً عظيما[3]، مما أدى إلى الارتفاع في مستوى الإنتاج الزراعي، وبالتالي فقد تمكن المجتمع اليهودي من توفير فائض في الإنتاج والدخول بقوة في التجارة، التي تعد من دلائل التطور الاقتصادي لدى المجتمع اليهودي، سيما أنها كانت تعوض عن التخلف الكبير في حرفة الصناعة.

وقد انتقلت حرفة التجارة في المجتمع اليهودي خلال الألف الأول قبل الميلاد إلى مراحل متعددة حتى بلغت درجة عالية من التطور، أما حرفة الصناعة فقد توقفت عند حدود الاستهلاك المحلي المتواضع، والذي لم يرقى إلى مستوى الاتجار. وفيما يلي عرض لهاتين الحرفتين ومستوى تطور كل منهما في المجتمع اليهودي.

---

(1) – كبة، إبراهيم، دراسات في تاريخ الاقتصاد والفكر الاقتصادي، ط٢،(بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، ٢٠٠٥)، ج٢، ص ٨٦ .

(2) – سيغال، تطور المجتمع، ص ٩ .

(3) – علي، إسرائيل عبر، ج١، ص ١٣٤ .

أولاً : التجارة

كانت كل أسرة يهودية تقنع بصنع حاجاتها دون المساهمة في التجارة المحلية والخارجية، ولم يكن في حيازة اليهود بضائع للتجارة، إلا الملح المستخرج من البحر الميت والحلي والطلاسم، وحتى هذه الموارد لم يستغلها اليهود في مجال المتاجرة كما أستغلها الكنعانيون(١).

ولكن يبدو أن هذا الوضع قد تغير كثيراً مع الزمن، نتيجة لتأثر اليهود بحضارة الكنعانيين من جهة، وازدياد متطلبات المجتمع اليهودي تبعاً لطبيعة الحياة المدنية المستقرة من جهة أخرى.

في البدء أصبح التحول من زراعة القوت اللازم للمعيشة إلى الزراعة التجارية المخصصة للتصدير أكثر السمات بروزاً في التطور الاقتصادي للمجتمع اليهودي وأرتبط تطور الملْكية الفردية للأرض والعبيد في المجتمع اليهودي بنمو القوى المنتجة والتبادل الذي صاحبه، حيث كانت بعض السلع والحاجات الضرورية، وبعض أنواع المواد الخام غير متوفرة، ولهذا كان يستلزم تطوير المتاجرة والتبادل اللذان اعتمدا على الزراعة التي بقيت تمثل قاعدة الاقتصاد اليهودي حتى بعد تطوير نمط اقتصادي جديد في مجال التجارة، لكن أسلوب الحياة القروي في التبادل تغير من الأسلوب الطبيعي إلى الأسلوب المالي، وأصبحت الحبوب والنبيذ والزيتون بضائع للبيع في الأسواق المحلية والأجنبية(٢).

وهكذا فإن الانتقال من مرحلة الرعي والزراعة إلى مرحلة التجارة أدى إلى تغيير إيقاع حياة المجتمع اليهودي بأكملها، فتغيرت لديه تبعا لذلك، العلاقات الاجتماعية والاقتصادية.

وقد أعتاد المؤرخون أن يطلقوا على اليهود لقب شعب تجاري عند الحديث عن جانبهم الاقتصادي في مراحله المتطورة، ويعتبروه في مصاف الشعوب المتقدمة في هذا المضمار كالفينيقيين والآراميين، وفي الحقيقة أن اليهود لم يكن لهم ليصبحوا شعباً

(١) – علي، إسرائيل عبر، ج١، ص ١٣٤ .

(2) – Dubnov, Simon ,op .cit . p. 216.

تجارياً لولا الكنعانيين والفينيقيين، فضلاً عن عوامل أخرى تضافرت وساهمت في نمو وتطور حرفة التجارة لديهم، ومن هذه العوامل:

١- موقع وأهمية منطقة فلسطين

إن المشهور بين الاقتصاديين، أن الأمم التجارية هي التي تسنى لها مجموعة من الأسباب منحتها شروط العمل في التجارة والتميز عن غيرها في هذه الحرفة أولها: حسن موقعها الجغرافي براً وبحراً، وثانيها: كثرة مناجمها الفحمية والمعدنية، وثالثها: معاهداتها التجارية والاقتصادية مع الأمم الأخرى، وأخيراً سهولة المواصلات[١].

وفلسطين القديمة هي أولى المناطق التي انطبقت عليها هذه الشروط لتهب شعوبها دعائم العمل في التجارة واحتلال الصدارة على مدى عدة قرون.

فقد احتلت فلسطين موقعا جغرافياً إستراتيجيا ذو أهمية كبيرة ومؤثرة في النشاط التجاري لمنطقة الشرق القديم بعامة ومنطقة سورية القديمة بخاصة. فموقعها المميز في غرب قارة آسيا وفي جنوب غرب سورية أكسبها مميزات حضارية هامة، فهي تحتل أجزاء هامة من المعبر السوري، الذي كان يعتبر طريقا تجارياً رئيساً، إذ كان همزة الوصل بين الشرق والغرب، وجسراً يربط بين مصر وشمال أفريقيا من ناحية وبين دول آسيا من ناحية أخرى[٢].

لقد ساهم موقع فلسطين المتوسط بين الحضارات الرئيسة في المنطقة مساهمة فعالة في مرور طرق التجارة الهامة فيها، وأتاح الفرصة أمام الكنعانيين للمساهمة في النشاط التجاري الخارجي المار بأراضيها وما تبع ذلك من ازدهار المحطات والمدن التجارية الكنعانية التي تقع على طرق التجارة العالمية وبالتالي ازدهار التجارة المحلية[٣] الناتجة عن التمركز السكاني الكبير في هذه المدن والقرى التي أهلتها مواقعها للتجارة[٤]. وبهذا فقد كان لموقع فلسطين الإستراتيجي تأثيراً كبيراً على عمل المجتمع اليهودي في حرفة التجارة.

---

(١) – المعلوف، عيسى اسكندر، التجارة عند الأمم القديمة إلى عهد العرب،(سورية، ب مط، ١٩٢٩)، ص ٤٠١.

(٢) – غربية، فلسطين، ص ٤٠ – ٤١ .

(٣) – المصدر نفسه، ص ٤١ .

(٤) – ليون، المفهوم المادي، ص ٢٣ .

٢- مملكة سليمان وأثرها في تطور العلاقات التجارية الخارجية

اهتمت المملكة الموحدة في عهد الملك سليمان بالحياة الاقتصادية اهتماما كبيرا سعيا وراء توفير مواردها، فشجعت الزراعة، سيما زراعة الحبوب التي تعد في مقدمة المحاصيل المخصصة للتصدير.

ومن أدلة التطور الزراعي عند اليهود وضخامة الإنتاج لهذه الغلات الزراعية يضاف لها الزيت، هو الاتفاق التجاري الذي أُبرم بين سليمان وملك صور في تزويد الأخير عشرين ألف كيل من الحنطة، وعشرين ألف كيل من زيت الزيتون سنوياً[١] مقابل حصول سليمان على أخشاب الأرز والأحجار الكريمة لإتمام مشاريعه العمرانية[٢].

وبهذا فقد ازدهرت في عهده تجارة رابحة قوامها استبدال مصنوعات صور وصيدا بغلات اليهود الزراعية[٣]، وغيرها من المواد الأخرى كالعسل والشمع والطيوب[٤]، كما شجع الملك سليمان على تجارة الأقمشة والخيوط[٥].

وقد عوَّل الملك سليمان كثيراً على مثل هكذا علاقات اقتصادية أقامها مع جيرانه في نشاطه التجاري، حيث أنشأ بمساعدة صديقه أحيرام ملك صور أسطولاً من السفن لتجارة البحر الأحمر في سواحل الجزيرة وشرقي أفريقية لجلب البهار والصمغ والعاج والذهب والأحجار الكريمة، وكانت قاعدته في رأس خليج العقبة[٦]، وكان هذا ترغيباً للملك أحيرام على استخدام هذا الطريق بدلا من طريق مصر، للاتجار مع بلاد العرب وأفريقيا[٧].

---

[١] – سفر الملوك الأول / ٥ : ٢٥ .

[٢] – سفر الملوك الأول / ٥ : ٢٤ ؛ الربيعي، الشيطان والعرش ص ٢٦.

[٣] – ديورانت، قصة الحضارة، مج١، ص ٣٣٢ .

[٤] – ايمار، وابوايه، الشرق واليونان، ص٢٦٦ .

[5] – Breasted, James Henry, op. cit . p. 223 .

[٦] – باقر، مقدمة، ج٢، ص ٢٩٠ .

[٧] – إبراهيم، مصر والشرق، ج٣، ص ٣٧٨ .

وبهذا فقد شجع سليمان التجار الفينيقيين على أن يسيّروا قوافلهم التجارية داخل ارض فلسطين، ويفرض عليهم الضرائب[١] وعلى غيرهم من قوافل التجار القادمة من بلاد العرب المحملة بالتوابل[٢].

كما ازدهرت في عهد الملك سليمان تجارة الخيل وعربات الحرب، وقد تميز بهذه التجارة، لأن مزاولتها بين مصر وسوريا كانت تعتمد على الطرق البرية التي كانت تحت سيطرته، وقد دل على ذلك الاصطبلات الملكية الكبيرة التي كشفت في مجدو، والتي أكدت على مدى اهتمام سليمان بتربية الخيل[٣].

ومن نشاطاته الاقتصادية أيضا إعداده البعثات لاستخراج المعادن الثمينة، إذ كانت أدوم وعرابة منطقتين غنيتين بالنحاس والحديد، أستغلهما الملك سليمان لاستخراج هذه المعادن واتخذ ميناء عصيون جاب[٤] مركزاً لصهرها[٥].

وثمة كشف أثري يلقي بعض الضوء على هذا الميناء، حيث كشف الدكتور جلوك N. Glueck في عصيون جابر الواقع على ساحل البحر الأحمر مناجم للنحاس ومصانع لتكريره، يدل بناؤها على تقدم كبير في العلم والخبرة الفنية[٦].

وعلى هذا الأساس فقد عُد سليمان ثورة على التخلف الاقتصادي ورائداً للتطور الذي طرأ على المجتمع اليهودي في كافة نواحي حياته الاقتصادية لا سيما عندما وجه عنايته إلى حرفة التجارة، فازدادت تبعا لذلك ثروة الشعب وتضاعفت بفضل تشجيعه لهذا المرفق الحيوي.

---

[١] – ديورانت، قصة الحضارة، مج١، ص ٣٣٢ .

[٢] – حسن، سليم، مصر القديمة، (القاهرة، دار الكتب المصرية، ١٩٥٢)، ج٩، ص ٥١٦ .

[٣] – موسكاتي، الحضارات السامية، ص ١٤٣ .

[٤] – عصيون جابر: مدينة أدومية تقع على عمق خليج أيلات المعروف اليوم بخليج العقبة، بالقرب من مرفأ إيلات، وكانت آخر محطات اليهود قبل وصولهم الى برية صين، والاسم الحالي لهذه المدينة هو تل الخليفي أنظر: عبودي، معجم الحضارات، ص ٦١٣ ؛ سفر العدد/ ٣٣: ١٥ .

[٥] – حسن، مصر، ج٩، ص ٥١٦ .

[٦] – موسكاتي، الحضارات السامية، ص ١٤٤ .

٣- الفينيقيون وأثرهم في اكتساب اليهود حرفة التجارة

من بين العوامل المهمة التي ساهمت في اكتساب المجتمع اليهودي حرفة التجارة، هو عامل التأثر الحضاري بالفينيقيين، لأنهم من أول الشعوب القديمة التي امتهنت التجارة، وقطعت فيها أشواطا كبيرة.

وهناك بعض الباحثين من يفسر اشتغال الفينيقيين بالتجارة، هو بسبب سيطرة اليهود على الأرض الخصبة واختيارهم ما كان منها كثير الريع وافر الحاصلات، مما اضطر الفينيقيون إلى ترك الزراعة بعد أن كانت عملهم الرئيسي والعمل في التجارة، إذ أن مدنهم الساحلية لم تكن كلها خصيبة ولا متسعة[١]. وهذا الرأي غير صائب، لأن الطابع التجاري للفينيقيين والكنعانيين أولاً، يكمن في أهمية الموقع الجغرافي والتاريخي لهذين الشعبين، ولهذا فقد أصبح الفينيقيون من أوائل الشعوب التجارية في العصور القديمة، فضلاً عن وقوعهم بين أول مركزين للمدنية وهما مصر وآشور اللذان كانا مبعث التمدن المادي، وكانت فينيقية بمثابة السفيرة التي نشرته في العالم[٢]. فموقعها بين مفترق الطرق التجارية سواء تلك القادمة من بلاد العرب السعيدة، أو الممتدة بين مصر وبابل وآسيا الصغرى[٣]، أعطاها دوراً لم يتسنى لكثير من الشعوب المتطورة سياسياً، والقوية عسكرياً.

في البدء تكوَّن العمل الأساسي للتجارة الفينيقية من السلع الآشورية والمصرية، حيث يقول هيرودوتس أن المنتجات الآشورية كانت من أقدم وأهم المواد في التجارة الفينيقية، ولم تكن الصلة بين الفينيقيين ومصر بأقل قدماً[٤] وعلى هذا فأن الفينيقيين وحدهم كانوا الناقلين لبضائع مصر وآشور إلى جميع البلدان القديمة.

حتى أن العهد القديم يذكر المدن والشعوب التي تاجرت معها فينيقيا، إذ جاء في سفر حزقيال **(جزر ترشيش تاجرت معك لكثرة غناك في كل شيء، بالفضة والحديد والقصدير والرصاص بادلتك بضائعك، ياوان وتوبال وماشك تاجروا معك، وبالعبيد**

---

[١] – المعلوف، التجارة عند الامم، ص ٤٠٢ .

[٢] – المصدر نفسه، ص ٤٠٤ .

[٣] – علي، إسرائيل عبر، ج١، ص١٣٣ .

[٤] – ليون، المفهوم المادي، ص ٣٨ .

وآنية النحاس دفعوا ثمن سلعك، سكان توجرمة بادلوك بضائعك بالخيل والفرسان والبغال، وبنو رودس تاجروا معك وجزر كثيرة كانت سوقا لسلعك...)[١] ويستمر المحرر في ذكر مختلف المدن والشعوب التي تعاملت مع الفينيقيين ومن ضمنها يهوذا وإسرائيل.

وكانت للتجارة الفينيقية عدة طرق تربطها بشعوب العالم القديم، أولها نحو الجنوب، حيث تصل إلى اليمن وحضرموت وعمان ناقلة إليها مصنوعاتها وحاصلات بلادها[٢]، وحاملة منها الحجارة الكريمة والذهب والبخور واللبان والمر واللؤلؤ والعاج والأبنوس[٣].

وثانيها، نحو الشرق حيث كانت تصل إلى جهات نينوى مارة بحماة وحلب ونصيبين، فتتجر بآثار بلادها الزراعية والصناعية مع الآشوريين، وتنقل منهم حاصلات وصناعات مثل أنسجة الكتان والقطن وحرير الصين والحجارة الكريمة، ولها طريق أخرى تمر فيها بتدمر وتبسك[٤].

وثالثها، نحو الشمال وكانت تصل إلى أرمينية حتى بلاد الكرج والقوقاز والبحر الأسود وبحر قزوين فتجلب منها الرقيق وآنية النحاس والخيل[٥]، ورابعها نحو الغرب عن طريق البحر المتوسط[٦].

وصلت تجارتهم تنتقل في طرقها القديمة، حتى استفادت منها شعوب الشرق بشكل عام، وشعوب فلسطين بشكل خاص، سيما اليهود في تلك المنطقة، إذ أن قوافل التجارة الفينيقية التي تسير في البر لم تدر الربح على رجال القوافل وحدهم بل كانت تدر الربح أيضا على مختلف القبائل البدوية وغير البدوية التي تمر القوافل بأراضيها.

وكانت حالة وجود قرى أو أماكن مستقرة آهلة بسكانها تبعد عن بعضها البعض مسافات كبيرة، ويقيم بين تلك المحلات السكنية بدو رحل من الرعاة، حالة ملائمة جدا

---

(١) – سفر حزقيال / ٢٧: ١٢ – ١٥ .

(٢) – المعلوف، التجارة عند الامم، ص ٤٠٣ .

(٣) – غنيمة، يوسف رزق الله، تجارة العراق قديماً وحديثاً، ط١،(بغداد، ب مط، ١٩٢٢)، ص ٩ .

(٤) – المعلوف، التجارة عند الامم، ص ٤٠٣ .

(٥) – غنيمة، تجارة، ص ٩ .

(٦) – باقر، مقدمة، ج٢، ص ٢٤٨ .

لنمو وتقدم التجارة، وكان البدو الذين يربون الجمال ويملكونها خير من يصلح لمثل هذه المهمة لأنهم يعرفون مسالك الصحراء وموارد المياه، ويملكون الحيوانات اللازمة للحمل ويعرفون كيف يقودونها[١].

كانت فترة النصف الأول من الألف الأول قبل الميلاد، مرحلة تمهيدية مهمة أستغلها اليهود في هضم الثقافة الكنعانية الفينيقية عن طريق التبادل التجاري مع الفينيقيين والتعامل معهم في شتى الميادين الاقتصادية الأخرى.

ومما ساعدهم في ذلك، هو الأسلوب الذي أتبعه الفينيقيون أنفسهم في أقامة العلاقات الحسنة مع الشعوب المحيطة بهم، سيما اليهود[٢]، ومثال ذلك، الاتفاقيات الاقتصادية التي أُبرمت بينهم وبين اليهود في عهد الملك سليمان، وما فعله الأخير في إرسال آلاف العمال بنظام السخرة للعمل في صور، كما وردت تفاصيل هذه الحملات الاقتصادية في سفر الملوك الأول[٣].

استمر اليهود في المحافظة على علاقاتهم الاقتصادية مع الكنعانيين والفينيقيين، حتى بعد الانقسام السياسي التي تعرضت له مملكتهم الموحدة .

نتج عن هذا الانقسام ظهور مملكتين كانتا عاملاً مهماً في تعجيل عملية التطور الاقتصادي للمجتمع اليهودي، ولا سيما في المجال التجاري، وذلك بسبب التنافس الشديد بينهما في النشاط الاقتصادي من جهة، والتسابق في عقد الاتفاقيات التجارية مع الممالك الكنعانية من جهة أخرى، وغيره من الأسباب الناشئة عن الصراع السياسي وعن الاختلاف في نوعية الإنتاج الاقتصادي لكل منهما.

حيث كانت المملكة الشمالية إسرائيل تتمتع بحقول خصبة تنتج محاصيل جيدة، تشكل المواد الرئيسة في تجارتها مع الفينيقيين، كما كانت سوقها رائجة مليئة ببضائع ومنتجات الشعوب الأخرى، ولهذا فقد بلغت مملكة إسرائيل ثراء كبيراً ونجحت في إقامة علاقات تجارية جيدة مع الفينيقيين وغيرهم[٤].

---

[١] – لنتون، شجرة الحضارة، ج٢، ص ١٩٠ .

[٢] – ايمار، الشرق واليونان، ص ٢٥٨ .

[٣] – سفر الملوك الأول / ٥ : ٢٧ – ٣١ .

[4]- Breasted, James Henry, op. cit. p. 225.

فخلال حكم أحاب (٨٧٤- ٨٥٣ ق.م.) ازدهرت تجارة حرة بين اليهود والآراميين ضمن معاهدات سلمية، سمح الملك أحاب بموجبها للتجار الآراميين المتاجرة في السامرة مقابل نفس الامتياز للتجار اليهود في مناطق الآراميين(١).

وكذلك أُقيمت علاقات تجارية مزدهرة مع الآراميين أيضا، في عهد الملك يهوشافاط (٨٧٣- ٨٤٩ ق.م.) الذي حكم المملكة الجنوبية(٢).

اتسعت العمليات التجارية خلال فترة حكم يربعام الثاني (٧٨٣- ٧٥٢ ق.م.) حاكم المملكة الشمالية، وأدت إلى ظهور ونمو المدن، وتزامناً مع العمل بالتجارة، بدء رأس المال(٣) يلعب دوراً مهماً، وأصبحت المفاوضات المالية منتشرة وعمليات القرض، ولاسيما المؤمن منها بمقدار كبير من الحبوب(٤).

٤- التطورات السياسية في الشرق الأدنى وأثرها في تقدم التجارة عند اليهود خلال النصف الثاني من الألف الأول قبل الميلاد.

حافظ الفينيقيون على احتكار التجارتين البرية والبحرية قرون طويلة من الزمن، بين البلدان الشرقية المتطورة نسبياً، والبلدان الغربية المتخلفة مثل جزر البحر المتوسط الغربي والبلدان المحاذية لها(٥).

لكن التطورات السياسية التي حدثت خلال النصف الثاني من الألف الأول قبل الميلاد في الشرق الأدنى، أثرت كثيراً على مراكز التجارة في هذه المنطقة، وحولت

---

(1)- Dubnov, Simon ,op.cit . p. 216 .

(2) –Ibid .

(٣) – شهد الألف الأول قبل الميلاد ظهور سوق دولية حقيقية كانت تحتضن كل مجتمعات الشرق القديم، ذلك أن الاقتصاد النقدي قد حقق درجة عالية من التطور وكان النقد بالمعنى الصحيح على شكل قطع من المعادن الثمينة لها ختم يؤكد وزنها، وإن الغايات الأساسية للنظام الرأسمالي في بداية عهده هو البحث عن المواد الأولية والأسواق والتي جعلت من الاقتصاد النقدي حيث لم يكن موجودا أمرا لا غنى عنه، وقد أسهم الاقتصاد النقدي في تفكيك الاقتصاد الجماعي التقليدي وأتاح المجال لنمو وتطور المبادلات التجارية. أنظر: ستروف، ف.ف.، العراق القديم دراسة تحليلية لأحواله الاقتصادية والاجتماعية، ترجمة: سليم طه التكريتي، ط٢،(بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٨٦)، ص٨٩ ؛ ستافنهاغن، رودولفو، الطبقات الاجتماعية في المجتمعات الزراعية، ترجمة:ناجي ابو خليل، ط١،(بيروت: دار الحقيقة، ١٩٧٢)، ص٥٥.

(4) – Dubnov, Simon , op .cit . p. 216 .

(٥) – ليون، المفهوم المادي، ص ٣٩ .

مركز الثقل التجاري من الفينيقيين إلى غيرهم، وذلك بظهور اليونان حوالي (٣٣٣ ق.م.)[١] كقوة عظمى في منطقة الشرق، حيث ساعد الاستعمار الهيليني الذي توسع كثيراً، بين القرنين التاسع والسابع قبل الميلاد، على نهضة اليونان، فأنتشر المستعمرون الإغريق في كل الاتجاهات في البحر المتوسط، وتكاثرت المدن الإغريقية، ورافق تطور هذا الاستعمار نهضة مدهشة للصناعة والتجارة الإغريقية، وهذا أدى بدوره إلى تراجع التجارة الفينيقية[٢].

ولا يمكننا أن نعزي أُفول التجارة الفينيقية فقط إلى التطور الاقتصادي في اليونان، فهناك سبب آخر، هو التناقض المتزايد بين بلاد فارس واليونان، إذ نشهد في نفس الوقت تطور الحضارة الهيلينية وتقدم الفرس عبر آسيا، وهذا التطور المتوازي للحضارتين الإغريقية والفارسية قضى نهائياً على التجارة الفينيقية[٣].

وهكذا وجدت شعوب فلسطين الأخرى من غير الفينيقيين، كالآراميين والأدوميين واليهود مجال أوسع لممارسة التجارة بسبب الانهيار الفينيقي.

وظل المجتمع اليهودي يمارس التجارة مع احتفاظه بالزراعة ذات الإنتاج المخصص للتصدير، حتى تعرض للدمار من قبل البابليين سنة (٥٨٦ ق.م.) وتم انتزاعه من العمل الزراعي إلى العمل التجاري البحت، حيث ينسب بعض المؤرخين، للمنفى البابلي، الأثر الكبير في تحويل اليهود إلى شعب تجاري، وهذا ما دلت عليه الوثائق التي عثر عليها في بابل، وهي صور معاملات وعقود تجارية وسندات تخص أحدى العائلات اليهودية والتي عرفت باسم أيجيبي وأولاده[٤] أن اليهود كانوا يتعاطون التجارة على أعلى مستوى، يشترون ويبيعون المنازل والأراضي، يقرضون الدراهم، يديرون الاموال، وضالعون في المسائل القانونية[٥].

كانت بابل منطلق التطور التجاري لليهود، حيث أستطاعوا بفضل الحرية التي منحت لهم أن يبلغوا أرقى درجات التطور التجاري، لان الشعب البابلي وحكومته كانا

---

[١] – المعلوف، التجارة عند الامم، ص ٤٠٣ .

[٢] – ليون، المفهوم المادي، ص ٤٠ .

[٣] – المصدر نفسه، ص ٤٢ .

[٤] – غنيمة، يوسف رزق الله، نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق، (بغداد: مطبعة الفرات، ١٩٢٤)، ص٥٤.

[٥] – ليون، المفهوم المادي، ص٤٤ ؛ غنيمة، تجارة، ص٢١.

يهتمان بالعمل التجاري، كما أن التغيرات السياسية التي حدثت في بابل لم تؤثر على هذا التطور، فاحتلال بابل من قبل الإمبراطورية الفارسية، منحهم فرصة أخرى في القيام بدور تجاري أساسي في منطقة الشرق الادنى القديم[١].

ثانياً: الصناعة

تعد حرفة الصناعة ركناً مهما من أركان الحياة الاقتصادية في المجتمعات الشرقية القديمة، ومعيارا لتطورها، ولكن هذا لم ينطبق على المجتمع اليهودي القديم. فعلى الرغم من الجهود التي بذلها الملك سليمان من أجل النهوض بالجانب الصناعي في مجتمعه، إلا إن النتائج لم تكن بمستوى الطموح وبقيت حرفة الصناعة متأخرة وفقيرة عند اليهود.

أسباب تخلفها في المجتمع اليهودي

كان اليهود قبل استقرارهم في فلسطين يحصلون على السلع أو المواد والأدوات الأخرى الضرورية التي يعجزون عن صناعتها بواسطة المقايضة بماشيتهم، أو بما تنتجه هذه الماشية من مواد غذائية أو غير غذائية تعد مواد أولية لكثير من الصناعات البسيطة. وكانوا يعتمدون اعتمادا كلياً على أهل المدن في حصولهم على الحاجات المصنعة والسلع المختلفة ومن قبل الشعوب المستقرة كالأواني المعدنية التي تستخدم لطهي الطعام والأدوات والأواني الخشبية[٢].

أما بعد استقرارهم في فلسطين فلم يفلحوا في تحقيق أي مستوى ملموس في المجال الصناعي، وأن تمكنوا من تقليد الكنعانيين في بعض المنتجات الصناعية البسيطة التي لم ترقى إلى مستوى التصدير والاتجار بها.

وبالرغم من اندماج المجتمع اليهودي مع المجتمع الكنعاني وتأثره بحضارة الكنعانيين فأن أبنائه بقوا عاطلين يفتقرون إلى أصول الحرف الرئيسة كالنجارة والحدادة، وفي حاجة دائمة إلى عمال مهرة يتقنون هذه الحرف[٣]. وهذا ما أكده الملك سليمان بطلبه من احيرام ملك صور **(فأمر رجالك أن يقطعوا لي أرزاً من**

---

[١] – ليون، المفهوم المادي، ص ٤٢ .

[٢] – لنتون، شجرة الحضارة، ج٢، ص ١٨٨، ١٩٩ .

[٣] – لوبون، اليهود في تاريخ، ص ٤٥ .

لبنان، ورجالي يعاونوهم، وأجرة رجالك أدفعها إليك بالمقدار الذي تريد، فأنت تعلم أن لا أحد من شعبنا خبير بقطع الخشب مثل الصيدونيين)[١].

وكان لما حرمته الشريعة اليهودية على اليهود من نحت الصور وممارسة الفنون الأخرى أثر على بقاء الجانب الصناعي عندهم لا يتجاوز أدنى الأطوار البدائية وهذا ما أدى إلى تعطيل نمو الذوق الفني والإبداع لدى المجتمع اليهودي[٢].

كما كانت الحرفة عند اليهود تفتقر إلى الاختصاص في العمل وتوزيع الأعمال الذي يؤدي بطبيعة الحال إلى تحسين الإنتاج وازدهار المهنة، وهذا أحد الأسباب التي أدت أيضا إلى تخلف الجانب الصناعي لديهم[٣].

إذ لا يخفى بأن توزيع الإعمال في الحياة العملية أو في الحياة الاقتصادية لأي شعب من الشعوب يُعد مؤشراً حضارياً، إلا أن اليهود في بداية نموهم الاقتصادي لم يكادوا يفرقون بين الحرف.

وهناك سبب رئيسي آخر هو كون بلاد فلسطين[٤] القديمة كانت سوقاً للمنتجات الأجنبية بأنواعها وممراً لها، بحيث أن اليهود لا يجدون أية صعوبة في الحصول على ما يحتاجونه من مواد مصنوعة لسد حاجاتهم من أسلحة وحلي وغيرها، ولم تكن هناك حاجة تدفع للاختراع والإبداع، إذ كما يقولون أن الحاجة أم الاختراع .

---

[١] – سفر الملوك الأول / ٥ : ٢٠ .

[٢] – لوبون، اليهود في تاريخ، ص ٤٥ .

[٣] – المصدر نفسه، ص ٤٤ .

[٤] – يرى بعض المؤرخين أن فلسطين كانت خاضعة دائما عبر تاريخها الطويل لشتى القوى الإقليمية والإمبراطوريات القوية، ولهذا فلم يكن لها نصيب خاص من الرقي الصناعي والفني، ذاك الذي نجده في حضارتي وادي النيل وبلاد الرافدين، إذ كانت كل منتجات العالم القديم بأسره، تمر بها، لأنها كانت ملتقى كثير من أهم الطرق التجارية حتى أصبحت متصرفة في صناعات عدد كبير من الشعوب، ومن ثم لم تكن بها حاجة إلى ترقية صناعاتها، ويدل ما كشف من آثارها على أنها استعارت كل خزفها وعمارتها وصياغة معادنها من بلاد أخرى. أنظر: روبنسن. تيودور.ه . إسرائيل في ضوء التاريخ، تاريخ العالم، ترجمة: عبد الحميد يونس، (القاهرة: النهضة المصرية، ب ت)، مج٢، ص ١٠٤ .

ولا سيما أن السلع والبضائع القادمة من مختلف المناشئ قد شكلت سوقا عظيمة في داخل فلسطين أو عند مرورها بأراضيها، حيث كانت البضائع والحاجات في هذا السوق تتنوع ما بين المجوهرات النفيسة والصحون البرونزية والأثاث العاجي المصري وفخار جزر إيجة وسلع من شبه جزيرة العرب ومنسوجات صوفية زاهية من بابل، وحتى القرود التي تركت أصواتها عبر ضجيج السوق والتي كانت ترعى في شواطئ النيل والفرات[١].

ولم يزدد اليهود أمام هذا الالتقاء الحضاري الفسيفسائي إلا اعتمادا عليه، في أرض وسط، اجتمعت فيها الحضارات المصرية والبابلية والفينيقية والإيجية ممثلة بحرفها وصناعاتها الممتزجة في الشرق القديم.

ولهذا بقيت الصناعة عند اليهود لا تتجاوز الحرف البسيطة لصنع الحاجات الضرورية التي يستخدمها أفراد المجتمع اليهودي، وكذلك اضطرتهم التجارة إلى تحضير بعض المنتجات النباتية التي يتاجرون بها ويصدرونها كالحنطة والخمر والزيت والدهن وما إلى ذلك، فترسل هذه المحاصيل، على الخصوص إلى فينيقية التي لم تكن لديها ما يسد حاجاتها من المواد الغذائية لإعاشة مدنها الكبيرة ومقابل ذلك تقوم فينيقية بإدخال ما تصنعه في مصانعها، أو ما تأتي به من شعوب العالم الأخرى، من الحلي والسلاح والمنسوجات والخشب والعاج[٢]، ودونك بعض الحرف والصناعات البسيطة التي أقتبسها اليهود من الكنعانيين:

تحضير النبيذ:

أهتم صانعوا الخمر وأصحاب البساتين بزراعة الكروم[٣] لكي يجنوا الربح من وراء بيعه. ويتم تحضير النبيذ كما تشير الآثار التي وصلتنا عن طريق جمع العنب في حوضين عميقين نحتا في الصخر ويبلغ طول قطر الحفرة نحو أربعة أمتار وفي قاع أحدى الحفرتين فتحة يسيل منها العصير إلى الحفرة الأخرى وقد توجد حفرة ثالثة يجري إليها العصير من الثانية أكثر نقاء وصفاء[٤]، أما العنب فيعصر

---

(1) - Breasted, James Henry, op.cit . p.220 .

(٢) – لوبون، اليهود في تاريخ، ص ٤٤– ٤٥ .

(3) – Dubnov, Simon ,op.cit . p.214 .

(٤) – علي، إسرائيل عبر، ص ١٢٦ – ١٢٧ .

عن طريق استخدام القدمين[١]، أو الأحجار ثم بعد ذلك يختمر العصير ويجمع في قوارير[٢] أو في قرب[٣] ويترك زمناً حتى يتم تخميره ثم تعاد تعبئته[٤].

صناعة الزيت:

تعد فلسطين القديمة الموطن الاصلي لشجرة الزيتون، إذ كانت هذه الشجرة على مدى التاريخ من أكثر الاشجار أهمية ونفعاً في فلسطين، وتعود زراعتها الى اقدم العهود[٥]، ويذكر العهد القديم أن بني إسرائيل عندما جاءوا الى كنعان أمتلكوا أشجار زيتون لم يغرسوها[٦].

كان الزيت يستخرج من الزيتون[٧]، عن طريق جمع ثماره قبل أن يتم نضجها في سلال تحملها النساء على رؤوسهن أو على الحمير الى المنازل أو الى المعاصر فيوضع في أكوام حتى يبدأ بالاختمار الذي يؤدي الى تكسير خلايا الزيت فيسهل استخلاص كمية من الزيت أكبر، وعندما تصبح الثمرة لينة تداس بالاقدام، أو يسحق في طاحونة تدار باليد. وقد أكتشفت مثل هذه الطاحونة بجانب معصرة زيت في جازر، كما كان يستخدم هاون من الخشب ومدقات خشبية، والهدف من كل هذه الطرق هو سحق الثمرة وترك النواة سليمة حتى يخرج الزيت نقياً[٨]. أما الزيت الممتاز فهو الذي يستخرج بدون عصر الزيتون عصرا نهائيا، أي نضوضا[٩]، وقد يطلقون عليه أيضا زيتا رطبا[١٠].

---

[١] – ورد ذكر لعملية عصر النبيذ في سفر اشعيا / ٦٣ .

[٢] – سفر ارميا / ١٣ : ١٢ .

[٣] – سفر يشوع / ٩ : ٤ ، ١٣ ؛ أيوب / ٣٢ : ١٩ .

[٤] – سفر ارميا / ٤٨ : ١١ .

[٥] – دائرة المعارف الكتابية، حرف الزاي، كلمة (زيت)، على الموقع الالكتروني http:// kotob.has.it

[٦] – سفر التثنية/ ٦: ١١ ؛ سفر يشوع/ ٢٤: ١٣ .

[٧] – ورد ذكر لنبات الزيتون في مواضع كثيرة من العهد القديم ومنها : سفر اشعيا / ١٧ : ٦ ، ٢٤ : ١٣ ؛ سفر التثنية/ ٢٤ : ٢٠ .

[٨] – دائرة المعارف الكتابية، كلمة (زيت) .

[٩] – سفر الخروج/ ٢٧ : ٢٠ ؛ علي، إسرائيل عبر، ص ١٢٧ .

[١٠] – سفر المزامير/ ٩٢ : ١١ .

إن عملية عصير الزيتون تتم غالبا في حديقته[١]، وكان الزيت يستخدم لبعض أنواع الأطعمة[٢] وللإنارة بعد تعبئته في أحواض السُّرُج[٣] كما كان أحد المكونات الرئيسة للعطور[٤]، وكان الزيت من بين المواد الغذائية المهمة التي يصدرها اليهود إلى كثير من البلاد المجاورة ولا سيما صور[٥].

أما بقية الحرف البسيطة التي أقتبسها المجتمع اليهودي أيضا من المجتمع الكنعاني فهي:

١- الحدادة:

وهي أول صنعة بدت مستقلة، غير أن المعادن لم تكن كثيرة لدى اليهود، فكان يستعاض عنه بالأدوات الحجرية والخشبية التي كانت أكثر الأدوات انتشارا حتى أن الأسلحة لم تكن مصنوعة دوما من الحديد ولا من النحاس[٦] .

٢- الصياغة:

تأثرت حرفة صياغة المعادن عند اليهود بفلسطين ومصر، وقد لحقهم تأثير الأخيرة عن طريق فينيقية[٧]. وتعد حرفة الصياغة من أهم الحرف التي انتشرت في المجتمع اليهودي، وهي صياغة الحلي من الذهب، ويطلق على الصائغ في اللغة العبرية لفظة צורף[٨] (تسورف) ، وهي تقابل لفظ صراف في اللغة العربية، وكان الصائغ عادة يذيب الذهب والفضة ليجعل المعدن أكثر طواعية للصياغة وذلك بإضافة البورق إليه[٩].

---

[١] – علي، إسرائيل عبر، ص ٢٧ .

[٢] – سفر الخروج / ٢٩ : ٤٠ .

[٣] – سفر اللاويين / ٢٤ : ٢ .

[٤] – سفر الخروج /٣٠ : ٢٤ ؛ لمزيد من المعلومات عن صناعة الزيت، أنظر: دائرة المعارف الكتابية، كلمة (زيت) .

[٥] – سفر حزقيال/ ٢٧: ١٧ .

[٦] – لوبون، اليهود في تاريخ، ص ٤٣ .

[٧] – روبنسن، إسرائيل في ضوء، ص ١٠٦ .

[٨] – שגיב, שם, כרך שלישי, עמ. 1500 .

[٩] – علي، إسرائيل عبر، ص ١٣٠ .

٣- صناعة الفخار:

لم يكن لليهود عهد بصناعة الفخار، ولم يرد ذكرها إلا مرة واحدة في العهد القديم[١]، وترجع أصول هذا الفن إلى مصر على أنه قد وصل إلى اليهود عن طريق فينيقية[٢].

وبشكل عام فأن هذه الحرف الضيقة النطاق لم تكن تصل إلى حد الإنتاج المنتظم.

النقل

يتصل موضوع التجارة بموضوع النقل اتصالاً طبيعياً، ذلك أن القدرة على تبادل البضائع تتضمن القدرة على نقلها[٣].

كان اليهود ينقلون بضائعهم براً بواسطة الجمال[٤]. وهي من أهم حيوانات النقل البري، ولهذا كانت نادراً ما تُحلب أو تؤكل لحومها[٥]، فضلاً عن أنواع أخرى من الحيوانات وأهمها الحمير والبغال[٦].

تطلب اتساع التجارة إلى وسيلة نقل أخرى عن طريق البحر، إذ سرعان ما أدرك اليهود ضعفهم في هذا الجانب، حيث لم يكن لديهم موانئ مقارنة بمدينتي صور وصيدون الواقعتان على ساحل البحر المتوسط، ولم تكن يافا ملائمة لهذا الغرض على الرغم من كونها أقرب المدن الساحلية لليهود، ولهذا كان عليهم أن يستعينوا بخبرة الفينيقيين وسفنهم في نقل البضائع[٧]، لامتلاكهم مصادر الخشب والبناء، من الأرز والشربين والنحاس والحديد المتوفرة في جبال لبنان وجوارها، فضلاً عن تمتعهم بخبرة كبيرة في البناء وصنع السفن[٨].

---

[١] – سفر صموئيل الثاني / ١٧: ٢٨ .
[٢] – روبنسن، إسرائيل في ضوء، ص ١٠٤ .
[٣] – نور الدين، موجز تاريخ، ج١، ص ٢٩ .
[٤] – علي، إسرائيل عبر، ص ١٣٧ .
[٥] – لنتون، شجرة الحضارة، ج٢، ص ١٨٨ .
[٦] – علي، إسرائيل عبر، ص ١٣٧ .
[٧] – لوبون، اليهود في تاريخ، ص ٥٦ .
[٨] – ليون، المفهوم المادي، ص ٣٩ .

فأختار اليهود ميناء أيلات الواقع عل البحر الأحمر في مملكة الادوميين[١]. وأنشأوا قاعدة عصيون جابر البحرية في أقصى خليج العقبة، لكي يحولوا إليها شطراً من التجارة مع الجزيرة العربية التي احتكرتها مصر حتى تلك الفترة، وبمساعدة الفينيقيين تم لهم ذلك، واستطاعوا بناء المراكب وقدم لهم حيرام الملاحين[٢].

[1] - Dubnov, Simon ,op.cit . p.216 .

[٢] – ايمار، الشرق واليونان، ص ، ٢٦٦ .

المبحث الثالث: التطور الطبقي في المجتمع اليهودي

مدخل :

لم تكن القبائل الإسرائيلية القديمة تعرف الانقسام الطبقي، باستثناء شعور بعضها أنها أكثر رقياً من غيرها. وكان البدو بصورة عامة يرون أنفسهم بمثابة الأشراف مقارنة مع المستقرين في المدن، ولهذا فلم يكن أي وجود للطبقات[١] في المجتمعات البدوية، ومن ضمنها المجتمع اليهودي القديم[٢].

كما أن هذا المجتمع بقي محافظا على النمط البدوي في حياته الاقتصادية، ذلك النمط الذي لا يؤدي بأي شكل من الاشكال الى تكوين فوارق طبقية، وبالتالي فلم يكن المجتمع اليهودي مقسم على أساس المستوى الاقتصادي لأبناءه.

وقد اختلفت العوامل التي ساهمت في نشوء الطبقية في المجتمع اليهودي القديم من مرحلة إلى أخرى، إذ كان في بداية استقراره في فلسطين يتألف من طبقتين رئيسيتين هما طبقة الأحرار وطبقة العبيد[٣]، حتى أن العبيد لم تكن لهم في البدء طبقة منفصلة، بل كانوا يُحْسَبون من ضمن العائلة[٤]. بالإضافة إلى طبقة ثالثة أخذت تتطور مع الزمن حتى بلغت القمة من الهرم الاجتماعي، وهي طبقة الكهنة. كما ظهرت طبقات اجتماعية أخرى كان ظهورها نتيجة لقيام الملكية وما حققته من رفاه اقتصادي في عهدها ومنها طبقة الموظفين، وطبقة التجار الأغنياء، ولاشك أن استمكان هذه الطبقات في المجتمع اليهودي، قد خلّف وراءه طبقات أخرى معدمة، هي طبقة الفقراء من عمال وغيرهم.

---

[١] – الطبقات: هي جماعات اجتماعية كبيرة العدد متدرجة ومنفصلة بعضها عن بعض بصورة حقيقية أو تحكمية. وقد تظهر بشكل حقيقي وتستند إلى أسس اجتماعية وحضارية واضحة، أو إلى أسس ومؤشرات يحددها الباحث نفسه ليقسم بموجبها المجتمع إلى مراتب متدرجة. أنظر: الحسن، إحسان محمد والعطية، فوزية، الطبقية الاجتماعية، (الموصل: مطبعة الجامعة، ١٩٨٣)، ص ٨ وما بعدها .

[2]- De Vaux ,Roland, ANCIENT ISRAEL Its Life and Institutions ,(New York, 1961), p.68 .

[٣] – موسكاتي، الحضارات السامية، ص ١٦٧ .

[4] –De Vaux , Roland , op. cit . p.68 .

وقد تحول المجتمع اليهودي من مجتمع ذات نظام عشيري إلى مجتمع ذات نظام طبقي، وذلك بسبب التطور الاقتصادي الذي حصل نتيجة لأمرين هما: ظهور الملكية الفردية في الأرض والعبيد، وتطور التجارة الخارجية.

كما أن التغيرات التي طرأت فيما بعد على علاقات المِلْكية لوسائل الإنتاج قد وضعت بصماتها أيضاً على التركيب الطبقي للمجتمع اليهودي.

وتشير الدراسات الاجتماعية والانثروبولوجية التي أُجريت على المجتمعات البشرية ولا سيما المجتمعات القديمة منها، إلى أن النمو التاريخي للمجتمع البشري ساعد على ظهور تقسيم العمل، وعلى تعقيد التنظيم الاجتماعي، وبالتالي بروز ظاهرة التدرج الطبقي[١].

ولهذا فان أبرز الأسباب التي أدت إلى نشوء الطبقية في المجتمع اليهودي القديم هو بروز ظاهرة تقسيم العمل، والتي تعتبر من الظواهر الأساسية في نشوء التباين الاجتماعي والطبقي، فظهر التمايز بين العبيد والأحرار من كهنة وموظفين وتجار، وكذلك أدى تنوع الوظائف داخل نطاق المجتمع اليهودي إلى الهيمنة على تكوين الطبقات بشكل عام.

إذ أن التطور الاجتماعي وتعدد الحاجات والرغبات البشرية وبالتالي تقسيم العمل أدى إلى تصنيف الأفراد في مراتب اجتماعية مختلفة حسب طبيعة عملهم وحسب تخصصهم[٢]، ومثال على ذلك، ما نتج عن ظهور الزراعة ونظام الرق، وتقسيم العمل وما يقتضيه من تباين بين الناس والذي أدى إلى تقلب مساواة المجتمع إلى تفاوت ثم انقسامه إلى طبقات، كما أدى ظهور الآلات وتنوعها في المجال الزراعي والحرفي تدريجياً إلى إخضاع الضعيف العاجز للقوي الماهر، كما عمل نظام التوريث على أتساع الهوة بأن أضاف إلى الامتياز في الفرص السانحة امتيازاً في الأملاك ونتيجة لهذه المتغيرات فقد انقسم المجتمع اليهودي إلى طبقات وأحسَّ الأغنياء بغناهم والفقراء بفقرهم أحساساً أدى فيما بعد إلى نزاع أفضى صراعا وحربا بين الطبقات.

---

[١] – الحسن والعطية، الطبقية، ص ٨ .

[٢] – المصدر نفسه، ص١٣ .

إن الطبقات الاجتماعية تتشكل وتتغير بتغير المجتمع وهي تمثل التناقضات الرئيسة للمجتمع، كما أنها حصيلة هذه التناقضات، أي أن هنالك بين الطبقات وبين المجتمع بشكل عام حركة وعلاقة متبادلة[1].

وعلى هذا الأساس فلا يمكن تحديد شكل ثابت يعبر عن النظام أو التدرج الطبقي في المجتمع اليهودي خلال الألف الأول قبل الميلاد، بدراسة محددة بفترة معينة. كما هو الحال بالنسبة للمجتمعات الأخرى في الشرق الأدنى القديم، كالمجتمع المصري أو المجتمع البابلي أو الآشوري. لأن المجتمع اليهودي، قد تعرض خلال ألاف الأول قبل الميلاد إلى تحولات سياسية واقتصادية سريعة ومكثفة، كانت دوما تلعب دورا أساسيا في تغيير النظام الطبقي، فزحزحت طبقات عن مكانها أو أزالتها نهائيا، وأضافت طبقات جديدة لم تكن معروفة سابقا.

ولهذا يلوح لنا أن النظام الطبقي في المجتمع اليهودي، خلال الالف الاول قبل الميلاد، قد مر بمرحلتين، الاولى هي التي سادت في عهد الملك سليمان واستمرت حتى سقوط مملكة يهوذا وخراب أورشليم سنة (٥٨٦ ق.م.) والثانية، شهدها اليهود بعد عودتهم من الاسر البابلي سنة (٥٣٨ ق.م.) وكانت هذه المرحلة أكثر تأثراً من سابقتها بالظروف السياسية، وأستمرت حتى خراب الهيكل الثاني على يد الرومان سنة (٧٠ م) وتشتيت المجتمع اليهودي، بحيث تحطمت كل الحواجز بين الطبقات، إلى الدرجة التي تساوى بها الحاكم مع الرعية.

ودونك عرض لأهم طبقات المجتمع اليهودي التي سادت في عهد الملك سليمان واستمرت من بعده:

أولاً: طبقة العامة

من أكبر طبقات المجتمع اليهودي القديم، وكانت تضم المواطنين من عامة الناس، كالعاملين في الحقول والمزارع والمداجن والمحلات التجارية الصغيرة، وغيرهم من الشرائح الفقيرة والمعتمدة في عيشها على جهودها اليومية.

---

[1] – الحسن، الطبقية، ص ١٧ .

وعلى الرغم من فقر هذه الفئات إلا أنها والفئات الثرية ذات النفوذ المادي والسياسي، شكلت طبقة اجتماعية واحدة هي طبقة الأحرار. فجميعهم كانوا يعاملون معاملة واحدة أمام القانون، ويتمتعون بالحقوق والواجبات نفسها بعد وصولهم إلى سن البلوغ التي حددها سفر العدد[١] بالعشرين، وكان هو أدنى سن للانخراط في الجيش[٢]، إلا ما نص عليه القانون خلاف ذلك.

وقد كانوا جميعا أحرارا من الوجهة النظرية إلا أنه في الواقع هناك نسبة كبيرة منهم كانت مقيدة بالظروف الاقتصادية الصعبة، التي تصل بهم في الغالب، إلى تفضيل حياة الرق على العيش أحرارا بمستوى الفقر، الذي لا يجدون معه ما يسد جوعهم أو رمقهم، وقد يضطرون إلى بيع أولادهم رقيقا.

ولم تتميز طبقة العامة في المجتمع اليهودي عن مثيلاتها في مجتمعات الشرق الأدنى القديم خلال الألف الأول قبل الميلاد، حيث الأكثرية المحرومة من وسائل الإنتاج والأرض، إلى الدرجة التي أصبح فيها العبيد أحسن حالاً منهم، لأن العبيد كانوا مقترنين بوسائل الإنتاج، ويحصلون على درجة أوسع من الاستقلال الاقتصادي[٣]، حتى أصبح مع مرور الزمن انقلاب طبقة العامة من أحرار إلى عبيد من الأمور الطبيعية في المجتمع اليهودي، وقد وضع العهد القديم بعض الفقرات القانونية التي تراعي أحوالهم الاجتماعية والاقتصادية بعد تحولهم إلى رقيق.

وعلى الرغم من أن العادات والتقاليد والأعراف اليهودية قد وحدت وساوت بين أبناء طبقة الأحرار، إلا أن الشريعة كانت تفرق بينهم في أداء بعض الطقوس، بما يتلائم مع التفاوت في المستوى المعيشي لهذه الطبقة.

ففي أداء طقس ذبيحة الخطيئة مثلاً، كانت تقسمهم إلى ثلاثة فئات: ذبيحة الرئيس، ذبيحة العامة من الناس، ذبيحة الفقراء.

اقترنت أحوال طبقة العامة بطبيعة الظروف الاقتصادية التي يمر بها المجتمع اليهودي، على العكس من الطبقات الاجتماعية الأخرى، كطبقة الكهنة، التي ضلت

---

[١] – سفر العدد / ١: ٣ .

[٢] – موسكاتي، الحضارات السامية، ص ١٦٧ .

[٣] – جماعة من علماء الآثار السوفيت، العراق القديم، ص ٩٠ .

محافظة على امتيازاتها لعدة قرون لا تتأثر بسوء الأحوال الاقتصادية التي تعصف بمجتمعها لأنها طبقة وراثية حُددت بسبط دون آخر.

ولهذا نجد العهد القديم يوصي في أسفاره بعدم الاستغلال البشع لأبناء هذه الطبقة: **(لا تهضم أجرة مسكين ولا بائس من أخوتك بني إسرائيل، أو من الدخلاء الذين في أرضك ومدنك، بل أدفع إليه أجرته في يومه، قبل أن تغيب عليها الشمس، لأنه مسكين وبها يعول نفسه لئلا يدعوا عليك إلى الرب فتكون عليك خطيئة)**[1].

كما كان التغيير السياسي الداخلي والوضع الذي يترتب عليه يلقي بضلاله على أحوال هذه الطبقة، فقد يكون نحو الأحسن، كما في عهد الأنبياء الملوك داود وسليمان، اللذان عملا على بناء المجتمع اليهودي في شتى نواحي الحياة الروحية والمادية، سيما الملك سليمان الذي أحدث انقلابا اجتماعياً كبيراً، كان من نتائجه، تحويل هذه الطبقة من الاتجاه العسكري إلى الاتجاه العمراني.

وكانوا يعملون بأعداد هائلة بنظام السخرة، الذي ضمن لهم ولعوائلهم بالمقابل حياة كريمة، كما ورد تفصيل ذلك في سفر الملوك **(وسخر الملك سليمان من كل إسرائيل ثلاثين ألف رجل، وأوكل أمرهم إلى أدونيرام، فكان يرسل منهم إلى لبنان عشرة آلاف في الشهر مناوبة، فيكونون في لبنان شهراً وفي بيوتهم شهرين، وكان لسليمان سبعون ألف رجل يحملون الحجارة وثمانون ألفاً يقطعونها في الجبل..)**[2].

بقيت طبقة العامة خلال الألف الأول قبل الميلاد، تنتقل من وضع إلى آخر متأثرة بالأحوال الاقتصادية والسياسية التي تمر بها البلاد سواء كان مصدرها من الخارج أو من الداخل.

---

[1] – سفر التثنية / ٢٤: ١٤، ١٥ .

[2] – سفر الملوك الأول / ٥ : ٢٧ – ٣٠ .

ثانياً : طبقة الرقيق

الرق هو أن يصبح إنسان مملوكا لجماعة أو لفرد معين فيجرد من معظم الحقوق المدنية وحقوق الإنسان التي ينعم بها الحر[١]، ويعامل في كثير من الوجوه معاملة السلعة المملوكة، مع بعض الفوارق التي تقتضيها طبيعة الإنسان واختلاف مقوماتها اختلافا جوهريا عن غيرها من الملكيات المتعلقة بالجماد والحيوان[٢].

وقد عرف اليهود الرق منذ أقدم عهودهم، ولكنه لم يكن شائع على نطاق واسع في عائلات المجتمع الإسرائيلي بمراحله التاريخية الأولى، وذلك لأن عمل الرقيق أو العبيد وانتشارهم في المجتمعات القديمة كان يقترن بمقدار الحاجة إليهم ولا سيما في الشعوب المتحضرة أو المستقرة، فكان هناك، إلى جانب العائلات التي تستخدم هذه اليد العاملة،عائلات كثيرة تكتفي بقوى عملها العائلية الخاصة[٣].

وبهذا فأن طبيعة الحياة البدوية التي كان يعيشها المجتمع الإسرائيلي تكاد تحد من هذه الحاجة، على عكس ما ذهب إليه بعض الباحثين الذين قالوا بانتشار نظام الرق والعمل به عند العبريين منذ أقدم عهودهم[٤].

إذ يتضح من خلال بعض فقرات العهد القديم أن وجود الرقيق في المجتمع الإسرائيلي بكثرة كان يرتبط بأحوال وظروف خاصة، ومن أهمها العمل في الأرض وزراعتها[٥].

وعلى هذا الأساس فلم يكن لدى اليهود حاجة إلى العبيد في بداية تغلغلهم في فلسطين لأنهم لم يكونوا على مستوى اقتصادي وحضاري متقدم[٦].

---

(1) –De Vaux , Roland, op.cit. p. 80.

(٢) – وافي، اليهودية واليهود، ص ١٢٤ .

(٣) – سيغال، تطور المجتمع، ص ١٣ .

(٤) – وافي، اليهودية واليهود، ص ١٢٤ .

(٥) – سفر التكوين / ٢٦ : ١٢– ١٤ .

(٦) – المسيري، محمد عبد الوهاب، الجماعات الوظيفية اليهودية نموذج تفسيري جديد، ط٢، (القاهرة: دار الشروق، ٢٠٠٢)، ص ٢٢٧ .

ولكـن يبـدو أن الحاجـة إلـى الرقيـق قـد زادت فـي المراحـل التاريخيـة اللاحقـة، وأصبحوا يشكلون طبقة اجتماعية رئيسية من طبقات المجتمع اليهودي ولا سيما بعد الاستقرار في فلسطين والعمل في الزراعة.

مصادر العبيد:

كانت طبقة العبيد في المجتمع اليهودي تتألف من فئتين أجانب وإسرائيليين[١]. وكان أغلب العبيد من الأجانب[٢]، وأكثر هؤلاء هم أسرى الحروب التي تنشب بين اليهود والشعوب الأخرى، كالحرب التي اندلعت مع الكنعانيين والتي أمدتهم بمعظم ما كانوا يملكون من رقيق[٣]، وكذلك النزاعات بين اليهود أنفسهم والتي تؤدي في أكثر حالاتها إلى الاقتتال، ولهذا فقد كانت الحروب من أولى مصادر الرقيق.

وقد تدخلت الشريعة اليهودية بقوة وضمنت بعض الحماية للرقيق الإسرائيليين (اليهود) فحرمت عليهم استرقاق من يؤسرون أو يغلبون من أبناء جلدتهم[٤].

ولكن يبدو من شواهد تاريخية كثيرة أنهم كانوا يخالفون هذه الوصايا ويعاملون الإسرائيلي أسير الحرب الداخلية معاملة الأسير الاجنبي فيضربون عليه الرق[٥].

وكان من مصادر الرق لديهم كذلك العقوبات التي كانت توقع أحيانا على السارق وعلى المدين العاجز عن دفع دينه، فالشريعة اليهودية تقضي بالرق على السارق الذي لا يستطيع دفع التعويض المالي الذي يحكم به عليه لصالح المسروق منه[٦]، وفي هذا يقول سفر الخروج **(إذا سرق رجل ثورا أو حملا وذبحه أو باعه وجب عليه أن يرد لصاحب الثور خمسة ثيران ولصاحب الحمل أربعة حملان ... وأن كان ما سرقه لا يزال حيا في يده، سواء أكان ثورا أم حمارا أم حملا، فإنه يرد ضعفه**

(١) – موسكاتي، الحضارات السامية، ص ١٦٧ .

(٢) – سفر اللاويين/ ٢٥: ٤٤– ٤٦ .

(٣) – وافي، اليهودية واليهود، ص ١٢٥ .

(٤) – سفر اللاويين / ٢٥: ٤٦ .

(٥) – وافي، اليهودية واليهود، ص ١٢٥ .

(٦) – سفر الخروج / ٢٢: ٢ .

لصاحبه، فأن لم يكن لديه ما يكفي للسداد وجب بيعه هو نفسه واستيفاء التعويض من ثمنه)[١].

ولكن الشريعة في مثل هذه الأحوال تميز بين العبد الإسرائيلي والأجنبي وتوجب معاملة الرقيق الإسرائيليين الذين يُباعون من أجل الدين كأجراء لا كأرقاء[٢].

وكان شراء العبيد أيضا يشكل مصدرا آخر للحصول عليهم، حيث كانت تجارة الرقيق في البدء بأيدي الفينيقيين[٣]، ثم ما لبثت أن انتشرت في المجتمع اليهودي وأصبحت رائجة بشكل كبير[٤]، وما يدل على ذلك هو الرق الاختياري عند اليهود حيث حيث أجازت الشريعة اليهودية لليهودي أن يبيع نفسه بيعا اختياريا لأخيه اليهودي فيصبح رقيقا له، في حالات العوز أو الافتقار[٥] واشترطت أن يُعامل الرقيق في مثل تلك الحالة معاملة الأجير لا العبد، ثم ينفك من الرق في سنة اليوبيل ويعود مع أهله وبنوه إلى وضعه الطبيعي حيث عشيرته وملك آبائه[٦] وكذلك ربما يدفع الفقر رب العائلة فيلجأ إلى سلطته الأبوية على أولاده فيبيع أحدى بناته أو جميعهن بيع الرقيق لمن يريد الزواج لنفسه أو لأحد أبنائه[٧]، ونجد ما يشبه تلك الفقرة في قانون حمورابي[٨] حمورابي[٨] الذي يشكل أساسا للشرائع اليهودية. حتى أن قوانين العقوبات لهذه الشرائع قد تخلت عن مبدأ القصاص ولم يُطبق على العبيد في المجتمع اليهودي في المرحلة التي كان فيها هو المبدأ الأساسي، وذلك تقليداً للقوانين العراقية القديمة وتحديداً قانون حمورابي[٩].

---

[١] – سفر الخروج / ٢٢: ١– ٥ .

[٢] – لوبون، اليهود في تاريخ، ص ٤٨ .

[٣] – موسكاتي، الحضارات السامية، ص ١٦٧ .

[4] – De Vaux , Roland , op.cit . p.80 .

[٥] – سفر التثنية / ١٥: ١٢ – ١٥ ؛ سفر اللاويين / ٢٥ : ٣٩ – ٤٣ .

[٦] – سفر اللاويين / ٢٥: ٣٩– ٤٣ .

[٧] – سفر الخروج / ٢١: ٧– ١١ ؛ Dubnov ,Simon ,op.cit . p.218 .

[٨] – الرويح، صالح حسين، العبيد في العراق القديم، (بغداد: مطبعة اوفسيت الميناء، ١٩٧٧)، ص ٥٤ .

[٩] – موسكاتي، الحضارات السامية، ص ١٧١ .

وعلى الرغم من أن الشريعة اليهودية قد اقتبست جل قوانينها التي تخص العبيد من الشرائع العراقية القديمة، إلا أنها أضافت مسحة أخلاقية دينية أعطت خصوصية واضحة لتاريخ المجتمع اليهودي، حيث اهتمت هذه الشريعة إلى حد ما بحقوق العبيد، سيما أن هناك كثير من الآيات التوراتية تذكر بالعبودية في مصر، وتأمر بعدم استعباد الآخرين **(أذكر أنك كنت عبدا في أرض مصر وفداك الرب إلهك، ولذلك أنا آمرك اليوم بهذه الوصية...)**[١].

أن الاهتمام بحقوق العبيد في الشريعة اليهودية، ينطلق من الفهم الذي ينظر إلى الديانة اليهودية على أنها ثورة على العبودية وتأكيد على الحرية[٢] ولهذا فقد انبثقت أكثر أكثر هذه الشرائع عن عمق الإدراك والإحساس بأحوال العبيد، وهي تذكِّر اليهود بأنهم كانوا يرزحون تحت نير العبودية في مصر[٣].

وقد أخذ هذا المفهوم في الديانة اليهودية والعرف اليهودي بعدا إنسانيا وأخلاقيا، تميز به عن بقية شعوب الشرق الأدنى القديم في معاملة الرقيق، إذ نجد أن شرائع هذه الشعوب الخاصة بالعبيد تنحاز إلى جانب المالك ومصلحته على حساب العبيد[٤].

غير أن هذه الحقوق التي نص عليها التشريع أو العرف اليهودي لم تطبق في كل الفترات وأهملت فيما بعد وتعرضت إلى الانتهاك.

ثالثاً: طبقة الكهنة

آ- نشوءها

يُرجع بعض الباحثين جذور الكهانة إلى السحر، بل يعدهما تؤمان نشئا سوية ثم ما لبثا إن افترقا، وأصبحا مختلفين متصارعين بينهما، فالسحر تعبير عن الغرور الإنساني، يجسد اعتقاد الإنسان بأنه قادر على التحكم في ظواهر الطبيعة وبالمقابل

---

(١) – سفر التثنية / ١٥ : ١٥ .

(2)-Snell, Daniel.C.,Flight and Freedom in the Ancient Near East, (Netherlands, 2001), 2001), p.120,123 .

(3) - Ibid, p. 131.

(٤) – رشيد، فوزي، الشرائع العراقية القديمة، ط٣،(بغداد: آفاق عربية، ١٩٨٧)، ص ١٦٦ .

يعبر الدين عن التواضع الإنساني، إذ يجسد اعتقاد الإنسان بأنه أضعف وأضأل شأناً من أن يتحكم في ظواهر الطبيعة[١].

في المراحل الأولى للكهانة، قام الكهنة بإقناع الناس بصورة غير مباشرة على أنهم الوسطاء بين البشر العاديين وبين الله، فشعائر الدين وطقوسه كما يصفها الكهنة باعتبارها مملاة عليهم من السماء معقدة وصعبة ومخيفة في الوقت ذاته، وارتكاب أي خطأ في ممارستها يمكن أن تترتب عليه عواقب وخيمة لمن يخطئ[٢]. ومع مرور الوقت تكونت قناعة لدى الناس العاديين بأنهم غير قادرين على الاتصال بالقوى العليا مباشرة للوقوف منها على أوامرها ونواهيها كيما يلتزموا بها، ولهذا فقد استطاعوا أن يظهروا كطبقة من المتخصصين والوسطاء بين الجماعة وإله الجماعة[٣].

ومن جانب آخر، أنطوى شحن الذاكرة الجمعية عن طريق الحديث أو القصص المتكرر للتراث المتناقل شفاها من جيل إلى جيل على إعلاء لمكانة الكهنة بين الجماعة[٤]. وضلت هذه الروايات أو القصص المتناقلة شفاهاً، السلاح الرئيس في أيديهم. وعلى الرغم من أيمان القدماء بالنبوءات الكهنوتية فلم يغب عنهم أن بعض الكهنة يستخدمونها لصالحهم الشخصي[٥].

والكَهَانَة في اللغة، من الفعل كَهَنَ وتَكَهَّنَ لفلان، أي قضى له بالغيب وحدثه به[٦]. به[٦]. ومن الفعل كَهُنَ أي صار كاهناً أو صارت الكَهَانة له طبيعة وغريزة.

أما الكاهن اصطلاحا فهو من يقوم بأمر الرجل ويسعى في حاجته، ويدعي معرفة الأسرار أو أحوال الغيب[٧]، وأصل اللفظة من כוהן[٨] كُهِنْ بالعبرانية، أو من (كُهْنا) بالسريانية[٩].

---

(١) – مقار، شفيق، السحر في التوراة والعهد القديم، ط١،(لندن: رياض الريس، ١٩٩٠)، ص ٢٢ .

(٢) – مقار، السحر، ص ٢٣ .

(٣) – المصدر نفسه، نفس الصفحة .

(٤) – المصدر نفسه، ص ١٤٧ .

(٥) – غربال، محمد شفيق، الموسوعة العربية الميسرة، (القاهرة، ب مط، ١٩٦٥)، ص ١٤٩١ .

(٦) – ابن منظور، لسان العرب، مج١٣، ص ٣٦٢ – ٣٦٣ .

(٧) – معلوف، المنجد، ص٧٠١ – ٧٠٢ .

(٨) – שגיב, שם, כרך שני, עמ . 726 .

(٩) – منَّا، المطران يعقوب أوجين، قاموس كلداني– عربي، (بيروت: منشورات مركز بابل، ١٩٧٥)، ص٣٢٧.

وتُعد الكهانة في المجتمع الإسرائيلي القديم وظيفة دينية بالدرجة الأساس(١)، يتولى القائمون عليها وهم الكهنة، تقدمة الذبائح لله والتشفع من أجل أبناء مجتمعهم(٢). ولم تكن هذه الوظيفة معروفة بشكلها الذي أصبحت عليه فيما بعد، إذ كانت الطقوس الدينية تؤدى بطريقة بسيطة ومباشرة يقوم بها الأنبياء(٣) عن عشائرهم عشائرهم وأُسرهم وأنفسهم(٤)، لأن المجتمع اليهودي كان لا يزال في طور التكوين وبالتالي فلم تكن هناك حاجة إلى خلق كهنوتية عامة، ولاسيما أن هذا المجتمع في نشأته الأولى، لم يكن يعرف القرابين وتقديمها ضمن طقوس دينية يهوية(٥). وترجع الكهنوتية اليهودية إلى النبي موسى(عليه السلام) كما يتضح من خلال أسفار العهد القديم(٦) القديم(٦) التي تؤكد بأنه أول من أوجدها(٧)، وتعتبره أول كاهن قام بهذا الدور عند إتمام العهد(٨)، وقد قام النبي موسى(عليه السلام) بإرساء أُسس النظام الكهنوتي، بدءا من أيجاد مستلزمات الكهنوتية وانتهاءا بتنصيب أخيه هارون وبنيه لإدارة الكهنوت بأمر الله(٩) حيث تطالعنا أسفار العهد القديم، كيف أن النبي موسى(عليه السلام) قد اشرف على صناعة خيمة الاجتماع وأدواتها(١٠) من أثاث ومذبح وثياب للكهنة.

---

(١)- Rooke, Deborah W., Zadok's Heirs the Role and Development of the High Priesthood in Ancient Israel , (Oxford, 2000), p. 11.

(٢) – كامل، مرا د، الكتب التاريخية، ص ٢٠ .

(٣) – يُعرف الأنبياء في الأدبيات اليهودية بالآباء ويعني بهم الذين عاشوا في عصور قديمة، ومنهم آدم وشيث، وشيث، ممن عُرفوا قبل الطوفان، ومنهم نوح وأولاده، ممن عرفوا بعد الطوفان، ومنهم إبراهيم وأسحق ويعقوب، وهم الذين ذكرهم العهد القديم على أنهم أصول لشعوب كثيرة ،أنظر: سفر التكوين / الإصحاحات ٤، ٥، ١٧ .

(٤) – سفر التكوين/ الإصحاحات : ٢٢، ٢٧ .

(٥) – علي، إسرائيل عبر، ص ٢٢٧ .

(٦) – سفر الخروج/ ١٢، ٢٠ : ٢٤– ٢٥ ؛ سفر العدد/ ١٥ .

(٧) – سفر الخروج/ ٢٤: ٦

(٨) – العهد: تذكر أسفار التوراة بان هناك عهدا قد تم إبرامه بين الرب وبين شعب بني إسرائيل بواسطة النبي موسى (عليه السلام) الذي اخبر شعب بني إسرائيل بجميع كلام الرب وأحكامه ، فكان جوابهم كل ما تكلم به الرب نعمل به، أنظر: سفر الخروج / ٢٤ .

(٩) – سفر الخروج/ ٢٩ .

(١٠) – سفر الخروج / ٣٦ ، ٣٧ .

وبعد ذلك أصبح الكهنوت في يد سبط واحد هو سبط هارون[١]، وكان على ثلاثة درجات: رؤساء كهنة، وكهنة، ولاويين، حيث كان **رئيس الكهنة** أعظم الأشراف في المجتمع اليهودي، لاعتقادهم بأن الله يعلن إرادته لهم عن طريقه[٢] إذ كان يدعي أنه أنه يوحى إليه كالأنبياء[٣]، وكانت وظيفته ميراثاً في آل هارون[٤] يتولاها الابن البكر إذا إذا خلا من العيوب الجسدية[٥]، وكانوا يعينوه في حفل كبير، بعدها يباشر مهامه، ومنها ومنها تقديم المُحرقة الذبيحة أو التقدمة[٦] يومياً وكان يلبس الملابس الفاخرة أو ما يسمى بـ(الأفود).

أما **الكهنة** فهم أيضاً من أسرة هارون، وكانوا يقومون بتقديم الذبائح اليومية تحت أشراف رئيس الكهنة، ويقومون بالأعمال التي تتطلبها خيمة الاجتماع، وكان عليهم أرشاد مجتمعهم إلى سُنة الله[٧] كما كانوا منقسمين إلى أربع وعشرين فرقة وكل فرقة منهم تخدم في الهيكل أسبوعاً[٨].

أما **اللاويون** فهم الذين ينحدرون من نسل لاوي بصورة عامة، وليس من نسل هارون[٩]، ولهذا فأن رتبتهم الكهنوتية أقل من الكهنة، وكانوا يقومون بمساعدة الكهنة الكهنة في الخدمة المقدسة[١٠]. ويجوبون البلاد ليعلموا أبناء شعبهم، وكانت لهم عشور ثمار الأرض جزاء على خدمتهم للشعب[١١]، كما كانت لهم ثمان وأربعون مدينة بمسارحها لسكنهم ولبهائمهم[١٢].

---

[١] – سفر الخروج/ ٢٩: ٩ .

[٢] – كامل، مرا د، الكتب التاريخية، ص ٢٠ .

[٣] – شلبي، مقارنة الاديان، ج١، ص ٢١٣ .

[٤] – سفر الخروج / ٢٩ : ٩ .

[٥] – سفر اللاويين / ٢١: ١٦– ٢٢ .

[٦] – التقدمة هي قربان يصنع من غلة الحبوب، بخلاف المُحرقة التي هي من الطير والحيوان. أنظر: سفر اللاويين/ ١، ٢ .

[٧] – كامل، الكتب التاريخية، ص ٢١ .

[٨] – سفر أخبار الأيام الأول / ٢٤ .

[٩] – نسل هارون الذي هو عضو في قبيلة لاوي ،يشكل طبقة الكهنة ، أما سائر نسل لاوي فيشكلون طبقة أدنى أدنى هي طبقة اللاويين. أنظر: سفر العدد / ٣: ٥ – ١٠ .

[١٠] – سفر العدد / ٣: ٦– ٨ .

[١١] – سفر العدد / ١٨: ٢١ .

[١٢] – سفرالعدد / ٣٥: ١– ٨ .

وهناك طبقات أخرى من الكهنة تتميز عن الطبقات المار ذكرها بأنها أدنى منها، وهم النثينيم أي **الموهوبون**، الذين كانوا يخدمون الهيكل وخيمة الاجتماع ويكلفون بالأعمال الشاقة مثل جمع الحطب وجلب الماء[١] وهؤلاء هم الكنعانيين الذين عُفي عنهم ولم يُقتلوا[٢].

وكذلك **المنذورون**، وهم الذين نُذروا لعبادة الله الخاصة لمدة أسبوع أو شهر أو سنة أو مدى الحياة، ومنهم من نذر نفسه اختيارا، وللنذر قوانين صارمة على المنذر أن يتبعها[٣].

ب- تطورها[٤]

أدى تطور حياة المجتمع اليهودي في كافة مظاهرها، وما ترتب عليها من تعقد وتقدم في البنيان الاجتماعي، إلى تحويل الكهنة، من مجرد خدام للمعابد ومرتلي تعاويذ إلى طبقة مهنية قوية ومتميزة صعدت بسرعة فاحتلت مكانة رفيعة في قمة الهرم الاجتماعي[٥]، ولا سيما بعد الانقسام السياسي الذي حل بمملكة اليهود الموحدة[٦].

وقبل أن يمضي وقت طويل، كانت تلك الطبقة الكهنوتية قد استوعبت تماماً الطبقة الحاكمة، فبات الملك كاهنا أعلى فيها، وبات الكهنة سلطة عليا في المجتمع، أن لم يكن ذلك بالجلوس الفعلي على العرش فبالحكم روحياً في شؤون المجتمع[٧].

وبطبيعة الحال، نجم عن ذلك الصعود إلى قمة الهرم الاجتماعي، تعاظم لثراء الطبقة الكهنوتية ومزاياها، فرجال الدين هؤلاء، قد أخذوا من مهنتهم هذه وسيلة لجمع الثروة، حتى أصبحت هذه الطبقة أكبر مالكة لوسائل الإنتاج في المجتمع اليهودي وتفردت بحصانات لم تشمل غيرهم من أبناء المجتمع اليهودي.

---

(١) – كامل، الكتب التاريخية، ص ٢١ .

(٢) – سفر يشوع / ٩: ٢١– ٢٧ ، سفر عزرا / ٨ : ٢٠ .

(٣) – سفر العدد / ٦: ٢– ١٢ .

(٤) – للإطلاع على تفاصيل أكثر حول مراحل تطور الكهانة في المجتمع اليهودي خلال الألف الأول قبل الميلاد، أنظر : Rooke , Deborah W., op cit . pp. 80-125.

(5) Rooke, Deborah W., op . cit. p. 145.

(٦) – أنظر : الفصل الخامس، المبحث الأول .

(٧) – مقار، السحر، ص ١٤٥ .

وهكذا فقد أستمر الكهنة في استغلال سلطتهم الدينية للوصول إلى منافعهم الشخصية، بما مُنِحوا من امتيازات خاصة من قبل النظام الديني الكهنوتي، تميزوا بها عن باقي طبقات المجتمع، ومنها حصر وظيفة الكهنوت بمراتبها على سبط لاوي، وجعل أسرة هارون في قمة هذا النظام لتسنم منصب رئاسة الكهنوت دون غيرهم من اللاويين وخلع لقب كبير الكهنة على من يتولى هذا المنصب، ووضع المراتب الأخرى من الكهنة تحت خدمته وتصرفه، وتميز أيضا عن سائر المجتمع بالقداسة التي شملت حتى مظهره وثيابه الفاخرة التي صنعت من أجود الأقمشة ذات الألوان الزاهية والمطرزة بخيوط الذهب، ولا سيما أن هذه الثياب تشكل بمجموعها ما يشبه ثياب الملوك في الشعوب الأخرى، إلا أن ما يميزها هو تلك الرموز الدينية التي نقشت عليها، كأسماء الأسباط مثلاً[١]، بالإضافة إلى التاج المصنوع من الذهب الخالص والمنقوش عليه (القداسة للرب)[٢].

وبهذا فقد رسمت أسفار العهد القديم صورة مميزة للكاهن، فنانها الكاهن نفسه، عندما أفردته بشخصية مختلفة عن سائر الناس في المجتمع اليهودي، بإضفاء صفة القداسة عليه من خلال فرض بعض الالتزامات الشكلية المتعلقة بهيئته كاشتراطها أن يكون سالما من العيوب والعاهات الجسدية[٣]، وكذلك من خلال تحديد علاقاته الأُسرية والاجتماعية، كالزواج، والحداد على الموتى من أقاربه وطقوس الدفن وجعلت الكهنوت حكراً على أُسرة هارون ووظيفة وراثية، كما كان للكهنة وحدهم حق تفسير النصوص[٤]، النصوص[٤]، ولم تكن القرابين مقبولة إلا إذا قُدمت على يد أحدهم، كما جاء هذا المعنى في سفر العدد **(وأيُّ واحد سواكم تقدم لمثل ذلك فليقتل)**[٥]، وكانوا معفيين من الضرائب، وتقدم لهم العشور من نتاج الضأن، ويأخذون ما بقي من القرابين، وهذا ما أكده العهد القديم **(وكل التقدمات المقدسة التي يقدمها بنو إسرائيل للرب، جعلتها لك**

---

(١) – سفر الخروج / ٢٨: ٩ .

(٢) – سفر الخروج / ٢٨: ٣٦ .

(٣) – سفر اللاويين :٢١ .

(٤) – شلبي، مقارنة الاديان، ج١، ص ٢١٣ .

(٥) – سفر العدد / ١٨: ٧ .

ولبنيك وبناتك معك فريضة أبدية، عهداً لا يُنقض مدى الدهر أمام الرب، لك ولنسلك معك)[١].

ويقول الكهنة مؤكدين أن الإله يهوه الذي اصطفاهم للكهانة ووقف عليهم السدانة هو الذي فرض لهم تلك الفرائض وسجل ذلك في توراة موسى، لتكون هذه الأرزاق حقا ثابتا لهم وفرضا أبديا على رعاياهم[٢]، وبذلك أصبحوا في كثير من الأحوال أقوى من الملوك أنفسهم[٣].

والكهنة بحكم مهنتهم نزّاعون إلى أن يحوطوا أنفسهم بهالة من المهابة والقدسية ولذا نراهم يحضرون على غيرهم مزاولة شيء مما يصنعون، كدهن المسحة والبخور والعطر[٤] مثلما جاء في التوراة **(والبخور الذي تصنعه على مقاديره...، كل من صنع مثله ليشمه يقطع من شعبه)**[٥].

بل أنهم ليحضروا حتى الاقتراب منهم في أثناء مزاولتهم أعمالهم الكهنوتية، كما ورد في العهد القديم **(فعند ارتحال المسكن ينزله اللاويون وعند نزول المسكن يقيمه اللاويون، والأجنبي الذي يقترب يُقتل)**[٦].

واللاويين معفون من الواجبات الحربية، لأنهم موكلون بخدمة مسكن تابوت العهد وما يتعلق به، ولهذا فلم يعدهم موسى حسب ما جاء في العهد القديم، عندما قام بتعداد الأسباط **(أما سبط لاوي فلا تعدهم ولا تُحص جملتهم فيما بين بني إسرائيل ولكن وكِّل اللاويين بمسكن تابوت العهد وكل ما يتعلق به)**[٧].

---

(١) – سفر العدد / ١٨: ١٩.

(٢) – ناصف، عصام الدين حفني، محنة التوراة على أيدي اليهود، ط١،(القاهرة: الرسالة، ١٩٦٥)، ص٢٩ .

(٣) – شلبي، مقارنة الاديان، ص ٢١٤ .

(٤) – ناصف، محنة التوراة، ص ٣٠ .

(٥) – سفر الخروج/ ٣٠: ٣٨ .

(٦) – سفر العدد / ١: ٥١

(٧) – سفر العدد / ١: ٤٨ .

رابعاً: طبقة الأجانب

طبقة اجتماعية تضم الأجانب أو الغرباء والذين يطلق عليهم في اللغة العبرية נוכרים[١] (نوكريم)، وهم إما من الشعوب غير السامية (الجزرية) أو من الشعوب والقبائل السامية، والتي تكون عادة من الكنعانيين.

وكان اليهود يقسمون الأجانب إلى قسمين: قسما يضم أولئك الذين كانوا مرتبطين بالقبائل الإسرائيلية وكان لهم بعض الحق في حمايتها، وقسما يضم أولئك الذين لم يكن لهم مثل هذا الحق[٢].

ويبدو أن القسم الأول هو من الأجانب الذين اعتنقوا الديانة اليهودية حديثا، وتم استيعابهم من قبل اليهود[٣]، ويطلق عليهم في اللغة العبرية גרים[٤] (گاريم)، وكان بأمكانهم الانضمام إلى المجتمع والمشاركة في الأحداث العامة والاحتفالات، وغالبا ما كانوا تحت حماية القانون اليهودي، ولم يكونوا موضع استغلال من قبل اليهود في النزاعات والمحاكمات، كما لا يسمح بالاحتيال عليهم وخداعهم[٥]، ولهذا فقد تميزوا عن عن القسم الآخر من أشقائهم الأجانب، ومع ذلك فأن هذه الطبقة لم تنعم بكافة حقوق المدنيين الأحرار[٦] أو بالمساواة معهم.

وكان الأجانب بشكل عام يتمتعون بنوع من حق الضيافة الدائمة، وهم عادة دخلاء أو نزلاء بين القبائل اليهودية، حيث كان القانون اليهودي يقضي بمعاملتهم معاملة إنسانية[٧]، وبشكل يسمح لهم في الإقامة المؤقتة أو الدائمة، إذ لم أنظر إليهم نظرة خصومة أو عداء.

---

(١) – נוכרים (نوكريم): ويعني هذا المصطلح باللغة العبرية: غرباء ، أجانب ، نزلاء ، دخلاء ، ليسوا يهوداً، وهي معان تدل على موقعهم في المجتمع اليهودي القديم. أنظر: שגיב,שם, כרך שלישי, עמ. 1165.

(٢) – موسكاتي، الحضارات السامية، ص ١٦٨ .

(3)- Dubnov ,Simon ,op.cit . p.220 .

(٤) – גרים (گاريم): ويعني هذا المصطلح باللغة العبرية: غرباء، نزلاء، جيران، متهود، أو من اعتنق الديانة اليهودية . أنظر: שגיב,שם, כרך ראישון , עמ. 271 .

(5)- Dubnov ,Simon ,op.cit . p.220.

(٦) – موسكاتي، الحضارات السامية، ص ١٦٨ .

(7)- Blunt, A. W. F., op.cit. p. 48.

وكان غير المختون من الأجانب يستبعد من المشاركة في طقوس الفصح[١] ومن التزاوج مع اليهود، ولم تكن الأعراف اليهودية تسمح لليهود في أكثر الأحيان أن يكونوا عبيدا دائمين لسادة أجانب، فكان يجب فداؤهم في اقرب فرصة، والى أن يتم ذلك كان يجب معاملتهم معاملة الخدم المأجورين[٢] كما جاء في العهد القديم**(إذا أغتنى غريب أو مقيم عندك وأفتقر إسرائيلي عنده وباع نفسه له أو لأحد من عشيرته، حقَّ لواحد من أخوته أن يفك بيعه، أو يفكه عمه أو أبن عمه أو غيرهما من أقربائه وعشيرته...)**[٣] .

وكان قسم من الأجانب يشكلون مصدراً مهم من مصادر الرق، حيث يتم إحضارهم إلى سوق النخاسين لبيعهم عندما يقعون في الأسر بسبب الحروب، أو غيرها من الأسباب التي تعرضهم إلى عقوبة السجن مثلاً، وفي هذه الحالة يُقبض عليهم ويتم بيعهم بصفة عبيد[٤]، وهذا ما أشار إليه العهد القديم أيضا **(من الأمم الذين حواليكم تقتنون العبيد والإماء، وتقتنونهم أيضا من أبناء الغرباء المقيمين معكم ومن عشائرهم الذين عندكم، المولودين في أرضكم...)**[٥].

خامساً: طبقة الموظفين

لم يعرف المجتمع اليهودي هذه الشريحة في المراحل الأولى من تأريخه في فلسطين، وذلك لبدائية نظام الحكم من جهة، وعدم ارتباطها بحياته الاقتصادية والدينية من جهة أخرى.

ومع ظهور الملكية كنظام سياسي، أخذت الحاجة تزداد إلى من يقوم ببعض الوظائف، فبرز عدد من الموظفين أُنيطت بهم بعض المهام لإعانة الملك في حكم شعبه.

---

[١] – أنظر :الفصل الرابع، المبحث الثاني، ص ٢٥٤ .

[٢] – موسكاتي، الحضارات السامية، ص ١٦٨ .

[٣] – سفر اللاويين / ٢٥: ٤٧ – ٥٠ .

[4]- De Vaux , Roland : op.cit . p. 80.

[٥] – سفر اللاويين / ٢٥ : ٤٤ – ٤٦ .

ويمكننا أن نستشف من أسفار العهد القديم، أن في عهد الملك شاؤل، ظهرت بعض الوظائف العسكرية بالدرجة الأساس، ومنها قواد الجيش[١] والرسل[٢]، وبعض الوظائف المدنية البسيطة، مثل جباة الضرائب[٣]، والرعاة، الذين كانوا يعرفون برعاة شاؤل، ويرأسهم موظف يدعى كبير الرعاة[٤].

بقيت هذه الوظائف على حالها ولم تتطور إلا بمقدار الحاجة، وذلك لبساطة الحياة التي يعيشها الملك ومجتمعه في بداية أقامة الملكية الموحدة، إذ كان الملك شاؤل كما يصفه العهد القديم، يحكم في خيمته ويعيش عيشة البدو.

لكن في عهد الملك داود انتقلت الوظائف إلى حالة أخرى، فقد عمل على تجنيد مجلسا من الموظفين مع رئيس كتبة ومسؤول عن أعمال السخرة وقواد وحرس ومرتزقة، وكان يستدعي مندوبي القبائل أيضا التي يلجأ إليها عند تعبئة الجيش[٥]. وكذلك ظهر المُذَكِر מזכיר (مزكير) التي كانت مهمته الرسمية تدوين الحوادث الهامة وحفظ الحوليات الملكية[٦].

وعلى الرغم من هذا التطور في الوظائف، فلم يبلغ الموظفون في عهد الملك داود ما يمكن أن يُصنف كطبقة اجتماعية مستقلة عن الطبقات الأخرى في المجتمع اليهودي. لأن هذا التقدم في الوظائف لم يكن مصحوباً بتقدم اقتصادي، بل كان جلّه موجّه إلى التعبئة العسكرية وتنظيم الجيش، على العكس تماماً من المنهج السياسي الذي اتبعته المملكة الموحدة في عهد الملك سليمان، والذي كان منهجاً أقتصادياً وعمرانياً، أحال الاهتمام بالجانب العسكري إلى شيئاً ثانويا في برامج سليمان ومملكته. ومن ثم فقد أنعكس هذا التغيير على شريحة الموظفين وحولها من مجرد فئة مقربة من السلطة تقوم بأعمال أدارية معينة، إلى طبقة اجتماعية كبيرة من

---

(١) – سفر صموئيل الأول / ١٨: ٥ .

(٢) – سفر صموئيل الأول/ ١١: ٧ .

(٣) – سفر صموئيل الأول/ ١٧: ٢٥ .

(٤) – سفر صموئيل الأول/ ٢١: ٨ .

(٥) – ايمار ، الشرق واليونان، ص ٢٦٦ .

(٦) – שגיב, שם, כרך שני , עמ. 902 .

طبقات المجتمع اليهودي لها أمتيازات خاصة لم تعهدها من قبل، حتى أمست مع الزمن طبقة وراثية[١].

تطلب اهتمام الملك سليمان بالجوانب الاقتصادية والعمرانية إلى استحداث وظائف جديدة على ضوء أنظمة ممالك الشرق الأدنى القديم التي عاصرها، وذلك بسبب الحاجة إلى من يقوم ببعض الأعمال الإدارية خدمة له، أو لأمور المملكة بشكل عام، ورغبة منه في النهوض بالواقع المتخلف للمجتمع اليهودي، ومجاراة شعوب الشرق القديم وملوكها.

اختلفت هذه الطبقة عن الطبقات الاجتماعية الأخرى ثقافة، فتميزت عن العامة في كل مظهر من مظاهر الحياة، فمزقت حجاب البساطة والتقشف الذي كان سائدا في المجتمع اليهودي من قبل وأزداد نفوذ هذه الطبقة الجديدة حتى تحدت القانون.

وقد ورد ذكر لأهم الوظائف وأسماء القائمين عليها في سفر الملوك الأول، وبكونهم معاوني الملك فقد عُدوا من المقربين، وكانت أسمائهم ووظائفهم هي: الكاهن عزريا بن صادوق، والكاتبان اليحورف وأخيا، والمتحدث باسم الملك يوشافاط بن أخيلود، وقائد الجيش بناياهو بن يوياداع، ورئيس الوكلاء عزريا بن ناثان، ومرافق الملك زابود بن ناثان، ورئيس خدم القصر أخيشار، ومدير أشغال السخرة أدونيرام بن عبدا[٢].

كما نجد في نفس السفر لائحة بأسماء أثنى عشر وكيلاً للملك سليمان موزعين على عدد من المدن والقرى، يعمل كل واحد منهم شهرا في السنة في البلاط الملكي[٣]، يؤمنون الطعام وينظمون خدمة تقديمه إلى الملك وأهل بيته وضيوفه[٤].

---

(1)- Snell, Daniel C., op.cit. p. 125.

(٢) – سفرالملوك الأول / ٤ : ٢– ٦ .

(٣) – سفر ملوك أول / ٤ :٢ – ١٩ .

(4)- Jack . M . Sasson , op.cit . p. 644.

سادساً: طبقة التجار

ظهرت هذه الطبقة الاجتماعية عقب التطور الاقتصادي الذي طرأ على المجتمع اليهودي في عهد الملك سليمان، أما قبل تلك الفترة فلم تكن حرفة التجارة تمارس عند اليهود إلا على نطاق ضيق، وذلك حينما تكون الأرض غير كافية لإعالة الأسرة.

وكان الناس يشترون ويبيعون كلما دعت الحاجة إلى ذلك، ولم يكن يوجد إلا قليل من التجار هنا وهناك للتجارة البعيدة، كما لم يكن يوجد جماعة محددة المعالم يمكن أن توصف بأنها طبقة تجار، فكان المنتجون أنفسهم يقومون عادة ببيع منتجاتهم[١].

كانت أُسر المجتمع اليهودي تعتمد على قواها العائلية الخاصة لسد احتياجاتها، فتخبز خبزها وتفتل غزلها وتحوك نسيجها فتصنع منه ثيابها وتزرع حقولها وتربي أنعامها فتذبحها وتعد جلودها[٢]، إذ يمتاز الاقتصاد الطبيعي في أن كل مقاطعة تنتج كل ما تستهلك، وتستهلك كل ما تنتج ولا دافع إذن لابتياع حاجات أو خدمات من الغير.

وفي اقتصاد، ينتج المرء فيه كل ما يستهلكه، نرى لدى جميع الشعوب أن التجار الأوائل هم من الأجانب، كما أكد الباحثون أن التجار في بداية تطور الأمم يتكونون من الغرباء[٣].

ولفترة طويلة لم تتفق العادة الأبوية[٤] وتتلاءم مع البيع والشراء، ففي البداية تركها اليهود للكنعانيين والفينيقيين كجانب اقتصادي غير مهم بالنسبة لنمطهم المعيشي البدائي الذي تميزوا به في بداية استقرارهم في فلسطين، ولكن بمرور الزمن وبضغط الظروف دخل بعضهم تدريجياً في حقل التجارة[٥].

حيث بدأت أولى خطوات العمل في هذه الحرفة عند اليهود تدفعهم الحاجة إلى السلع الضرورية التي يعجزون عن صنعها متخذين من حركة حياتهم البدوية

---

(١) – هاوزر، أرنولد، الفن والمجتمع عبر التاريخ، ترجمة فؤاد زكريا،(القاهرة: دار الكتاب العربي، ١٩٦٧)، ج١، ص ٢٢٢ .

(٢) – لوبون، اليهود في تاريخ، ص٤٣ .

(٣) – ليون، المفهوم المادي، ص ٢٤ .

(٤) – عن (العادة الابوية)، وسلطة الاب، أنظر: الفصل الرابع، ص ١٨٠ .

(5)- Dubnov, Simon ,op.cit . p.216.

عاملاً غير مباشر للوصول إلى أسواق المدن التي يتنقلون بينها بحثا عن المناطق الصالحة للرعي، إذ كان البدو ينتقلون من مرعى إلى آخر ثم يعودون إلى ألاماكن نفسها عام بعد عام، وكان من السهل عليهم أن يحملوا معهم المنتجات التي تختص بها أحدى المدن في آخر مراحلهم ثم ينقلونها إلى مدينة أخرى، ثم يعودون ثانية إلى المدينة الأولى بمنتجات المدينة الثانية التي حصلوا عليها عن طريق المبادلة، وليس بين هذا العمل الشخصي في نقل المنتجات وبين تنظيم القوافل إلا خطوة واحدة[١].

أُتخذت هذه الخطوة بعد الاستقرار في فلسطين، والتأثر بالكنعانيين والفينيقيين، وبدأت جماعة التجار اليهود تتبلور شيئاً فشيئاً وتنظم القوافل التجارية الصغيرة، ثم ما لبثت أن نظمت القوافل الكبيرة، وذلك في عهد الملك سليمان الذي ابدى اهتماما كبيراً بحرفة التجارة كما مر الحديث عن ذلك، وتمكنت هذه الجماعة من تكوين ثروات طائلة، يدفعها الى جانب حبها للمال، أعتقادها أن الثروة تعتبر دليلاً ملموساً على بركة الله[٢]، والنجاح في جمعها يعتبر مؤشراً على العيشة الصالحة[٣].

تحددت ملامح هذه الجماعة وتحولت مع الزمن الى طبقة بارزة في المجتمع اليهودي، وقد تمتعت بمرونة واسعة في عملها التجاري، ولكن تحت الاشراف المباشر للمملكة، لأن التجارة خلال فترة حكم سليمان كانت حكراً على الحكومة والملك[٤]، ولهذا فقد كان التجار اليهود أشبه بالموظفين عند الملك سليمان.

ونستشف من خلال فقرات العهد القديم أن هناك فئتين من التجار في المجتمع اليهودي، أحدهما تعمل من أجل المملكة ومصالحها، كما ورد في سفر الملوك الاول

---

(١) – لنتون، شجرة الحضارة، ج٢، ص ١٩٠ .

(٢) – يوجد في سفري الجامعة وأيوب وجهة نظر تعبر عن هذا المفهوم بصورة مختلفة إذ تقول في الاحوال المثالية ينجح الناس عندما يهيمن الله على حياتهم، والنجاح هنا ليس قضية مسلَّمة، فهو ليس دليلاً على أن الشخص يحيا حياة مستقيمة أمام الله، وفي الحقيقية أن البرهان الاعظم على أن الشخص يحيا من أجل الله، هو وجود الآلام والاضطهاد، فاعظم الكنوز ليست أرضية بل سماوية. أنظر: شركة ماستر ميديا، التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، ط٢،(القاهرة، ١٩٩٨)، ص ٧٣١ .

(٣)– ميديا، التفسير التطبيقي، ص ٧٣١ .

(4) – Dubnov, Simon ,op.cit . p.216.

(وكـان تجـار سـليمان يسـتوردون الخيـل مـن كيليكيـة، والمركبـات مـن مصـر ويصدرونها لملوك الحيثيين والآراميين)[1].

والفئة الاخرى من التجار كانت تعمل من أجل مصالحها الخاصة، وقد فُرضت عليها ضريبة ذهبية كما جاء **(وكان وزن الذهب الذي يرد على سليمان في سنة واحدة مئة قنطار، عدا المفروض على التجار...)**[2].

---

(1) – سفر الملوك الأول / ١٠: ٢٨ – ٢٩ .

(2) – سفرملوك الأول/ ١٠: ١٤ – ١٦ .

الفصل الرابع: الحياة اليومية

مدخل

المبحث الاول: الأسرة ونظمها التشريعية والقانونية

المبحث الثاني: العادات والتقاليد

المبحث الثالث: الطقوس والعبادات وأدواتها

مدخل:

إن الحديث عن الحياة اليومية لليهود في فلسطين خلال الألف الأول قبل الميلاد، هو عين الحديث عن حياة الكنعانيين الذين كان لهم قصب السبق في هذه البلاد، ويشمل ذلك كل جوانب الحياة الكنعانية ونظمها القانونية والاجتماعية، إذ كان لحضارة كنعان القديمة نصيب الأسد في تراث اليهود القديم، كما كان لها تأثيرها القوي على الطقوس والعبادة في الديانة اليهودية، ولهذا فقد كان المجتمع اليهودي القديم وريث لكثير من العادات والممارسات الكنعانية، ومن الواضح أن هذه العادات والممارسات قد استمرت بين اليهود برغم ما كان يكنه أنبيائهم من كراهية عميقة لديانة بعل الوثنية[1]. ولكن تغلغل الاعتبارات الدينية في الحياة اليهودية بشقيها المدني والديني أضاف صبغة خلقية خاصة ميزها عن ما يحيطها من الشعوب السامية الأخرى. إذ يقول **ول ديورانت** في مؤلفه قصة الحضارة **(كل ما نستطيع قوله عن اصل اليهود من ناحية جنسهم هو ذلك القول الغامض، وهو أنهم ساميون لا يتميزون تميزاً واضحاً ولا يختلفون اختلافاً كبيراً عن غيرهم من الساميين سكان آسية الغربية، وأنهم لم يوجدوا تاريخهم، بل أن تاريخهم هو الذي أوجدهم)**[2].

من خلال هذه المقولة يمكن القول إن دراسة الحياة اليومية للمجتمع اليهودي القديم من عادات وتقاليد وأعراف وطقوس تكاد لا تنفك عن طبائع وعادات وتقاليد الشعوب السامية (الجزرية) الأخرى، ولهذا فأن البحث عن كل ما يتعلق بحياة اليهود القديمة نجده في حياة الشعوب السامية الأخرى سيما الكنعانيين.

ومن الملاحظ أنه لا يمكن تناول أي جانب من جوانب العادات والتقاليد الخاصة باليهود دون أن يدفعنا هذا إلى عرض مقارن بينها وبين نظائرها عند الكنعانيين أوغيرهم من شعوب الشرق الادنى القديم، وذلك للاتصال الوثيق بينها تأريخياً وعقائدياً، وهو ما سنسير على هديه في تناولنا لهذا الفصل.

---

[1] – عبد العليم، مصطفى كمال وراشد، سيد فرج، اليهود في العالم القديم، ط١،(بيروت: الدار الشامية، ١٩٩٥)، ص ١٩٩ .

[2] – ديورانت، قصة الحضارة، مج٢، ص ٣٢٨ .

المبحث الأول: الأسرة ونظمها التشريعية والقانونية

الأسرة هي عبارة عن منظمة اجتماعية تتكون من أفراد بينهم روابط أخلاقية ودموية وروحية[1]، وتعتبر نواة المجتمع والركن الأساسي في كيانه، ومن مجموع الأسر يتكون المجتمع، وغالباً ما يعكس نظام الأسرة النظام العام للمجتمع والدولة، وتتكون الأسرة عادة من الأب والأم والأبناء. ويختلف مدلول مصطلح (الأسرة) من مجتمع لآخر، ففي المجتمع العبراني القديم (القبلي) كانت الأسرة משפחה (مشباحاه)، بالعبرانية تعني في واقع الأمر (العشيرة) التي تستند إلى قرابة الدم والعلاقة التعاقدية (الزواج) والجوار، والموالي ممن كانوا يطلبون الأمن ويلجئون إليها، ولكن بعد تغلغل العبرانيين في كنعان واستقرارهم فيها، اختفت هذه الأسرة القبلية وحلت محلها الأسرة الممتدة التي كانت تسمى بالعبرية בית (بَيْت) أي بيتٌ، وتتكون من الأبوين والأبناء[2]، وقد تظم أخوة الأب وأخواته ووالديه، كما تضم غيرهم من الأقرباء الذين يتولى الأب إعالتهم، ويمكن أيضا أن يُعد من الأسرة الإماء والعبيد الذين يعيشون في الدار نفسها[3]. والعهد القديم حافل بتصوير العلاقات الأسرية التي تجسد اهتمام الشريعة بالأسرة، كونها النواة الحقيقية للحياة الاجتماعية اليهودية، كما هو الحال في معظم المجتمعات القبلية القديمة. ونجد أغلب الإصحاحات قد خصصت جل فقراتها لشؤون الأسرة وأحوالها الشخصية. ومن هنا تأتي أهمية دراسة الشرائع أو القوانين اليهودية سيما ذات العلاقة بالنظام الأسري في المجتمع اليهودي، فالقوانين من الناحية التاريخية والاجتماعية والفكرية تصور بمجموعها واقع الحياة في مجتمع ما في فترة زمنية محدودة وتبين مختلف أوجه حياة الأفراد والجماعات الخاصة والعامة وعلاقة بعضهم ببعض وعلاقتهم بالسلطة وموقع كل منهم مع الآخر[4].

والقانون في التوراة يعني بالدرجة الأولى، التعليم والتطبيق لقرار معطى لحالة معينة، وبمعنى أكثر تحديداً فأن كلمة (القانون) تعني الهيكل الكلي للقواعد المتحكمة بالبشر

---

(١) – الحسن، إحسان محمد، العائلة والقرابة والزواج، ط٢،(بيروت: دار الطليعة للطباعة، ١٩٨٥)، ص ٩.

(٢) – المسيري، موسوعة اليهود، مج٥، ص ٣٧٠ .

(3)-Blunt, A.W. F., op.cit. p. 48.

(٤) – سليمان، عامر، القانون في العراق القديم، دراسة تاريخية قانونية مقارنة، ط٢،(بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٨٧)، ص ٧.

في تحديد علاقتهم بخالقهم وعلاقاتهم فيما بينهم، وتعني كلمة التوراة من الوجهة التشريعية أو القانونية، الإشارة للكتب الخمسة المكونة للعهد القديم والتي تأتي فيها التوجيهات للمجتمع اليهودي وكيفية تصرفه في حياته الأخلاقية والاجتماعية والدينية[١].

وتتبع القوانين اليهودية الخاصة بالأحوال الشخصية للأسرة التقاليد العامة في الشرق الأدنى القديم، وفيها وجوه شبه بقوانين بابل وآشور والحيثيين، ولا سيما بقانون حمورابي[٢]، حيث كان لشرائع العراق القديم التأثير الكبير على المجتمعات المعاصرة في تلك الفترة، إذ اقتبست هذه المجتمعات الشيء الكثير من القوانين العراقية القديمة، وعند مقارنة الشرائع العراقية القديمة، سيما قانون حمورابي[٣] الذي يعد خلاصة هذه القوانين، مع ما أنتجته التوراة من شرائع وقوانين نرى مدى التأثير الواضح والاقتباس الذي أخذته التوراة من العراق القديم[٤]. ولا يعني هذا الاقتباس أن القانونين العراقي القديم والعبري (اليهودي) متطابقين كلياً، إذ أن هناك تشابه في بعض المواد، واختلاف في بعضها الآخر أو وجود مواد ليس لها نظائرها في القانون الآخر، وهذا أمر طبيعي، حيث أن الشرائع وأحكامها تستقى عادة من البيئة الجغرافية ومن ظروف المجتمع السياسية والاجتماعية والاقتصادية بحيث تنسجم مع نمط وحياة السكان ومشاكلهم[٥]، ولهذا فلا ريب أن القوانين اليهودية كان لها تطورها المستقل المرتبط أساسا بأحوال الحياة العبرية التي كانت شديدة الاختلاف عن ظروف الحياة في أرض الرافدين. ويبدو أن شرائع العهد القديم مرت بمراحل

---

(1)- Roland, Devaux, op.cit. p. 143.

(٢) – موسكاتي، الحضارات السامية، ص١٦٦ .

(٣) – يظل قانون حمورابي أكمل وأنضج قانون مكتشف حتى الآن، فهو القانون الوحيد الذي وصل بصيغته الأصلية، في حين أن القوانين الأخرى السابقة له واللاحقة عبارة عن نسخ ثانية من القوانين الأصلية، وقد دون قانون حمورابي بالخط المسماري وباللغة الأكدية على مسلة من حجر الديوريت الأسود، وتضم ما يقرب من (٢٨٢) مادة قانونية بهيئته الكاملة إضافة إلى المقدمة والخاتمة، وتم الاحتفاظ بمسلة حمورابي في متحف اللوفر في باريس. أنظر: رشيد، فوزي، الملك حمورابي مجدد وحدة البلاد، ط١، (بغداد، دار الحرية للطباعة، ١٩٩١)، ص ٣٩ وما بعدها.

(٤) – الأسود، حكمت بشير، "حمورابي والتوراة"، مجلة سومر،١٩٨٤، عدد (٤٣)، ص ٢٩٠ .

(٥) – الاسود، حمورابي، مجلة، ص ٢٩١ .

تاريخية متعددة، كان أكثرها تأثيراً مرحلة الأسر البابلي، حيث تطورت هذه الشرائع نتيجة لإطلاع اليهود على القوانين العراقية القديمة.

وفيما يأتي أهم الجوانب التي ترتبط بحياة الاسرة وأحوالها الشخصية، نبدأها بالبيت الذي يجمع تحت سقفه مختلف العلاقلات القرابية:

أولاً: البيت

في المراحل التاريخية الأولى، سكن بنو إسرائيل الخيام، وذلك لطبيعة حياتهم البدوية، كما أشارت أكثر الإصحاحات في سفر التكوين[١].

كانت الخيمة تصنع من شعر الماعز، وتنقسم عادة إلى قسمين، قسم خاص بالرجال، وآخر بالنساء، إلا أن الأغنياء من الإسرائيليين كانوا يخصصون للنساء خيمة خاصة بهن، أما أثاث الخيمة فيتكون من عدد من الفراء المفروشة، وبعض الوسائد، والموقد الذي كان عبارة عن حفرة في الأرض أو حجرين أو أكثر، ومائدة الطعام وهي قطعة مستديرة من الجلد مبسوطة على الأرض، وهناك أيضاً الرحى وبعض الأطباق الخشبية أو المعدنية، كما تحتوي الخيمة على رحل الجمل، الذي يُعد من أهم محتوياتها[٢]. ونجد غير الخيام أيضاً المضال (סכות، سكوت) وهي أماكن لراحة الرعاة وقطعانهم فقط[٣].

يشير العهد القديم إلى أن بني إسرائيل قد سكنوا البيوت بعد انتقالهم للإقامة في مصر[٤]. ولكن بعد خروجهم منها بقيادة النبي موسى(عليه السلام)عادوا إلى سكن الخيام، وذلك بسبب حياة التنقل التي دامت أكثر من أربعين سنة.

بعد دخولهم إلى فلسطين، بقوا فترة من الزمن يستخدمون الخيام في السكن، ذلك الأسلوب الموروث عن نمط حياتهم البدوية، ثم بدءوا يتأثرون بحضارة الكنعانيين ومظاهر حياتهم العمرانية، ويسلكون طريقتهم في بناء البيوت، ولكن الخيمة في الوقت نفسه، لم تفارقهم نهائياً، إذ كانوا يلجأون إليها عندما تضغطهم حياة المدينة، كما سجل

---

[١] – سفر التكوين/ ١٣: ٣ ، ١٨: ١ ، ٢٦: ٢٥ .

[٢] – علي، إسرائيل عبر ، ج١، ص ٨٧ – ٨٨ .

[٣] – سفر التكوين/ ٣٣: ١٧ .

[٤] – سفر الخروج/ ١٢: ٢٣، ٢٧ .

العهد القديم صدى صيحاتهم التي ترددت في أغلب المواقف التي يتذمرون منها **(إلى خيامكم يا بني إسرائيل)**[١].

ومن خلال عمليات التنقيب ألآثاري التي جرت في مناطق مختلفة[٢] من فلسطين، تم العثور على أدلة أثرية عن أشكال وتصاميم البيوت الكنعانية والبيوت التي سكنها اليهود خلال الألف الأول قبل الميلاد.

كانت هذه البيوت المكتشفة، صغيرة وتشير إلى حجم العائلة التي يبلغ عدد أفرادها تقريباً من أربع إلى ثمان أفراد، وهذا النمط من البيوت هو الشائع في العصر الحديدي، سيما في منطقتي إسرائيل ويهوذا[٣].

ويتضح من خلال تنوع أشكال البيوت وتباين مواد بناءها أن سكانها كانوا يعيشون في مستويات اجتماعية متفاوتة[٤]، إذ كانت بيوت الأغنياء مبنية من الحجر، وبيوت الفقراء مبنية من الطين[٥]، كما تميزت بيوت الطبقة الثرية عن بيوت طبقة العامة باحتوائها على طابق ثاني[٦]، وتتكون هذه البيوت من ثلاثة غرف، كل غرفة لها غرض معين، (الغرفة الأولى) وهي مساحة مربعة أو مستطيلة الشكل، يتم الدخول إليها مباشرة من خلال الباب الخارجية، وتستخدم كمكان لأعداد الطعام والقيام بأعمال منزلية أخرى، وقد تكون هذه المساحة في بيوت أكبر، كباحة محاطة بالغرف ومكشوفة من الأعلى، ويُقتطع جزء من هذه الغرفة بواسطة صف من الأعمدة، لتكوين (الغرفة الثانية) وهي مساحة مرصوفة بالحصى تستخدم كإسطبل للحيوانات ولخزن المحاصيل الزراعية، أما(الغرفة الثالثة) فهي غرفة طويلة واسعة تحتل نهاية البيت،

---

[١] – سفر صموئيل الثاني/ ٢٠: ١ ؛ سفر الملوك الأول/ ١٢: ١٦ .

[٢] – ومنها منطقة (عاي)، حيث أظهرت التنقيبات بيوتاً ذات جدران سميكة تعود إلى العصر البرونزي المتقدم، وكذلك جدران بيوت من دبير(تل بيت مرسيم) من العصر البرونزي الأوسط، وكانت بيوت العصرين البرونزي والحديدي تتألف من غرف صغيرة مستطيلة بنيت على جانب أو حوالي ساحة مكشوفة مع باب خارجية واحدة، ونرى في البيت من موقع (عاي) استعمال الأعمدة الخشبية التي تفترض احتمال وجود طابق ثاني فيه. أنظر: الأحمد، تاريخ فلسطين، ص ٢٨٥ .

(3) – http: // www. musem. upenn.edu / Canaan / index. html.

[٤] – غربية، فلسطين، ص ١٠٢ .

[٥] – لوبون، اليهود في تاريخ، ص ٥٦ .

(6) – Dubnov, Simon ,op.cit . p.217.

وكانت تستعمل كمخزن، بينما كان الطابق الثاني يستخدم كمكان للنوم واستقبال الضيوف[١] ويمكن الوصول إليه عن طريق السُلَّم المصنوع غالباً من الخشب[٢].

أما المواد التي أستعملها الكنعانيون وغيرهم في بناء البيوت بشكل عام، فقد كان الصخر الذي يكثر وجوده في فلسطين[٣]،وكان هذا يستخدم في عمل الأساس الذي يتكون من طبقتين أو ثلاث[٤] وفي بناء الجدران التي يتراوح عرضها من(١٦- من(١٦- ٢٨ أنج)، واستخدموا الخشب للتسقيف، وذلك على شكل أعمدة مغطاة بطبقات من الأغصان وألواح الخشب والقصب المحزوم والطين الناعم[٥]، وكان سطح البيت يكسى بالطين لمنع تسرب الماء خلال موسم المطر.

كما استخدم (اللبن) في بناء جدران البيوت المبنية من الطين، وكانت الجدران عموماً تطلى بالوحل بعد إقامتها. أما الأرضية فكانت مغطاة بالطين أو مبلطة بالحجر في بعض البيوت الخاصة، والبعض الآخر كانت أراضيها من التراب المكبوس[٦].

وقد ورد في العهد القديم ذكر لأهم الأشياء التي يتكون منها أثاث البيت، إذ جاء في سياق قصة (المرأة الشنومية)[٧] مع النبي (اليشع) **(لقد أدركت أن الرجل الذي نستضيفه دائماً هو رجل مقدس، فلنبن له عُلِّية صغيرة على سطح البيت، ونعد له فيها سريراً وطاولة وكرسياً وسراجاً)**[٨]، وعلى هذا فأن العهد القديم يشكل مع المصادر الاخرى[٩]، أهم ما لدينا من معلومات عن الاثاث في فلسطين القديمة، إذ تتفق هذه

---

(١) – أنظر: الملحق الثاني، الشكل رقم (١)، ص ٣١٦ .

(2) - http: // www. musem. upenn.edu / Canaan / index. html.

(٣) – الأحمد، تاريخ فلسطين، ص ٢٨٥ .

(4)- Sasson, Jack . M., op.cit. p. 635.

(5) - http: // www. musem. upenn.edu / Canaan / index. html.

(6) – Sasson, Jack . M., op.cit. p.636.

(٧) – المرأة الشنومية: من نساء العهد القديم، ولم يذكر أسمها فيه، لها قصة مأثورة مع النبي (اليشع) . أنظر: مقار، القس الياس، نساء الكتاب المقدس، ط٢، (القاهرة، ١٩٨٦)، ص ١٧٠ ؛ سفر الملوك ثاني/ ٤ .

(٨) – سفر الملوك الثاني / ٤: ١٠ .

(٩) – من المصادر الاخرى التي يعتمد عليها الباحث في دراسته عن الاثاث في فلسطين القديمة، هي الواح المهن في الالاخ حوالي القرن الخامس عشر قبل الميلاد (تل عطشانة الحالي)، وألواح الرسوم للملوك

المصادر على أن بيوت العامة من الكنعانيين واليهود كانت تحتوي على كراسي ومناضد، وأما الاغنياء فكانت تحتوي مثل هذا، ولكن بأنواع فاخرة، فضلاً عن وجود السرير الذي تخلو منه بيوت العامة أو الفقراء[١].

الأب:

كان لطبيعة الفروق الجسدية بين المرأة والرجل، سبباً رئيساً في هيمنة الأخير على مختلف الأنماط الاقتصادية سواء الرعوية منها والزراعية، ومن ثم منحه سلطة عليا في المجتمعات القديمة[٢] كان من نتائجها أن نمت سيطرته اللاإرادية وإحساسه برفعة شأنه وسلطانه على المرأة.

ولهذا نجد أن المظهر الاجتماعي في حضارات الشرق الأدنى القديم بعامة قد تميز بوجود (النظام الأبوي)[٣] الذي منح الأب سلطة مطلقة على أسرته، فالأب في المجتمع البابلي والآشوري على سبيل المثال كانت له سلطة عليا في نطاق الأسرة يستطيع من خلالها أن يرهن أولاده لدى أحد الدائنين كضمان لتسديد دينه، وفي بعض الوثائق

الآشوريين مثل آشور بانيبال (٦٦٨- ٦٣١ ق. م) التي تم جلبها من مدن فلسطين وسورية القديمة، وكذلك بعض الصور الموجودة على الاختام الاسطوانية والقطع العاجية والمعدنية التي وجدت في القبور من مدن عديدة أهمها مدينة (جرش) في العصر البرونزي. أنظر:

Sasso., Jack. M., op.cit. p. 635 .

(1) –Ibid .

(٢) – الأسيوطي، ثروت أنيس، نظام الأسرة بين الاقتصاد والدين- الجماعات البدائية- بنو إسرائيل، (القاهرة ب، ت)، ص ١٥٢ .

(٣) – ينقسم علماء التاريخ والآثار إلى فريقين في تحديد الأسبقية التاريخية لظهور كل من النظامين (الأبوي والأمي) وهل أن النسب الأبوي يتقدم تاريخياً على النسب الأمي أم العكس؟ فمنهم من يرى أن النسب ينحدر عن طريق ألام، وذلك بسبب سيادتها الاقتصادية في بداية نشوء الحضارات، والتي استغلتها في الهيمنة على الحياة العائلية، سيما أن الآثار أيدت هذا الرأي باكتشافها عدد كبير من دمى (الآلهة ألام) في مناطق مختلفة من الشرق الأدنى القديم، ولكن يبدو أن بتطور مجتمعات الشرق الأدنى القديم في النواحي الحضارية والروحية انتقلت السيادة السياسية إلى الرجال، أي تحول نظام انحدار النسب من النظام الأمي إلى النظام الأبوي، ومع ذلك فأن هناك رواسب من نظام أمي سابق، فكلمة (البطن) ولفظ (الأمة)(من أم) يستخدمان للدلالة على فروع العشيرة . أنظر: الحسن، العائلة، ص ١٩- ٢٥ ؛ الأسيوطي، نظام الاسرة، ص ١٠٨- ١٠٩ ؛ اوتيس، جوان وديفيد، نشوء الحضارة، ترجمة: لطفي الخوري، ط١، (بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٨٨)، ص ٢٢٢- ٢٤٥؛ هاوكس.ج وولي.ل، أضواء على العصر الحجري الحديث، ترجمة: يسرى عبد الرزاق الجوهري، (بيروت: دار المعارف، ١٩٦٧)، ص ٩٥ .

القانونية كان الأب يوصف بأنه سيد أو مالك أولاده يتحكم في مصيرهم وزواجهم ذكرانا وإناثا[١].

والحال كذلك قي المجتمع اليهودي، إذ لم يخرج نظامه الأسري عن هذه الأنظمة، وبقي الشعور القديم الذي نشأ تحت الخيمة وغُذِّي في البادية يقدس سلطان الأب حتى بعد الاستقرار في فلسطين. ولكنه أختلف باختلاف الظروف وألاماكن التي ساد فيها، سيما بعد أن اصطبغت هذه الأنظمة والأعراف الأسرية بصبغة دينية، فقد اعتبرت الشريعة اليهودية الأب هو صاحب السلطان المطلق في التصرف بأبنائه، وأكدت على احترام الوالدين وهو ما نصت عليه الوصايا العشر **(أحترم أبيك وأمك)**[٢]، إلا أنه غالباً ما كان سلوك اليهودي باتجاه أبيه مزيجاً من الخوف والاحترام، وباتجاه أمه كانت هناك وشيجة عاطفية قوية، سيما إذا كان الأب متزوجاً بأكثر من واحدة[٣].

وقد قرر العهد القديم معاقبة من يتطاول على والديه بالضرب أو السب بعقوبة القتل[٤].

وكما أشرنا فيما سبق أن البيت[٥] في المجتمع اليهودي يتكون من الرجل وعدد من الزوجات والسراري (الإماء) والأولاد من الزوجات والسراري، وزوجات الأولاد والأحفاد بالإضافة إلى العبيد.

ويرأس كل هؤلاء الأب ويسمى (روش، ראש) أي رأساً [١]، إذ كان الأب بمثابة رأس الأسرة بلا منازع، ويتمتع بسلطات قضائية مطلقة، تعترف به الزوجة

---

(١) – كونتينو، جورج، الحياة اليومية في بلاد بابل وآشور، ترجمة: سليم طه التكريتي وبرهان عبد التكريتي، ط٢، (بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٨٦)، ص ٣٧ .

(٢) – سفر الخروج/ ٢٠: ١٢ .

(٣) – لنتون، شجرة الحضارة، ج٢، ص ١٩٧ .

(٤) – سفر الخروج/ ٢١: ١٥– ١٧ .

(٥) – أقترن (البيت) عند بني إسرائيل بـ (الرجل) باعتباره مجسد وحدة العائلة، فسُمي (بيت آب) أي المنزل الأبوي، ومع الوقت أخذ لفظ البيت يطلق على العشيرة، أو على جزء هام من الشعب، مثلاً (بيت يوسف) أو حتى على الشعب كله (بيت إسرائيل) فأصبحت سلطة قائد هذه الجماعات، مصورة على نمط سلطة رب العائلة (سفر أرميا/ ٣٥: ١٨)، وفي نظام الملكية أُعتبر الملك (أباً) للأمة (أشعيا/ ٩: ٥) بالضبط كما أطلق على (نابونيد ٥٥٩– ٥٣٩ ق.م.) في بابل لقب (أبي الوطن) ويطلق أيضاً أسم الأب على (الكهنة) وعلى المستشارين الملكيين، وعلى الأنبياء والحكماء بسبب سلطتهم في التهذيب. أنظر: باسيم، وآخرون، معجم اللاهوت الكتابي، ط٢، (بيروت: دار المشرق، ١٩٨٦)، ص ١٩ .

كسـيد (بعـل، בעל)، ورب (آدون، אדון) ويرجـع إليـه حـق تربيـة الأولاد، وعقـد الزيجات[٢]، والتحكم بمصير البنات فيبيع أحداهن (أمة) لمن يرغب في شرائها[٣]، بل كان بوسعه التصرف في حياة الأبناء نفسها، فيبقي من يشاء على قيد الحياة، ويعاقب، أو يزهق روح من يشاء إذا عُصي أمره[٤]، أو يقدمهم قرباناً (للرب!)[٥].

ويمتد هذا الحق الذي يتمتع به الأب إلى كل من يعيش في كنفه، فله أن يحرق زوجة أبنه المتوفى إذا ثبت أنها زنت[٦].

وكان يختار وريثه بحرية تامة, ولقد بين العهد القديم نوع العلاقة بين الأب وأبنه في كثير من الأسفار، حيث أن البركة التي يمنحها الأب تُعد ثروة طائلة، ولعنته تحطم مستقبل أبنه، مثلما نجد هذا المعنى في قصة يعقوب وأخيه عيسو[٧].

مكانة المرأة:

لم تختلف نظرة المجتمع اليهودي في عصوره الأولى عن نظرة المجتمعات البدائية للمرأة، حتى أن الديانة اليهودية وشريعتها لم تستطع أن تمحو أو تغير ما علق من رواسب في ذهنية اليهود تجاه المرأة[٨]، ونجدها على العكس من ذلك، قد أنساقت معها، فدونك العهد القديم وما يضج به من الأحكام المجحفة بحق المرأة اليهودية، فقد أعتقد اليهود أن المرأة مسؤولة عن الخطيئة الأولى، وما ترتب عليها من شقاء للبشرية، ولولاها لعاش الناس في نعيم مقيم، واعتبروا أن المرأة شيطانة الرجل، ولهذا فهي تستحق عقاباً مضاعفاً، وحسب اعتقادهم فأن الآلام والمعاناة والتعب الذي تتعرض له وتشعر به

---

(١) – الأسيوطي، نظام الاسرة، ص ١٥٣ ؛ سفر أخبار الأيام الأول/ ٧:٧ .

(٢) – باسيم، معجم اللاهوت، ص ١٩؛ سفر التكوين (٢٠: ٣٠ ؛ ١٨: ١٢؛ ٢٤: ٢–٣ ؛ ٢٨: ١–٢) .

(٣) – سفر الخروج ٢١: ٧ ؛ ריינס, חיים זאב, מסות ומחקרים במוסר ובמשפט ישראל, (ירושלים, 1972), עמ'. 101.

(٤) – ديورانت، قصة الحضارة، مج٢، ص ٣٧٤ .

(٥) – الأسيوطي، نظام الاسرة، ص١٥٤؛ سفر التكوين/٢٢: ١٠ .

(٦) – سفر التكوين/٣٨: ٢٤ .

(٧) – سفر التكوين/٢٧ : ٣– ٣٠ .

(٨) – بهيم، محمد جميل، المرأة في التاريخ والشرائع، (بيروت، ب مط، ١٩٢١)، ص ٣٥– ٤٧ ؛ الفيومي إبراهيم حسين، "صورة الزوجة في الحضارات القديمة ذات القوانين الوضعية"، مجلة الآداب، ١٩٩٦، ع (١٧)، ص ٢٩– ٣٥ .

في حياتها الدنيوية بسبب الحمل والولادة، ما هو إلا بسبب خطيئة أمها الأولى في الخلق[١]، أي أنه نوع من أنواع العقاب لها[٢]، إذ جاء في العهد القديم **(أزيد تعبك حين تحبلين، وبالأوجاع تلدين البنين، إلى زوجك يكون اشتياقك، وهو عليك يسود)**[٣].

نظرت الشريعة اليهودية إلى المرأة باعتبارها مخلوقاً منحطاً عن مستوى الإنسانية التي تتمثل في الرجل وحده، فهي لا تعدو أن تكون مجرد سلعة أو بضاعة يتملكها من يدفع الثمن[٤]، وتجد هذه النظرة أساسها في بعض النصوص الدينية التي تبدأ بتمييزها ضد المرأة منذ الولادة، وذلك حين جعلت الطهارة من ولادة الأنثى مختلفة عن الطهارة من ولادة الذكر، حيث تتضاعف النجاسة مع الأنثى، فأن ولدت المرأة ذكراً، تكون نجسة لمدة أسبوع، ثم تقيم ثلاثة وثلاثين يوماً في دم تطهيرها، وإن ولدت أنثى تكون نجسة أسبوعين ثم تقيم ستة وستين يوماً في دم تطهيرها[٥].

ويظهر الاختلاف بين الرجال والنساء أيضا قي العبادات، فلم يكن هناك كاهنات، ولم يكنَّ مكلفات بأداء شعائر الحج ولا أداء الصلوات في المعبد، وإن ذهبن إلى المعبد يتم فصلهن عن الرجال[٦].

كما أنها في الهيئة الاجتماعية مخلوقاً لا منزلة له، حيث تُحرم من الإرث بوجود الذكر، ولا تُقبل في الوظائف الدينية، ولا تُسمع لها شهادة، ولا يُعتد بنذرها ولا بقسمها بنتاً كانت أم زوجة، إلا إذا إيَّدهُ الأب أو الزوج بسكوته[٧]. وحتى تخفف المرأة من وطأة معاناتها يجب عليها أن تصبح أماً لتنال قدراً لا بأس به من الاحترام، فالوصايا

---

(1) - Meyers, Carol, op.cit. p. 95.

(٢) – المعدلي، هند، الزواج في الشرائع السماوية والوضعية، ط١، (دمشق: دار قتيبة للطباعة والنشر، ٢٠٠٢)، ص ٨٥ .

(٣) – سفر التكوين/ ٣: ١٦ .

(4) – Devaux, Roland, op.cit. p.39.

(٥) – سفر اللاويين/ ١٢: ٢– ٥ .

(٦) – أبو غضة، زكي علي السيد، المرأة في اليهودية والمسيحية والاسلام، ط١،(المنصورة، دار الوفاء، ٢٠٠٣)، ص ٢٥٧.

(٧) – سرور، محمد شكري، نظام الزواج في الشرائع اليهودية والمسيحية، (القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٧٩)، ص٦٠ .

العشر تأمر بإكرام ألام أسوة بالأب[١]، ومع ذلك فأنه مع الزمن أصبح للوالدة مقاماً ثانوياً، وبات فخرها لمجرد كونها أماً لأولاد[٢].

كانت المرأة المتزوجة عند اليهود، كالقاصر والصبي والمجنون، لا يجوز لها التصرف بأموالها بيعاً أو شراء، ويتبين ذلك من خلال الاسم الذي يطلقه العبرانيون على الزوجة وهو (بولة) أي المملوكة[٣]، ويتضح لنا من الوصية العاشرة كيف كانت كانت الشريعة اليهودية تنظر إلى المرأة على أنها جزء من متاع الرجل **(لا تشته امرأة قريبك، ولا عبده، ولا أمته، ولا ثوره، ولا حماره، ولا شيئاً مما لقريبك)**[٤].

وهكذا كانت المرأة في مكانة دنيا، قد انزلقت إلى مرتبة الماشية والأشياء، فهي جزء من البيت الإسرائيلي، الذي يشمل المرأة والعبد والأمة والثور والحمار والأشياء الأخرى[٥].

الزواج:

الزواج نظام اجتماعي وقانوني، تتمثل فيه بنية الجماعة، وتتجلى فيه طبائعها وخصائصها، وهو يخضع في نشوئه لتقاليد وأعراف ترتبط بعقيدة الجماعة وسلوكها الاجتماعي والأخلاقي[٦].

ولم يختلف الهدف من إقامة مؤسسة الزواج عند الإسرائيليين القدماء عن الشعوب القديمة الأخرى، إذ كانت الحاجة الطبيعية للرجل والمرأة هي الدافع الرئيسي من وراء هذا الاقتران، فظلا عما يترتب عليه من غايات أخرى، أولها الإنجاب وإدامة النسل البشري، لكن ما يميز هذه المؤسسة ويمنحها شأناً خاصاً هو تعرضها لتطورات وتغيرات سريعة ومتتابعة عبر تاريخها القديم، يختلف إذا ما قارناها بمؤسسات الزواج في الشعوب القديمة الأخرى التي تميزت باستقرار نسبي.

---

[١] – سفر الخروج/ ٢٠: ١٢ .

[٢] – سرور، نظام الزواج، ص ٥٨ .

[٣] – المعدلي، الزواج في الشرائع، ص٨٦ ؛ ديورانت، قصة الحضارة، مج١، ص ٣٧٨ .

[٤] – سفر الخروج/ ٢٠: ١٧ .

[٥] – الأسيوطي، نظام الأسرة، ص ١٥٤ .

[٦] – الترمانيني، عبد السلام، الزواج عند العرب في الجاهلية والإسلام دراسة مقارنة، (الكويت، عالم المعرفة، ١٩٨٤)، ص١١ .

ولهذا نجد من الباحثين من يفسر معنى الزواج على أنه مؤسسة اجتماعية مهمة لها نصوصها وأحكامها وقوانينها وقيمها التي تختلف من حضارة إلى أخرى أو من شعب إلى آخر[١].

ارتبطت مؤسسة الزواج عند اليهود بالاقتصاد والدين وأمسى لا ينفك عنهما، فهو حسب العقيدة اليهودية أول المطالب التي وجهها الله للإنسان، إذ ورد في العهد القديم نصوص جمة تعكس هذا المعنى ومنها: **(خلق البشر، ذكراً وأنثى خلقهم، وباركهم الله، فقال لهم: أُنموا وأكثروا واملأوا الأرض، وأخضعوها وتسلطوا على سمك البحر وطير السماء وجميع الحيوان الذي يدب على الأرض)**[٢].

وانطلاقا من هذا، فأن اليهود، إنما يعتبرون بقاء اليهودي أو اليهودية في العزوبة أمراً منافياً للدين، ذلك لان الشريعة اليهودية تفرض الزواج على كل يهودي، وأن الذين يبقون عزاباً يتسببون في أن يتخلى الله عن (شعبه إسرائيل) ومن ثم فالزواج فرض على كل يهودي[٣].

بلغت الشريعة اليهودية في تشجيعها ورعايتها لموضوع الزواج حداً يفوق أي نظام آخر للزواج في شعوب الشرق الأدنى القديم، فقضت لمن يتزوج، **(أن لا يخرج في الجيش للحرب، ولا يحمل عبء مهمة ما، إلا بعد سنة واحدة، يتفرغ فيها لبيته ويفرح مع امرأته التي تزوجها)**[٤].

وقد أزداد التشجيع على الزواج بعد الاستقرار في فلسطين وبعد التغيرات التي طرأت على نمط الحياة الاقتصادية للمجتمع اليهودي والتي أظهرت معها نظام (تقسيم العمل) سواء الرعوي أو الزراعي، ولهذا فأن المجتمع اليهودي مثله مثل المجتمعات الزراعية القديمة، قد أعتمد كثرة النسل هدفاً من أجل زيادة عدد الأيدي العاملة، من جهة، وزيادة القوى المحاربة والمدافعة عن القبيلة من جهة أخرى، فقد جاء في العهد القديم: **(هو ذا البنون ميراث من عند الرب، كسهام بيد جبار، هكذا**

---

[١] – الحسن، العائلة، ص ١٥ .

[٢] – سفر التكوين/ ١: ٢٧– ٢٩ .

[٣] – مهران، بنو إسرائيل، ج٤، ص ٦٠٣ .

[٤] – سفر التثنية/ ٢٤: ٥ .

أبناء الشبيبة، طوبى للذي ملأ جعبته منهم، فهو لا يخزى إذا خاصمه أعداءه)[١]، وهذا هو هدف الجماعة من وراء الحض على إقامة مؤسسة الزواج، أما بالنسبة للفرد، فإن هدفه من وراء الزواج هو إقامة العلاقة الجنسية وتحصيل اللذة، وبما أن هدفه هذا ربما يدفعه لإقامة علاقات غير شرعية، فقد وضعت الشريعة اليهودية عقوبات قاسية لردع أية أنتهاكات قد تحدث.

يخضع مشروع الزواج في المجتمع اليهودي القديم إلى عدة خطوات تنتهي بزفاف المرأة (العروس) إلى رجلها (العريس)، وهي: الاختيار، والخطبة، والمهر، والزفاف. وقد مرت هذه المراحل خلال الألف الأول قبل الميلاد بتطورات فرضتها طبيعة البيئة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي كان يعيشها المجتمع اليهودي، والتي أفرزت بدورها مجموعة من القوانين القرابية التي حددت أحكام وشرائع وطقوس الزواج، هذه الأحكام والقوانين كانت غالباً ما تحرم أو تمنع علاقات المصاهرة بين أفراد معينين، سواء من داخل العشيرة أو خارجها.

الاختيار:

أعتاد بنو إسرائيل أن يتَّبعوا نظام الزواج من داخل العشيرة لأسباب دينية وأخرى اقتصادية، أهمها الرغبة في المحافظة على الثروة، وثمة أمثلة على ذلك في العهد القديم، فهذا النبي إسحق(عليه السلام) ينصح أبنه يعقوب أن يتزوج من بنات خاله لابان، ولا يتزوج من بنات الكنعانيين[٢]، مثلما فعل معه من قبل أبيه النبي إبراهيم(عليه السلام) حينما كان يبحث له عن زوجة، فأمر الخادم ألا يسعى إلى بنات كنعان بل يذهب إلى عشيرته (عشيرة إبراهيم)[٣]. وكذلك الحال بالنسبة للمرأة عند بني إسرائيل فأنها لا تُزوج للأجنبي[٤].

وكان من أبرز علاقات المصاهرة التي يقرها نظام الزواج لديهم في مرحلة الرعي هو الزواج من ابنة الخال، على غرار قبائل بدائية كثيرة، ونجد بعض الشواهد

---

(١) – سفر المزامير/ ١٢٧: ٣– ٥ .

(٢) – سفر التكوين/ ٢٨: ١– ٢ .

(٣) – سفر التكوين/ ٢٤: ٢– ٥ .

(٤) – الأسيوطي، نظام الأسرة، ص ١٥٧ .

في العهد القديم عن هذا النوع من الزواج، يتجسد في زيجات الأنبياء، كزواج النبي إسحق(عليه السلام) من رفقة، وزواج النبي يعقوب(عليه السلام) من راحيل[١].

كان محور القرابة[٢] والمصاهرة في المجتمع اليهودي القديم، كما هو في المجتمعات القديمة الأخرى، قائم على انحدار الفرد من أب معين أو أم معينة، ففي العهد الرعوي لم تكن هناك محارم من جهة الأب، وكان يجوز الزواج بالعمة وابنة الأخ، بل والأخت لأب[٣]، ولعل عدم وجود محارم من جهة الأب عند بني إسرائيل في عهد الرعي، يرجع إلى نظام أمي سابق غلب قبل الألف الثانية قبل الميلاد، فالولد في ظل النظام الأمي يلتحق ببطن أمه، لا بطن أبيه، ومن ثم يعد الرجل وعمته عضوين في بطنين متميزتين فيجوز الزواج بينهما، ويلتحق الإخوة لأب ببطون مختلفة نظراً لاختلاف أمهاتهم، فلا يحرم الاتصال بينهم، وقد بقيت هذه الآثار حتى بعد زوال النظام الأمي والانتقال إلى النظام الأبوي[٤].

أما اختيار الزوجة فكان من عمل الأب أو كبير العائلة، وكان يُستقبح أن يختار الابن عروسه[٥]، وموافقة البنت لم تكن ذات أهمية عند كل الأُسر، فقد كان أغلب الآباء لا يقيم وزناً لرأي أبنته ولا يعتبر موافقتها ضرورية[٦].

وقد رسم العهد القديم صورة واضحة لمواصفات المرأة المثالية الصالحة لإقامة أسرة، نجد فيها إيحاء لقصد اقتصادي يمتزج بإعجاب الرجل، **((المَرَأَةُ الفَاضِلَةُ مَنْ يَجِدُهَا؟ قيمتها تفُوقُ اللآلِئَ، إليها يَطْمَئنُّ قَلْبُ زَوْجِهَا فَلاَ يَحْتَاجُ إِلَى غَنِيمَةٍ، تَصْنَعُ لَهُ خَيْرًا لاَ شَرًّا كُلَّ أَيَّامِ حَيَاتِهَا، تَطْلُبُ صُوفًا وَكَتَّانًا وَتَشْتَغِلُ بِيَدَيْنِ رَاضِيَتَيْنِ،**

---

[١] – سفر التكوين/٢٤: ٤٥- ٦٠ ، ٢٩: ٢٧- ٣٠ .

[٢] – القرابة: هي علاقة اجتماعية تعتمد على الروابط الدموية الحقيقية أو الخيالية أو المصطنعة، ولا تعني القرابة في علم الانثروبولوجي، وعلم الاجتماع علاقات العائلة والزواج فقط، وإنما تعني أيضاً علاقات المصاهرة، فالقرابة هي علاقة دموية والمصاهرة هي علاقة زواجية، فعلاقة الأب بابنه هي علاقة قرابية، وعلاقة الزوج بزوجته هي علاقة مصاهرة . أنظر: الحسن، العائلة، ص١٩ وما بعدها .

[٣] – الأسيوطي، نظام الأسرة، ص ١٥٥ .

[٤] – المصدر نفسه، ص ١٥٦ .

[٥] – علي، إسرائيل عبر ، ج١، ص ١٠٠ .

[6] – Westbrook, Raymond, A history of Ancient Near Eastern Law, (Netherlands, 2003), Vol. II, p. 1007.

فتكون كالسُّفُنِ التجاريـةِ، تَجْلِبُ طَعَامَهَا مِنْ بَعِيدٍ، وَتَقُومُ قبلَ طلوع الفجر لتُهيئَ لأهلِ بيتها طعاماً، ولخادماتها عملاً، تَتَأَمَّلُ حَقْلاً فَتشتريه، وَبِثَمَرِ يَدَيْهَا تَغْرِسُ كَرْمًا، تتزَنَّرُ بِالْقُوَّةِ وَتُشَدِّدُ ذِرَاعَيْهَا، تَرى أَنَّ تِجَارَتَهَا رابحة. فسِرَاجُهَا لاَ يَنْطَفِئُ فِي اللَّيْلِ، تَمُدُّ يَدَيْهَا إِلَى الْمِغْزَلِ، وَتُمْسِكُ كَفَّاهَا بِالْفَلْكَةِ، تَبْسُطُ كَفَّيْهَا لِلْفَقِيرِ، وَتَمُدُّ يَدَيْهَا إِلَى الْمِسْكِينِ، لاَ تَخافُ عَلَى أهلِ بَيْتِهَا مِنَ الثَّلْجِ، فكُلُّ واحد يَلبَس حُلَّتين، تصنعُ لنفسها أغطية موشاة، وتلبس الديباج وَالأرْجُوانَ. زَوْجُهَا مَعْرُوفٌ فِي المجالس، وهو من مَشَايخِ البلد. تَصْنَعُ قُمْصَانًا وَتَبِيعُهَا، وَتَعْرِضُ أحزمة على التاجر. اَلْعِزُّ وَالْبَهَاءُ لِبَاسُهَا، وَتَضْحَكُ عَلَى الأيامِ الآتِية. تَفْتَحُ فَمَهَا بِالْحِكْمَةِ، وَفِي لِسَانِهَا كلامُ الْمَعْرُوفِ. تُرَاقِبُ سُلوكَ أَهْلِ بَيْتِهَا، وَلاَ تَأْكُلُ خُبْزَ البطالةِ، ينهض أَوْلاَدُهَا فيباركونها، وزَوْجُهَا يَمْدَحُهَا فيقول: بَنَاتٌ كَثِيرَاتٌ عَمِلْنَ فَضْلاً، أَمَّا أَنْتِ فَفُقْتِ عَلَيْهِنَّ جَمِيعًا. اَلْحُسْنُ غِشٌّ وَالْجَمَالُ بَاطِلٌ، أَمَّا الْمَرْأَةُ الْمُتَّقِيَةُ الرَّبَّ فَهِيَ تُمْدَحُ. أَعْطُوهَا مِنْ ثَمَرِ يَدَيْهَا، وَلْتَمْدَحْهَا أَعْمَالُهَا فِي المجالس))[١].

وفي مرحلة الاستقرار في فلسطين (العهد الزراعي)، ونتيجة للظروف الاقتصادية والتقلبات السياسية وتعاليم الأنبياء، فقد تغيرت كثير من المسائل المتعلقة بنظام الزواج في المجتمع اليهودي، ومنها انتشار عادة الزواج من بنات العم، بعد أن كانت حالة الاتجاه أكثر إلى بنات الخال، وهي حالة من رواسب نظام أمي سابق، حيث كان الخال يتخذ الأهمية نفسها التي يتبوؤها العم في ظل النظام الأبوي[٢]، وقد ترتب على هذه العادة، تحريم زواج البنات من خارج العشيرة، وهو تحول يرجعه العهد القديم إلى أحداث ما بعد التغلغل في فلسطين، وحادثة نصيب بنات صلفحاد اللواتي ورثن أبيهن، ومنعاً لذهاب ثروتهن التي هي جزء من ثروة عشيرتهن (سبط منسّى بن يوسف) فقد حُرم عليهن الزواج من خارج عشيرة أبيهن، فصارت (محلة، وترصة، وحجلة، وملكة، ونوعة) بنات صلفحاد زوجات لبني

---

[١] – سفر الأمثال/ ٣١: ١٠– ٣١ .

[٢] – الأسيوطي، نظام الأسرة، ص ١٧٨ .

أعمامهن[١]، وتم الأخذ جرياً بهذه العادة في المجتمع اليهودي من أجل المحافظة على الثروة داخل العشيرة.

أستمر اليهود إنشادا لهذا الهدف، يتبعون عادة الزواج من الداخل، حتى أنها ضلت مباحة في عهود متأخرة، ولم يصدر النهي عن الاتصال بالأقارب والأصهار إلا في سفر التثنية، وهو الكتاب الذي قيل أن الكاهن حلقيا وجده في المعبد سنة (٦٢٢ ق.م.)، أي بعد زوال مملكة إسرائيل في الشمال على يد الآشوريين، وأثناء الإصلاح الديني داخل مملكة يهوذا في الجنوب إبان حكم الملك يوشيا(٦٤١- ٦٠٨ ق.م)، ومن خلال ثورة النبي أرميا[٢] أصطبغ سفر التثنية بتعاليم الأنبياء، إذ حُرم الاتصال بزوجة الأب، والأخت لأب، والأخت لأم والحماة والبهيمة[٣].

ونظراً لارتباط مؤسسة الزواج في المجتمع اليهودي بالجانب الاقتصادي، فقد تعرضت إلى تغيرات وتطورات أفرزتها الأحداث السياسية التي عاشها اليهود في مرحلة الأسر البابلي وما بعده، إذ قام زعماء الدين من الكهنة بعد عودتهم إلى أورشليم بتسليم الأراضي إلى الأفراد على سبيل الحيازة لا التمليك، ومن ثم يُعاد توزيعها كل خمسين عاماً ويلغى ما ورد عليها من تصرفات[٤].

وهكذا تلاشت صورة الملكيات الكبيرة التي يُرجى الحفاظ عليها أو يُخشى من تسربها إلى غير أصحابها، فزالت المبررات الاقتصادية لنظام الزواج من الداخل، وأستطاع زعماء الدين التوسع في نطاق المحرمات، حتى شملت زوجة العم وامرأة الابن والجمع بين الأختين، أو بين ألام وأبنتها وغير ذلك[٥].

أزداد تدخل زعماء الدين في نظام الأسرة والزواج، بما يسنونه من قوانين تنسجم من وجهة نظرهم مع التطورات الدينية والسياسية والاقتصادية التي كان يمر بها المجتمع اليهودي، فتقلصت تبعاً لذلك كثير من علاقات القرابة والمصاهرة حتى

---

(١) – سفر العدد/ ٣٦ .

(٢) – سفر أخبار الأيام الثاني/ ٣٤ .

(٣) – سفر التثنية/ ٢٧: ٢٠- ٢٣؛ الأسيوطي نظام الأسرة، ص ١٧٩ .

(٤) – سفراللاويين/ ٢٥: ١٠- ١٣ ؛ الأسيوطي، نظام الأسرة، ص ١٧٩ .

(٥) – سفر اللاويين/ ١٨ ؛ المصدر نفسه، ص ١٨٠ .

بلغت حداً أنطوائياً، تجسد بتحريم الاقتران بغير اليهود، والذي بدأت أولى صوره مع الكهنة، إذ حُرم على الكاهن الأعظم الزواج بأجنبية والتزم بأن يأخذ لنفسه عذراء يهودية، وأمتد هذا التحريم إلى سائر الكهنة اللاويين، وغير الكهنة من الرجال في المجتمع اليهودي. ويروي لنا العهد القديم في هذا الصدد، أن عزرا زعيم اليهود في منتصف القرن الخامس قبل الميلاد قد أمر بالتخلص من الزوجات الأجنبيات من الكنعانيين والمصريين الاموريين وغيرهم[١]، وأستصدر أمراً من ملك الفرس أسبغ من خلاله صفة الإلزام على تشريعه، وأستخدم القوة في هدم الزيجات المختلفة القائمة، وشتت الأُسر وشرد الأطفال الأبرياء، وتم كل ذلك بأسم الدين، تحت حجة (استأصال الرجس من بني إسرائيل)[٢].

الخطوبة:

لم تكن في مرحلة الرعي مقدمات للزواج، ولهذا فلم تعرف الخطبة، بل كان الأمر يتم فجأة من غير تمهيد[٣]، كما لم تكن هناك مراسم معينة للزواج، بل كانت مسألة مدنية بحته لا يتدخل فيها الكاهن، ولعله يرجع إلى ضعف نفوذ الكهنة في ذلك العهد[٤]. أما بعد الاستقرار في فلسطين والتأثر بالكنعانيين فقد أخذ المجتمع اليهودي يبتدأ بالخطبة نتيجة للإقامة في المدن، واعتبرت الخطبة خطوة أولى نحو الارتباط النهائي[٥]، إذ كثيراً ما تسمى (المخطوبة) في العهد القديم بزوجة، كما كان (الخطيب) يسمى (بعلاً) أو (زوجاً)، وكانت تحت الالتزام بالأمانة[٦]، بمعنى أن تلتزم الفتاة المخطوبة بحبس نفسها على ذمة زوجها[٧]، فإذا عاشرت رجلاً آخر عوملت معاملة الزانية ورجمت بالحجارة حتى الموت، إلا أن يكون الزنى قد حدث في الحقل لا في المدينة، فيفترض أنها أُغتصبت بعد أن صرخت لتنجو لكن لم

---

(١) – سفر عزرا / ٩: ١– ٢ .

(٢) – الأسيوطي، نظام الأسرة، ص ١٨١ .

(٣) – سفر التكوين/ ٢٤: ٦١– ٦٧ .

(٤) – الأسيوطي، نظام الأسرة، ص ١٥٧ .

(٥) – المصدر نفسه، ص ١٨١ .

(٦) – سفر التكوين/ ٢٩: ٢١ ؛ سفر التثنية/ ٢٢: ٢٣– ٢٥ .

(٧) – ריינס, שם, עמ'. 91 .

ينقذها احد[1]، ولم يذكر العهد القديم حقوق الخطيبة في حالة فك الخطبة، على العكس من قوانين الشرق الأدنى القديم، ومنها قانون حمورابي الذي يقرر أنه إذا فك زوج المستقبل الخطبة، كان لأب العروس الحق في الاحتفاظ بكل هداياه للعروس، ولكن إذا كان أبو العروس هو الذي فك الخطبة، فكان عليه أن يعوض العريس بضعف قيمة الهدايا[2].

المهر:

يُعد المهر ركن من أركان الزواج لا ينعقد بدونه، حيث يتم الاتفاق على نوعه أو مقداره بين الطرفين (بين والد الفتاة، والرجل المتقدم أو والده). وقد نجم المهر عن تواجد المال لدى قبائل الرعي، وكذلك الحال عند رعاة الأغنام من بني إسرائيل، وكان يُعد في بداية الأمر من حق الأب[3]، ويؤدى بعدة طرق يتفق عليها الطرفان، فكان على الخاطب أحياناً أن يعطي كمية من الدراهم أو العقار أو التحف والأشياء الثمينة لأبي العروس[4]، أو قد يشترط والد العروس على أن يؤدي العريس له خدمة أو عمل نظير المهر، فمثلاً، أقام النبي يعقوب(عليه السلام) عند خاله لابان يخدمه سبع سنوات لقاء الزواج من ابنته الصغرى راحيل[5]، ومن جهة أخرى وجدنا أن شاؤل أشترط لزواج أبنته من داود، أن يقوم داود بقتل مئة من الفلسطينيين، **(فَقَالَ شَاوُلُ: هكَذَا تَقُولُونَ لِدَاوُدَ: لَيْسَتْ مَسَرَّةُ الْمَلِكِ بِالْمَهْرِ، بَلْ بِمِئَةِ غُلْفَةٍ مِنَ الْفِلِسْطِينِيِّينَ، انتقاماً مِنْ أَعْدائه)**[6].

كما جاءت قصة النبي موسى(عليه السلام) في القرآن الكريم مصداقاً لهذه الأمثلة التي سقناها، فحينما توجه تلقاء مدين، والتقى بالنبي شعيب(عليه السلام) جرى بينهما اتفاق، وتم عقده بالصورة التي تخبرنا به الآية الكريمة (**قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ**

---

(1) – سفر التثنية/ ٢٢: ٢٣– ٢٧ .

(2) – رشيد، فوزي، الشرائع العراقية القديمة، ط٣، (بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٨٧)، ص ١٤٦، (المواد ١٥٩ و١٦٠) .

(3) – الأسيوطي، نظام الأسرة، ص ١٥٩ .

(4) – سفر التكوين/ ٢٤: ٥٣ .

(5) – سفر التكوين/ ٢٩: ١٨– ٢٠ .

(6) – سفر صموئيل الأول/ ١٨: ٢٥.

تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَةَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْراً فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ، قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ)[١] .

ويعتبر المهر هدية من العريس لعائلة العروس، كما كان يُعد ختماً للعهد الذي يربط الأسرتين، ويرى البعض أن المهر كان ثمناً للعروس[٢]، لكن لا أساس لهذا، لأن الزوجة لم تُشترى كما تُشترى الأمة[٣].

وقد يأخذ المهر صورة أخرى، كأن يتبادل الطرفان الهدايا، فيقوم والد الفتاة بتقديم هدية لأبنته (العروس) أو لزوجها (العريس) تشمل في الغالب عدداً من الجواري والعبيد[٤]، والعبيد[٤]، أو قطعة من الأرض[٥]، أو غير ذلك. ويقوم العريس بتقديم الثياب والحلي المصنوعة من الفضة للعروس.

وفي مراحل متأخرة، وعندما أصبح لليهود عملة نقدية متداولة، أصبحت قيمة المهر خمسون شيقل[٦] من الفضة، لا تزيد عن هذا المقدار، ويتم دفعه بحضور موظف أو كاهن يكون مسؤول عن توثيقه[٧].

الزفاف:

كان من أهم إجراءات مراسم الزواج هو الإقرار العلني بانعقاد الرابطة الزوجية، ومن هنا تتبين أهمية الزفاف، باعتباره الخطوة الأخيرة لتلك المراسم، والتي

---

(١) – سورة القصص، الآيات (٢٧، ٢٨) .

(٢)- ריינס, שם, עמ' 102- 105.

(٣) – دائرة المعارف الكتابية، حرف الزاي، مادة (زواج) .

(٤) – سفر التكوين/ ٢٤: ٥٩–٦١ ، ٢٩: ٢٤ .

(٥) – سفر القضاة/ ١: ١٥؛ سفر الملوك الأول/ ٩: ١٦

(٦) – الشيقل: كلمة عبرية معناها (ثقل)، وتقابل كلمة مثقال في اللغة العربية، وهو أقدم عملة للتعامل النقدي في في التاريخ، وكان وحدة الأوزان للمعادن عند الشعوب السامية قديماً، ويرجع تاريخ التعامل بالشيقل إلى العهود السومرية– الأكدية بحدود الألف الثالث قبل الميلاد، ولم يكن هناك معيار ثابت للشيقل، بل أن قطع الأوزان الأثرية التي تم العثور عليها والتي تحمل نفس الرموز، ليست متساوية في الوزن، فقد كانت هناك أوزان خفيفة وأخرى ثقيلة، وأوزان عادية وأوزان ملكية، ويقدر الشاقل في اغلب المراجع بما بين(٣٠ ,١١) و (٤٧ ,١١) من الغرامات. أنظر: النجفي، حسن، الشيقل أصله واستعمالاته في العراق القديم، (بغداد: مطبعة البنك المركزي العراقي، ١٩٨١)، ص ٣٣ وما بعدها.

(7) – Westbrook, Raymond, op.cit. p. 1007.

مرت بتطورات عديدة عبر تاريخ المجتمع اليهودي القديم، ففي مرحلة الرعي كان الأب يأخذ أبنته من يدها ويسلمها إلى زوجها، بعد أن تقام وليمة يحضرها أهل المكان[١]، أو يصحب الرجل امرأته بنفسه إلى الخيمة[٢]، وبهذا الأسلوب السريع الذي يتمم الزواج، كان العريس لا ينتظر طويلاً لكي تكتمل فرحته، ولكن بمرور الزمن تطور الزفاف وأصبح يمر بإجراءات، ربما يحتاج معها العريس إلى قليل من الصبر. وعلى غرار الشعوب الأخرى، حرص اليهود على إقامة الزواج في وقت مناسب، فكانوا يحددون يوم الزواج عند اكتمال القمر، اعتقاداً منهم أن الزواج عند عدم اكتماله يسبب العقم والضيق[٣].

كما كانت هناك عادات قديمة يتبعها المجتمع اليهودي في مناسبات الزواج، ومنها عادة (ليلة الضرب) التي تسبق يوم الزواج، من خلال القرع بالأدوات وخلق الضوضاء، اعتقاداً منهم أن هذا السلوك يؤدي إلى طرد الأرواح الشريرة، من أجل حماية العريسان[٤].

كان الزفاف يتم عادة في المساء، فكان العريس يسير مع رفاقه في موكب إلى بيت العروس، تحف بهم الشموع والمشاعل. وكانت تمد وليمة العشاء هناك أحياناً، بل كانت الظروف تحتم ذلك[٥]، وكان الموكب أحياناً يسير علي نغمات الغناء والموسيقى والرقص وأنوار المصابيح[٦].

ولابد أنه كان لكل عروس صاحبات يحطن بها في موكب عرسها[٧]، وكانت تقام عادة في بيت العريس وفي الليل غالباً وليمة يحضرها جمع من الأصدقاء،

---

(١) – سفر التكوين/ ٢٩: ٢١– ٢٣ .

(٢) – سفر التكوين/ ٢٤: ٦٧ .

(٣) – ברגמן,יהודה, הפולקלור היהודי ידיעת עם ישראל אמונותיו תכונותיו ומנהגיו העממיים , מהדורה שניה , (ירושלים , 1961), עמ 32 .

(٤) – ברגמן, שם , עמ' 34 .

(٥) – سفر التكوين/ ٢٩: ٢٢؛ سفر القضاة/ ١٤ .

(٦) – سفر إرميا/ ٧: ٣٤ .

(٧) – سفر القضاة/ ١٤: ١١ ؛ سفر المزامير/ ٤٥: ١٤ .

ويرأس الوليمة وكيل عن العريس أو أحد أصدقائه وكان رفض الدعوة يعتبر إهانة[١] كما يمكن في بعض الظروف أن تقام الوليمة في بيت العروس[٢].

ويبارك الوالدان والأصدقاء العريسين ويتمنون لهما كل خير وفلاح[٣]، كما يقطع كل كل من العروسين عهداً بالوفاء والأمانة كما نلمح ذلك في بعض الأقوال في العهد القديم[٤] ويقوم العريس بتغطية العروس، فقد جاء في العهد القديم أن العريس يبسط طرف ثوبه على عروسه[٥]، ولعل في ذلك إشارة إلى وضعها في حمايته، كما إنه في بعض القبائل البدوية يغطي العريس عروسه بعباءة قائلاً لها: (منذ الآن لن يغطيك أحد سواي)[٦].

وكان الاحتفال بالعريس يمتد أسبوعاً[٧] أو أكثر، ويتخلل هذه الاحتفالات الغناء والعزف علي الآلات الموسيقية[٨] والتسلية بالأحاجي والألغاز [٩].

وفي الختام يُزف العريسين إلى الحجرة، وكثيراً ما كان الوالدان هما اللذان يزفونهما[١٠]، حيث مخدع العريس، وهي غرفة خاصة أُعدت لهما تسمى(حفة) أو (حجلة)[١١]، وكانت أصلاً خيمة يحتمي تحتها العريسان أثناء حفل الزفاف[١٢].

وكان يعرض قميص أو منديل ملطخ بالدم علامة علي أن العروس كانت عذراء[١٣]. كما اعتادت الأسر اليهودية في عهودها القديمة تقديم البيض والدجاج

---

[١] – دائرة المعارف الكتابية، حرف الزاي، كلمة (زواج).
[٢] – سفر التكوين/ ٢٩: ٢٢ .
[٣] – سفر التكوين/ ٢٤: ٦٠ ؛ سفر راعوث/ ٤: ١١ .
[٤] – سفر الأمثال/ ٢: ١٧؛ سفر حزقيال/ ١٦: ٨ ؛ سفر ملاخي/ ٢: ١٤ .
[٥] – سفر راعوث/ ٣: ٩؛ سفر حزقيال/ ١٦: ٨ .
[٦] – دائرة المعارف الكتابية، حرف الزاي، كلمة (زواج) .
[٧] – سفر التكوين/ ٢٩: ٢٧ .
[٨] – سفر مزمور/ ٤٥، ٧٨: ٦٣ .
[٩] – سفر القضاة/ ١٤: ١٢– ١٨ .
[١٠] – سفر التكوين/٢٩: ٢٣ .
[١١] – سفر المزمور/ ١٩: ٥ ؛ سفر يوئيل/ ٢: ١٦ .
[١٢] – دائرة المعارف الكتابية، حرف الزاي، كلمة (زواج) .
[١٣] – سفر التثنية/ ٢٢: ١٣– ٢١ .

والسمك، كرمز للخصب، فالبيضة كانت ترمز إلى كثرة الأبناء، كالدجاجة التي تضع بيضها بسهولة، كما اعتادوا أن يضعون أمام العرسان قلائد من السمك للاعتقاد عينه[١].

تعدد الزوجات:

عند عقد مقارنة بين أنظمة الزواج في مجتمعات الشرق الأدنى القديم نجد بأن هناك اختلافات فرضتها طبيعة الحياة لكل مجتمع من هذه المجتمعات القديمة، فالمجتمع اليهودي على الرغم من تأثره بمنظومة الزواج في العراق القديم[٢]، إلا أنه يمنح نفسه مرونة أوسع في مسألة تعدد الزوجات لأسباب عديدة قد تكون اقتصادية أو غير اقتصادية، هدفها المشترك هو الإنجاب لزيادة النسل، إذ يُعطى الرجل الحق في الاقتران بأكثر من زوجة، حتى أن المرأة عندما تتأخر في الإنجاب أو تعجز عن الاستمرار في الولادة، كانت تدفع إلى زوجها بجاريتها لتحمل منه وتلد في حجر سيدتها، فينسب المولود أليها وليس إلى الجارية، مثالُ ذلك، ما فعلت السيدة (سارة) زوجة النبي إبراهيم(عليه السلام) عندما قدمت له جاريتها السيدة (هاجر) المصرية فحملت منه[٣]، ومثلها فعلت (راحيل) مع النبي يعقوب(عليه السلام)، إذ دفعت إليه جاريتها (بلهة)، (بلهة)، وكذلك زوجته الأخرى (ليئة) دفعت إليه جاريتها (زلفة)[٤].

بينما نجد في العراق القديم وطبقاً للأحوال الشخصية في شريعة حمورابي، أنه لا يُسمح للزوج باتخاذ زوجة ثانية إلا في حالة كون الأولى عاقراً، ويفقد الزوج حق الزواج بأخرى إذا أهدته زوجته أحدى وصيفاتها كمحظية، ومن ناحية أخرى يستطيع الزوج أن يتخذ بنفسه محظية حتى وأن ولدت زوجته أطفالاً له، لكن في هذه الحالة لن تكون لمحظيته الحقوق ذاتها التي تمتعت بها الزوجة الرئيسة، وكذلك لا يُسمح له باتخاذ محظية ثانية مالم تكن الأولى عاقراً[٥].

---

(١) – ברגמן, שם ,עמ' 36 .

(2)- Epstein, Louis M., Marriage Laws in the Bible and the Talmud, JNES, (New York, 1942),Vol. 9, pp. 104- 105.

(٣) – سفر التكوين/ ١٦: ١– ٦ .

(٤) – سفر التكوين/ ٣٠: ٣– ٩ .

(5) – Devaux, Roland, op.cit.p.24.

ومع هذا الاختلاف فأن أنظمة الزواج في الشرق الأدنى القديم تلتقي بوجود زوجة شرعية واحدة، وهي العادة الشائعة في عموم سورية القديمة في العصر البرونزي المتأخر والعصر الحديدي، ومع ذلك فأن تعدد الزوجات كان موجوداً لدى العوائل المالكة، وبعض العوائل الثرية من الكنعانيين وغيرهم[١].

وإذا كان تعدد الزوجات عند بني إسرائيل في مرحلة الرعي، لا يتعدى الاثنين أو الثلاث أو الأربع، فأنه في مرحلة الزراعة والاستقرار في فلسطين بلغ حدا كبيراً. حيث سارت الأسرة اليهودية على هذا النظام، تشجعها في ذلك شريعتها الموسوية[٢] التي لم تحدد للرجل اليهودي عدد معين من الزوجات، بل نجدها تنظر بعين الرضا والإعجاب إلى رجال العهد القديم وما كانوا يمتلكونه من عشرات الزوجات[٣].

وكان أيضا لمصادر الزواج المختلفة في المجتمع اليهودي القديم، سببا في تعدد الزوجات، إذ أن هناك أنواع أخرى من الزواج كان لها ظروفها الخاصة التي لا يخضع الرجل بموجبها إلى خطوات الزواج الاعتيادي، ومن أبرزها زواج (يبوم) وزواج (الخطف).

زواج (يبوم):

المقصود بـ (زواج يبوم)، هو زواج الأخ الحي بأرملة أخيه المتوفى دون أولاد، فيرث الأخ التركة والزوجة معاً، وينسب الأولاد الجدد إلى الأخ المتوفى، فقد ورد في العهد القديم قول يهوذا لأبنه: **(فقال يهوذا لأونان أدخل على امرأة أخيك وتزوجها وأقم نسلاً لأخيك)**[٤].

---

(1)- Sasson, Jack, M., op.cit. p. 644.

(٢) – عبيد، منصور الرفاعي، المرأة ماضيها وحاضرها، ط١، (بيروت: أوراق شرقية للطباعة والنشر، ٢٠٠٠)، ص١٥٣ .

(٣) – ومَثلُ ذلك الملك أبيا (٩١٥– ٩١٣ ق.م.) حاكم مملكة يهوذا، الذي تزوج أربع عشرة امرأة. أنظر: سفر أخبار الايام الثاني/ ١٣: ٢١ .

(٤) – سفر التكوين/ ٣٨: ٨– ١١ .

وتشتق كلمة(يبوم) יבום العبرية من (يابام) יבם وهو أخو الزوج، و(ياباما) יבמה أو(يبيمت) יבמת وهي زوجة الأخ[١]. وكان هذا الزواج معروف لدى الجماعات البدائية، ولا تبتعد أسبابه عن الجانب الاقتصادي، إن لم تكن أساسا قد نشئت عنه، فكما يرى اغلب الباحثين إن المرأة تصبح جزءاً من ثروة الرجل ومالاً ينتقل بالميراث، لا سيما عند القبائل التي تعرف نظام المهر نتيجة لتوافر المال، إذ تتكاتف عادة أسرة الزوج في جمع المهر وتسليمه إلى أهل الزوجة، فيغلب الإحساس بان المرأة دُفع من اجلها ثمن وأمست جزءا من الثروة يعود إلى أسرة الزوج بعد وفاته، سواء إلى أخوته أم أبنائه أم أقاربه الآخرين[٢].

ولم يشذ بنو إسرائيل عن القاعدة العامة ومارسوا زواج اليبوم باعتباره من نظم الميراث، حتى تبقى الثروة داخل العشيرة ولا تذهب إلى الأجانب في حالة وفاة الأخ دون أولاد[٣].

ويتضح من خلال النصوص التي وردت في العهد القديم أن زواج اليبوم كان إجباريا في مرحلة الرعي، إذ يُروى أن يهوذا حينما مات ابنه البكر (عير) أمر ابنه الآخر (أونان) أن يتزوج (ثامار) أرملة أخيه، فرفض أن يتزوجها، فأصابه العقاب الإلهي ومات[٤].

وإذا لم يكن للمتوفى إخوة بالغون، انتقلت الأرملة إلى بيت أبيها، واحتبست حتى يكبر الإخوة الصغار[٥]، وتعتبر في تلك الأثناء موقوفة على ذمتهم، يمتنع عليها الاتصال بالرجال، فأن فعلت عدت زانية وعوقبت بالحرق[٦]، وأن لم يكن للمتوفى إخوة على الإطلاق، ذهبت الأرملة إلى أقرب قريب لزوجها المتوفى[٧].

---

[١] – زرار، ملكة يوسف، موسوعة الزواج والعلاقة الزوجية في الإسلام والشرائع الأخرى المقارنة، ط١، (القاهرة: دار الفتح للأعلام العربي، ٢٠٠٠)، ج١، ص ٥٠ ؛ שגיב, שם, כרך שני, עמ' 662 .

[٢] – الأسيوطي، نظام الأسرة، ص ١٦٣ .

[٣] – المصدر نفسه، ص ١٦٤ .

[٤] – سفر التكوين/ ٣٨: ٨– ١٠ .

[٥] – سفر التكوين/ ٢٨: ١١ ؛ مهران، بنو إسرائيل، ج٤، ص ٦٢٠ .

[٦] – سفر التكوين/ ٣٨: ٢٤ ؛ الأسيوطي، نظام الأسرة، ص ١٦٤ .

[٧] – مهران، بنو إسرائيل، ج٤، ص ٦٢٠ .

ظل الاقتصاد هو المحور الرئيس الذي يتحكم بنظام الزواج في المجتمع اليهودي، ولهذا فقد استمر الأخذ بزواج اليبوم حتى بعد الاستقرار في فلسطين، والعمل الجماعي في الزراعة، لما لهذا الزواج من علاقة بثروة الأرض، إذ بدت الحاجة إلى إبقاء الأرض داخل السبط أو العشيرة، ومن يموت دون ذرية يرثه أخوته ويأخذون أرضه، بعد أن يقترن أحدهم بزوجته.

لكن سرعان ما تلاشت الملكية الجماعية للأرض وحلت محلها الملكية الفردية، فزالت الحاجة إلى إبقاء الثروة داخل العشيرة، ومن جهة أخرى وبعد الإقامة في المدن، لم يعد نظام يبوم يلائم سكان المدينة، حيث أنفرد كل رجل بزوجته أو زوجاته واستقل بمعيشته عن سائر أخوته، ولذلك لم يجد الأخ الحي معنى لتزوج أرملة أخيه وأمسى هذا الزواج عبئاً مالياً لا تقابله فائدة اقتصادية[1].

ونجد أن العهد القديم قد أنطبع بهذا التطور، واضعاً تعاليم جديدة تنسجم مع ما طرأ من تغيير على حياة المجتمع، فاقتصر زواج يبوم على إقامة الأخوة تحت سقف واحد أي اشتراكهما في معيشة واحدة، ثم أصبح نظاماً اختيارياً إن شاء الأخ تزوج أرملة أخيه وإن لم يشأ تنازل عنها، وفي سفر التثنية تفصيلاً لهذه الحالة: **((إِذَا سَكَنَ إِخْوَةٌ مَعًا وَمَاتَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ وَلَيْسَ لَهُ ابْنٌ، فَلاَ تَصِرِ امْرَأَةُ الْمَيْتِ إِلَى خَارِجٍ لِرَجُل أَجْنَبِيٍّ، أَخُو زَوْجِهَا يَدْخُلُ عَلَيْهَا وَيَتَّخِذُهَا لِنَفْسِهِ زَوْجَةً، وَيَقُومُ لَهَا بِوَاجِبِ أَخِي الزَّوْجِ، وَالْبِكْرُ الَّذِي تَلِدُهُ يَقُومُ بِاسْمِ أَخِيهِ الْمَيْتِ، لِئَلاَّ يُمْحَى اسْمُهُ مِنْ إِسْرَائِيلَ، وَإِنْ لَمْ يَرْضَ الرَّجُلُ أَنْ يَأْخُذَ امْرَأَةَ أَخِيهِ، تَصْعَدُ امْرَأَةُ أَخِيهِ إِلَى الْبَابِ إِلَى الشُّيُوخِ وَتَقُولُ: قَدْ أَبَى أَخُو زَوْجِي أَنْ يُقِيمَ لأَخِيهِ اسْمًا فِي إِسْرَائِيلَ. لَمْ يَشَأْ أَنْ يَقُومَ لِي بِوَاجِبِ أَخِي الزَّوْجِ، فَيَدْعُوهُ شُيُوخُ مَدِينَتِهِ وَيَتَكَلَّمُونَ مَعَهُ، فَإِنْ أَصَرَّ وَقَالَ: لاَ أَرْضَى أَنْ أَتَّخِذَهَا، تَتَقَدَّمُ امْرَأَةُ أَخِيهِ إِلَيْهِ أَمَامَ أَعْيُنِ الشُّيُوخِ، وَتَخْلَعُ نَعْلَهُ مِنْ رِجْلِهِ، وَتَبْصُقُ فِي وَجْهِهِ، وَتُصَرِحُ وَتَقُولُ: هكَذَا يُفْعَلُ بِالرَّجُلِ الَّذِي لاَ يَبْنِي بَيْتَ أَخِيهِ. فَيُدْعَى اسْمُهُ فِي إِسْرَائِيلَ: بَيْتَ مَخْلُوعِ النَّعْلِ))**[2].

زواج الخطف

---

[1] – الأسيوطي، نظام الأسرة، ص ١٩٠ .

[2] – سفر التثنية/ ٢٥: ٥– ١٠ .

وفي هذا النوع من الزواج يتم الحصول على الزوجة عبر غنائم الحروب، حيث يتم جلب المرأة إلى المنزل، وكان عليها الخضوع للشعائر المتبعة والقاضية بحلاقة شعرها وقص أظافرها وتغيير ملابسها، ولها أيضا رثاء والديها وأهلها لمدة شهر كامل وبعد هذه المدة يتم الزواج منها، ولا تُعامل هذه الأمة المأخوذة كغنيمة حرب كأمة عادية بعرضها أو بيعها أو استرقاقها، ولكن إذا لم يرغب بها زوجها له أن يقايضها مع أخرى أو أن يحررها[١].

الأولاد:

كان العبرانيون كغيرهم من المجتمعات القبلية القديمة يفضلون المواليد الذكور على الإناث، ويعتبرونهم فضل من الله ونعمة، وذلك بسبب الدور الذي يقومون به، إذ أنهم دعامة اقتصادية هامة يشاركون في زراعة الأرض وتأدية الأعمال اليدوية، أما البنات فيعتبرونهن من أهم مسؤوليات الأسرة، إذ كان الأمر يقتضي مراقبتهن وحمايتهن، لينتهي بهن المطاف أخيراً في بيوت أزواجهن[٢].

يبدأ اهتمام الأسرة بالمولود قبل ولادته، إذ تستخدم المرأة الحامل تعاويذ مختلفة، كما هو الحال عند الشعوب القديمة الأخرى، حتى لا تطرح ما في بطنها أو تصعب عليها الولادة[٣]. واعتادوا بعد ولادة الطفل كما هو حالهم في عهودهم المختلفة أن يدلكوا جسمه بالملح ويمسحونه بالزيت[٤]، ومن ثم يعقب ذلك طقوساً تعبر عن فرحة الأسرة بمولودها، ويمتلئ البيت فرحاً، لا سيما إن كان جنس المولود ذكر، ويكون الأسبوع الذي يقع بين ولادة الولد وبين ختانه أسبوع احتفالات[٥]، إذ كانوا يعدون في كل يوم من أيام هذا الأسبوع مأدبة ويشعلون الشموع[٦].

---

[1] – Westbrook, Raymond, op.cit. p. 1009.

[٢] – علي، إسرائيل عبر، ج١، ص ١٠٦ .

[٣] – ברגמן, שם , עמ' 26 .

[٤] – שם , עמ' 28 .

[٥] – في العهود المتأخرة لليهود كان هناك بعض الطوائف اليهودية تهتم أيضا بولادة البنت وتقيم احتفالاً بعد ولادتها، يطلق عليه (أسبوع البنت).أنظر: ברגמן, שם , עמ' 27 .

[٦] – שם , עמ' 27 .

وفي يوم الحادي والثلاثين لولادة الابن البكر لأمه تقام (فدية الابن البكر), ويقوم الكاهن بتلاوة البركات لافتداء الابن البكر ومقابل ذلك يُدفع له خمسة (سلاعيم) סלעים[١]، وهو نقد عبري قديم مفرده (سيلع) סלע[٢].

وتشهد الأسماء على نظرة اليهود إلى الولد بأنه هبة الله، حيث أن الآباء يطلقون على أبنائهم أسماء مثل يهوناتان (יהונתן) ومعناه الرب أعطى، وناتن أيل (נתנאל) ومعناه أعطى الرب، ومتتياهو (מתתיהו) ومعناه هبة الله[٣]، وكان اهتمامهم في اختيار أسم جيد للمولود سيما الذكور يفسر أيمانهم بأن طالع ومستقبل الولد يرتبط بالاسم[٤].

يرى الباحثون اليهود بأن تسمية الولد في العهود الأولى كانت متروكة للأم، ويستدلون على ذلك من أسماء بعض الشخصيات التاريخية، إذ يقولون بأن حواء أسمت أبنها (قين) وحتى راحيل أسمت ابنها (بن أوني) בן- אוני ومعناه ابن حزني، أو أبن ألمي، ومع مرور الزمن صارت تسمية الولد من حق أبيه، كعلامة على أن الابن قد أصبح ثروة لأبيه[٥].

وكانت الأسماء عند اليهود عادة ما تعبر عن نشاط أو مصير من يحمله، فأسم النبي يعقوب(عليه السلام) مثلاً (هو الذي عقب أخاه)[٦]، ومن الممكن أن ينوّه الاسم عن ظروف الولادة أو المستقبل الذي يتصوره الأهل لأولادهم، فراحيل مثلاً، وهي على فراش الموت، تدعو أبنها בן- אוני (بن أوني) ومعناها(ابن ألمي) ولكن يعقوب يسميه בן ימין (بنيامين) أي (ابن يميني)[٧]، وأحياناً هو ضرب من التنبؤ الذي

---

(١) – שם , עמ' 31 .

(٢) – שגיב, שם, כרך רבעי, עמ' 1254 .

(٣) – ברגמן, שם , עמ' 25 .

(٤) – تطور هذا الاعتقاد لدى اليهود في عصورهم اللاحقة فأصبحوا يرون بأن طالع ومستقبل الولد مرتبطان ببرج اليوم أو الشهر الذي ولد فيه، ومن خلال هذا الاعتقاد اعتادوا على مناداة الولد بأسم اليوم الذي يولد فيه، مثل شبتي (שבתי) وحاگي (חגי)، وحگيت (חגית)، أي أنه ولد في السبت أو العيد، وفي عيد الغفران (رحميم) أو في التاسع من آب (مناحم) وفي عيد الحانوكاه (متتياهو) وفي عيد النصاب مردخاي وأستير، كما اطلق اليهود على أولادهم أسماء الشهور التي يولدون فيها، مثل تموزا، وطيبت ومرحشفان، ونيسان. أنظر: ברגמן, שם , עמ' 30 .

(٥) – שם , עמ' 31 .

(٦) – سفر التكوين/ ٢٧: ٣٦ ؛ باسيم، معجم اللاهوت، ص ٧١ .

(٧) – سفر التكوين/ ٣٥: ١٨ .

يرجى به معونة الله، مثل أسم (يشعياهو) ישעיהו(يشاع – يهوا)، ومعناه خلِّص يا يهوه، أو خلاص يهوه[١]. وأحياناً يسمى الطفل بأسم عاهة في جسمه مثل (فاسيح) פסח أي الأعرج، و(قاريح) קרח أي الأقرع، كما نجد كثيرين يسمون بأسماء حيوانات مثل (ليا: بقرة برية) و(راحيل: شاة) و(يونا: حمامة) و (دبورا: نحلة)[٢].

كما كانت بعض الأسماء مستوحاة من أسماء آلهة أو أسماء أنبياء أو ملائكة مثل يزرعئيل، حزقئيل، ميكائيل، جبرائيل[٣].

واعتاد اليهود تغيير اسم الطفل الذي يصاب بمرض، لاعتقادهم أن ذلك يؤدي إلى تضليل الأرواح الشريرة التي تحاول إلحاق الأذى به[٤].

انحلال الزواج (الطلاق):

كان الطلاق معروفاً عند الشعوب القديمة بشكل عام، لكنه يختلف فيما بينها في صوره وأساليبه، والطلاق هو حل رابطة الزواج وإنهاء العلاقة الزوجية[٥].

ولعدم أهمية هذه الرابطة عند العبريين في مرحلة الرعي إلى حد ما، فقد كان بالامكان فصمها في أي وقت من الأوقات، ويرجع ذلك إلى وضع المرأة من جهة، وطبيعة نظرة الشريعة اليهودية إليها من جهة أخرى، إذ نصت الوصايا العشر بأن زوجة الرجل تعد من ضمن أملاكه إلى جانب منزله وحقله، وعبيده من ذكور وأناث، أو كثوره وحماره[٦]، ولهذا كان بأمكان الرجل أن يطلقها ويتخلى عنها بسهولة، لأنه ينظر إليها كالسلعة، في نفس الوقت التي لم تكن بمقدورها أن تطالب هي بالطلاق[٧]، فأصبحت كسائر الممتلكات التي من الممكن أن تتناقل حيازتها، إذ كان كان بمقدور الأب أن يسترد ابنته من زوجها دون استشارته ويزوجها لآخر. ولكن بعد انتظام العلاقة الأسرية وزوال سلطة الأب في إنهاء زواج ابنته، أجازت الشريعة

---

(١) – باسيم، معجم اللاهوت، ص ٧١ ؛ مشرقي، مكرم، جمان من فضة معجم أعلام الكتاب المقدس، ط١،(أسيوط: مكتبة الإخوة، ٢٠٠٠)، ص ١٨ .

(٢) – علي، إسرائيل عبر، ج١، ص ١٠٨ ؛ שגיב, שם, כרך שלישי, עמ' 1438, 1661 .

(3) - http: // www. musem. upenn.edu / Canaan / index. html .

(٤) – ברגמן, שם , עמ' 31 .

(٥) – أبو غضة، المرأة في اليهودية، ص ٢٥٩.

(٦) – سفر الخروج/٢٠ : ١٧ ؛ سفر التثنية ٥: ٢١ .

(7) – Devaux, Roland, op.cit. p. 39 .

اليهودية انحلال الرابطة الزوجية بما يعرف بالطلاق، حيث يكون ذلك بإرادة الزوج وحده، بموجب كتاب طلاق[1]، فكلمة (الطلاق) لم تكن معروفة في الفترات الأولى من تاريخ المجتمع اليهودي القديم، إذ كانوا يستخدمون عادة جملة طرد الزوجة[2] من البيت[3] مع تحرير (وثيقة طلاق)، فقد جاء في العهد القديم: **(إذا تزوج رجل بامرأة، ولم تعد تجد حظوة عنده لعيب أنكره عليها، فعليه أن يكتب لها كتاب طلاق ويسلمه إلى يدها ويصرفها من بيته)**[4].

إن إعطاء الزوجة (كتاب طلاق) يضفي على الأمر صيغة شرعية أو رسمية[5]، ويتم ذلك الإجراء على يد كاهن أو لاوي على الأقل[6]، وكان من عادة الرجل اليهودي أن يشير في كتاب طلاق زوجته التي يريد طلاقها إلى تاريخ الطلاق، وموضوعه، وسببه، ويسمح لها بالزيجة بمن شاءت[7].

ويعد الموت سبب رئيس في انحلال رابطة الزواج، فيحل بذلك للزوج أو للزوجة أن يتزوج أي منهما مرة أخرى، كذلك يلزم الرجل مسوغ جاد لطلاق المرأة، كأن تكون غير لائقة أو بها عيب.

وبينما كان الطلاق حقا خاصا للمرأة في حالات معينة في مجتمع الرافدين الأكثر تطوراً، ظل في القانون العبري حقا للزوج وحده، فكان اليهودي يستطيع طلاق زوجته بمجرد نطق هذه العبارة (هذه المرأة ليست زوجتي، وأنا لست زوجها)، وجرت العادة أيضا بكتابة رسالة طلاق.

---

(1) – راشد، السامريون، ص ١٧٢.

(2) – فيما بعد تم إصدار إفتاء بتحريم طرد الزوجة من البيت، وجعل الطلاق ممكناً إذا أفتى القاضي بطلاقها، أو إذا اتفقت مع زوجها بالتراضي على الطلاق، وذلك من قبل الحاخام جرشوم (٩٦٠– ١٠٤٠م) أنظر: ظاظا، الفكر الديني، ص ٢٣٤ .

(3) – المصدر نفسه، نفس الصفحة .

(4) – سفر التثنية/ ٢٤: ١ .

(5) – سفر إشعيا/ ٥٠ :١؛ سفر إرميا/ ٣ :١ .

(6) – دائرة المعارف الكتابية، حرف الطاء، مادة (طلاق) .

(7) – نخبة من الاساتذة اللاهوتيين، قاموس الكتاب المقدس، إشراف: الدكتور بطرس عبد الملك، (بيروت: مكتبة المشعل، ١٩٨١)، ص ٦٢٥ ؛ سفر التثنية/ ٢٤: ١– ٤ .

ويفرض سفر التثنية قيودا معينة على حق الطلاق، القصد منها حماية نظام الزواج وتدعيمه، ليجعل من الطلاق أمراً يستلزم التروي والتفكير العميق قبل الإقدام عليه، فالرجل الذي يتهم عروسه ظلما بأنها غير عذراء لا يكتفى بتغريمه، ولكن يُمنع أيضا من طلاقها في أي وقت من الأوقات، وكذلك الرجل الذي يغتصب عذراء لم تتزوج، يجبر على الزواج منها ولا يستطيع طلاقها أبدا[١]، **(إذا اغتصب رجل فتاة عذراء غير مخطوبة، كان عليه أن يعطى لأبي الفتاة خمسين من الفضة، وتكون هي له زوجة من أجل أنه أذلها، ولا يقدر أن يطلقها كل أيامه)**[٢]. وغيرها من القيود التي جعلت من الصعب على الزوج استعادة زوجته مرة أخرى متى طلقت، أو إذا مات الزوج الآخر.

الميراث

كانت أحكام الوراثة لدى العبرانيين تقضي بأن أبناء المتوفى وبناته يرثون تركته، على أن ينال البكر نصيب أثنين[٣]، وإن كانت هذه القاعدة لم تطبق على كثيرين سلبهم هذا الامتياز أحد أخوتهم الأصغر منهم[٤]، وإذا لم يكن للميت أبناء فسيرثه أخوته[٥]، وكان الميراث يشمل كل أملاك المتوفى من عقارات ومنقولات، كما كما يشمل عبيدة.

كان للأب الحق في حرمان الابن البكر من هذه الميزة في الميراث ومنحها لآخر[٦]، وفيما يتعلق بأبناء المحظية فهم يرثون[٧]، إلا أنه غير معروف ما مقدار أنصبتهم، وإن كان نصيب الواحد كنصيب أبن الزوجة الشرعية[٨]، كما أن أرملة المتوفى لا ترث وذلك لأنها تعتبر جزء من الميراث[٩]. وبشكل عام فقد كانت المرأة اليهودية في

---

(١) – موسكاتي، الحضارات السامية، ص ١٦٩ ؛ سفر التثنية/ ٢٢: ١٣– ١٩ .
(٢) – سفر التثنية/ ٢٢ : ٢٨ – ٢٩ .
(٣) – سفر التثنية/ ٢١: ١٥– ١٧ .
(٤) – سفر التكوين/ ٢١: ١٠ .
(٥) – سفر العدد/ ٢٧: ٢٨– ١١ .
(٦) – سفر الملوك الأول / ١: ١١– ١٣ ؛ سفر التكوين/ ٤٩: ٢٢– ٢٦ .
(٧) – سفر التكوين/ ٢١: ١١ .
(٨) – موسكاتي، الحضارات السامية، ص ١٦٩ ؛ علي، إسرائيل عبر، ص ٢٠٦ .
(٩) – سفرصموئيل الثاني/ ١٦: ٢١– ٢٢ ؛ سفرالملوك الأول/ ٢: ١٣ .

التشريع اليهودي لا ترث، مهما كانت طبيعة علاقتها بالاسرة، إلا في بعض الحالات، التي أقرتها الشريعة اليهودية[١]، فالبنات لا يرثن أبيهن إذا ترك أولاداً ذكوراً، لكن في حالة عدم وجود ذكور فسيكون للبنت حق في الإرث[٢]، ولذلك يلجأ بعض الآباء إلى حيلة شرعية يعلنون من خلالها بناتهم ذكوراً[٣]. أما إذا توفى رجل عن امرأة دون عقب، ولم يتزوجها أخوه حسب القانون[٤] الخاص بذلك، عادت إلى بيت أبيها، وحق لها الزواج ثانية[٥].

قانون العقوبات:

لا يخفى أن المجتمع اليهودي قد خضع خلال محطاته التاريخية المختلفة إلى أنظمة سياسية متنوعة، كان أولها قبلي ذو شرائع بدائية جلها مقتبس من قوانين شعوب الشرق الأدنى القديم، وبعدها خضع أثناء إقامته في مصر الفرعونية إلى النظم والتشريعات المصرية القديمة التي يمليها الفراعنة[٦].

ولكن الوضع القانوني والتشريعي عند اليهود بدأ يتغير تبعا لتطورات الخروج من مصر، وما ترتب من تداعيات على هذا الحدث الخطير، حيث بدأ القانون يظهر عندهم وذلك حين اخذوا يلجأون في خصوماتهم إلى حكم أو قاضي يتمثل في النبي موسى(عليه السلام)، أو إلى شيوخ القبائل من الذين عيَّنهم كقضاة تابعين له على طوائف الشعب المختلفة.

---

(١) – أبو غضة، المرأة في اليهودية، ص ٢٠٣– ٢٠٧ .

(٢) – سفر العدد/ ٢٧: ٤ .

(3)- Sasson, Jack, M., op.cit. p. 646.

(٤) – تختلف المواد الخاصة بالميراث في القانون اليهودي اختلاف كبيراً عن قانون حمورابي، سيما فيما يتعلق بميراث النساء، حيث يقضي قانون حمورابي بأن تحتفظ الأرملة بمهرها وبالهدايا التي قدمها لها زوجها المتوفى. أنظر: رشيد، الشرائع العراقية، ص ١٤٨– ١٥٢ .

(٥) – موسكاتي، الحضارات السامية، ص ٢٠٦ ؛ سفر التكوين / ٣٨: ١١ ؛ سفراللاويين/ ٢٢: ١٣ .

(٦) – يرى الباحثون عدم وجود قانون في مصر قبل عهد الرومان، وأن الشرائع المصرية أو الفكر القانوني القديم القديم في مصر الفرعونية مستمد من مصدرين رئيسين، الأول: سلطة الفرعون إذ كان له سلطة إصدار القوانين، ومما يدل على ذلك ما وصل إلينا من بعض المراسيم والقوانين التي أصدرها الملوك وتتعلق بإعفاء المعابد والكهنة من بعض الأعباء. والثاني: هوالعرف، حيث أن النظم القانونية التي كانت مطبقة في العصر الفرعوني لم تنشأ عن فراغ، وإنما هي استمرار لنظم كانت معروفة في السابق. أنظر: http:// law.net/law/showthread.php.

ويبدو أن النبي موسى(عليه السلام) كان يستمد أحكامه التشريعية من الوصايا العشر التي تعد حجر الأساس في الشريعة اليهودية، إذ جاء في العهد القديم أن الرب أعطاها له مكتوبة على لوحين من الحجارة، ونصها (**أنا هو الرب إلهك الذي أخرجك من أرض مصر، أرض العبودية...لا تقتل، لا تزن، لا تسرق، ولا تشهد على قريبك شهادة زور، ولا تشته امرأة قريبك، ولا تشته بيت قريبك، ولا حقله، ولا عبده، ولا أمته، ولا ثوره، ولا حماره، ولا كل ما لقريبك**)[١]، وقد التصقت هذه الوصايا باسمه وسميت (الشريعة الموسوية) وكانت مصدراً رئيساً للأحكام والشرائع الطقسية والأدبية والأخلاقية وللقوانين الجنائية والمدنية.

وفي عصر الملكية كانت السلطة القضائية تابعة للملك، وكان يخلعها أحياناً على الكهنة، وبعد انقسام المملكة كانت سلطة القضاة في مملكة إسرائيل في أيدي الأعيان المحليين، ولكن في مملكة يهوذا أصلح الملك يهوشافاط (٨٧٣– ٨٤٩ ق.م.) النظام القضائي بأن أقام في كل مدينة محكمة تتألف من لآويين وقضاة ومدنيين، وأنشأ محكمة عليا في القدس[٢], وبعد العودة من الأسر البابلي أعاد عزرا تنظيم القضاة، وأخيراً صار في أيدي السنهدرين[٣].

١- عقوبة القتل:

أحتفظ العهد القديم ببعض الملامح البدائية التي كانت سائدة في عصر البداوة فيما يتعلق بجرائم القتل والعقوبة المقررة على الجناة، فقد دأب بنو إسرائيل

---

(١) – سفر التثنية/ ٥: ٦– ٢١ .

(٢) – موسكاتي، الحضارات السامية، ص ١٧٢ .

(٣) – السنهدرين: ويلفظ في اللغة العبرية (سنهدريم)، وهو المجلس الاعلى أو الهيئة الحاكمة لليهود، وكان له سلطان كامل على الشؤون الدينية، وإلى حد ما على الامور االمدنية، والكلمة من أصل يوناني Synedrion (سوندريون) أي مجلس، وكان هذا المجلس مؤلفاً من أثنين وسبعين عضواً، أكثرهم من الكهنة والشيوخ، ويمتلك قوة عسكرية من ضباط وجنود، لهم سلطة إلقاء القبض على المتهمين، وكان رئيس المجلس عادة هو نفسه رئيس الكهنة، ولا يُعرف على وجه التحقيق تاريخ تكوين هذه الهيئة، والمرجح أنها نشأت بتكوين جديد تحت هذا الاسم في عصر المكابيين (من سنة ١٦٧ إلى سنة ٦٣ قبل الميلاد). ويظهر أن هذا المجلس هو الذي حل في عصر المكابيين محل الهيئة التي كان قد أنشأها عزرا ونحميا، اللذان وضعا نظاماً لحكومة منظمة في فلسطين بعد الاسر، عاصمتها أورشليم. أنظر :مهران، بنو أسرائيل، ج٤، ص٥٥١ ؛ كامل، الكتب التاريخية، ص ٢٩ .

حينما كانوا رعاة على الأخذ بالثأر[١]، كما جاء في العهد القديم **(أن دم القتيل يصرخ في الأرض... ملتمساً الثأر..)**[٢].

ومع التطور وتأثر العهد القديم بالحضارات الأكثر رقيا، أصبح الثأر شكلاً فردياً يتمثل في قتل الجاني فقط، كما فرق العهد القديم بين عقوبة القتل العمد والقتل الخطأ، حيث كان يقصد بالقتل العمد، القتل مع سبق الإصرار والترصد، وبالتالي فأن العقوبة التي قررها العهد القديم على الجاني اختلفت باختلاف نوع القتل، فان كان القتل عمداً مع سبق الإصرار، كانت عقوبة الجاني هي القتل[٣]. أما إذا كان القتل خطأ، فأن العهد القديم يقرر على الجاني عقوبة الطرد أو النفي خارج المدينة[٤].

ويبدو أن الشريعة اليهودية في موقفها من جريمة القتل تتطابق إلى حد كبير مع المواد الخاصة بهذه الجريمة في قانون حمورابي الذي كان يعمل على أساس المبدأ القائل (العين بالعين والسن بالسن)، وهو مبدأ لا يقصد منه الثأر والانتقام بل العقوبة القانونية[٥].

غير أن مبدأ (السن بالسن) في الشريعة اليهودية لا يطبق على العبيد، ففي حالة قتل عبد، يجب على القاتل أن يدفع لسيده ثمنه، وإذا تسبب السيد في أتلاف عين العبد أو سن من أسنانه، وجب عليه عتقه[٦].

لكن ما يدعو للاستغراب هو أن الشريعة اليهودية أجازت تطبيق هذا المبدأ على الحيوانات، فقررت مثلاً أن الثور الذي ينطح رجلاً أو امرأة نطحاً يؤدي إلى الوفاة، يعاقب هذا الثور رجماً حتى الموت ولا يؤكل لحمه، ويبرَّأ صاحب الثور[٧]. وتزداد دهشتنا أكثر عندما يؤخذ صاحب الثور بجريرة ثوره، إن كانت تحسب فعلاً أنها

---

(1)-Blunt, A.W. F., op.cit . p.49.

(٢) – سفر التكوين/ ٤: ١٥- ٢٤.

(٣) – سفراللاويين/ ١٧: ٢٤ .

(٤) – سفر الخروج/ ٢١: ١٣- ١٤ .

(٥) – علي، إسرائيل عبر، ج١، ص ١٩٣ .

(٦) – سفر الخروج/ ٢١: ٢٦.

(٧) – سفر الخروج/ ٢١: ٢٨.

جريرة، لأنه لم يحسن تربيته، فتقرر أنه في حالة كان الثور نطاحاً من قبل وأُنذر صاحبه ولم يضبطه حتى قتل رجلاً أو امرأة، فتكون العقوبة برجم الثور وقتل صاحبه[١]. لكنها تتدارك هذا الحكم المجحف وتقرر أنه بأمكان صاحب الثور أن يفتدي حياته بدفع دية وعلى النحو الذي يفرضه الجانب المتضرر[٢].

٢- عقوبة الزنا:

الزنا هو الاتصال الجنسي غير الشرعي، ولم تكن الحضارات الوثنية القديمة تؤثمه، وبخاصة بالنسبة للرجل، إلا إذا عاشر زوجة رجل آخر أو مخطوبته. وهو محظور تماماً، فالوصية السابعة من الوصايا[٣] العشر تقول (لا تزن)[٤]، ويحكم على مرتكبي جريمة الزنا بالقتل في حالات ثلاث وهي:

أولاً: الزنا بامرأة متزوجة[٥].

ثانياً: زنا المحارم[٦].

ثالثاً: الزنا بابنة كاهن[٧].

وهكذا فأن عقوبة القتل على جريمة الزنا في العهد القديم ما هي إلا صورة من عقوبة القتل على جريمة الزنا الواردة في قانون حمورابي، كما يتماثل كل من العهد القديم وقانون حمورابي في تقرير عقوبة القتل في حالة زنا المحارم، إلا أن العهد القديم قد وسع دائرة المحارم فجعلها تشمل الأقارب من الدرجة الأولى والثانية، بينما اقتصر قانون حمورابي على أقارب الدرجة الأولى فقط .

---

[١] – سفر الخروج/ ٢١: ٢٩.

[٢] – سفر الخروج/ ٢١: ٣٠ .

[٣] – ورغم كل الوصايا الواضحة، فقد انتشر الزنا في العصور المختلفة، فكانت ممارسة الدعارة جزءاً من عبادة عبادة البعل عند الكنعانيين، وكان في الكثير من المعابد الوثنية عاهرات يمارسن البغاء المقدس، كما توجد دلائل علي شيوع الانحلال الأدبي في العهد القديم. أنظر: سفر أيوب/ ٢٤: ١٥، ٣١: ٩؛ سفر الأمثال/ ٢: ١٦- ١٩، ٧: ٥- ٢٢؛ سفر إرميا ٢٣: ١٠- ١٤ .

[٤] – قاموس الكتاب المقدس، ص ٤٧٦ .

[٥] – سفر التثنية/ ٢٢: ٢٢.

[٦] – سفر اللآويين/ ١٠: ١٢ .

[٧] – سفر اللآويين/ ٢٠: ٩ .

كما اتفق كل منهما في اختيار أبشع طرق تنفيذ العقوبة في هذه الحالة، وهي القتل حرقاً وأحياناً غرقاً. ولكن في حال عدم وجود دليل شرعي مباشر يؤكد هذه الجريمة، أي مجرد شك من جانب الزوج مثلاً في زوجته، فأن الشريعة تلجأ إلى أسلوب المحاكمة بالتعذيب أو ما يطلق عليه (حكم الله) وهو أن تشرب المرأة ماء اللعنة المر، وكان ماء مقدساً يوضع في إناء خزفي، ويمزج بالغبار الذي في أرض المسكن المقدس، وبالماء الذي محيت به اللعنات التي رددها الكاهن ثم كتبها في كتاب. وكان يطلق علي هذا الماء اسم (ماء اللعنة المر) إشارة إلي النتائج التي تحدث للمرأة متى كانت مذنبة[١]، ومن جهة أخرى، إذا لم تظهر أعراض اللعنة علي المرأة، كان ذلك دليلاً علي براءتها[٢] .

٣- **عقوبة السرقة والاختطاف:**

قرر العهد القديم معاقبة مرتكبي جرائم السرقة بعقوبة التغريم، فأن كان محل السرقة ثوراً أو شاها ووجد حياً بيد السارق ولم يذبح أو يتلف يعوض اللص عما سرق بضعف القيمة[٣]، أي إذا سرق ثوراً يرد ثورين، أما إذا كان محل السرقة ثوراً أو شاهاً ووجد مذبوحاً بيد السارق أو أنه قد باعه، يعوض اللص عما سرق بخمس أضعاف القيمة أو أقل، وأن لم يستطع يباع السارق كرقيق حتى يتمكن المجني عليه من استيفاء حقه من ثمنه[٤].

وأُعتبر دم السارق مهدور في حالة قتله وهو يسرق، أما إذا ضُبط وهو متلبس بالجريمة بعد شروق الشمس فلا يُهدر دمه وإنما يعوض بدل المسروق[٥].

---

[١] – سفر العدد/ ٥: ١١- ٣٠ .

[٢] – ونجد هذا الأسلوب في العقوبة مطبقاً في قانون حمورابي، عندما يتهم رجل امرأته بالخيانة دون أن يمكنه دعم اتهامه بالدليل، أو في تهم أخرى غير الخيانة الزوجية، فُيرمى الشخص المتهم بجريمة ما، في النهر فإذا نجى فهو بريء، وإذا حدث العكس فقد نال جزائه، وهو مقارب من أسلوب الشريعة اليهودية، باستثناء أن المرأة في شريعة حمورابي تلقى في الماء، وفي الشريعة اليهودية فأن الماء يلقى في جوفها . أنظر: رشيد، الشرائع العراقية، ص ١٤١، المادة رقم (١٢٩) .

[٣] – سفر الخروج/ ٢٢: ٣ .

[٤] – سفر الخروج/ ٢١: ٣٧، ٢٢: ٢ .

[٥] – سفر الخروج/ ٢٢: ١ .

كما تعامل العهد القديم مع جريمة الاختطاف معاملته جريمة السرقة، إذ عد الإنسان المخطوف ضمن الأموال المنقولة، فقرر أن من يخطف أحداً ويبيعه أو يُضبط في يده قبل أن يبيعه، تكون عقوبته القتل(١).

٤- عقوبة شهادة الزور:

حدد العهد القديم عقوبة القتل لمن يشهد زوراً في قضية تستوجب توقيع عقوبة القتل على المتهم لو صح الاتهام، كقضايا القتل والزنا والاغتصاب والكفر والسحر والعقوق وانتهاك حرمة السبت واللاعياد .

كما قرر العهد القديم معاقبة شاهد الزور في قضايا تستوجب توقيع عقوبة التغريم أو الجلد على المتهم، بالعقوبة ذاتها التي كان المتهم سيعاقب بها لو صح الاتهام(٢).

٥- عقوبة الاعتداء على سلامة البدن:

حدد العهد القديم الاعتداءات البدنية ونص على العقوبات الواجبة في كل منها، سواء كانت بسيطة، أو الاعتداءات التي تنتج عنها إصابات بالغة تأخذ صورة قطع أو انفصال عضو، أو كف البصر، أو إحداث عاهة، ففي مثل الحالات الأولى يكون العقاب بالتغريم، أما في مثل الحالات الثانية والتي تعد الأكثر خطورة، يتمثل العقاب في القصاص فيما هو من جزاؤه، فالعين بالعين والسن بالسن، وقد جاءت هذه القاعدة واضحة صريحة لا لبس فيها في الإصحاح الحادي والعشرون من سفر الخروج.

ومما يجدر التنويه إليه أن القصاص هنا لم يقف عند المثلة في الأطراف، بل ذهب إلى ما هو أبعد من ذلك ليشمل الجروح وشج الرأس أو الوجه، بل وامتدت قاعدة القصاص لتغطي أيضاً الرضوض والحروق أو الكي بالنار، حيث ورد ذلك في العهد القديم **(كياً بكي وجرحاً بجرح ورضاً برض)**(٣).

(١) – سفر الخروج/ ٢١: ١٦ .

(٢) – سفر التثنية/ ١٩: ١٥– ٢٠ .

(٣) – سفر الخروج/ ٢١: ٢٥ .

كما خرج العهد القديم عن تلك القاعدة السابقة وقرر عدم تطبيق مبدأ المثلة في بعض الحالات التي كان ينبغي تطبيقها فيها، حيث قرر جزاء آخر اعتبر أنه يحقق العدل من توقيع عقوبة، ومن ذلك ما يخص العلاقة بين السيد والعبد، فإذا أضر السيد بالعبد فعليه فقط أن يطلق سراحه[١]، وأعتبر العهد القديم أن استرداد العبد أو الأمة لحريته فضلا عما في ذلك من جزاء مالي ينزل بالسيد نكالاً بما فعل، فإن فيه المصلحة للمجني عليه الذي يسترد حريته، وهي أغلى ما يمتلكه.

٦- عقوبة الإضرار بمال الغير:

الإضرار بمال الغير في العهد القديم يراد به كل فعل يؤدي إلى الاعتداء على مال الغير، ويسبب إتلافه أو إهلاكه بدون حق، وتكون عقوبة الجاني في هذه الحالة التغريم. وتشمل كل من يترك ماشيته لترعى في حقول الآخرين بدون أذن منهم، حيث جاء في العهد القديم **(إذا رعى أحد حقلا أو كرماً، فأطلق مواشيه لترعى في حقل غيره، فمن أجود حقله أو كرمه يُعوِّض)**[٢].

كما قرر العهد القديم عقوبة التغريم على كل عمل من شأنه أن يفسد بئر ماء، عن طريق سقوط وإصابة أو قتل يقع فيه[٣]، كما قرر العهد القديم عقوبة التغريم بسبب الأضرار الناتجة عن حريق يكون الجاني سبباً فيه **(وإن شبت نار وانتشرت في الشوك وأحرقت أكداس السُنبل أو السُنبل في الحقول، فالذي أوقد النار يُعوِّض)**[٤]. وكذلك فرضت عقوبة التغريم على جرائم خيانة الأمانة[٥].

الإجراءات القضائية وأسلوب تنفيذ بعض الأحكام:

كانت الإجراءات القضائية شديدة البساطة، ويتضح ذلك من خلال الآلية التي يتبعها القضاة في التعامل مع قضايا الناس، إذ كانوا يجلسون عند باب المدينة، وعند مثول الخصمين أمام القاضي، يبدأ التحقيق القضائي الذي يتم شفوياً معهما ويمنحان فرصة للدفاع كلّ عن موقفه، ولا بد لإقامة الدليل من أتفاق شاهدين على الأقل[٦]، وبعد

---

[١] – سفر اللاويين/ ٢٥/ ٣٥- ٤٨ ؛ سفرالتثنية/ ١٥: ١٢- ١٨ .

[٢] – سفر الخروج / ٢٢: ٤ .

[٣] – سفر الخروج/ ٢٤: ٣٤ .

[٤] – سفر الخروج / ٢٢ : ٥ .

[٥] – سفر اللاويين/ ٦: ١- ٧ .

[٦] – موسكاتي، الحضارات السامية، ص ١٧٢ .

إصدار الحكم يتم تنفيذ العقوبة مباشرة أمام عيني القاضي الذي أصدر الحكم[١]، وكانت عقوبتي الإعدام والجلد من أبرز العقوبات التي تنفذ بالجناة. ويتم تنفيذ حكم الإعدام بطريقة الرجم بالحجارة وهي الوسيلة الشائعة، إذ كان المحكوم عليه بالموت يساق خارج مضارب الخيام في مرحلة البداوة أو خارج المدينة في فترات لاحقة، ويُرجم في البداية من قبل الشهود، ومن ثم يشترك آخرون في هذه العملية لإتمام الحكم[٢]، ويعود سبب اشتراكهم في رجم الجاني إلى اعتقاد مفاده أن ذلك يؤدي إلى تطهير سائر أفراد المجتمع من خطيئة الجريمة[٣]، كما يبدو في الوقت ذاته أنه إعلان بالبراءة من مرتكبها لكي يُقضى على الجريمة أن تسود، وفي العهد القديم معنى صريح يعبر عن تلك القناعة: **(فيسمع الباقون ويخافون ولا يعودون يفعلون ثانية مثل هذا الشر فيما بينهم)**[٤].

وكانت هناك وسائل أخرى للإعدام أقل استعمالاً، كالشنق الذي يُذكر في بعض الحالات، والحرق، حيث كان الجاني يُحرق حياً في جرائم معينة، كاشتغال الكاهنة، أو ابنة الكاهن بالدعارة[٥]، وكالزواج من المحارم[٦]. أما سبب إصدار حكم الإعدام فهو حرمان المجرم من التمتع بالطقوس العادية المتبعة مع الميت[٧]. وهناك عقوبات أخرى غير الإعدام ومن بينها الغرامات والجلد بالسياط، وقد تم تحديد عدد الجلدات في العهد القديم بأربعين جلدة[٨].

لغة الكلام:

تكلم اليهود عبر محطاتهم التاريخية بأكثر من لغة، ولم يتمكنوا من المحافظة على لغة واحدة، لعدم استقرارهم في منطقة واحدة بسبب الظروف الاقتصادية والسياسية التي فُرضت عليهم والتي حالت دون ذلك، وهذا ما دفعنا إلى تتبع المسار اللغوي لهذه الجماعة، في محاولة لمعرفة لغاتها أو لهجاتها المحكية عبر تاريخها الطويل.

---

[١] – سفر التثنية/ ٢٥: ٢ .

[٢] – موسكاتي، الحضارات السامية، ص ١٧١ .

[٣] – علي، إسرائيل عبر، ج١، ص ١٩٤.

[٤] – سفر التثنية/ ١٩: ٢٠ .

[٥] – سفر اللاويين/ ٢١: ٩ .

[٦] – سفر اللاويين/ ٢٠: ١٤ .

[٧] – علي، إسرائيل عبر، ج١، ص ١٩٤.

[٨] – سفر التثنية/ ٢٥: ٢– ٣ .

أولاً: لغة العبرانيين (بني إسرائيل) قبل إقامتهم في مصر الفرعونية

تبين لنا مما سبق أن بني إسرائيل (العبرانيين) كانوا قبل أقامتهم في مصر الفرعونية، مجموعة من العشائر السامية البدوية المتنقلة حول المدن العراقية الكبرى مثل (أور) في جنوب العراق و(ماري) في وسطه و(حران) في شماله، وكانت هذه العشائر تتحدث لغة واحدة، وهي (اللغة السامية ألام)، اللغة التي تكلم بها أبناء (الجزيرة العربية) المنتشرون في أنحاء الشرق الأدنى، وذلك قبل أن تتفرق هذه اللغة إلى اللهجات الآرامية والكنعانية والعبرية وغيرها[١].

حتى أن العهد القديم يذكر ذلك في سفر التكوين[٢] **(فقال الرب: هاهم شعب واحد، ولهم جميعاً لغة واحدة...، فلننزل ونبلبل[٣] هناك لغتهم، حتى لا يفهم بعضهم لغة لغة بعض)**[٤].

ويبدو أن مدينة حران، وهي تقع في ملتقى حدود العراق وسوريا، كانت منطلق الخطوة الثانية لرحلة هذه العشائر البدوية من بلاد (أكد) إلى بلاد (أمورو) غرباً، فهم هنا يعبرون نهر الفرات، وبمجرد عبورهم هذا يجدون أنفسهم وجها لوجه أمام ساميين آخرين من البدو الرحل في أطراف بادية الشام، هم (الآراميون)[٥]،

---

[١] – سوسة، مفصل العرب واليهود، ص ٣٣٨ .

[٢] – يتحدث المحرر التوراتي في سفر التكوين (١١: ١) عن وجود لغة واحدة وكلام واحد لجميع أهل الأرض، ويبدو أنه يشير ضمناً إلى اللغة التي كان العبرانيون يتحدثونها، وهي اللغة المفترضة (السامية ألام)، وهو بذلك يغفل، اللغات القديمة الأخرى، التي كانت تستخدم في مناطق مختلفة من العالم القديم، لعدم معرفته العلمية بهذه اللغات. بينما نجد القرآن الكريم يؤكد هذه الحقيقة بقوله تعالى **(وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ)** سورة الروم آية (٢٢). (الباحث) .

[٣] – (نبلبل) اشتقاق عبري ربطه المحرر التوراتي بكلمة بابل (باب إيل) وتعني باب الله . أنظر: قاموس الكتاب المقدس، ص ١٦٨– ١٦٩ .

[٤] – سفر التكوين/ ١١: ٦، ٧ .

[٥] – يعتقد العلماء بوجود آراميين منذ القدم في وادي الرافدين لأسباب منها: (١) في الألف الثاني قبل الميلاد أَلَّف الآراميون حلفاً عسكريا يدعى (أخلاموا) أي الرفقاء، لمناهضة الدولة الآشورية، وكان يقال أن من بينهم قبائل (الخبيرو) ولما كانت الغلبة للآشوريين، انكفأت أقوام هذا الحلف تحت اسم الآراميين وتمركزوا على امتداد القوس الصحراوي، حيث بنوا المدن– الدول، ولعبوا الدور الكبير في بلاد الشام. (٢) وفي نفس الفترة تسربت أقوام من بلاد الشام إلى وادي الرافدين، وذلك لأسباب اقتصادية. (٣) كما تسربت أقوام من الآراميين في الزمن المتأخر نسبياً وتمركزوا في بلاد الرافدين مستغلين فترة الفراغ السياسي بعد سقوط

ويبدوا أن الطرفين تعايشا وامتزجا مدة طويلة من الزمن، وحصلت بينهما مصاهرة[١]، كما حدث تبادل في الثقافة العملية، وفي المعتقدات والطقوس الدينية أيضا[٢].

وهكذا تشكلت لغة هذه العشائر البدوية وغلبت عليها اللهجة الآرامية التي كان ينتمي إليها النبي إبراهيم الخليل(عليه السلام) وهي نفس اللغة التي كان يتكلم بها الكنعانيون، والتي كانت قريبة جداً من اللغة ألام قبل أن تنفصل إلى عدة لهجات، وبقيت هذه اللغة، هي لغة الحديث المحكية حتى في زمن النبي يعقوب(عليه السلام) والأرجح أنه كان يتكلم بنفس اللغة الكنعانية الآرامية، لأنه آرامي مثل النبي إبراهيم(عليه السلام) بحكم النسب[٣]، وقد جاء في العهد القديم نص موجه إلى يعقوب **(قل كان أبي آرامياً تائهاً)**[٤]، والكلام يعني إسحق أبا يعقوب، وابن إبراهيم، فإذا كان إسحق آرامياً، فهذا يعني بالضرورة أن يكون إبراهيم أو (إبرام) كما جاء في الأصل، آرامياً، كما أن أسمه يدل على آراميته (أب ورام)، علماً بأن (رام) لفظة آرامية ومعناها العالي[٥]. ومن هنا تتضح صلة العبرانيين بالآراميين، حتى أنه ليظهر أثر الثقافة الآرامية فيما بعد في لغة سفر التكوين من ناحية التعابير والمفردات اللغوية[٦]، وبهذا يظن العلماء أن أجداد العبرانيين كانوا يتكلمون الآرامية قبل أقامتهم في مصر، وقبل استيطانهم في فلسطين واتخاذهم اللهجة الكنعانية المحلية[٧].

مملكة بابل القديمة. أنظر: عرنوق، مفيد، التوراة والتراث السوري، ط٢، (بيروت: دار النضال للطباعة والنشر، ١٩٨٧)، ص ٢٠٤– ٢٠٥ .

[١] – وصلت الروابط بين الآراميين والعبريين لدرجة أن الأخيرين بعد أن هاجروا نحو بلاد الكنعانيين، كان شيوخهم أو أنبيائهم مثل إسحق أو يعقوب إذا أرادوا الزواج اتجهوا نحو (فدان آرام)، معقل الآراميين ليخطبوا لهم زوجات، لأن آباؤهم كانوا ينهونهم عن زواج بنات الكنعانيين. أنظر: ظاظا، حسن، الساميون ولغاتهم تعريف بالقرابات اللغوية والحضارية للعرب، (الإسكندرية، دار المعارف، ١٩٧١)، ص ٧٣ .

[٢] – المصدر نفسه، ص ٧٢ .

[٣] – سوسة، مفصل العرب واليهود، ص ٣٣٩ .

[٤] – سفر التثنية/ ٢٦: ٥ .

[٥] – عرنوق، التوراة والتراث، ص ٢٠٤ .

[٦] – باقر، مقدمة، ج٢، ص ٢٧١ .

[٧] – حتي، تاريخ سورية، ص ١٧٧ .

ثانياً: لغة بني إسرائيل أثناء أقامتهم في مصر:

إن البحث في موضوع اللغة التي كانت تتحدث بها أقلية بني إسرائيل أثناء إقامتها في مصر، لا يكاد يتعدى حدود الفرضيات المبنية على الحدس والتخمينات النابعة من أخيلة وضنون المؤرخين والباحثين، الذين لم يثبتوا نظرياتهم بهذا الخصوص على أسس علمية، وذلك لافتقارهم ما يؤيد آراءهم من وثائق منقوشة أو مكتوبة من ذلك العصر. وقد ذهب جلهم في هذا الموضوع إلى أن بني إسرائيل قد أندمجوا كلياً في البيئة المصرية، وأخذوا يتحدثون اللغة المصرية القديمة ذات الخط الهيروغليفي[١]. ومن أبرز هؤلاء، الباحث المصري فؤاد حسنين في كتابه (التوراة الهيروغليفية)[٢]، والباحث العراقي احمد سوسة في كتابه (العرب واليهود في التاريخ)[٣].

لكننا إذا التفتنا إلى الحياة الاجتماعية لبني إسرائيل في مصر الفرعونية، نرى بأن انفرادهم في الإقامة في مكان واحد أتاح لهم جانبا كبير من الخصوصية و(العزلة) استطاعوا من خلالها أن يقاوموا الانصهار الكامل في البيئة المصرية ومن ثم المحافظة على عقيدتهم التوحيدية ولغتهم التي كانت بمثابة الوعاء لتلك العقيدة، سيما أن طبيعة الحياة الدينية في مصر كانت تسمح بذلك، لتعدد العبادات والأفكار الدينية فيها، فكل مدينة مصرية كان لها آلها خاصا بها مع ولاءها الأول لفراعنتها[٤].

---

[١] – الخط الهيروغليفي أو(الهيروغليفية) : شكل من الكتابة الصورية طورت في حوالي (٣١٠٠ ق.م.) لكتابة اللغة المصرية القديمة، والهيروغليفية في جوهرها كتابة تذكارية كانت تحزز على مواد صلبة أو ترسم على نطاق واسع. وقد تطورت فيما بعد الى (الهيرية)، وهو شكل يكتب بحروف متصلة، نشأت في الوقت الذي كيفت فيه الهيروغليفية كوسيلة كتابة جديدة، مثل ورق البردي، والحبر، والفرشاة، وتطور النوع الثالث منها منذ (٧٠٠ ق.م.)، وكان هذا الخط المسمى بالديموطيقي يكتب بحروف أكثر اتصالاً ويستخدم في الحياة اليومية. أنظر: دانيال، موسوعة علم الآثار، ج٢، ص ٥٨١– ٥٨٢ .

[٢] – علي، فؤاد حسنين، التوراة الهيروغليفية، (القاهرة: دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، ب.ت)، ص٤.

[٣] – سوسة، مفصل العرب واليهود، ص ٣٤٠ .

[٤] – حاطوم، موجز تاريخ، ج١، ص ١٢٠– ١٢١ .

إلا أن مقاومة بني إسرائيل للتيار الثقافي الجارف قد وهنت مع الزمن، فضعفت تبعاً لذلك لغتهم ودخلها الكثير من الكلمات المصرية الحضارية الغريبة عن ثقافتهم، حتى أمست لهجتهم خليطاً من (لغتهم ألام، واللغة المصرية القديمة)[١].

كما أن اتصال الفراعنة المستمر بالشعوب السامية الأخرى منذ أقدم العصور لأسباب سياسية واقتصادية وما ترتب عليه من الفتوحات والسيطرة العسكرية وأسر الشعوب واستعبادها[٢]، كان من العوامل المهمة التي رفدت (اللغة ألام) لبني إسرائيل وحمتها من الزوال الكلي، إذ أنها كانت قريبة جدا من اللغة المستخدمة أو المحكية في هذه البلدان، فكنعان وقبائل طور سيناء، وقبائل شرق الأردن، ومنهم العمالقة والمديانيون[٣]، وغيرهم من الأقوام السامية (الجزرية) البدوية كانوا يستخدمون لغات قريبة من لغة بني إسرائيل، وعلى هذا فيبدو أن لغتهم هناك لم تكن مصرية صرفة.

ولم يقف الباحثون بحدود ماهية لغة الكلام عند بني إسرائيل في مصر، بل قادتهم بحوثهم إلى ابعد من ذلك، فقرروا أن اللغة التي أُنزلت بها شريعة التوراة هي اللغة المصرية القديمة وليست (اللغة العبرية القديمة) التي هي خليط من الآرامية والكنعانية وغيرها من اللهجات السامية (الجزرية) وغير السامية[٤]. وحجتهم في ذلك

---

[١] – يقوم العلماء اللغويون بتلمس خيط يربط اللغات السامية باللغة المصرية القديمة وبقية لغات شمال أفريقيا، وهم يرون أن الأقرب إلى الواقع هو وجود لغة (أفرو – سامية) تفرعت فيما بعد إلى سامية وأفريقية عند نقطة معينة من التاريخ، ومن هؤلاء العلماء، الألماني (بي بهرنس) P.Behrens ، والروسي (دايكانوف) Diakonoff ، ففيما بين الإلف السادس والإلف الخامس قبل الميلاد، تعرض الشمال الأفريقي إلى موجة جفاف طويلة وحادة أدت إلى التشكل التدريجي للصحراء الأفريقية، والى هجرات نحو مصر وآسيا الغربية، وقد قادت الهجرات إلى تكوين اللغة المصرية القديمة في وادي النيل واللغات البربرية فيما وراء الصحراء الليبية، واللغة السامية ألام في سورية وهي السامية الغربية، ومنها انشقت السامية الشرقية التي طوَّرها النازحون باتجاه وادي الرافدين. أنظر: السواح، آرام دمشق، ص ١٦ ؛ بروكلمان، كارل، فقه اللغات السامية، ترجمة: رمضان عبد التواب،(الرياض، مطبوعات جامعة الرياض، ١٩٧٧)، ص ١٣ – ١٤ .

[٢] – حاطوم، موجز تاريخ، ج١، ص ١٠٨ .

[٣] – سوسة، احمد، "اللغة العبرية وصلتها باليهودية"، مجلة مركز الدراسات الفلسطينية، ع (٢١)، ١٩٧٧ ص٨٤ .

[٤] – علي، التوراة الهيروغليفية، ص ٤– ٥ .

أن النبي موسى(عليه السلام) كان لا يعرف لغةً غير المصرية القديمة، ولم يتقن إلا كتابتها الهيروغليفية[١]، وفاتهم أمر في غاية الأهمية هو أن تربية النبي موسى(عليه السلام) في بداية نشأته، قد تشاطرها طرفان، **الأول** هو البلاط الملكي، عندما تبناه فرعون، إذ أن التبني في مصر القديمة كان عُرفاً من الأعراف المأخوذ به قانوناً وهذا ما سبب للنبي موسى(عليه السلام) قسطاً كبيراً من التعليم والتثقيف كواحد من أبناء الأسرة الحاكمة حتى أصبح كغيره من الشخصيات المهمة، قائماً على جزء كبير من مصر السفلى كما يسميها المصريون[٢]. وهذا ما ذكره المؤرخ الجغرافي (سترابون)،عن موسى في صدر حياته. كما يمكن أن يكون موسى(عليه السلام) ملماً بلغة أخرى إلى جانب اللغة المصرية، كعادة الفراعنة في تعليم ذويهم عدة لغات[٣]، وذلك لضرورة الاتصال مع شعوبها. و**الطرف الثاني**، هو حُجر أم موسى كما أشار القرآن الكريم (**فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلا تَحْزَنَ**)[٤]. وبهذه العناية الربانية فقد قُدر لموسى أن يعيش بين أسرتين، أحداها ينتهل منها الغذاء البدني والروحي، ويجمع من الأخرى ما أغدقته عليه من كنوز العلم والمعرفة، إذ يقول الله تعالى (**وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي**)[٥]، وبهذا النمط من الحياة فقد رُسم لموسى قبل رسالته، طريق مُعبَّد بين مجتمعين مختلفين، حيث تمكن من الاحاطة بثقافة ولغة الطرفين.

وهذا ما يخص حياته في مصر. أما إذا تتبعنا حياته في الغربة التي قضاها في أرض مدين[٦]، الواقعة في المنطقة التي تمتد من خليج العقبة شمالاً إلى مؤاب

---

[١] – جرى على ألسنة الباحثين تسمية اللغة المصرية القديمة بـ(اللغة الهيروغليفية) وهذا خطأ علمي شائع، لأن نوع الخط المستخدم في كتابة اللغة، لا يعبر دوماً عن فصيلة اللغة وتسميتها، ومثلما يطلق على أقدم لغة في ارض الرافدين تسمية اللغة السومرية ذات الكتابة المسمارية، ولا تسمى (اللغة المسمارية) فأننا نرى بأنه لا يصح تسمية اللغة المصرية القديمة باللغة الهيروغليفية. (الباحث) .

[٢] – الخشاب، تاريخ اليهود، ص ٢١ .

[3] - www.islamweb.net/ver2/fatwa/ShowFatwa.php.

[٤] – سورة طه، الآية (٤٠) .

[٥] – سورة طه، الآية (٣٩) .

[٦] – تحتوي منطقة مديان على طبقات معدنية (نحاس، وفضة، وذهب)، أستغلها المصريون في العصور القديمة، وأقاموا علاقات اقتصادية مع قبائلها. أنظر: عبودي، معجم الحضارات، ، ص٧٨٠ .

وطـور سـيناء[١]، ويسـكنها المـديانيون وهـم شـعب مـن البـدو الرحـل، الـذين كـانوا يتعاطون التجارة مع فلسطين ولبنان ومصر[٢]، فنلاحظ أنه مكث فيها عشر سنوات، طبقا لما أشار إليه القرآن الكريم[٣]، وما أوّله المفسرون[٤]، وهي الفترة اللازمة لإكمال مدة العقد الذي أُبرم بينه وبين حميه (الكاهن يثرو، أو النبي شعيب)، فضلاً عن الفترة التي قضاها هناك بعد زواجه من (صفورة)، التي أنجبت له ولدين، ولهذا نجد أن المصادر الكتابية، وبعض المصادر العربية، ترى بأن الفترة التي عاشها النبي موسى(عليه السلام) في مدين هي أربعين سنة تقريباً[٥]. وسواء كانت أربعون[٦]، أو أقل، فأنها تكفي للتأقلم الكلي في هذه البيئة البدوية، والتأثر بثقافتها ولغتها القريبة من اللغة العبرانية، ولذلك فقد تمكن من إجادة لغة أهل مدين[٧]، فضلاً عن لغته العبرانية، ومعرفته باللغة المصرية القديمة.

وهناك أيضاً ما يدل على لغته التي كان يتحدثها، وهو تسمية أبناءه بأسماء سامية عبرانية، فكان أسم أكبرهما،(جرشوم) (גרשום) ومعناه (غريب هناك)، والآخر هو (أليعازر)،(אלעזר)، ومعناه (الرب يؤازر)[٨]، كما أنها أسماء تدل على غربته، رغم أن المديانيين قوم تربطهم بالإسرائيليين أواصر القربى[٩].

---

[١] – المصدر نفسه، الصفحة نفسها .

[٢] – قاموس الكتاب المقدس، ص ٩٠٩.

[٣] – سورة القصص،(٢٧، ٢٨ ، ٢٩)

[٤] – بن كثير، قصص، ص ٣٠٨ .

[٥] – الدبس، تاريخ سورية الدنيوي، ج٢، ص ٩٣ ؛ كاسيدوفسكي، الواقع والأسطورة، ص ١١٨ .

[٦] – تقدر المصادر الكتابية عمر النبي موسى (ع) بـ (١٢٠سنة) قضى الأربعون الأولى في مصر، والثانية في أرض مديان، وغادر أرض مديان، وهو يبلغ ثمانون سنة، أما سني عمره الباقية فقد قضاها يقود بني إسرائيل من خروجهم من مصر وحتى وفاته. أنظر: الدبس، تاريخ سورية الدنيوي، ص ٩٣– ٩٤ ؛ سفر التثنية/ ٣٤ .

[8] - islamtoday.net/fatawa/mobile/mobques-60-193824.htm

[٨] – مشرقي، جمان من فضة، ص ٢٢، ٦٨ .

[٩] – كاسيدوفسكي، الواقع والأسطورة، ص ١١٨– ١١٩ .

كما أن تجوال النبي موسى(عليه السلام) في هذه المرحلة من شبابه جنوب أرض كنعان واتصاله بقبائل المديانيين وبزعيمهم الديني (يثرو) كما تسميه التوراة، قد أثر كثيراً في بلورة شخصيته وأعطاه مجالا أوسع في التفكر الديني والعقائدي.

إذن فهناك احتمال غالب أن تكون لغة البلاغ الأصلي للتوراة هي العبرية القديمة دون غيرها، باعتبارها اللغة المشتركة بين قبائل مجتمع مدين، وقبائل مجتمع بني إسرائيل، أو يحتمل أن تكون لغة التوراة الأصلية هي لغة هؤلاء الذين هاجروا من فلسطين إلى مصر وهم أخلاط، فتأثروا بعادات مصر واكتسبوا لغتها، ثم رجعوا إلى فلسطين يحملون معهم موروثهم الثقافي والفكر الجديد، فكانت لغتهم على أقل تقدير خليطاً من المصرية والمديانية والعبرية القديمة، فتكون هي اللغة التي دونوا بها التوراة نقلاً عن النبي موسى(عليه السلام)، وإذا كان موسى قد عاش أربعين سنة في مصر ثم رحل إلى مدين، ليعيش فيها أربعين سنة أخرى، فأنه بالتأكيد كان قد ألمَّ بلغة هذه المنطقة قبل عودته إلى مصر رسولاً.

أضف الى ذلك أن إله المديانيين في ذلك الوقت يعرف بأسم (يهوه)، الاسم الذي أُطلق على الله في التوراة مراراً[1]، وهذا يدل أيضا على أن التوراة نزلت بلغة أهل سيناء، وهي اللغة القريبة من اللغة العبرية إن لم تمثل أحدى مراحلها أو لهجاتها.

وبالرجوع إلى الدليل القرآني الذي يتحدث عن اللغة التي نزل بها القرآن الكريم على الرسول الأكرم محمد(صلى الله عليه وآله وسلم)، ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[2] يجد الباحث أن السنة الإلهية اقتضت أن ينزل الكتاب السماوي باللغة التي يفهمها المجتمع في ذلك العصر كي ينتفي عامل التحريف عن اللغة أولا، وان تكون لغة مفهومة لذلك المجتمع فلا مجال للطعن فيها، فإذا طبقنا هذه الفرضية/الدليل، التي قال بها، بل واعتمدها الكثير من المفسرين، يمكن أن نضبط بها اللغة التي أنزلت بها التوراة على نبي الله موسى(عليه السلام) من خلال تحديد جغرافية المنطقة التي أقام

---

[1] – جرجس، صبري، التراث اليهودي الصهيوني والفكر الفرويدي– أضواء على الأصول الصهيونية لفكر سجمند فرويد، ط١،(القاهرة: عالم الكتب، ١٩٧٠)، ص ٢٦ ؛ لوبون، اليهود في تاريخ، ص ٥٩ .

[2] – سورة يوسف، الآية (٢) .

فيها آنذاك والمجتمع الذي عاش في كنفه، وكما قال الله تعالى **﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾**[١].

لكن النبي موسى(عليه السلام)، وكما تتفق الكتب السماوية يدعوا من الله تعالى ويطلب منه طلباً بخصوص هذا اللسان، والذي هو كما ورد في كثير من الآيات القرآنية كناية عن اللغة، ففي قوله تعالى **﴿وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي، يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾**[٢]، وجاء أيضا في العهد القديم:**(فقال موسى للرب: يا رب ما كنت يوما رجلاً فصيحاً، لا بالأمس، ولا من يوم كلمتني، أنا عبدك، بل أنا بطيء النطق وثقيل اللسان)**[٣]، وهنا يبدو جلياً أن هناك عائق في لغة البلاغ، يكمن في وجود عقدة في لسان موسى، كما عبر القرآن، أو بطأ وثقل، كما عبر العهد القديم، وقد تناقلت المصادر سبب هذه العقدة ومعناها، وأنها تعود إلى حادثة، ملخصها (أن النبي موسى(عليه السلام) قُدمت له في صغره (تمرة وجمرة) لاختبار مستوى إدراكه في التمييز بين الأشياء المتشابهة، لأنه أخذ بلحية فرعون، فلم يكن من موسى إلا أن التهم الجمرة، مما أدى إلى عاهة في لسانه، وهي حسب ضن أكثر المؤرخين (اللثغة)[٤]، وبما أن سند هذه الرواية ضعيف لعدم ورودها في القرآن أو في التوراة، بل أن هناك آيات قرآنية تدحضها، ففي قوله تعالى **﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيداً وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ، وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنْ الْكَافِرِينَ، قَالَ فَعَلْتُهَا إِذاً وَأَنَا مِنْ الضَّالِّينَ، فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْماً وَجَعَلَنِي مِنْ الْمُرْسَلِينَ، وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾**[٥].

---

[١] – سورة إبراهيم، الآية (٤).

[٢] – سورة طه، الآيات، (٢٧، ٢٨) .

[٣] – سفر الخروج/ ٤: ١٠ .

[٤] – اللثغة: تحول اللسان من حرف الى حرف آخر، أو قصر اللسان عن موضع الحرف ولحوقه موضع أقرب الحروف به، كلفظ الراء غيناً والسين تاء ونحو ذلك، أو ثقل اللسان بالكلام . أنظر: فهمي، مصطفى، أمراض الكلام ، ط٤، (القاهرة: دار مصر للطباعة، ١٩٧٥)، ص ٣١ ؛ معلوف، لويس، المنجد في اللغة، ط٣٥، طهران، ١٩٩٦، ص ٧١٣ .

[٥] – سورة الشعراء، الآيات (١٨– ٢٢)

في هذه الآيات الكريمات، نلحظ أمرين مهمين كلاهما يثبتان عدم صحة الرواية المشار إليها، الأول: يبين سبب ابتعاد النبي موسى(عليه السلام) عن مصر وغربته، وهو خوفه من العقوبة التي سيواجهها أن بقي في مصر، بعد أن بطش بالرجل القبطي وذاع خبر فعلته، أي أنه لم يهرب من البلاط المصري لسوء معاملة الفرعون. والثاني: يتضح من خلال اعتراض النبي موسى(عليه السلام) على منطق فرعون عندما ذكّره بالحظوة التي تلقاها في قصره، وهنا نجد جواب النبي موسى يحمل ضمناً اعترافا بنعمة هذه المرحلة من حياته، ولكنه يعيب على الفرعون مقابلة هذا الإحسان بالإساءة إلى قومه من بني إسرائيل واستعبادهم.

وما تقدم يبين لنا، أن النبي موسى(عليه السلام) لم يلقى من فرعون مثل هكذا معاملة سيئة، تجعله بين احتمالين، أحسنهما فقدان النطق السليم.

أما إذا عُرضت الرواية على المنطق فأنها لا تحظى بأية قبول، إذ لو فرضنا جدلاً أن هذا قد حدث نتيجة لمقدمات نجهلها، فهل يُعقل أن الجمرة عندما همَّ موسى لتناولها للوهلة الأولى كي يلتقمها، لم يكن لديه رد فعل طبيعي فيجهش بالبكاء مثلاً، ويتركها بسبب ألم حرارتها المحرقة ؟!! .

حاولت هذه الرواية أن تفسر سبب القصور الكلامي (عقدة اللسان) عند النبي موسى(عليه السلام)، على أساس عضوي (فسيولوجي)، عندما أرجعت السبب في ذلك إلى هذه الحادثة، ولكن يبدو أن السبب هو غير ذلك.

جرت عادة الباحثين أن يقسموا أضطرابات الكلام وعيوب النطق إلى قسمين رئيسين، **أولاً:** عيوب ترجع العلة فيها إلى أسباب أو عوامل عضوية.

ثانياً: عيوب ترجع العلة فيها إلى أسباب وظيفية، والقسم الأول من تلك العيوب يكون السبب فيه أحد العوامل الآتية:

عيب في الجهاز الكلامي أو السمعي، كالتلف أو التشوه أو سوء التركيب في عضو من أعضاء الجهازين، أو النقص في القدرة الفطرية العامة (الذكاء) يؤدي إلى خلل في تأدية هذا العضو أو تلك القدرة، فيحدث نتيجة لذلك عيب في النطق، أو احتباس في الكلام، أو نقص في القدرة التعبيرية.

أما القسم الثاني فهو حالة العيوب أو الاضطرابات التي تنجم عن علة وظيفية، وفيها أن المصاب لا يشكو أي نقص عضوي في الجهاز الكلامي أو السمعي، وكل ما هنالك أن قدرة الفرد على التعبير متأثرة بعوامل غير عضوية تسبب له أضطرابات عدة تختلف من حيث نوعها وشدتها وفقاً لمدى قوة هذه العوامل وتأثيرها في الفرد.

وهناك بجانب التقسيم السابق – تقسيم آخر أكثر تفصيلاً لا يقوم في أساسه على النظر إلى مصدر العلة، بل يقوم على أساس المظهر الخارجي للعيب الكلامي، ومن أهم هذه العيوب هو احتباس الكلام أو فقد القدرة على التعبير، وكذلك العيوب التي تتصل بطلاقة اللسان وانسيابه في التعبير[١].

وهذا هو مجمل أنواع اضطرابات الكلام وعيوب النطق، التي تجعلنا أمام احتمالين، الأول: أنها عقدة عضوية، والثاني: أنها عقدة وظيفية.

وقد حاول العلماء الوقوف على نوع عقدة لسان النبي موسى(عليه السلام)، فكان التخمين في التشخيص أنها عيب في النطق وهو (اللثغة) وقد أرجعوها لسببين:

الأول: أنها بسبب الحادثة آنفة الذكر، والثاني أنها في الخلقة. وقال أصحاب الرأي الأول أن هذه الحادثة سببت لثغة في لسانه(عليه السلام)، وأما بعضهم فقد قال إنما العقدة تعود إلى الخلقة[٢].

ونحن نميل إلى أن العيب (أو نوع العقدة) كانت وظيفية، أي قصور في تأدية أعضاء الجهاز الكلامي لبعض وظائفه مما يؤدي إلى احتباس الكلام وعدم طلاقته في التعبير، وربما يعود ذلك إلى عامل الغربة التي تغربها في قرية مدين وابتعاده عن مصر، ومن ثم صعوبة الإلمام باللغة المصرية التي يحتاج إليها عند محاورته مع فرعون مصر، وهذا ما ألمح إليه القرآن الكريم، في قوله تعالى(أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ)[٣]، ويزداد الأمر وضوحاً إذا عرفنا ما هو المعنى

(١) – فهمي، أمراض، ص ٣١ .

(2) – www.lissaniat.net/viewtopic.php?t=1629&sid

(٣) – سورة الزخرف، الآية (٥٢) .

اللغوي لكلمة (العقدة). **العُقدة**، من عَقِدَ عَقْداً، كان في لسانه عُقدة، وعَقِدَ اللسان، أحتبس فهو أَعْقَدٌ وعَقِدٌ[1].

وفي هذه الحالة نرى من الخطأ الإقرار بوجود اللثغة، لأنه عبَّر عن عسر الكلام بـ(العقدة)، والعقدة هي ثقل اللسان واحتباسه وعدم طلاقته في التعبير، وليس عيب عضوي في النطق أو تشوه في الجهاز الكلامي أدى إلى ظاهرة القصور الصوتي في إخراج الحروف وبالتالي وجود (لثغة)، إذن فالعقدة هي (احتباس في التعبير)، وليس اللثغة التي تساوي (عيب في النطق)، لأسباب افتراضية مصدرها حادثة ما، أو من الخلقة. كما أن احتمال وجود لثغة في لسان النبي موسى(عليه السلام)، هو احتمال ضعيف لأن سلوك المصاب باللثغة لا ينطبق مع شخصيته، تلك الشخصية القوية الفذة، إذ تشير الدراسات المختصة في هذا الجانب، إن من يلثغ بحرف أو أكثر يدرك أن في نطقه عيباً، وفي محاولة لتلافي هذا العيب ما أمكن تتشنج أعضاء النطق بعض التشنج، أو أن صاحبها يمسكها على وضع يضن فيه تقليلاً من عيب النطق المنتظر في أية لحظة من سياق الجملة، وهذا الإمساك المتشنج يؤثر على اعتدال النطق وسويته فيلفظ اللاثغون وأعضاء جهاز النطق لديهم غير مرتاحة، ويحس السامع في أصواتهم انحرافا دائماً عن السوية الصوتية المعهودة في الوسط اللغوي الذي ينتمون إليه، فتُضاف أنغام الانحراف إلى أنغام اللثغ[2]، فضلاً عن أن الذين يلثغون يقللون من الكلام وإذا تكلموا أستحوا وبذلوا جهداً آخر لتغليف الخجل المبذول في تستير عيب اللثغ[3].

ومن جانب آخر ربما يلقي مزيداً من الضوء على المشكلة اللغوية عند النبي موسى(عليه السلام)، ما ورد في عدد من الآيات القرآنية الكريمة منها:

---

(١) – معلوف، المنجد، ص ٥١٨ .

(٢) – علوية، نعيم، الاختلاج اللساني سيمياء التخطيط النفسي، ط١،(بيروت: المركز الثقافي العربي، ١٩٩٢)، ص ١١٥ .

(٣) – المصدر نفسه، نفس الصفحة .

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ، وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ﴾[١]، وفي آية أخرى **﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَاناً فَأَرْسِلْهُ مَعِي رِدْءاً يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾**[٢].

كما ورد في العهد القديم ما يشبه هذا الطلب من موسى **(يا رب أرسل أحداً غيري، فغضب الرب على موسى غضباً شديداً وقال: أعرف هارون اللاوي أخاك أنه فصيح اللسان...)**[٣].

ويبدو أن كلمة (اللسان) الواردة في الآيات القرآنية السابقة تشير إلى اللغة، لأنها وردت في آيات قرآنية أخرى كناية عن اللغة[٤]، وبما أن هارون بقي في مصر ولم يتغرب فأنه كان يتقن اللغة المصرية القديمة على العكس من النبي موسى(عليه السلام) الذي لم يكن كذلك بسبب غربته، التي دامت عشرة سنوات، أو أكثر على رأي أغلب الباحثين، وهذه المدة كافية بأن تنسيه أكثر مفردات اللغة المصرية سيما أن الحياة التي عاشها في منطقة مدين تختلف كل الاختلاف عن الحياة المدنية المتحضرة في مصر الفرعونية، ومن ثم فأن هذا الاختلاف ينجر على اللغة أيضا ويبين مدى التباين اللغوي بين الشعبين المصري والمدياني، لأن الكلمات المستخدمة في الحديث، هي كلمات وعبارات مستمدة من مفردات الحياة التي عاشها النبي موسى في كلا المكانين، والبون شاسع بين الحضارتين المدنية والبدوية، وهذا ما يفسر قوله تعالى على لسان النبي موسى(عليه السلام) **﴿وأخي هارون هو أفصح مني لساناً﴾**. وقد ورد معنى الفصاحة في اللغة بأنها البيان وخلوص الكلام عن التعقيد، ويوصف بها المتكلم والكلمة والكلام، فيقال رجل فصيح، وكلمة فصيحة، وكلام فصيح[٥]،

---

[١] – سورة الشعراء، (١٢– ١٣)

[٢] – سورة القصص، (٣٤)

[٣] – سفر الخروج/ ٤: ١٣، ١٤ .

[٤] – وردت كلمة(اللسان) في عدد من الآيات القرآنية الكريمة، كناية عن اللغة، ومنها ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ سورة النحل، الآية (١٠٣)، وكذلك ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ﴾، سورة الروم، الآية (٢٢).

[٥] – معلوف، المنجد، ص ٥٨٤ .

وهنا نلاحظ أن هذا الجانب له علاقة بتأثير اللغة المديانية (لغة أهل مدين) على لغته ألام وهي اللغة المصرية القديمة، ثم أن قوله (هو أفصح مني لسانا) ألا يدل على انه كان يفتقر إلى الفصاحة مما يعيقه في مهمته في الإقناع والدعوة، وكان قلقه هذا نابع من إدراكه جسامة المهمة وخطورتها.

وكل هذا يقوم دليلا من الناحية اللغوية إلى جانب دلالته التاريخية، على أن لغة النبي موسى(عليه السلام)، واللغة التي نزلت بها التوراة، كانت هي اللغة العبرية القديمة.

ثالثاً: لغات اليهود في فلسطين:

ربما ليس من المبالغة القول، أن معرفة لغة الكلام أو الحديث لشعب ما، هي المعرفة الحقيقية لتأريخه، وهذا ما دفع العلماء والباحثين إلى الاهتمام بحقل اللغة بشكل عام، وينحى الأمر منحاً خاصاً مع اللغة التي كان يتكلمها اليهود، نظراً لصعوبة الموضوع الناتجة عن الافتقار الشديد للوثائق، مما أدى إلى تعدد الآراء التي تتقارب تارة في نقاط بسيطة، وتتباعد تارة أخرى في نقاط جوهرية. إذ يبلغ الاختلاف أشده بخصوص اللغة التي جاء بها اليهود عند دخولهم فلسطين، ويظهر عدد من الفرضيات تتنافر فيما بينها تماماً، فمنها من يرى أنهم جاءوا باللغة المصرية ذات الخط الهيروغليفي، بسبب عامل التأثر الحضاري[١]، ومنها من يعاكس هذا الرأي ويرى أن لغتهم كانت الآرامية[٢]، لكن هناك فريق ثالث أتَّبع طريقاً وسطاً بين الرأيين، في محاولة للإمساك بإحدى الخيوط الضائعة، فكان يرى أن اللغة التي كانت في أفواه اليهود عند دخولهم فلسطين، هي ما أصطلح عليها بـ(اللغة العبرية القديمة)[٣]، وهي خليط من لهجات سامية شتى، فضلاً عن بعض الكلمات المصرية القديمة، إذ أعتاد اليهود في كل مكان تبنّي لغات الشعوب المجاورة[٤]، فضلاً عن لغتهم الأصلية (لغة أو لهجة ما قبل الاندماج)، فينتج عن ذلك

---

[١] – سوسة، أحمد، "اللغة العبرية وصلتها باليهودية"، مجلة مركز الدراسات الفلسطينية، ع ٢١، ١٩٧٧، ص٨٨ .

[٢] – غريسة، سلوى، دروس في اللغة العبرية القديمة، من خلال نصوص التوراة، (تونس: مركز النشر الجامعي، ٢٠٠٤)، ص ١٥ .

[٣] – المسيري، الجماعات الوظيفية، ص١٣٥ ؛ شنودة، زكي، موسوعة تاريخ الأقباط والمسيحية، (القاهرة: دار الكرنك،١٩٦٤)، ج٢، ص٩٠ ؛ ولفنسون، تاريخ اللغات، ص ٧٩ وما بعدها .

[٤] – ليون، المفهوم المادي، ص ٣١ .

لهجة جديدة ترد فيها الكثير من بقايا اللغة العبرية القديمة، ولهذا نجد في فترات مختلفة من التاريخ لهجات[١] متكونة من عبارات عبرية وعبارات من اللغات السامية الأخرى، كالفينيقية والآرامية وغيرها من اللغات واللهجات السامية (الجزرية) المتنوعة[٢].

ولقد تكلم المجتمع اليهودي خلال الألف الأول قبل الميلاد، أي بعد استقراره في فلسطين بأكثر من لغة، وذلك لأسباب قد تكون حضارية أو سياسية أو كليهما، وهذه اللغات، هي الكنعانية، والآرامية، واليونانية، فبينما كان تبني اللغة الكنعانية يعود إلى مؤثرات حضارية، كانت اللغتين الآرامية واليونانية تعودان إلى أسباب حضارية سياسية.

اللغة الكنعانية: اللغة الكنعانية من اللغات السامية الغربية الشمالية، إلى جانب كل من اللغة الفينيقية والعبرية والمؤابية والأمورية والاوغاريتية[٣]، وفي نفس الوقت التي تُدرج اللغة العبرية كواحدة من هذه اللغات، فإن هناك جدل كبير يدور حولها، يتمحور في سؤال هو، هل اللغة العبرية فرع من الكنعانية أم هي لغة مستقلة بذاتها ؟

---

[١] – استمرت الجماعات اليهودية بتبني لغات الشعوب التي يحلون بين ظهرانيها، فتولدت نتيجة لذلك لهجات جديدة، منها (عبرية– عربية، عبرية – فارسية، عبرية– برتغالية، عبرية– أسبانية، الخ...) فضلاً عن (العبرية الألمانية) التي أصبحت اللغة اليديشية في عصرنا الحاضر. أنظر: ليون، المفهوم المادي، ص ٣١ ؛ سوسة، (اللغة العبرية وصلتها باليهودية ، مجلة) ص ٩١ .

[٢] – تأثر اليهود بكثير من اللهجات الجزرية قبل استقرارهم في فلسطين، كاللهجة المديانية ولهجات أخرى من خلال التجوال في صحراء مدين. (الباحث) .

[٣] – يقسم العلماء اللغات السامية إلى قسمين رئيسين: شرقي، وغربي، القسم الشرقي يضم اللغة الأكدية بفرعيها البابلي والآشوري، أما الغربي فيقسم بدوره إلى قسمين، قسم شمالي، وفيه الكنعانية والعبرية والمؤابية والفينيقية والأمورية والاوغاريتية، وقسم جنوبي وفيه اللغات واللهجات العربية القديمة، واللغة العربية الفصحى. وتبدو اللغات السامية على ضوء الدراسات التي خضعت لها متجانسة في معظمها، فهي تتميز بوجود الحروف المفخمة والحروف الحلقية، كما تعتمد كتاباتها على الحروف دون الحركات، وتشتق أسمائها من أصل ذي ثلاثة أحرف، كما تتشابه في تكوين الاسم من حيث عدده ونوعه، وفي تكوين الفعل من حيث زمنه وتجرده وزياداته وصحته وعلته، وفي طريقة اتصال الضمائر بالأسماء والأفعال والحروف، وفي صياغة الجمل وتراكيبها. أنظر: غريسة، دروس في اللغة، ص ١٤ ؛ موسكاتي، سبتينو وآخرون، مدخل الى نحو اللغات السامية المقارن، ترجمة: مهدي المخزومي، وعبد الجبار المطلبي، ط١، (بيروت، عالم الكتب، ١٩٩٣)، ص ٢٠ وما بعدها ؛

Encyclopedia International, (New York, 1964), p.372.

أكثر الآراء ترى بأنها فرع من الكنعانية[١]، فهذا (كارل بروكلمان) يؤكد بأنها لهجة من لهجاتها[٢]، وأن أقدم مصادرها هي (قصيدة دبورة)[٣]، بينما يقول (إسرائيل ولفنسون: (لا يصح أن يقال عن اللغة العبرية أنها لهجة كنعانية أو أنها فرع منها، وكل ما يمكن أن يقال في هذا الشأن هو أن اللغة العبرية واللغة الكنعانية كانتا لغة واحدة لهجت بها تلك الأمم التي كانت تسكن فلسطين وطور سيناء في مدى قرون معينة، فلما تفرقت تلك الأمم وتباعدت، اختلفت لهجاتها وتميزت فكانت أحداهما العبرية وكانت الأخرى الكنعانية وذلك سبب التشابه بين هاتين اللغتين[٤]. ويفسر ولفنسون ما ذهب إليه غيره، على أنه رأي يستند إلى أن الكنعانيين سبقوا الإسرائيليين في الهجرة والنزوح عن الموطن الأصلي، وأنهم تكلموا بالكنعانية في موطنهم الجديد، فلما رأوا الإسرائيليين بعد ذلك في ارض كنعان يتكلمون بالعبرية التي تقرب قربا شديدا من الكنعانية قالوا أن العبرية متفرعة عن الكنعانية[٥].

وإذا لم نأخذ بهذين الرأيين، واحتكمنا إلى العهد القديم، نجد أن رأيه أيضاً يلفه كثير من الغموض، فهو يسمي اللغة التي كان يستخدمها المجتمع اليهودي في فلسطين (لغة كنعان- שפת כנען (سفة كنعان)[٦]، وهو في هذه الحالة يشير إلى أنها أحدى اللغات الكنعانية، ولكن أية لغة ؟ فمصطلح (لغة كنعان غير صريح)، إذ أن هناك جماعات متنوعة من الشعوب التي استوطنت المنطقة الغربية من فلسطين قبل دخول بني إسرائيل، كانوا يتكلمون بلهجات ترتبط بأسرة اللغات السامية الشمالية الغربية، ومما يجعل من الصعب القطع في الرأي عن المقصود (بلغة كنعان) هو

---

(١) – ومن أقدم المصادر الأصلية للغة الكنعانية، هو النصب التذكاري لتخليد انتصار الملك (ميشع) ملك مؤاب، وقد أكتشف هذا النصب في سنة ١٨٦٨م ، وهو الآن محفوظ بمتحف (اللوفر) في باريس، ويرجع إلى ما بعد سنة (٩٠٠ ق. م.) بقليل . أنظر: ولفنسون، تاريخ اللغات، ص ١٠٦- ١٠٩ ؛ بروكلمان، فقه اللغات، ص١٨ .

(٢) – المصدر نفسه، الصفحة نفسها .

(٣) – سفر القضاة/ ٥ .

(٤) – ولفنسون، تاريخ اللغات، ص ٧٩ .

(٥) – المصدر نفسه، ص ٥٥ .

(٦) – سفر اشعيا/ ١٩: ١٨ .

اتساع المنطقة، وتعدد التأثيرات من اللغات الأمورية والحورانية والأوغاريتية[١]، ولكن إذا نظرنا إلى الموضوع من زاوية أخرى، نلحظ أن الموجات السامية التي استقرت في فلسطين قد اشتركت في كثير من مقوماتها، سواء على صعيد الفرد أو المجتمع، فالتركيب العرقي متشابه، واللهجات المحكية هي من جذب واحد، والعبادات كذلك كانت مشتركة في كثير منها[٢]، ولهذا يلوح لنا أن اللغة العبرية تمثل لغة سامية (جزرية) ذات وضع خاص، لأنها استقبلت الكثير من الكلمات والعبارات من اللغات السامية الأخرى بتأثير عامل الاحتكاك الحضاري عبر التاريخ الطويل مع الأقوام التي كانت تتكلم هذه اللغات، ويتجلى ذلك من خلال تسميتها بـ(اللغة العبرية)، إذ أن اللغات السامية (الجزرية) استمدت تسمياتها من أسماء مناطق سكنى الأقوام أو الشعوب التي تتكلم بها، فالكنعانية أو الفينيقية هي لغة الكنعانيين والفينيقيين في بلاد كنعان وفينيقيا، وكذلك الحال بالنسبة للغات السامية الأخرى، أما اللغة العبرية فلا ينطبق عليها ذلك، لعدم ارتباط أصحابها بمنطقة أو موطن معين، ولهذا فقد استمدت تسميتها من الأقوام العبرانية التي كانت تتكلم بها، وفي مراحل لاحقة من التاريخ اليهودي أطلق عليها(اللغة اليهودية)، وذلك نسبة إلى منطقة يهوذا المملكة الجنوبية لليهود[٣]، كما أن كلمة (اليهودية) يُراد بها لغة منطقة يهوذا[٤].

ومن هنا نفهم أن اللغة العبرية مرت بمراحل تطورية نتيجة اندماج اليهود عبر محطاتهم التاريخية مع الشعوب المجاورة واقتباسهم الثقافة واللغة، ومن ثم فقد تكونت لهجات عديدة لليهود طبقا للمناطق التي عاشوا فيها، ولكن من الصعوبة على الباحث أن يدرس هذه المراحل التطورية التي طرأت على تاريخ ما يسميه المختصون بـ(اللغة العبرية القديمة) ومعرفة جذورها وذلك لصعوبة معرفة فترات تاريخية متباعدة، يمكن المقارنة بينها ومعرفة صور التطور الناتجة عبر الأجيال الكثيرة، وعندئذ ربما يمكن الكشف عن السر الذي يكمن وراء صور هذا التطور[٥].

---

[١] – دائرة المعارف الكتابية، حرف الكاف، مادة (كنعان) .

[٢] – السعد، جودت، أوهام التاريخ اليهودي، ط١، (عمان: الاهلية للنشر والتوزيع، ١٩٩٨)، ص ١٠٧ .

[٣] – سفر الملوك الثاني/ ١٨: ٢٦ ، ٢٨ ؛ سفر نحميا/ ١٣: ٤ ؛ سفراشعيا/ ٣٦: ١١ ، ١٣ .

[٤]– מינקוביץ, מאיר, הבעיה מי הוא יהודי ,(ניו- יורק, 1975), עמ' 15.

[٥] – بروكلمان، فقه اللغات، ص ٥ .

ولكن العلماء المحدثون استمروا في البحث عن القديم والجديد منها لغوياً في داخل النصوص، وخرجوا من ذلك بأن اللغة العبرية التي حفظها العهد القديم تتضمن ثلاثة أدوار :

١- دور عتيق جداً سابق على جمع كتب العهد القديم[١] .

٢- دور يمتد من القرن العاشر قبل الميلاد حتى سقوط أورشليم ويسمى بـ(العصر الذهبي)[٢]، وهو دور فصيح وصلت فيه اللغة العبرية إلى قمة ازدهارها[٣]، إذ استقرت صيغ الصرف في اللغة العبرية، وتقاربت لهجات الأسباط بعد الوحدة تحت تاج واحد، وبعد ربط اليهود لأول مرة في التاريخ بالحضارة الفينيقية والمصرية والبابلية والآشورية واليمنية في آن واحد[٤].

٣- دور يتميز بتغلب لغات أخرى على اللغة العبرية، ويسمى(عصر الانحطاط)[٥]، إذ تأثرت هذه اللغة بتيار الآرامية[٦] التي كُتب لها الانتشار على حساب شقيقتها العبرية، وذلك حتى مجيء اليونان سنة (٣٣٣ ق.م.)، ودخول لغتهم اليونانية[٧] التي أثرت بدورها على اللغة الآرامية (لغة اليهود في تلك الفترة)، وكانت بمثابة الضربة المميتة لما تبقى من اللغة العبرية.

وتعبِّر مسألة تبني اليهود لهذه اللغات وتأليف لهجة معينة خلال التاريخ عن اتجاهين متناقضين طَبَعا حياة المجتمع اليهودي: اتجاه أول نحو الاندماج في

---

[١] – ظاظا، السامیون، ص ٩٠ .

[٢] – غريسة، دروس في اللغة، ص ١٥ .

[٣] – ولفنسون، تاريخ اللغات، ص ٨٩ .

[٤] – ظاظا، الساميون، ص ٩٠ .

[٥] – المصدر نفسه، نفس الصفحة .

[٦] – يختلف العلماء حول أصل تسمية (اللغة الآرامية)، فمنهم من يرى أن أسمها جاء من اسم (آرام) خامس أبناء سام بن نوح، ومنهم من يرى أن الاسم يعود بأصوله الى جذر واحد مع اللغة العربية (عربي= أرمي/ عرابي= ارامي)، مع تغير في اللفظ بين الراء والعين. أنظر: فاضل، عبد الحق، تاريخهم من لغتهم، ط١، (بغداد: دار الحرية للطباعة، ١٩٧٧)، ص ١٣٣- ١٣٥ .

[٧] – غريسة، دروس في اللغة، ص ١٥ .

المجتمعات المجاورة، واتجاه آخر انعزالي مصدره الواقع الاجتماعي والاقتصادي لليهود[١].

اللغة الآرامية:

قطعت اللغة العبرية أشواطاً من التطور، وذلك من خلال أقتباسها الكثير من تراكيب وعبارات اللغة الكنعانية والوصول الى درجة الاندماج الذي بلغت به أوج نموها، سيما في عهد الملك حزقيا (٧١٤- ٦٩٦ق.م.)، إذ كانت اللغة العبرية في ذلك الحين خالصة تقريباً من شوائب اللغة الآرامية[٢]، وضلت هي اللهجة التي يتعامل بها المجتمع اليهودي حتى سقوط أورشليم سنة (٥٨٦ ق.م.)، ولكن يبدو أن بعد هذه الفترة طرأت تغيرات سياسية في منطقة الشرق الأدنى القديم، أثرت بشكل خاص على مجتمعات فلسطين القديمة، وبما إن المجتمع اليهودي كان أبرز تلك المجتمعات في تلك الفترة، فقد تلقى ضربات موجعة أنسته اللغة التي كان يستخدمها في حياته المحلية. فقد كان للأسر البابلي على يد نبوخذ نصر سنة (٥٨٦ ق.م.) من أهم الاسباب التي أدت الى حدوث تغيير خطير وأنقلاب كبير في اللغة العبرية[٣]، وكان لتجمع اليهود بعد هذا الأسر في نواحي الفرات أثر كبير في أنتشار أنتشار اللغة الآرامية بينهم[٤]، وتسرب الكثير من الالفاظ الآرامية الى اللغة العبرية، وأُشرب أبناء الطبقات اليهودية المتعلمة أفكاراً جديدة لم يكونوا يعهدوها من قبل[٥]، حتى شعر علماء اليهود وأحبارهم بالخطر المحدق بلغتهم القومية فنشطوا الى مقاومة اللغة الآرامية، ترتب على ذلك تمسكاً باللغة العبرية أكثر من ذي قبل، ولذلك كتبت في فترة الأسر بعض روائع الأدب العبري، لا سيما (رؤيا اشعيا)، الإصحاح الاربعون وما بعدة من سفر اشعيا[٦].

---

[١] – ليون، المفهوم المادي، ص ٣١ .

[٢] – ولفنسون، تاريخ اللغات، ص ٨٩ .

[٣] – ولفنسون، تاريخ اللغات، ص ٨٩ .

[٤] – المصدر نفسه، ص٩٦ .

[٥] – المصدر نفسه ص ٨٩ .

[٦] – بروكلمان، فقه اللغات، ص ١٩ .

وفي سنة(٥٣٩ ق.م.) تمكنت الإمبراطورية الفارسية من غزو بابل، ومن ثم فرض سيطرتها على مناطق الشرق الأدنى القديم، متخذة من اللغة الآرامية لغة رسمية لها[١] في المناطق التابعة لنفوذها في سورية وفلسطين[٢]، ويبدو أن ذلك قد زاد من الامر سوء، إذ شاركت الثقافة الفارسية أيضاً في وضع بصماتها على اللغة العبرية، بعقائدها وفلسفتها، التي كان لها تأثير كبير في الحياة الدينية والدنيوية للمجتمع اليهودي، سيما بعد أنتشار اللغة الآرامية، وأستخدامها من قبل اليهود في ذلك العصر في معاملاتهم، وفي تحرير وثائقهم[٣].

ولما كانت اللغة الرسمية ذات التاريخ الطويل تميل إلى الحلول محل اللغات المحلية فقد أخذت الآرامية بمرور الزمن تحل شيئاً فشيئاً محل العبرية والفينيقية وسائر اللغات السامية في المنطقة، وكان من أكبر الصعاب في وجه أحياء اللغة العبرية بعد العودة من المنفى، أن جانباً من الشعب هجر فعلا لغته الأصلية[٤]. وهو وهو رأي مخالف لبعض العلماء الذين قالوا بأن اللغة كانت وسيلة من وسائل الفصل بين اليهود والمجتمع المضيف، وأداة للتواصل فيما بينهم[٥]، ولهذا فقد ضل اليهود محافظين على لغتهم العبرية حتى أثناء الاسر[٦]، ولكنها محافظة لم تغن عن جوع، جوع، كانت محصلتها النهائية رجوع اليهود من بابل في عهد كورش الفارسي سنة(٥١٦ ق.م) وهم يحملون لهجة هجينة بين (عبرية وآرامية وكلدية).

---

[١] – أصبحت الآرامية لغة عالمية، وحلت محل الأكدية في الاتصالات الدبلوماسية كلغة دولية، فمثلاً حين كان ممثلوا الملك حزقياهو(٧١٤– ٦٩٦ ق.م) يتفاوضون مع رسل آشور خلال حصار أورشليم، طلبوا إليهم أن يتكلموا بالآرامية حتى لا يفهم الشعب. أنظر: موسكاتي، الحضارات السامية، ص ١٨٠ ؛ سفر الملوك الثاني/ ١٨: ٢٦ ؛ سفر أشعيا/ ٣٦: ١١ .

[٢] – عبد العليم، مصطفى كمال، اليهود في مصر في عصري البطالمة والرومان، ط١، (القاهرة: مكتبة القاهرة الحديثة، ١٩٦٨)، ص١١٧ .

[٣]– عبد العليم، اليهود في مصر، ص ١١٧ .

[٤] – موسكاتي، الحضارات السامية، ص ١٨١ .

[٥] – المسيري، الجماعات الوظيفية، ص ١٣٥ .

[٦] – نولدكه، تيودور، اللغات السامية، ترجمة: رمضان عبد التواب، (القاهرة: مكتبة دار النهضة العربية، ١٩٦٣)، ص ٣٦ .

وحتى بعد أن تمتع اليهود في عهد زروبابل ونحميا بامتياز الحكم الذاتي، لم يتمكنوا من أغاثة لغتهم، فتعطلت، ولم تعد تستعمل كلغة دارجة، وحلت محلها اللغة الآرامية[1]، غير أن عزاءها الوحيد كان بأستخدامها كلغة دينية [2] ضلت تستدعيها الذاكرة اليهودية عندما تذكر ربها فحسب.

اللغة الإغريقية:

خضعت فلسطين القديمة للحكم اليوناني بعد غزو الاسكندر الأكبر لها سنة (٣٣٠ ق. م.)، وقد تأثر اليهود في تلك الفترة بالثقافة اليونانية[3]، وأدى ذلك الفتح الحضاري الذي جاء بالثقافة الهيلينية[4] الى تقهقر الآرامية في المنطقة[5]، من جهة، جهة، وأقتحام المصطلحات والالفاظ الاغريقية لما تبقى من اللغة العبرية بقوة من جهة أخرى، إذ كان من الطبيعي بعد أن حلت اللغة الإغريقية محل اللغة الآرامية كلغة عالمية أن يُقبل اليهود على استعمال هذه اللغة الجديدة سيما أنها أصبحت لغة التجارة والمال والاقتصاد فضلاً عن كونها لغة الإدارة والثقافة والعلم، حتى أنهم نقلوا التوراة إليها[6]، بعد أن أصبح من المتعذر مع الكثيرين منهم فهمها في لغتها الأصلية في حين أنهم كانوا يستخدمون اللغة الآرامية ظلوا يؤدون صلواتهم ويقرأون كتابهم المقدس باللغة العبرية، وكان في امكانهم حينئذ المحافظة على أهم الأسس

---

(1) - Encyclopedia International, op.cit. p. 373.

(2) – حتي، تاريخ سورية، ص٢٤٥ .

(3) – عبد القادر، الامم السامية، ص ١١٢ .

(4) – R., Clark Douglas and Matthews, Victor H., One Hundred Years Of American Archaeology In The Middleeast, (Boston, MA, 2003), p. 319.

(5) – هناك أجزاء أو مناطق في الشرق الأدنى القديم ومنها ممالك شمال شبه الجزيرة العربية شهدت تقدماً ملموساً في اللغة والحضارة الآرامية، مثل دولتي البتراء وتدمر، في نفس الوقت التي أفل نجمها في مناطق أخرى من الشرق الأدنى القديم مثل سوريا وفلسطين، كما أن طابع الانقسام السياسي في تاريخ الآراميين أدى إلى تعدد لهجات اللغة الآرامية في هذه المنطقة . أنظر: موسكاتي، الحضارات السامية، ص ١٨١– ١٨٢ .

(6)– أثبت الباحثون في الدراسات التوراتية أن الترجمة الإغريقية جاءت بعيدة عن الأصل العبري في بعض المواقع لحرص المترجمين على تقليد الأساليب الإغريقية ولعجزهم أحيانا عن اختيار الكلمات أو المصطلحات العبرية، وهذا يبرز بوضوح مدى خطورة إقبال اليهود على استخدام اللغة الإغريقية في حياتهم اليومية مما أدى إلى تحريف بعض كلم التوراة عن مواضعه وهذا أمر جد خطير . أنظر: عبد العليم، اليهود في مصر، ص ١١٧ .

التـي قامـت عليهـا حيـاتهم القوميـة نظـراً للارتبـاط الوثيـق للتـوراة بمظـاهر حيـاتهم المختلفة من دين وقوانين وتشريعات وعادات[١].

وهكذا انتهت حياة اللغة العبرية، بتأثير هذه اللغات المتنوعة، سيما اللغة اليونانية التي كانت بمثابة الضربة القاضية لها، وحتى أن ذلك العدد الضخم من اليهود، الذين رحلوا حينذاك إلى مصر وما بعدها ناحية الغرب، لم يستطيعوا أن يحتفظوا بلغتهم الأصلية في وسط يتكلم الإغريقية، كذلك كان الحال مع أبناء جلدتهم الذين بقوا في فلسطين، فبعد أن وجدوا أنفسهم حينذاك وجهاً لوجه أمام تلك اللغة الشعبية التي اكتسحت كل غرب أسيا، وهي الآرامية، كان من السهولة أن يتعاملوا بها، بدلاً من لغتهم الأصلية، لان كل واحدة من اللغتين قريبة من الأخرى بدرجة كبيرة جداً، ولكن الوضع اللغوي مع اليونانية كان يختلف كثيراً[٢].

---

[١]- المصدر نفسه، نفس الصفحة.

[٢] – بروكلمان، فقة اللغات، ص ١٩ .

المبحث الثاني: العادات والتقاليد

أولاً: المأكل

كان طعام اليهود القدماء بسيطاً، يتكون من الخبز والفاكهة والخضر، وقد اتفقت الكتب السماوية في ذكر الأطعمة التي تتألف منها المائدة اليهودية القديمة، إذ نجد الكتاب المقدس يذكر لنا في الكثير من إصحاحاته وفصوله هذه الأطعمة بأنواعها، وفي مقدمتها الخبز الذي يصنع من دقيق القمح ونادراً من الشعير[١].

كان الخبز من المأكولات التي تحتل مكانة مهمة في مائدة الأسرة اليهودية القديمة، كما أنشد الشاعر اليهودي في العصور القديمة **(وخبز يسند قلب الإنسان)**[٢]، وكان محرم على اليهود الاستخفاف بالخبز أو رمي قطعة الخبز الصغيرة، لأنه من يستخف بالخبز يحل الفقر في بيته[٣]، حسب المعتقدات اليهودية[٤].

أعتاد اليهود أن يأكلوا في عيد الفصح خبزاً فطيراً يذكرهم بالفقر الذي عانوا منه في مصر[٥]، أما القرآن الكريم فقد ذكر بعض الأطعمة الرئيسة التي تتألف منها المائدة اليهودية القديمة، ففي قوله تعالى مُذكِّراً اليهود ﴿**وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا**﴾[٦]. يتضح لنا من خلال الآية الكريمة اعتماد اليهود على هذه الأطعمة في غذائهم

---

[١] - علي، إسرائيل عبر، ج١، ص ٧٢ .

[٢] - ברגמן, שם, עמ' 105.

[٣] - ارتبطت المعتقدات الدينية اليهودية ارتباطا وثيقاً بالأطعمة ولا سيما الخبز منها، إذ كان يُعبر من خلال التفنن في شكله عن أكثر المناسبات الدينية، ونذكر منها مناسبة رأس السنة، حيث يتم عمل الخبز الأبيض على شكل سلالم لأنه حسب المعتقدات اليهودية (في رأس السنة يتقرر مصير الإنسان صعوداً أو هبوطاً، فقراً أو غناً)، أو يتم عمله على شكل طيور، لكي ترمز إلى (أن الله يحاسبنا برحمة كما جاء في سفر أشعيا/٣١:٥ **(كطيور مُرفرفة هكذا يحامي رب الجنود عن أورشليم)** . أنظر: ברגמן, שם , עמ' 109–112 .

[٤] - שם ,עמ' 105.

[٥] - שם ,עמ' 108.

[٦] - البقرة، الآية (٦١) .

اليومي ، والذي ينتج عن حياة الفلاحة التي ألفوها في مصر الفرعونية أو أماكن أخرى، إذ جاء في كتب التفسير [١]، أن البقل كل نبات ليس له ساق، وان القثآء هو الخيار [٢]، والفوم[٣] هو الحنطة أو الخبز، أما العدس فهو من الحبوب المعروفة، وكذلك الحال بالنسبة للبصل الذي كان من الخضر المهمة في مائدة اليهود القدماء. ومن الأطعمة الأخرى المفضلة لدى اليهود هو طعام السمك، إذ تمسك اليهود بعادة أكل السمك في السبت[٤]، كما عبّروا من خلال أنواع الأطعمة الأخرى عن أكثر مناسباتهم الدينية، فاعتادوا أن يأكلوا في الليلة الأولى لعيد الفصح، بيضاً مطبوخاً، كما عُدَّ لديهم طعاماً للحداد، لأن اليوم الأول من أيام الفصح يصادف اليوم الذي تبدأ به السنة وهو التاسع من آب، وقد جاء طعام الحداد ليُذكِّر بدمار الهيكل، الذي كان يُقدم له قربان الفصح سابقاً[٥]، كما اعتادوا في عيد الأسابيع أن يأكلوا عسلاً وحليباً لذكرى نزول التوراة، التي شُبهت بالعسل والحليب[٦]، وفي عيد البوريم[٧] كان كان اليهود يأكلون البذور لأنهم يستذكرون أولادهم الذين وقفوا أمام الملك في بابل وأكتفوا بالبذور [٨].

ومن بين الأطعمة المتميزة الأخرى، اللحم الذي كان قاصراً على الأعياد أو المناسبات أو الضيوف كما يحدثنا العهد القديم[٩]، أما موائد الملوك فلم تخل يومياً

---

(١) – الطبرسي، مجمع البيان، مج١، ص ٢٥٠ ؛ بن كثير، تفسير القرآن، ج١، ص ١٧٤ – ١٧٦ .

(٢) – الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، مختار الصحاح، (الكويت: دار الرسالة، ب– ت)، باب القاف، ص٥٢١ .

(٣) – قال بعض المفسرين أن (الفوم) هو الثوم، وحجتهم في ذلك ما جاء في لغة العرب من أبدال الثاء فاءً، كما قالوا (جدث وجدف) وكذلك ما ذُكر بعده من البصل ضمن سياق الآية الكريمة. وقال آخرون هو الحنطة والخبز، تقول العرب فوموا لنا أي أختبزوا لنا، وقالوا أيضاً أنه لا يجوز أن يطلب القوم الثوم ولا يطلبون الخبز الذي هو الأصل. أنظر: الطبرسي، مجمع البيان، مج١، ص٢٥٢ ؛ بن كثير، تفسير القرآن، ج١، ص ١٧٤–١٧٥ .

(٤) – ברגמן, שם , עמ' 106 .

(٥) – שם ,עמ' 108.

(٦) – שם ,עמ' 109 .

(٧) – أنظر: ص ٢٠٨ .

(٨) – שם ,עמ' 110 ؛ سفر دانيال/ ١: ٨– ١٥ .

(٩) – سفر التكوين/ ١٨: ٧ ؛ سفر صموئيل الثاني/ ١٢: ٤ .

من اللحم، ثم جاء الأعيان وقلدوهم[١]. كانت طريقة إعداد اللحم للأكل في الفترات القديمة هي الطبخ[٢]، باستثناء خروف الفصح الذي كان يُشوى ثم أخذت فكرة الشواء الشواء تنتشر بين اليهود[٣].

ويتبين لنا من خلال أسفار العهد القديم أن الأدوات المستخدمة في إعداد الطعام عند اليهود القدماء هي نفس الأدوات التي كانت شائعة في حياة شعوب الشرق الأدنى القديم في فترة الألف الأول قبل الميلاد وما بعدها، إذ كانت تتألف من الرحى لطحن الحبوب ولا سيما القمح لصناعة الخبز، والجرة لإحضار الماء من النبع، وكان هذا عادة من عمل النساء[٤]، وأواني مختلفة الأشكال لحفظ المواد الغذائية الأخرى، كالقصعة لحفظ الدقيق، والجابية لحفظ الزيت[٥]، والقربة يُحفظ بها النبيذ واللبن[٦]، كما اتخذوا من السلال أوعية لحفظ الفواكه[٧]، أما الحبوب والبقول فكانت تُحفظ في صوامع كبيرة[٨].

كانت القدور المصنوعة من الطين[٩] هي الأواني المستخدمة في طهي أو طبخ الطعام[١٠]، كما أستخدم اليهود القدماء الشوكة لنشل الطعام من القدر أو المقلاة[١١]، ولم يستخدموها في تناول الأكل، وكذلك السكين للذبح وتقطيع اللحم عند الطبخ فقط[١٢].

---

(١) – سفرعاموس/ ٦: ٤ .

(٢)– سفر الخروج/ ٢٣: ١٩ .

(٣) – علي، إسرائيل عبر التاريخ، ج١، ص٧٣ .

(٤) – سفر التكوين/ ٢٤: ٤٣ .

(٥) – سفر الملوك الأول/١٧: ١١ .

(٦) – سفر التكوين/ ٢١ : ١٥ .

(٧) – سفر أرميا/ ٢٤: ٢ .

(٨) – علي، إسرائيل عبر التاريخ، ج١، ص ٧٥ .

(٩) – المصدر نفسه، نفس الصفحة .

(١٠) – سفر التكوين/٢١: ١٥ .

(١١) – سفر أرميا /٢٤: ٢ .

(١٢) – علي، إسرائيل عبر، ج١، ص٧٥ .

ويبدو أن إعداد الطعام كان قسمة بين الرجال والنساء، فالمرأة هي التي تطحن وتخبز[١]، أما ذبح الماشية والطيور وشوائها فمن عمل الرجال[٢].

أما بالنسبة للمشروبات، فكان أهمها الماء، ثم بدأ القوم يتعرفون على النبيذ، سيما بعد استقرارهم في فلسطين[٣]، وأصبحوا مولعين به، حتى غدا في فترات الانحراف الديني، التي مر بها المجتمع اليهودي، ضرورة من ضرورات الاحتفالات والاعياد[٤] وهذا ما أثبتته الآثار، إذ تم العثور على الكثير من أماكن تحضير النبيذ[٥]، فضلاً عن العهد القديم الذي ذكر حالات سكر كثيرة جداً في مواقف شتى[٦]، أشاد بشرب النبيذ في أكثرها[٧].

ثانياً: الملبس

لا يقدم لنا العهد القديم معلومات وافية عن ملبس اليهود القدماء، باستثناء ما وجدناه مرتبط برجال الدين وهيئتهم، فقد ورد في سفر الخروج وصفاً دقيقاً لثياب الكهنة، وهو وصف يعبر عن رموز دينية في مراحل لاحقة ومتطورة من حياة المجتمع اليهودي في فلسطين، حاول المحرر التوراتي أن يعطيها بُعداً تاريخياً لمرحلة ما قبل الاستقرار في فلسطين.

ولكن يبدو أن لباس العبريين في أولى مراحل تاريخهم، على رأي أغلب الباحثين، لا يختلف عن لباس الشعوب البدوية القديمة الأخرى، إذ كان المئزر أو(المنطقة) من أقدم اللباس عند هذه الشعوب وعند شعوب الشرق الأدنى القديم بعامة[٨]، وهو عبارة عن كساء يُلف حول الجسم ويصل من الحقوين إلى الركبتين،

---

[١] – علي، إسرائيل عبر، ج١، ص٧٥ .

[٢] – سفر التكوين/ ١٨: ٨ .

[٣] – سفر هوشع/ ٢ : ١٠ ، ١٤ ، ١٧ ؛ سفر التثنية/ ٦ : ١١ .

[٤] – سفر صموئيل الأول/ ١: ٩ ، ١٣ .

[٥] – علي، إسرائيل عبر، ج١، ص٧٥ .

[٦] – سفر أشعيا/ ٥ : ٢٢ ؛ سفر هوشع/ ٧ : ٥ ؛ سفر أرميا/ ١٣: ٩ .

[٧] – سفر المزامير/ ١٠٤: ١٥ .

[٨] – أنظر: الشكل رقم (٣)، (٤)، ص ٣٧٥ .

ويُصنع عادة من جلود الحيوانات أو من شعر الماعز أو وبر الجمال[١]. ولقد تبنى اليهود خلال محطاتهم التاريخية ملابس وأزياء الشعوب التي عاشوا بين ظهرانيها، في بلاد الرافدين وفي بلاد كنعان وفي مصر الفرعونية، إذ يمكننا أن نصل إلى تصورات تقريبية عن أشكال تلك الملابس التي كان يرتديها قدماء اليهود، وذلك من خلال الإطلاع على أزياء الشعوب المذكورة ضمن الفترات التاريخية المفترضة لتواجد اليهود بينها، ففي بلاد الرافدين كانت العناصر الرئيسة للمظهر الخارجي تتمثل في اللباس الشائع المفتوح عمودياً من الأمام مع ترك الكتف الأيمن عارياً، وإطلاق اللحى والشعر الكثيف، بالنسبة للرجال، ونلاحظ الظاهرة ذاتها بالنسبة لملابس النساء اللاتي يرتدين الأردية السميكة ويتركن الذراع الأيمن عاريا إضافة إلى جزء من الكتف، ويكون مثل هذا الرداء مزيناً في الغالب بأهداب قصيرة أو طويلة مجسمة تبدو وكأنها نوع من التطريز الخشن والبارز[٢].

أما في بلاد كنعان فقد مر اللباس الكنعاني بمراحل تطورية متعددة كان لها أثر كبير في لباس اليهود، فبعد الفترة التي شاع فيها لباس المئزر والمنطقة والحزام نجد فيما بعد القميص[٣] الذي حل محل المنطقة، وهو كساء للجسد مقفل عند الرقبة، وله كمّان وطول الكم تقريباً ربع طول الذراع، أما طول القميص فيصل فوق الركبتين وينتهي عادة بأهداب، وكان يُحزم فوقه بحزام عند الخصر[٤].

وفي عصور متأخرة أصبحت ثياب الكنعانيين تتألف من سروال يستر النصف الأسفل من الجسم ومن قميص ورداء طويل فوق القميص، وأخيراً أخذوا يمنطقون

---

[١] – علي، إسرائيل عبر، ج١، ص٧٧ .

[٢] – نخبة من الباحثين العراقيين، حضارة العراق، (بغداد، ب مط، ١٩٨٤)، ج٢، ص ٧٦٥ – ٧٩٠ .

[٣] – وردت كلمة(قميص) ستة مرات في القرآن الكريم وذلك في سورة يوسف، الآيات : ١٨،٢٥، ٢٦، ٢٧، ٢٨، ٩٣، وقد جاءت كلمة قميص لتشير إلى جنس الثوب أي أنها لم تحدد شكل القميص الذي ورد في مراحل مختلفة من قصة النبي يوسف(ع) في القرآن الكريم، بدءاً من صباه (**وجاءوا على قميصه بدم كذب**) ومروراً بشبابه عندما بلغ أشده (**وقدت قميصه من دبر**) وأنتهاءاً به عندما أصبح وزيراً (**أذهبوا بقميصي هذا وألقوه على وجه أبي**) . (الباحث)

[٤] – علي، إسرائيل عبر، ج١، ص٧٧ .

أرديتهم بزنار مصنوع من الجلد أو البوص يشبه الحبل لضبط الرداء، وكانوا يلبسون في الشتاء فروة أو جلد غنم أو معزي، أما لباس النساء فلم يكن يختلف كثيراً عن لباس الرجال إلا في الثوب الخارجي، الذي كان أكثر اتساعاً من رداء الرجال[١]، وهذه هي الثياب التي أتخذها اليهود لباساً لهم حتى بعد هجرتهم إلى مصر وأقامتهم هناك، حيث يرى جمهرة من الباحثين أن جماعة بني إسرائيل كأقلية في مصر لم تتأثر إلى حد كبير بلباس المصريين لأنه كان يتعارض مع أعرافها وتقاليدها، إذ كانت أشكال اللباس المصري تكشف عن أجزاء من الجسم ما عدى الحقوين، ولذلك فلم يكن بني إسرائيل قد اعتادوا على التجوال بهذا الشكل من اللباس، سيما النساء من بني إسرائيل اللواتي كُنَّ يرتدين ما يغطي أجسادهن من الرقبة إلى أسفل الركب، فضلاً عن غطاء الرأس، على خلاف النساء المصريات[٢] إذ أرتبط لباس المصريين بالأحوال البيئية والمناخية لبلادهم، التي كانت بلاد حارة جداً، كما تتميز أكثر مناطقها بقلة الأمطار، ولهذا فلم تكن من حاجة إلى الملابس الكثيفة، بل على العكس كانت تتميز بخفتها لتكون دائمة التهوية.

وقد بلغ اللباس اليهودي مراحل متطورة بعد الاستقرار في فلسطين، وأصبح الاهتمام بالمظهر يمثل جانباً مهماً في التعبير عن المنصب أو التخصص أو الطبقة الاجتماعية، ولهذا ظهرت ملابس خاصة بالكهنة وأخرى خاصة بالجنود وملابس خاصة بالمناسبات والأعياد[٣]، فضلاً عن تطور ملابس كل من الرجال والنساء عما كانت عليه فبل الاستقرار في فلسطين. ويشهد تطور اللباس على ميل اليهود للتكيف على نمط جيرانهم، الذين استقروا في وسطهم، والبقاء بشكل خاص في الأمور الدينية وحدة بحد ذاتها.

---

[١] – الدباغ، بلادنا، ج١، ص ٤٨٤ .

[2] - http://www. askmoses.com/en/article/175,158/Why-do-many-religious-Jews.

[٣] – تم الاستدلال على فقرات العهد القديم التي وردت فيها معلومات عن الملبس وأنواعه، من مصدر رئيس هو (دائرة المعارف الكتابية)،حرف الثاء، مادة ثوب . (الباحث) .

ملابس الرجال:

ومن أهم ملابس الرجل، **أولا: (المنطقة)**، وتسمى في العبرية אזור (ازور)، وكانت لباسا شائعا في العصر البرونزي الثاني، أما في العصر البرونزي الثالث فلم يعد عامة الناس يستعملونها، بل اقتصر استعمالها على رجال الحرب، ولم تذكر المنطقة في العهد القديم إلا مرات قليلة[١]، وكان يرتديها الأنبياء والفقراء في فترات أقدم، حتى تطور استعمالها فصارت تلبس لإظهار الندم والتوبة[٢]، ومن ثم أخذت تستخدم كحزام أو زنار لأحكام القميص على الجسم، كما استخدمت لحمل السلاح والنقود[٣].

ثانيا: القميص، وقد أصبح استعمال القميص العادي شائعا في العصر البرونزي الثالث والعصر الحديدي، ويطلق عليه في الكتاب المقدس في العبرية כתונת (كوتونيت) ويبدو أنه كان يصنع من الكتان أو الصوف، ويُلبس فوق الجسم مباشرة وينزل إلى الركبتين أو الكعبين، سواء بأكمام أو بدونها، وسواء كان طويلا أو قصيرا، كما كان يُشد بحزام في أثناء العمل أو السير بعجلة أو الجري[٤]. كما كان هناك القميص الملون[٥] الذي عادة ما يرتديه الأمراء[٦]، ويبدو أنه كان يصنع من نسيج منقوش، ويلتف حول الجسم كما يتبين في صور السفراء السوريين في عهد الفرعون (توت عنخ آمون) من الاسرة الثامنة عشرة (١٥٨٠– ١٣٥٠ ق.م.)، ولعله كان يلبس تحت هذا القميص أحياناً قميص آخر يسمى في العبرية סדין(سادين)[٧].

סדין(سادين)[٧].

---

[١] – سفر حزقيال/ ٢٣: ١٥ ؛ سفر اشعيا/ ٥: ٢٧؛ سفر زكريا/ ١٣: ٤ ؛ سفر الملوك الثاني/ ١: ٨ .

[٢] – سفر الخروج/ ٢٩: ٢٥.

[٣] – سفر صموئيل الثاني/ ٢٠: ٨ .

[٤] – سفر الخروج/ ١٢: ١١؛ سفر الملوك الثاني/ ٤ : ٩ .

[٥] – سفر التكوين/ ٣٧: ٣ ، ٢٣ ، ٣٢ .

[٦] – سفر صموئيل الثاني/ ١٣: ١٨ ، ١٩ .

[٧] – سفر القضاة/ ١٤: ١٢ ؛ سفر الأمثال/ ٣١: ٢٤ ؛ سفر اشعيا/ ٣: ٢٣ .

ثالثاً: الرداء أو الجبة، وتسمى في العبرية אדרת (أديرت)[١]، ويصنع أحياناً من مواد ثمينة مثل الرداء الشنعاري[٢]، وكان يلبسه الملوك[٣]، وأشراف القوم وأغنيائهم، ويصف العهد القديم بعض الشخصيات التي كانت ترتديه مثل صموئيل[٤]، والملك شاؤل[٥]، ويوناثان بن شاؤل، وأيوب أصحابه[٦]. ويذكر أن الرداء كثيراً ما كانت تمزق دلالة على الحزن[٧]، وهناك رداء من نوع آخر يرتديه الأنبياء يُصنع من جلود الحيوانات.

رابعاً: العمائم، وهي في العبرية סניב (سانيب)، وكان يلبسها الأشراف والنبلاء من الرجال، سيما في العصور المتأخرة[٨].

خامساً: الحذاء، أو النعال، נעלים (نعليم) في العبرية، كان الفقراء يسيرون عادة حفاة الأقدام على الرغم من وجود (النعال) الذي عُرف منذ القدم[٩]، وكانت تُصنع من الجلد أو الخشب وتربط بسيور من الجلود[١٠]، وأعتاد اليهود أن يخلعوها داخل البيوت، وفي أوقات الحزن[١١].

ملابس النساء وزينتها:

كانت ملابس النساء شبيهة بشكل عام بملابس الرجال، ما عدى وجود بعض الفوارق التي تعطي صفة خاصة في المظهر لكل من الجنسين، وأبرزها غطاء الرأس للنساء، إذ حُرم على المرأة في العهد القديم لبس ثياب الرجل والتشبه به في الملبس،

---

(١) – שגיב , כרך ראישון ,עמ' 23.

(٢) – سفر يشوع/ ٧: ٢١ ، ٢٤ .

(٣) – سفر يونان/ ٣: ٦ .

(٤) – سفر صموئيل الأول/ ٢: ١٩ ، ٢٨: ١٤ .

(٥) – سفر صموئيل الأول/ ٢٤: ٤ ، ١١ .

(٦) – سفر صموئيل الأول/ ١٨: ١٤ ؛ سفر أيوب/ ١:٢٠ ، ٢: ١٣ .

(٧) – سفر عزرا/ ٩: ٣ ؛ سفر ايوب/ ١: ٢٠ ، ٢: ١٢ .

(٨) – دائرة المعارف الكتابية، حرف الثاء، مادة (ثوب) .

(٩) – سفر التثنية/ ٢٥: ٢٣ ؛ سفر عاموس/ ٢: ٦ ، ٨: ٦ .

(١٠) – سفر التكوين/ ١٤: ٢٣ ؛ سفر أشعيا/ ٥: ٢٧ .

(١١) – سفر صموئيل الثاني/ ١٥: ٣٠ ؛ دائرة المعارف الكتابية، حرف الثاء، مادة (ثوب) .

كما حُرم مثل ذلك على الرجل[١]. وكانت ثياب النساء تصنع من أنسجة ناعمة كثيرة كثيرة الألوان، مع استخدام البرقع أو النقاب والعمائم[٢]، وهذا يضاف إلى الفروق بين بين لباس الجنسين.

أكثر أنواع الثياب استخداما عند النساء هي المنطقة والقميص[٣]، وكذلك القميص الداخلي الناعم (سادين)[٤]، كما كانت نساء الطبقة الغنية يستخدمن البرقع أو النقاب[٥]، ويزينن ثيابهن بالذهب والفضة[٦]، وكانت النساء من العامة يلبسن الأقراط في آذانهن والخزائم في أنوفهن، ويتحلين بالأساور والخلاخيل[٧] ويحملن المرايا المصنوعة من النحاس المصقول[٨]، وكن يصبغن خدودهن ويكتحلن ويتحلين ويتحلين بكل ما يجدن من الحلي[٩].

ملابس الكهنة:

ملابس الكهنة هي الملابس الوحيدة التي يهتم بها العهد القديم، ويخصص لها متسعاً في ذاكرته، وفي أسفاره الأولى، فهذا سفر الخروج يتحدث بالتفصيل عنها ويرسم وصفاً دقيقاً لأجزائها وأقمشتها وألوانها، وطريقة تصميمها.

ويبدو أن هذا الاهتمام الكبير بملابس الكهنة يرجع إلى ارتباطها المباشر بالديانة اليهودية، لأن كل قطعة منها تعبر عن رمز معين له دلالات خاصة، يتم من خلالها أشراف الكهنة على ممارسة الطقوس والعبادات الدينية في المجتمع اليهودي القديم، إذ تساهم هذه الملابس بمظهرها المزركش الذي يجذب الأنظار بإضفاء القدسية والهيبة على الكهنة، مما يسهل الدور القيادي الديني الذي

---

(١) – سفر التثنية/ ٢٢: ٥ .

(٢) – سفر أشعيا/ ٣ : ٢٢ .

(٣) – غنيمة، نزهة المشتاق، ص٥٠ .

(٤) – سفر الأمثال/ ٣١ : ٢٤ ؛ سفر أشعيا/ ٣ : ٢٣.

(٥) – سفر التكوين/ ٢٤ : ٦٥، سفر أشعيا/ ٤٧ : ٢ .

(٦) – سفر صموئيل الثاني/١ : ٢٤ ؛ سفر المزامير/ ٤٥ : ٩، ١٤، ١٥؛ سفر حزقيال/ ١٦ : ١٠ ، ١٣ .

(٧) – سفر صموئيل الثاني/ ١ : ١٠ ؛ سفر أشعيا/ ٣ : ١٦ ، ١٩ – ٢٠ .

(٨) – سفر الخروج/ ٣٨ : ٨ ؛ سفر أشعيا/ ٣ : ٢٣ .

(٩) – ديورانت، قصة الحضارة، مج١، ص ٣٢٩ .

يضطلعون فيه. ويتحدث العهد القديم عن نوعين من الملابس كان يرتديها الكهنة، **النوع الأول**، هي الملابس التي صُممت لكبير الكهنة، **والنوع الثاني**، هي تلك الملابس المتواضعة مقارنة مع الأولى، والتي صُممت للكهنة ذوي المراتب الكهنوتية الأدنى، الذين يقومون بالخدمة المقدسة.

ملابس كبير الكهنة: وتتكون طبقاً لتعاليم العهد القديم من **(صُدْرَة، وأفُود، وجُبَّة، وقميص مُطَرَّز، وسروال، وعِمامَة، وحِزام)**[١].

الأفود: (אפוד)[٢] هو الاسم العبري للرداء الذي يرتديه رئيس الكهنة، وكان يُصنع من أقمشة ثمينة جداً مرصعة بالجواهر، وقد نقشت على الجواهر أسماء أسباط بني إسرائيل الاثنى عشر[٣]، ويرمز هذا النقش إلى أن رئيس الكهنة يحمل مسؤولية كل المجتمع اليهودي[٤]، وقد ذكر العهد القديم في سفر الخروج المواد التي التي يصنع منها هذا الافود وهي **(ذهب ونسيج بنفسجي وأرجواني وقرمزي اللون وكتان مبروم)**[٥]، وكان هذا الرداء يصل بين الثديين إلى الفخذين، ويثبت بواسطة شريطين موصولين لتعليقه على الكتفين، ويشد إلى الوسط بواسطة زنار (حزام) مصنوع من ذهب وقرمز وبوص مبروم[٦]، وكان من يتولى خياطة هذا الافود هو (نَسَّاج ماهر)، كما يصفه العهد القديم.

الصُدرة: وهي القطعة الثانية من ملابس رئيس الكهنة، وكانت تغطي منطقة الصدر، وتُصنع من نفس المواد التي يُصنع منها الافود، وكانت مربعة مثنية طولها شبر وعرضها شبر، ومرصعة بأربعة صفوف من الحجارة الكريمة المحاطة بذهب[٧]، وبعدد أسماء أسباط بني إسرائيل (إثني عشر حجراً). كما تصنع من أشياء

---

(١) – سفر الخروج/ ٢٨: ٤ .
(٢) – שגיב, כרך ראישון, עמ' 104.
(٣) – سفر الخروج/ ٢٨: ٩ .
(٤) – كامل، الكتب التاريخية، ص ٢١ .
(٥) – سفر الخروج/ ٢٨: ٦ .
(٦) – سفر الخروج/ ٣٩: ٢– ٥ ؛ دائرة المعارف الكتابية، حرف الثاء، مادة (ثوب) .
(٧) – سفر الخروج/ ٢٨: ١٥– ٢١ .

أشياء أخرى ذات أشكال معينة طبقاً للتعاليم التي وردت في العهد القديم[١]. وكانت تحتوي هذه الصدرة على حجري **(الأوريم والتميم)، أي (النور والحق)**، ولهذا عُرفت بصدرة القضاء، إذ كان رئيس الكهنة يستخدمهما بواسطة أساليب خاصة، معتقداً أنه يعرف قضاء الله بهما في أمر معين، يريد معرفة أرادة الله فيه[٢].

الجبة: وكانت تصنع من نسيج بنفسجي اللون، في وسطها فتحة للرأس، تحيط بها حاشية تُحاك كفتحة الدرع، وكانت تُصنع لأذيالها رُمانات من نسيج ذو ألوان زاهية مختلفة، كما يُصنع لها أجراساً من ذهب فيما بين الرمانات من حولها، لتصدر أصوات رنين، تنبأ بحضور رئيس الكهنة عند دخوله المقدس، وعند خروجه منه[٣]. أما بقية أجزاء ملابس رئيس الكهنة وهي **القميص المطرز أو المخرَّم، والسروال** فكانت تُصنع من كتان[٤]، و**الحزام** كان مطرز[٥] ومصنوع من الجلد أو الكتان. أما العمامة فكانت تُصنع أيضا من كتان، ويوضع عليها **التاج المقدس** المصنوع من ذهب خالص وكان منقوش عليه كنقش الخاتم: **مقدس للرب**، وكان هذا التاج يرمز إلى المسؤولية الكاملة التي يحملها رئيس الكهنة أمام الرب، فيما يخص تقديم القرابين المكرسة للرب من اليهود، فيحمل عاقبة أي قصور، ويبقى التاج المقدس على جبهته كعلامة لرضا الله عنهم[٦].

ملابس باقي الكهنة: وكانت تتكون من أقمصة ومناطق مصنوعة من كتان وسراويل من كتان، لستر العورة من الحقوين إلى الفخذين، وقلانس وعصائب من كتان، للدخول بها إلى خيمة الاجتماع، أو عند اقترابهم إلى المذبح للخدمة في القدس[٧]، وكان على الكهنة أن يخلعوا نعالهم عند دخولهم للقدس[٨].

---

(١) – لمعرفة بقية تفاصيل (صُدرة القضاء)، أنظر: سفر الخروج/ ٢٨: ١٧– ٢٩ .

(٢) – سفر الخروج/ ٢٨: ٣٠ ؛ دائرة المعارف الكتابية، حرف الثاء، مادة (ثوب)، (ثياب الكهنة) .

(٣) – سفر الخروج/ ٢٨: ٣١– ٣٥ .

(٤) – سفر الخروج/ ٢٨: ٣٩ ، ٤٢ .

(٥) – سفر الخروج/ ٢٨: ٣٩ .

(٦) – سفر الخروج/ ٢٨: ٣٦– ٣٩ .

(٧) – سفر الخروج/ ٢٨: ٤٠– ٤٣ .

(٨) – سفر الخروج/ ٣: ٥ ، ٢٩: ٢٠ ؛ سفر يشوع/ ٥: ١٥ .

ملابس الجنود:

ترفدنا بعض الرسوم واللوحات الأثرية بأدلة أكثر وضوحاً عن ملابس الجنود اليهود بالمقارنة مع أنواع الملابس الأخرى، ففي اللوحة المصورة للملك الآشوري سنحاريب عن حصاره واستيلاءه على مدينة لاكيش يلاحظ فيها أن الجنود اليهود يرتدون ثياب قصيرة لها كمان تمتد إلى حوالي(اثنين انج) فوق المرفق، كما كان الكثير من الرجال الذين يرتدون تلك الملابس هم حاسري الرأس[١].

كما يلاحظ من خلال نحت فني من المتحف البريطاني، أن الجنود اليهود الذين يحرسون المعاقل يلبسون خوذاً دقيقة الرؤوس، وهي تختلف عن خوذ الآشوريين المحاربين، بأنها ذات أهداب مزركشة تنزل إلى آذانهم، وفي رؤوس بعض الأسرى ما يشبه العمائم يتدلى طرفها الواحد إلى الكتف، والبعض الآخر منهم لا يوجد على رأسه غطاء أو عُمرة (حاسر الرأس)، وشعرهم قصير ولهم لحى، أما لباسهم فهو ثوب يبلغ الركبتين أو جلباب يكاد يبلغ الوركين، وعلى وسطهم زنار[٢]. وكانوا يحتذون أخفافاً سهلة الخلع.

ملابس المناسبات

كان الاهتمام بالأعياد الدينية والمناسبات اليومية من أفراح الناس وعلاقاتهم مع بعضهم في المجتمع اليهودي القديم باعثاً رئيساً للعناية بالمظهر أو التعبير من خلاله عن مواقف الحزن والحداد، فضلا عما تفرضه الطقوس الدينية على اليهود من التزامات شكلية، إذ لا يخفى أن اليهودية من أكثر الديانات التي ارتبطت بالمظاهر، إلى الدرجة التي أبتعدت فيها عن روح الديانة السماوية الحقة. فقد كان الكهنة يطلبون من الناس ويأكدون على أن تكون هناك ملابس خاصة بالسبت والأعياد الدينية ذات ألوان بيضاء وأخرى خاصة بالعمل، ولهذا اعتادوا في أعيادهم، كعيد رأس السنة ويوم الغفران أن يلبسوا الملابس البيضاء كرمز للمغفرة كما يقولون **(تبيض خطايانا كالثلج)**[٣]، وكانت هناك ملابس خاصة بالعرسان، ذات ألوان

---

(1)- Sasson, Jack, M.,op.cit. p. 641.

(٢) – غنيمة، نزهة المشتاق، ص ٥٠ .

(٣) – ברגמן, שם, עמ' 97- 98 .

بيضاء أيضاً[١]، وأحيانا مطرزة، مع ارتداء الحلي والمنطقة والبرقع، كما كان العريس يتزين بعمامة[٢]، وبشكل عام فقد كانت الملابس البيضاء للرجال، والملونة للنساء في مناسبات الأعياد والأفراح العامة أو الخاصة[٣].

أما ملابس الحزن أو الحداد فكانت المُسح، وتصنع عادة من شعر المعز الأسود اللون أو الوبر[٤]، وهي شبيهة برداء الأنبياء، كما كانت تلبس أحيانا على الجسد العاري، وتشد بحزام أو زنار[٥].

وكان المسح يُلبس علامة على الحزن على الموتى[٦] ،أو النوح بسبب كارثة شخصية أو قومية. وكان يُلبس أحياناً على البدن مباشرةً[٧]، وكثير جداً ما ورد ذكره في العهد القديم، فقد جاء في سفر أيوب (**لففت على جلدي مسحاً، ومرغت في التراب جبهتي)**[٨]. كما تم تخصيص ملابس حسب فصول السنة وطبيعة الجو، فكانت هناك ملابس للشتاء وأخرى للصيف.

ثالثاً: الأعياد والمناسبات

العيد اليهودي هو يوم أو سلسلة من الأيام يحتفل[٩] بها اليهود كمناسبة دينية دينية أو دنيوية لحدث هام في التاريخ اليهودي. ويدعى العيد اليهودي في العبرية يوم توف(יום טוב) اليوم الجيد أو الصالح، أو حاگك (חג) مهرجان، وجمعها (حاگيم) أو تاعنيت (תענית) احتفال[١٠]. ويقابل هذه الكلمات أيضاً موعيد (מועיד)

---

[١] – שם, עמ' 102.

[٢] – سفر المزامير/ ٤٥: ١٣، ١٤ ؛ سفر اشعيا/ ٦١: ١٠ ؛ سفر إرميا/ ٣: ٣٢ ؛ سفر التكوين/ ٢٤: ٦٥.

[٣] – ברגמן, שם, עמ' 97 .

[٤] – קוגמן,שם, עמ' 976 .

[٥] – سفر التكوين/٣٧: ٣٤ ؛ سفر صموئيل الثاني/٣ : ٣١ ؛ سفر الملوك الأول/٢١ : ٢٧.

[٦] – سفر التكوين/ ٣٧: ٣٤ ؛ سفر صموئيل الثاني/ ٣: ٣١.

[٧] – سفر الملوك الثاني/ ٦: ٣ ؛ سفر أيوب/ ١٦: ١٥ .

[٨] – سفر أيوب/ ١: ٢٠ .

[٩] – يضم الاحتفال بأي عيد يهودي ثلاثة عناصر، **أولاً:** المرح الذي يأخذ شكل المأدبات الاحتفالية باستثناء (يوم الغفران) والامتناع عن العمل في الأعياد المهمة. **ثانيا:** الأدعية والابتهالات التي تضاف إلى الصلاة، **ثالثاً:** طقوس احتفالية خاصة مثل أكل خبز الفطير في عيد الفصح، وإيقاد الشموع في عيد التدشين، وزرع الأشجار في عيد رأس السنة. أنظر: المسيري، موسوعة اليهود، ج٥، ص ٣٩٥ .

[10] - ar.wikipedia.org/wiki/-أعياد_يهودية

وجمعها (موعاديم)، وهذه الكلمة أكثر اتساعا في معناها من كلمة(حاگيم) لأنها تشمل الدلالة على كل الأعياد بينما تستخدم كلمة(حاگيم) للإشارة إلى عيد الفصح وعيد الأسابيع وعيد المضال (أعياد الحج الثلاثة)[١]، التي تعد من أهم الأعياد عند اليهود، إذ حرصت الشريعة اليهودية على الاحتفاظ بها حتى إبان الأسر البابلي، ولأن غالبية الأعياد اليهودية كانت تتصل بأحداث تاريخية استمدت مناسباتها منها، فقد أُضيفت أعياد أخرى بعد العودة من ذلك الأسر، عبرت عن الأحوال السياسية والظروف الاجتماعية التي كان يمر بها المجتمع اليهودي القديم، وكل هذه الأعياد متصلة بالعقيدة اليهودية.

أما أعيادهم في المراحل التاريخية التي سبقت اعتناقهم لديانة التوحيد أو التي سبقت ديانتهم اليهودية، وهي المراحل التي اقترنت بالمعبودات الوثنية فلم يصلنا عنها شيء، إلا ما يتعلق ببعض المناسبات في حياتهم اليومية، كالزواج والحزن على الموتى، وجز الأغنام وغيرها[٢]. ولهذا فأن حياة اليهود عندما كانوا رعاة ثم حياتهم وهم مزارعون، قد حددت فضلاً عن الإطار الخاص بوتيرة مجرى النجوم، أعياداً تتجه نحو الاختلاط بالأعياد السابقة، فبمناسبة الفصح، العيد الرعوي الواقع في الربيع، كان يجري تقديم أبكار القطيع. وأما فلاحة الأرض فكانت سبباً لنشأة ثلاثة أعياد كبرى سنوية هي: عيد الفطير في فصل الربيع، وعيد حصاد الغلال أو الأسابيع في الصيف، وعيد المحصول أو جني العنب في الخريف، وقد ضم عيد الفصح إلى عيد الفطر، وسمي عيد المحصول بعيد المضال، ولذلك نجد أن بعض طقوس الأعياد لا يمكن فهمها إلا بالنظر إلى علاقتها بعمل الرعي أو الزراعة[٣]، إذ إذ أن الأعياد الدينية الرئيسة عند اليهود قد ارتبطت بالمواسم والتقويم الزراعي في أرض كنعان، كما أنها تعود إلى أصول كنعانية، فقد كان الكنعانيون يحتفلون منذ

---

[١] – المسيري، موسوعة، ج٥ ، ص ٣٩٥ .

[٢] – علي، فؤاد حسنين، اليهودية واليهودية المسيحية، (القاهرة: معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٦٨)، ص ص ٦٢ .

[٣] – باسيم، معجم اللاهوت، ص ٥٨٠ .

مرحلة قديمة في كنعان بعيد الربيع، وبعيد الحصاد، وقطف الثمار سيما الكروم، نظراً لاهتمامهم بالزراعة التي كانت تشكل المصدر الرئيس لعبادتهم[١].

ولعله من الأفضل، قبل الحديث عن التفاصيل التاريخية للأعياد اليهودية، أن نشير إلى التقويم العبري، وذلك لارتباط هذه الأعياد به.

التقويم العبري:

اعتمدت شعوب الشرق الأدنى القديم على الأفلاك لتحديد الزمن وتقسيمه[٢]، فالمصريون كانوا يؤلهون الشمس، ويرصدون حركتها ويجعلون مدار السنة مرتباً مع دورتها، وكانوا يحتفلون بالفصول الأربعة. والبابليون والآشوريون، وكذلك الكنعانيون والآراميون والعرب[٣]، كانوا يعرفون دقائق حركة الشمس والقمر، ودوران الكواكب على مر الأيام، ينظمون بذلك نشاطهم في الزراعة وانتجاع المراعي والسفر للتجارة، فحذا العبريون حذوهم، واهتموا بالتاريخ والتقويم[٤].

ويبدو من خلال الأخبار الواردة في أسفار العهد القديم[٥] أن اليهود في فلسطين قد استخدموا خلال الألف الأول قبل الميلاد عدة أنواع من التقاويم، جميعها مقتبسة من الشعوب التي أقاموا بين ظهرانيها أو حلّوا بجوارها، سيما البابليين والكنعانيين سكان البلاد القدماء، الذين كانوا يفوقونهم حضارة ورقيا. حتى أن هناك ثمة أشارة في سفر الملوك الأول، إلى أن يربعام ملك المملكة الشمالية (٩٣٢- ٩١١ ق.م.) اتّبع تقويماً مغايراً للتقويم المتبع في المملكة الجنوبية، وكذلك أمتد هذا

---

(١) – دوسو، رنيه، الديانات السورية القديمة: ديانات الحيثيين والحوريين والفينيقيين والسوريين (الآراميين) ترجمة: موسى ديب الخوري، ط١،(دمشق،: الأبجدية للنشر، ١٩٩٦)، ص ٥٦ .

(٢) – علي، إسرائيل عبر، ج١، ص ١٤٠ .

(٣) – جاء في القرآن الكريم {يَسْأَلُونَكَ عَنْ الأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ}، **سورة البقرة، الآية: ١٨٩** .

(٤) – ظاظا، الفكر الديني، ص ١٩٤.

(٥) – سفر الخروج/ ١٢: ٢، ٢٣: ١٦، ٣٤: ٢٢ ؛ سفر اللاويين/ ٢٣: ٢٤ ؛ سفر العدد/ ٢٩: ١ ؛ سفر المكابيين الأول/ ١٣: ٤٢ .

الاختلاف إلى الفرق الدينية اليهودية، فكان السامريون يتبعون تقويم المملكة الشمالية[١]، وكان للصدوقيين تقويما خاصا بهم[٢].

وبشكل عام فقد كان اليهود يتبعون دورة القمر في حساب الشهور، ودورة الشمس في حساب السنين، ولذلك كان لزاماً عليهم، حتى يتطابق الحسابان القمري والشمسي أن يكون هناك نسيء يكمل الفرق بين السنة الشمسية والسنة القمرية، التي تقل بنحو عشرة أيام، وذلك بإضافة شهر كل ثلاث سنين، بحيث تكون سنتهم الكبيسة التي تأتي مرة كل ثلاثة أعوام، مؤلفة من ثلاثة عشر شهراً[٣]، وهذا الشهر الذي يُقحم على السنة، يأتي بعد آذار اليهودي، ويسمى (آدار شني)، אדר שני، أي آذار الثاني ويكون في أواخر فبراير أو مارس، وهكذا يكون في السنة الكبيسة شهران هما (آذار)، و(آذار الثاني)[٤].

وما دمنا بصدد الحديث عن الأشهر العبرية نرى من الأهمية بمكان أن نذكر أسماءها بحسب ترتيبها القديم الذي كان مستخدم عند اليهود في أولى مراحل استقرارهم في فلسطين، إذ كانوا يجعلون بداية سنتهم في فصل الربيع، أي في شهر نيسان، وهي عادة قديمة مصدرها الأهمية الخاصة لهذا الشهر، ففيه خرج النبي موسى(عليه السلام) بقومه من مصر، وهو أيضا الشهر الذي يقع فيه أهم أعيادهم (عيد الفصح)، وهو أول الأعياد طبقاً للتقويم الديني، وهو كذلك عيد الربيع[٥]. وشهور السنة العبرية بحسب التقويم القديم هي:

---

[١] – يقوم التقويم السامري في المملكة الشمالية على النقيض من التقويم اليهودي في المملكة الجنوبية، على الرغم من قيامهما على نظام شمس قمري، لكن الترابط بين الشمس والقمر في التقويم اليهودي يعتمد على الرؤية (ملاحظة القمر)، بينما يعتمد الترابط بين الشمس والقمر في التقويم السامري على الجداول الحسابية. أنظر: راشد، السامريون، ص ١٧٧ وما بعدها .

[٢] – المسيري، موسوعة اليهود، ج٥، ص ٣٨٧ .

[٣] – مهران، بنو اسرائيل، ج٤، ص ٥٢٥ .

[٤] – المسيري، موسوعة اليهود، ج٥، ص ٣٨٨ .

[٥] – ظاظا، الفكر الديني، ص ١٩٦.

الشهر الأول: شهر أبيب(نيسان- ابريل)، وأبيب אביב تسمية عبرية قديمة، بينما نيسان من الكلمة الأكدية (نيسانو)، وهو أول شهور التقويم الديني اليهودي، وسابع شهور التقويم المدني، ويتكون من (٣٠) يوم .

الشهر الثاني: شهر زيف (آيار- مايو)، وأسم (زيف) זיו يعني الروعة أو الجلال، باعتبار أن الربيع يصل قمة ازدهاره في هذا الشهر، وهو ثاني شهور التقويم الديني اليهودي، وثامن شهور التقويم المدني، ويتكون من (٢٩) يوم.

الشهر الثالث: شهر سيڤان أو سيوان סיון(حزيران- يونيه)، وسيوان من الكلمة الأكدية (سيمانو)، وقد سُمَّي بأسم الإله السامي للقمر الإله سين، وهو ثالث شهور التقويم الديني اليهودي، وتاسع شهور التقويم المدني، ويتألف من (٣٠) يوم.

الشهر الرابع: شهر تموز תמוז (تموز- يوليه)، من الكلمة الآشورية (دوزو) أو (دوموزي) أي الإله تموز، وهو رابع شهور التقويم الديني اليهودي، وعاشر شهور التقويم المدني، ويتكون من (٢٩) يوم[١].

الشهر الخامس: شهر آب אב (آب - أغسطس)، أو آڤ وهو من الكلمة الأكدية (أبو)، خامس شهور التقويم الديني اليهودي، والشهر الحادي عشر في التقويم المدني، ويتكون من (٣٠) يوم.

الشهر السادس: شهر أيلول، אלול(أيلول- سبتمبر)، من الكلمة الأكدية (إيلولو) وهو سادس شهور التقويم الديني اليهودي، والشهر الثاني عشر في التقويم المدني، ويتكون من (٢٩) يوم[٢].

الشهر السابع: شهر إثانيم אתנים أو(تشري)، תשרי(تشرين أول- أكتوبر)، كلمة مشتقة من اللفظ الأكدي (تشرينو) وتعني(البداية)، وهو الشهر السابع في التقويم الديني اليهودي، وأول شهر في التقويم المدني، ويتكون من (٣٠) يوم.

الشهر الثامن: شهر پول בול (تسمية عبرية قديمة)، أو حشڤان חשואן(تشرين ثاني- نوفمبر) وهو اختصار لكلمة מרחשון (مرحشڤان) وهي عبارة

---

[١] – المسيري، موسوعة اليهود، ج٥، ص ٣٩٢- ٣٩٣ .

[٢] – المصدر نفسه، ص ٣٩٤.

بابلية تعني (الشهر الثامن)، وحشڤان هو الشهر الثامن في التقويم الديني اليهودي، وثاني شهور التقويم المدني، وعدد أيامه (٢٩ أو ٣٠).

الشهر التاسع: شهر كسليڤ أو كسليو כסליו (كانون أول- ديسمبر)، من الكلمة الأكدية (كسليمو) وهو تاسع شهور التقويم الديني اليهودي، وثالث شهور التقويم المدني ويتكون من (٢٩ أو ٣٠) يوم.

الشهر العاشر: شهر طيبيت أو تيڤت טיבית(كانون ثاني- يناير)، من الكلمة الأكدية (تبيتو) وهو عاشر شهور التقويم الديني اليهودي، ورابع شهور التقويم المدني، ويتكون من (٢٩) يوم.

الشهر الحادي عشر: شهر شباط أو شفاط שבט (شباط- فبراير)، من الكلمة الأكدية (شفاطو) وهو الشهر الحادي عشر في التقويم الديني اليهودي، وخامس شهور التقويم المدني، ويتكون من (٣٠) يوم[١] .

الشهر الثاني عشر: شهر آدار אדר(آذار- مارس) [٢]، من الكلمة الأكدية (أدارو)، وهو الشهر الثاني عشر في التقويم الديني اليهودي، وسادس شهور التقويم المدني، ويتكون من (٢٩) يوم. وفي السنة الكبيسة[٣] يكون هناك **شهر ثالث عشر**(آذار الثاني) وهو يتلو آذار كل ثالث سنة.

وهنا نجد أن العادة جرت عند اليهود عندما يسردون أسماء الشهور أن يبدأوا بنيسان وهو الشهر السابع، لا بتشري (إيثانيم)، الشهر الأول حسب الترتيب القمري لشهور السنة العبرية، التي هي كالآتي: (إيثانيم - بول- كسلو- طيبيت- شباط- آذار- أبيب- زيو- سيوان- تموز- آب - أيلول).

---

[١] - المسيري، موسوعة اليهود، ج٥،، ص ٣٩١ .

[٢] - كامل، الكتب التاريخية، ص ٣٢.

[٣] - في التقويم اليهودي المعاصر تحدد السنوات الكبيسة وفقا لحساب تطور في مدينة بابل القديمة، هذا الحساب يعتمد على اكتشاف الفلكيين البابليين، أن في ١٩ سنة شمسية هناك ٢٣٥ شهرا قمريا، لذلك يجب إضافة ٧ أشهر لكل دورة من ١٩ سنة، أي ٧ سنوات كبيسة من ١٩ سنة. السنوات الكبيسة هي الثالثة، السادسة، الثامنة، الحادية عشرة، الرابعة عشرة، السابعة عشرة والتاسعة عشرة من كل دورة. أنظر: المسيري، موسوعة اليهود، ج٥، ص ٣٨٨ .

ويـرى بعـض البـاحثين أن مـرد هـذا الاخـتلاف يرجـع إلـى وجـود سـنتان مختلفتـان، أحداهما مدنيـة أو سياسية، وهـي الأصـل عنـدهم، والثانيـة دينيـة. وينطبق التقويم الـذي يبدأ بشهر نيسان (أبيب) علـى السنة الدينية (تقويم دينـي)، أمـا التقويم الذي يبدأ بشهر (إيثانيم– تشري) فينطبق على السنة السياسية (تقويم مدني)[1]، ويتم فيه حساب السنة السبتية، وسنة اليوبيل، ويُحدد في الأول من تشري (إيثانيم)، بينما يتم تحديد الأعياد وحكم الملوك في السنة الدينية (تقويم دينـي)، ويكون في الأول من نيسان[2].

تتحـدث المشـناة بالإضـافة إلـى هـاتين السـنتان عـن سـنتين أخـريين، يـتم فـي أحداهن دفع عشور الماشية ويكون ذلك في الأول من أيلول، ويتم في السنة الأخرى غرس الأشجار ويكون ذلك في أول أو منتصف شباط[3].

أمـا الأعيـاد التـي سنعرضـها هنـا فهـي قسـمين: أعيـاد جـاء ذكرهـا فـي العهـد القـديم، فـي سـفري اللاويـين والتثنيـة، وهـي عيـد الفصـح، وعيـد الحصـاد أو (عيـد الأسـابيع)، وعيـد المضـال أو (عيـد العنـب)، وهـذه الأعيـاد هـي أكثـر قداسـة عنـد اليهود، والقسم الآخر هـي الأعيـاد التـي ظهرت مـا بعد الأسر البـابلي، وهـي عيد البوريم، وعيد تدشين المذبح (يوم حانوخا).

يواجـه الباحث صعوبات جمة في متابعة نشوء وتطور القسم الأول من هذه الأعياد ومعرفة أصولها، وذلك لأن هذه الأعياد بأنواعها قد أرتبطت بـالفكر الـديني لـدى العبـرانيين، وأصـبحت أحـدى العناصـر الرئيسـة المكونـة لـديانتهم فـي مختلـف مراحلهم التاريخية، وبما أنـه لم يتم معرفة أقدم مرحلة للدين عند العبريين فقد أصبح من الصعوبة على الباحث، أن لم يكن مستحيلاً، أن يضع عنصر الأعياد في مكانه الصحيح من عملية تطور ذلك الدين، ومن ثم معرفة أسباب ظهورها ومدى ارتباطها بالأعياد والمناسبات القديمة. ولكن عزاء الباحث في مثل تلك الحـالات هو وجود بعض الخيـوط التـي توصـله إلـى معرفـة تفسيرات عامـة لنشوء هذه الأعيـاد تـرتبط

[1] – كامل، الكتب التاريخية، ص ٣١.

[2] – المسيري، موسوعة اليهود، ج٥، ص ٣٨٧ .

[3] – نفس المصدر، نفس الصفحة.

بالمراحل التاريخية لتطور المجتمع اليهودي، إذ أن دخول العبريين فلسطين، كما تم بيانه، كان بمثابة نقطة تحول في تاريخ النظام الديني اليهودي، فتحولهم من حياة البداوة والرعي إلى الحياة الزراعية المستقرة يفسر لنا نشوء بعض الأعياد التي ترتبط بالعمل الزراعي، ويكشف بعض أسرار الأعياد القديمة التي أقترنت بالعمل الرعوي. ويبدو أن هذه الأعياد قد تطورت مع تطور الديانة اليهودية خلال الألف الأول قبل الميلاد، ولهذا نجد أن هناك أعياد كان يحتفل بها العبرانيون في مرحلة البداوة والرعي قد اكتست بوشاح التطور بعد الدخول والاستقرار في فلسطين، وأخرى تم اقتباسها من الكنعانيين وأجري عليها بعض التعديلات بما ينسجم والديانة اليهودية وهي تتعلق بالنشاط الزراعي وهناك أعياد أخرى كانت تتعلق بالأحداث التاريخية التي تعرض لها اليهود من نكبات وكوارث ولاسيما بعد الأسر البابلي.

تتفق المصادر التاريخية على أن أقدم الأعياد عند العبريين هو **عيد ظهور الهلال**، وهذا العيد عرفه العبريون قبل تسللهم إلى بلاد كنعان، يحتفلون به بعد رؤية القمر الجديد كل شهر، ويبدو أنه كان استمراراً لأحد أعياد القمر الوثنية، وقد أتخذ هذا العيد شكلاً آخر بعد الاستقرار في فلسطين، فكان اليهود يمتنعون عن العمل في هذا اليوم ويذهبون إلى الهيكل[1]، ويقوم الكهنة بالنفخ في أبواقٍ من فضة، فيكون ذلك إيذاناً للمجتمع اليهودي لممارسة بعض الطقوس أهمها تقديم الذبائح، وفي هذا يقول العهد القديم[2]، **(وفي رؤوس شهوركم تقربون محرقة الرب، ثورين أبني بقر، وكبشاً واحداً، وسبعة خراف حولية صحيحة)**[3].

وفي عصور متأخرة أُعتبر الهلال كوسيلة لتوقيت عيد **(يهوه)**، وفي يوم ظهور الهلال كانت عادة ما تقام وليمة في قصر الملك، كما كانت العائلات والبطون والأسباط تختار هذا اليوم لاجتماعها[4].

---

[1] – المسيري، موسوعة اليهود، ج٥، ص ٤١٩ .

[2] – سفر العدد/ ١٠: ١ ؛ مهران، بنو إسرائيل، ج٤، ص ٥٤٣ .

[3] – سفر العدد/ ٢٨: ١١– ١٥ .

[4] – علي، اليهودية، ص ٦٣ .

كما أن **عيد الفصح**، وهو من بين أهم أعياد المجتمع اليهودي، قد مر بطور وثني، فالمجتمع اليهودي في مرحلة البداوة لم يستطع متابعة طقوس دائمة منتظمة، وإنما كان يحتفل بالأحداث الكبيرة في حياته الرعوية، ولعل تقديم قرابين الحملان في الربيع أقدم هذه الاحتفالات[١]. وتمثل الطقوس التي كانت متبعة عند العبريين قبل تغلغلهم إلى فلسطين شكل هذا العيد، إذ كانت ذبيحة القربان التي لا تتجاوز العام تمثل باكورة قطيع الراعي من الغنم والماعز، يقدمها قرباناً إلى القمر، وهو من آلهة الخصب، ليبارك قطيعه ويكفل تكاثره في العام التالي، واختيرت الذبيحة ذكراً لا أنثى، لأن ذبح الأنثى التي تعطي نسلا، يتعارض وفكرة التكاثر المرجوة، ويقدم الراعي الذبيحة إلى إله القمر ليلة البدر حين يكون في أوج مجده، فوليمة الفصح كانت وليمة قربان مقدم إلى إله القمر، والمشتركون فيها من أهل البيت، هم ضيوف على الإله صاحب القربان، يشاركونه في طعامه، ويجددون بذلك ما بينه وبينهم من عهد، وما داموا يأكلون في حضرة القمر فلا بد أن يفرغوا من الأكل قبل أن يحتجب، ولهذا يأكلون على عجل لكي يأتوا على الذبيحة قبل أن يأتي الصباح، وإن بقي منها شيء فيُحرق بالنار، لأنه طعام مقدس لا يجوز أن يصيبه الفساد، ولا يجوز كسر عظم من عظام الذبيحة عند أكلها حتى لا يكون ذلك نذيراً بكسر أو ضرر يصيب القطيع خلال العام الجديد، وإنما يجب أن يبقى هيكل الذبيحة سليماً عند الأكل كما حُفظ سليماً حينما شويَ بتمامه على النار، وعدم كسر العظام أو قطع الرأس يرمز إلى الوحدة التي تؤلف بين المشتركين في الوليمة، ويؤكل فطير مع اللحم، أي لا يؤكل خمير، لأن الاختمار ضرب من التعفن والفساد لا يجوز في هذه الوليمة المقدسة، هذا إلى أن خبز الرعاة هو في العادة بدون خمير لتنقلهم الدائم من مرعى إلى مرعى، وتؤكل مع اللحم أيضاً أعشاب مرة لطرد الأرواح الشريرة من البيت، هذا إلى أن الأعشاب المرة من نبات الصحراء[٢]، وطرد الأرواح الشريرة أو النجسة كان هو

---

[١] – موسكاتي، الحضارات السامية، ص ١٤٩.

[٢] – كامل، الكتب التاريخية، ص ٤٠ .

الغرض أيضا من تلطيخ الأعتاب وقوائم الأبواب بدم الذبائح بعد ذبحها عند الأبواب إبان إقامة بني إسرائيل في مصر [١].

ويبدو أن عيد الفصح كان نتيجة امتزاج عيدين قديمين: أولهما عيد أبيب(الربيع أو الاخضرار)، وهو عيد الاحتفال بالربيع على عادة الحضارات التي سادت الشرق الأدنى القديم، وقد كانت تصاحبه طقوس صاخبة احتفالاً بالخصوبة، وكان المحتفلون يقدمون أول أبكار الأرض إلى المعبد[٢].

أما العيد الآخر، فهو **عيد المتسوت** מצות، (الخبز غير اُلمخمَّر)، أو عيد الفطير، وهو عيد غير معروف الأصل وثمة إشارة في سفر الخروج تذكر أن خروج جماعة بني إسرائيل من مصر قد تزامن مع هذا العيد[٣]، أي أن الخروج كان بالصدفة أثناءه، وكانت العبادة الإسرائيلية القديمة تحرم استخدام الخميرة في الخبز في بعض أوقات السنة، وقد امتزجت طقوس العيدين السابقين مع عناصر أخرى من العبادة الإسرائيلية، والحضارات الوثنية التي عاش أعضاء جماعة بني إسرائيل بين ظهرانيها لتكوِّن طقوس عيد الفصح[٤].

عيد الفصح وصورته بعد الاستقرار في فلسطين

أصبح هذا العيد بعد استقرار اليهود في فلسطين، يحمل دلالات تاريخية تختلف عما كان يشير إليه من رموز دينية في عهود سابقة، ويتبين ذلك من خلال تفسير مصطلح هذا العيد، إذ فُسر أنه من الكلمة العبرية פסח[٥] (فَسْح أو بيساح): أي التجاوز أو العبور أو المرور)[٦]، نسبة إلى الرواية اليهودية التي تربطه بخروج بني إسرائيل من مصر، فتقول أن كلمة (فصح أو فَسْح) تعني عبور أو مرور ملك العذاب فوق منازل العبرانيين دون المساس بهم، ونسبة إلى عبور النبي موسى(عليه السلام) البحر ببني إسرائيل، وهذا هو المغزى التاريخي للعيد، أما المعنى الطبيعي للعيد

---

(١) – علي، اليهودية، ص ٦٤ .

(٢) – سفر الخروج/ ٢٣: ١٩ ؛ المسيري، موسوعة اليهود، ج٥، ص ٤٠٨ .

(٣) – سفر الخروج/ ٢٣: ١٥ .

(٤) – المسيري، موسوعة اليهود، ج٥، ص ٤٠٨ .

(٥) – שגיב , כרך שלישי, עמ' 1438 .

(٦) – المسيري، موسوعة اليهود، ج٥، ص٤٠٧ ؛ مهران، بنو إسرائيل، ج٤، ص ٥٢٧ .

والذي يرتبط بالبيئة الفلسطينية، فهو عيد الربيع عند اليهود، ويكون العبور هنا هو عبور الشتاء، وحلول الربيع محله[١].

وبتعبير آخر، فأن الاحتفال بهذا العيد هو بمناسبة ذكرى نجاة بني إسرائيل من العبودية في مصر ورحيلهم عنها، وهو في الوقت عينه احتفال بمجيء الربيع، وهكذا نجد أن ميلاد الشعب بالخروج من مصر وميلاد الطبيعة والكون شيئان متداخلان في الطقوس اليهودية.

ويتم الاحتفال بعيد الفصح ليلاً، وتنفرد ذبيحته بين كافة القرابين، بأنها تذبح مساءاً، ويقع هذا الاحتفال بين غروب الشمس وشروقها، وليلة الاحتفال هي ليلة البدر للشهر التالي للاعتدال الربيعي (الوقت الذي يتساوى فيه الليل والنهار والذي يقع في ٢١ مارس)، أي في ليلة الرابع عشر من شهر ابريل، أذن فهو احتفال يقام في مستهل الربيع، وله علاقة بالقمر[٢].

ويعقب الفصح مباشرة، سبعة أيام عيد الفطير الذي كان يسمى بالتبعية (الفصح) أيضاً[٣]، وهو تذكار للفطير الذي أكلوه في أيامهم الأولى بعد عبورهم البحر الأحمر من العجين الذي أخذوه معهم من مصر إذ كان لم يختمر[٤]. وكان كلا العيدين يرتبطان ارتباطاً وثيقاً بذكرى الخروج من مصر.

تنطبق شروط ذبيحة عيد الفصح، الذي كان يحتفل به العبريين قديماً، على ذبيحة الفصح في فلسطين، مع اختلاف العقيدة الدينية طبعاً، ومن هذه الشروط أن تكون ذكر من الغنم أو المعز، سليمة من العيوب، مضى عليها حول، تؤخذ في العاشر من الشهر، وتحفظ في البيت حتى الرابع عشر، فيذبحها رب الأسرة بين العشاءين عند باب البيت، ويوضع الدم في طست، وتؤخذ حزمة من الزوفا وتغمس في الدم لتلطخ به عتبة الباب العليا وقائمتاه، ثم تشوى الذبيحة بأكملها، ويأكلها أفراد الأسرة، ومن ينزل

---

[١] – السعدي، غازي، الأعياد والمناسبات والطقوس لدى اليهود، ط١،(عمان: دار الجيل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية، ١٩٩٤)، ص ١٥ .

[٢] – مهران، بنو إسرائيل، ج٤، ص ٥٣٠ .

[٣] – سفر التثنية/ ١٦: ٢ ؛ قاموس الكتاب المقدس، ص ٧٣٤.

[٤] – سفر الخروج/ ١٢: ٣٩ .

منـزلتهم مثـل العبـد المشـترى، والغريـب المقـيم إذا أختتنـا، وذلـك دون أن يكسـر منهـا عظماً[١].

وترجع الآيات التي تتناول الفصح[٢]، وما يتبعه من (عيد الفطير)[٣] إلى مصدرين مستقلين: الأول هو المصدر اليهوي، وهو مصدر قديم، والآخر هو المصدر الإليوهيمي، وهو مصـدر متـأخر مقارنـة بـالأول[٤]، ويشـتركان هـذان المصـدران فـي أمـرين جـوهريين، أولهما: أن الفصح احتفال عائلي، تقيمه كل أسرة داخل بيتها، ويشرف عليه رب الأسرة، وثانيهمـا أن الفصـح وعيـد الفطيـر منفصـلان، ومـدة عيـد الفطيـر سـبعة أيـام تعقـب ليلـة الفصـح[٥]، ويختلفـان فـي أن الأول يهـتم كثيـرا بمـا يعقـب الـذبح مـن تلطـيخ البـاب بـدم الذبيحة، بواسطة حزمة الزوفا، التي تغمس في الدم الذي في الطست، كما ينفرد بتحريم الخروج من البيت حتى الصباح، أما الثاني فيهتم بالتحديد الزمني للذبح[٦].

ولـم يسـتمر الاحتفـال بهـذا العيـد علـى وتيـرة واحـدة[٧]، بـل أخـذ يتطـور مـع تطـور العقيـدة والحيـاة الاجتماعيـة لليهـود، فبعـد الأسـر البـابلي، وحـين انفـرد معبـد أورشـليم بالقدسـية دون سائر المعابد الأخرى، أصبح الاحتفال بالفصح قاصراً على معبد أورشليم، ولما أخذ المعبد يضيق بالمحتفلين اقتصر على الذبح، أما الأكل فيتم في البيوت[٨].

عيد الحصاد:

---

[١] – كامل، الكتب التاريخية، ص ٣٩ .

[٢] – سفر الخروج/ ١٢: ١– ١٣ ، ٤٣– ٥٠ .

[٣] – سفر الخروج/ ١٢: ١٤– ٢٠ .

[٤] – مهران، بنو إسرائيل ، ج٤، ص ٥٢٨ .

[٥] – المصدر نفسه، نفس الصفحة.

[٦] – مهران، بنو إسرائيل ، ج٤، ص ٥٢٨ .

[٧] – بعد تدمير الهيكل على يد تيطس الروماني في (٧٠م.) عاد الفصح ليمارس في البيوت. ولم يعد هناك خروف للفصح، وإن كان السامريون مازالوا يحتفلون بذبح خروف على جبل جزريم. وفي البيت اليهودي الآن، يضـعون عظمـة مشوية علـى المائـدة تـذكاراً لخـروف الفصـح، ويضـعون معهـا بضـع أشـياء أخـرى رمزيـة مثـل: بيضـة مشوية رمزاً للتقدمـة النافلـة، وطبـق مـن المرق يسمونه(هاروشـة)، أشبه بـالطين الـذي كانوا يصنعون منه الطوب في مصر، وماء مالح يغمسون فيه المقدونس، وأعشاب مرة وفطير. ويجري البرنـامج كـالأتي: التقديس، غسل الأيدي، غمس المقدونس وتقسيمه، وقطـع قطعـة من الفطير ووضـعها جانباً لأكلها في نهاية العشاء، ثم قراءة ترنيمة الفصح، وهي قصيدة شعرية تحكي قصة الخروج. أنظر: دائرة المعارف الكتابية، مادة أعياد، (عيد الفصح) .

[٨] – علي، اليهودية، ص ٦٥ .

كان الحصاد يشكل فترة مقدسة فائقة الأهمية عند اليهود، سرعان ما أصطبغ بالعقيدة الدينية اليهودية، وأصبح أحد أهم أعياد الحج الثلاث، فكان جنباً إلى جنب مع عيد الفصح وعيد المضال[١].

يطلق على هذا العيد تسميات أخرى منها عيد (البواكير)، وعيد (الأسابيع) שבועות (شفوعوت) باللغة العبرية[٢]، والذي يُعد من أشهر هذه التسميات، وكان (عيد الأسابيع) أول العيدين الزراعيين عند اليهود احتفالا بإتمام حصاد الشعير الذي كان يبدأ حصاده عند تقديم الحزمة الأولى منه، وتسمى (حزمة التحريك)[٣]، **(عُدُّوا سبعة أسابيع من بدء حصاد الزرع، ثم عَيِّدوا عيد الحصاد للرب إلهكم)**[٤]، حيث يأتي هذا العيد بعد سبعة أسابيع من (عيد الفطير) ثاني أيام عيد الفصح وهي مدة حصاد الشعير ومن هنا جاءت تسميته، ومن ثم فقد كان عيد الفطير احتفالاً ببدء حصاد الشعير، وكان عيد الأسابيع احتفالاً بختام حصاد الحنطة[٥]، كما جاء في العهد القديم:**(عَيِّدوا عيد الحصاد حين تحصدون بواكير الحنطة)**[٦]، ومدة هذا العيد العيد يومان.

وكان يهود مصر الذين لا يعرفون العبرية يسمونه باليونانية (بنتيكوست) ويعني(الخمسين)، لأنه كان يقع بعد تسعة وأربعين يوم، أو بعد سبعة أسابيع من اليوم الذي يقدم فيه الفلاحون اليهود أولى ثمار الحصاد (بكوريم) مع رغيفين إلى الكهنة في الهيكل[٧].

كانت الصورة العامة للعيد، هي احتفال عائلي بالحصاد، ويكون هذا اليوم، يوم راحة: **(وفي ذلك اليوم ذاته تحتفلون احتفالاً مقدساً لكم، لا تعملون فيه عملاً**

---

[١] – المسيري، موسوعة اليهود، مج٥ ، ص ٤١٦.

[٢] – שגיב , כרך רבעי , עמ' 1726.

[٣] – سفر اللاويين/ ٢٣: ١٠– ١١ ؛ دائرة المعارف الكتابية، مادة أعياد، (عيد الخمسين) .

[٤] – سفر التثنية/ ١٦: ٩، ١٠ .

[٥] – مهران، بنو إسرائيل، ج٤، ص ٥٢٧ ؛ دوسو، الديانات السورية ص ٥٧ .

[٦] – سفر الخروج/ ٣٤: ٢٢ ؛ دائرة المعارف الكتابية، مادة أعياد، (عيد الخمسين) .

[٧] – المسيري، موسوعة اليهود، مج٥، ص ٤١٦ .

شاقاً)[١]، وكان على اليهود أن يذكروا عبوديتهم في ذلك اليوم وأن يكرسوا أنفسهم لعبادة الرب من جديد. ومن أهم مظاهر هذا العيد، تقديم رغيفين من عجين مختمرين ومملحين: **(فتأتون بخبز للتحريك أمام الرب، رغيفان من كل بيت...)**[٢]، كما يوضح العهد القديم ما كان يقدم مع الرغيفين: **(وتقربون مع الخبز سبعة خراف صحيحة حولية وثوراً واحداً ابن بقر وكبشين محرقة للرب مع تقدمتها وسكيبها وقود رائحة سرور للرب)**[٣]، كما كان العيد يوم بهجة وفرح، تُقدم فيه تقدمات تطوعية **(وتبرعوا بالعطاء، على قدر ما تسمح أيديكم، وبحسب بركته لكم، وأفرحوا أمام الرب إلهكم، أنتم وبنوكم وبناتكم وعبيدكم وجواريكم، واللاوي الذي في مُدُنكم، والغريب واليتيم والأرملة...)**[٤].

عيد المضال:

كان هذا العيد في الأصل عيداً زراعياً للحصاد، إذ يُحتفل فيه بتخزين المحاصيل الزراعية الغذائية للسنة كلها، ولذا يسمى بالعبرية، (חג האסיף)[٥] (حگك (حگك هاآسيف) أي (عيد الحصاد أو الجمع)[٦]، ومن ثم غلب عليه أسم المظال، (سكوت) סכות في اللغة العبرية.

وعيد المظال هو ثالث أعياد الحج عند اليهود إلى جانب عيد الفصح وعيد الأسابيع، ويبدأ في الخامس عشر من شهر تشري (أكتوبر) ومدته سبعة أيام، بعد عيد يوم الغفران، والمناسبة التاريخية لهذا العيد هي أحياء ذكرى خيمة السعف التي آوت العبرانيين في العراء أثناء الخروج من مصر[٧]، **(لكي تعلم أجيالكم أني في مظال أسكنت بني إسرائيل لما أخرجتهم من أرض مصر)**[٨]. ويتميز هذا العيد

---

[١] – سفر اللاويين/ ٢٣: ٢١ .

[٢] – سفر اللاويين/ ٢٣: ١٧ .

[٣] – سفر اللاويين/ ٢٣: ١٨ .

[٤] – سفر التثنية/ ١٦: ١٠، ١١ .

[٥] - שגיב , כרך ראישון, עמ' 100.

[٦] – المسيري، موسوعة اليهود، مج٥، ص٤٠٢ ؛ مهران، بنو إسرائيل، ج٤، ص ٥٣٤ .

[٧] – المسيري، موسوعة اليهود، نفس الصفحة ؛ سفر اللاويين/ ٢٣: ٤٣ .

[٨] – سفر اللاويين/ ٢٣: ٤٣ .

بمظاهر الفرح والبهجة، حيث كان اليهود يقيمون سبعة أيام في مظال، أو أكواخ من **(ثمار أشجار نضيرة وسعف النخل وأغصان أشجار كثيفة وصفصافا نهرياً)**[١].

ويتم الاحتفال[٢] بأن يأخذ اليهود النباتات الأربعة المشار إليها، فيمسكوا بالأغصان بيمناهم بعد ربطها بطريقة خاصة ويلوّحوا في كل اتجاه (شرقاً وغرباً، وإلى الجنوب والشمال، والأعلى والأسفل) رمزاً إلى أن الإله هو رب الطبيعة. ويؤخذ من تابوت لفائف الشريعة أحد الأسفار التي يتلو فيها القارئ، ويوضع على المنصة בימה (بيما)، فيدور المصلون حوله مرة واحدة، إلا أنه في اليوم الأخير تُؤخذ كل الأسفار فيدورون حولها سبع مرات. وبعد ذلك، يقيمون في أكواخ مصنوعة من أغصان الشجر في الخلاء تُدعى סוכה (سوكا)، ولا بد أن يصنع اليهودي هذه الأكواخ بنفسه، أو على الأقل يشارك في صنعها[٣]. وإذا كان العيد في السنة السابعة، وهي (سنة الإبراء) كان يجب قراءة (التوراة) على مسامع اليهود[٤]، وهو ما فعله عزرا في عيد المظال، **(فأتى عزرا الكاتب بالشريعة أمام الجماعة من الرجال والنساء وكل فاهم ... وقرأ فيه من الصباح إلى نصف النهار ... وكانت آذان كل الشعب نحو سفر الشريعة)**[٥].

وكان عدد الذبائح التي تقدم في هذا العيد أكثر منها في عيد آخر، إذ كان يبلغ عددها(١٨٩) ذبيحة في خلال الأيام السبعة[٦]، وكان اليوم الثامن يعتبر عطلة عطلة مقدسة، وهو يوم اعتكاف لا يعملون فيه[٧].

---

(١) – سفر اللاويين/ ٢٣: ٤٠ .

(٢) – كما هو الحال مع الأعياد الأخرى، فقد أضيف الكثير من الطقوس شيئاً فشيئاً إلى رسوم أو فعاليات ذلك العيد، وهذا ما عُرف من كتابات المؤرخ اليهودي (يوسيفوس)، ومن التلمود، وكان أهمها (الاحتفال بجلب الماء)، حيث كان أحد الكهنة يذهب بجرة ذهبية إلى بركة سلوان ويملأ الجرة من مائها ويعود بها إلى الهيكل وسط هتافات حشد من اليهود، ثم يصب الماء في حوض بجوار المذبح . أنظر: دائرة المعارف الكتابية، مادة أعياد، (عيد المظال) .

(٣) – المسيري، موسوعة اليهود، مج٥، ص ٤٠٢ .

(٤) – سفر التثنية/ ٣١: ١٠– ١٣ .

(٥) – سفر نحميا/ ٨: ١– ٣ ؛ دائرة المعارف الكتابية، مادة أعياد، (عيد المظال).

(٦) – سفر العدد/ ٢٩: ١٢– ٤٠ ؛ دائرة المعارف الكتابية، مادة أعياد، (عيد المظال).

(٧) – سفر العدد/ ٢٩: ٣٥ .

عيد السبت:

كلمة السبت في اللغة العبرية، שבת (شبّات)، وهي مشتقة من كلمة (شبتو) البابلية التي كان يستخدمها البابليون إلى الإشارة إلى أيام الصوم والدعاء، والى مهرجان القمر المكتمل (البدر)[١]. إذ كانوا هؤلاء يحفظون اليوم السابع والرابع عشر والحادي والعشرين والثامن والعشرين من كل شهر، مهما كان اسم اليوم، وكانت شرائعهم تقول أن الملك لا يأكل اللحم المطبوخ على الفحم في هذه الأيام، ولا يغير ثياب جسده، ولا يلبس ثيابا نظيفة، ولا يقدم ذبيحة، ولا يركب في عربة، ولا يتكلم في قضية، ولا يجوز للرائي في هذه الأيام أن يقدم للناس ما يرى، ولا يجوز للطبيب أن يضع يده على جسد إنسان، وعند المساء يأتي الملك بتقدماته للآلهة[٢]. أما عند اليهود فقد كان مفهوم السبت مفهوماً دينياً، أخذ يتطور مع تطور عقيدتهم الدينية، ففي البدء كان اليهودي يترك أشغاله حتى يستريح، وذلك تذكاراً لليوم السابع من الخليقة[٣] **(وبارك الله اليوم السابع وقدسه، لأنه استراح فيه من جميع ما عمل كخالق)**[٤]. ولهذا فقد ترسخ يوم السبت في العقيدة اليهودية، وأصبح يوم راحة، وعيداَ أسبوعياً، يبدأ الاحتفال به غروب شمس يوم الجمعة، حتى غروب يوم السبت ويحرم فيه العمل[٥]

وقد أطلق اليهود على يوم السبت عدداً من الأسماء[٦]، اقتبسوها من العهد القديم، ومن ثم تداولوها واستخدموها فيما بينهم، منها:

١- السبت،שבת (شبّات)، وهو أسم يتصل بالفعل שבת (شاڤت)، الذي يعني استراح وأنقطع عن العمل.

---

(١) – المسيري، موسوعة اليهود، مج٥، ص ٣٢٠ .

(٢) – قاموس الكتاب المقدس، ص ٤٩٣ .

(٣) – قاموس الكتاب المقدس، ص ٤٩٣ .

(٤) – سفر التكوين/ ٢: ٣ .

(٥) – الهواري، محمد، السبت والجمعة في اليهودية والإسلام، ط١، (القاهرة: دار الهاني للطباعة والنشر، ١٩٨٨)، ص ٩ .

(٦) – وهناك أسماء أخرى أطلقها اليهود على يوم السبت في فترات لاحقة عكست تطور العقيدة الدينية اليهودية من جهة، وعبرت عن الأحوال والظروف الاجتماعية والسياسية للمجتمع اليهودي من جهة أخرى، ومن أهمها: سبت السلام، שבת שלום (شبات شالوم)، وكذلك السبت الملكة، שבת המלכה (شبات هاملخا) . أنظر: المصدر نفسه، ص ١٣– ١٥.

٢- اليوم السابع، היום השביעי (هايوم هشڤيعي).

٣- سبت راحة، שבת מנוחה (شبّات منوحا).

٤- السبت المقدس، שבת קדש (شبّات قودش)[١].

عبرت هذه الأسماء المختلفة عن الأسباب التي من أجلها كان للسبت هذه المكانة في الوجدان اليهودي، إذ يلاحظ تشابك ثلاثة مفاهيم في هذا الخصوص: مفهوم الخلق، والمفهوم الاجتماعي، ومفهوم التحرر من العبودية بخروج بني إسرائيل من مصر.

كما جاء في الوصايا العشر ما يبين مدى قدسية هذا اليوم، إذ أنه الوحيد الذي ذُكر من بين العطل اليهودية في هذه الوصايا**(لأن الرب في ستة أيام خلق السماوات والأرض والبحر وجميع ما فيها، وفي اليوم السابع استراح، ولذلك بارك الرب يوم السبت وكرسه له)**[٢]. ولهذا فقد أوصت أسفار العهد القديم مجتمعة بيوم السبت، وحتمت التفرغ تماماً عن العمل في هذا اليوم، **(حافظوا على السبت، لأنه مكرس لي، ومن دنسه يُقتل قتلاً. كل من يعمل فيه عملاً ينقطع من شعبه، في ستة أيام تعمل، وفي اليوم السابع سبت عطلة مقدس للرب. كل من عمل عملاً في يوم السبت يُقتل قتلاً)**[٣].

كما جسد الأنبياء أهمية الراحة في يوم السبت وجعلوه مصدراً للروحانيات[٤]، وبهذا فقد ترسخ المفهوم الاجتماعي في قلب اليهودي من خلال تلك المشاعر والأحاسيس الدافئة التي تمثلت في هذا اليوم في إحساسه القوي بالمشاركة الجماعية، وحثه على البر والإحسان، والميل إلى فعل الخير، وحماية الضعفاء والفقراء والمظلومين والمضطهدين والمستعبدين، والسعي إلى العدالة الاجتماعية، فحسب وصية السبت، اعتبر اليهودي نفسه مسؤولاً عن راحة الآخرين في يوم عطلته، فقد

---

(١) – المصدر نفسه، ص ١١- ١٣ .

(٢) – سفر الخروج/ ٢٠: ١١ .

(٣) – سفر الخروج/، ٣١: ١٤- ١٦ .

(٤) – شلبي، اليهودية، ج١، ص ٣٠٤.

حثته على التفكير في خادمه وأمته، والغريب، والأرملة، واليتيم[١]. إذ ورد في العهد القديم: **(وأما اليوم السابع ففيه تستريح لكي يستريح ثورك وحمارك، ويتنفس ابن أمتك والغريب)**[٢]، وفي فقرة أخرى **(وأما اليوم السابع فسبت للرب إلهك لا تعمل فيه عملاً ما، أنت وأبنك، وأبنتك، وعبدك، وأمتك، وثورك، وحمارك، وكل بهائمك ونزيلك الذي في بيتك، لكي يستريح عبدك وأمتك مثلك)**[٣].

ويرتبط هذا المفهوم الاجتماعي ارتباطا شديدا بمفهوم الخلاص والتحرر من العبودية بخروج بني إسرائيل من مصر، فكما تحرروا وتخلصوا من أعباء العمل الجائر طوال تلك الأيام التي قضوها في مصر، فرض السبت حتى يكون (راحة) لجميع المضطهدين والمظلومين منهم، وحتى يتحرر الجميع في هذا اليوم من كل قيد[٤]. **(وأذكر أنك كنت عبدا في أرض مصر، فأخرجك الرب إلهك من هناك بيد شديدة وذراع ممدودة، لأجل ذلك أوصاك الرب إلهك أن تحفظ يوم السبت)**[٥].

عيد يوم الغفران:

يسمى هذا العيد في اللغة العبرية יום – כיפור (يوم كيپور)، وكلمة كيپور من أصل بابلي ومعناها (يطهر)، والترجمة الحرفية للعبارة العبرية هي (يوم الكفارة). وكان يوم الكفارة أو الغفران في الأصل يوم صيام[٦]، إذ يرى بعض الباحثين أن بداية طقوس هذا العيد، إنما ترجع إلى عصور العبريين الأولى. وفيما بعد أقرت الشريعة الموسوية يوماً في السنة لحساب النفس والندم على ما بدر من اليهودي من خطايا، والتكفير عنها لا بالصوم فقط، بل بالذبائح والصلوات والأموال ورد المظالم إلى أهلها، وطلب الصفح من المعتدى عليهم.

---

[١] – الهواري، السبت والجمعة، ص ٢١ .

[٢] – سفر الخروج/ ٢٣: ١٢ .

[٣] – سفر التثنية/ ٥: ١٤ .

[٤] – الهواري، السبت والجمعة، ص ٢٢ .

[٥] – سفر التثنية/ ٥: ١٥ ، ٦: ٢١– ٢٤ .

[٦] – שגיב , כרך שני, עמ' 766 ؛ المسيري، موسوعة اليهود، مج٥، ص ٤٠٣ .

وكان الاسم القديم لهذا العيد هو(يوم هكيپوريم)، أي يوم الكفارات، ومن ثم أقترن هذا اليوم بتدمير مدينة أورشليم ومعبدها سنة (٥٨٦ ق.م.)، فأصبح عندهم من أكبر أيام الحداد[١]، وهناك من يذهب إلى أن (يوم الكفارة) لم يظهر إلا في نهاية الإلف الأول قبل الميلاد، نتيجة للتدهور الذي حل بالمجتمع اليهودي[٢].

وعلى كل حال فقد أُضيف هذا العيد الى الاعياد اليهودية الاخرى وأصبح من أهمها قدسية عند اليهود، ويقع هذا العيد في العاشر من شهر تشري العبري (أكتوبر)، ونظراً لقدسيته فقد أطلق عليه اسم (سبت الاسبات)[٣]. ويبدأ الاحتفال بهذا العيد، قبل غروب شمس اليوم التاسع من تشري، ويستمر إلى ما بعد غروب اليوم التالي، أي حوالي (٢٥) ساعة، يصوم اليهود خلالها ليلاً ونهاراً، لا يقومون بأي عمل آخر سوى التعبد[٤].

ويبرز دور الكاهن الأعظم في أداء بعض الطقوس، يبدؤها بتقديم كبشين قرباناً للإله نيابة عن اليهود، وهو يرتدي رداء أبيض علامة للفرح، وليس رداءه الذهبي المعتاد، ويقوم بذبح الكبش الأول في مذبح الهيكل، ثم ينثر دمه على قدس الأقداس، أما الكبش الثاني، فكان يُلقى من صخرة عالية في البرية لتهدئة عزازئيل (الروح الشريرة)، وليحمل ذنوب اليهود[٥]. ويبدو أن هذا المعتقد من بقايا العبادة الحلولية للعبرانيين القدماء[٦].

وقد تطورت الطقوس التي تمارس في عيد الغفران، تبعاً لانعكاسات الظروف الصعبة والإضطهادات التي تعرض لها اليهود في فترات مختلفة من تاريخهم القديم، ومن هذه الطقوس هو ظهور صلاة عرفت بصلاة כל נדרי (كل ندري)، أي (كُل الوعود أو النذور)،وتقام هذه الصلاة في ليلة الاحتفال بهذا العيد، وتتصل بالاستغفار

---

[١] – مهران، بنو إسرائيل، ج٤، ص ٥٤٥ .
[٢] – المصدر نفسه، ص ٥٤٦ .
[٣] – المسيري، موسوعة اليهود، مج٥، ص ٤٠٣ .
[٤] – السعدي، الأعياد والمناسبات، ص ١٢ .
[٥] – المسيري، موسوعة اليهود، مج٥، ص ٤٠٣ .
[٦] – أنظر: المبحث الثالث، ص ٢٧٧ وما بعدها .

من جميع الوعود التي قطعها اليهودي على نفسه طوال العام المنصرم ولم يف بها[١].

عيد البوريم:

جاءت تسمية هذا العيد من الكلمة الفارسية (فُور أو بُور) ومعناها قرعة في اللغة الفارسية القديمة، وقد جُمعت على صيغة الجمع في اللغة العبرية وأصبحت פורים (بوريم)، كما سمي بعيد (النصيب) وهو الاسم العربي لهذا العيد[٢]. ويروي العهد القديم في سفر أستير، الأحداث التي كانت السبب وراء مناسبة عيد (بوريم)، وهي الأحداث التي أحاطت باليهود في بابل أبان العهد الفارسي(٥٣٩- ٣٣١ ق.م.)[٣]، وخلاصتها: أن ملك الفرس أحشويرش(٤٨٥- ٤٦٥ ق.م.) كان قد أتخذ له وزيراً أسمه هامان، وكان هذا الوزير يكره رجلاً من حكماء اليهود أسمه مردخاي لعدم إبدائه مظاهر الطاعة والخنوع، إذ كان جميع العبيد ينحنون لهامان باستثناء مردخاي اليهودي فغضب منه وكرهه، حتى شمل هذا الكره كل اليهود في بابل، بحيث أقسم هامان أن يقطع دابرهم من البلاد، وأجرى قرعة פור(بور) لاختيار يوم مذبحة اليهود، وأسفرت هذه القرعة عن تحديد الثالث عشر من آذار موعداً لتنفيذ عملية الابادة في اليهود، وأُعدت مشنقة في الساحة العامة ليعلق مردخاي، وكان مردخاي هذا وصياً ووليا على قريبته (استير) التي كان جمالها مضرب الأمثال، وكان احشويرش عاشقاً لها، ومغرماً بها، بحيث أفسح لها مكاناً في قاعدة ملكه وأبدى لها في مناسبات كثيرة الطاعة لأمرها، لدرجة أنها كانت تسمى (الملكة استير)... ويستمر السفر بسرد أحداث تلك القصة لتنتهي بمؤامرة نفذها مردخاي وأستير للإيقاع بهامان، فتحقق لهما ما أرادا، وانقلبت

---

[١] – علي، اليهودية، ص٦٧ ؛ سعفان، كامل، اليهود تاريخ وعقيدة، ط١، (القاهرة: دار الاعتصام، ١٩٨١)، ص٢٢٣ .

[٢] – ظاظا، الفكر الديني، ص ٢٠٧- ٢٠٩ .

[٣] – يرى بعض الباحثين أن اليهود قد لعبوا دوراً كبيراً في سقوط بابل على يد الفرس، وأن هنالك أتفاق قد تم عقده بين الملك احشويرش وممثلي الجالية اليهودية المقيمة في بابل، مفاده أنه إذا تم له بمساعدتهم دخول العراق وتدمير الدولة الكلدية، سيعيدهم إلى فلسطين . أنظر: غزالة، هدى حياوي عبد الكريم، الدولة البابلية الحديثة والدور التاريخي للملك نبونئيد في حضارتها، (رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الآداب، ١٩٨٩)، ص ١٩٨ .

الأوضاع على هامان وسيق إلى المشنقة التي كان هو بنفسه قد أعدها سابقا لمردخاي[1]. ولهذا صار اليهود يحتفلون بهذه الذكرى التي تذكرهم بأحوالهم في بابل، وكيف أنهم كانوا على وشك الهلاك لولا إنقاذهم من قبل أستير.

يبدأ هذا العيد من ليلة الثالث عشر من شهر آذار من السنة اليهودية، ويكون يوم ١٣ آذار نفسه صوماً يسمى عند اليهود (صوم أستير)، أما في اليوم الرابع عشر فتبدأ فعاليات الاحتفال بهذا العيد وتستمر طيلة اليوم وهو الذي يطلق عليه (يوم بوريم) ثم يكون اليوم الذي يليه وهو الخامس عشر من آذار اليوم الصاخب، يوم الكرنفال ويسمونه (بوريم شوشان) نسبة إلى مدينة شوشان أو سوزة الإيرانية[2].

ويحتفل اليهود بهذا العيد بأن يقرأ أحدهم سفر إستير من أحدى اللفائف الخمس (أي من مخطوطة خاصة مكتوبة بخط اليد) ليلة العيد وفي يوم العيد نفسه، ويتعين على الجميع، وضمن ذلك النساء والأطفال، أن ينصتوا إلى القارئ، ويصاحب هذا العيد الكثير من الصخب، إذ كان اليهود عند ذكر أسم (هامان) أثناء قراءة سفر إستير، يحدثون جلبة أو يدقون بالعصي التي في أيديهم وكأنهم يضربون هامان وينكلون به[3]. ويقدم اليهود في هذا العيد الهدايا إلى الأصدقاء والمحتاجين، كما يتم تبادل الطعام بين الأسر[4]. كما كان يصاحب هذا الاحتفال ممارسات وسلوكيات من قبيل اللهو شجع عليها بعض الحاخامات وعارضها البعض الآخر[5].

عيد التدشين

---

(1) – سفر إستير/ الإصحاحات (٢، ٣، ٤، ٥،٦، ٧) ؛ طعيمة، صابر، التراث الإسرائيلي في العهد القديم وموقف القرآن منه،(بيروت: دار الجيل، ١٩٧٩)، ص ٨١ وما بعدها.

(2) – ظاظا، الفكر الديني، ص ٢٠٨ .

(3) – المسيري، موسوعة اليهود، مج٥، ص ٤٠٧ ؛ ברגמן, שם , עמ' 85 .

(4) – שם , עמ' 86 .

(5) – يلاحظ المتتبع لموضوع الأعياد اليهودية على اختلاف أنواعها السياسية والدينية، أنها قد استوعبت أجتهادات الحاخامات اليهود في المراحل اللاحقة من التاريخ اليهودي، بحيث جعلوها مطاوعة لكل التغيرات والتطورات الدينية أو الدنيوية. أنظر: المسيري، موسوعة اليهود، مج٥، ص ٤٠٧ .

يُعرف هذا العيد عند اليهود بأسم חנוכה (حانوخا)، وهي كلمة عبرية معناها (التدشين)،(الاسم العربي لهذا العيد)[١]. أما المناسبة التاريخية لهذا العيد، فهي ذكرى انتصار المكابيين على اليونانيين أثر انفجار الثورة المكابية سنة (١٦٥ق.م.) بقيادة يهوذا المكابي أو الحشموني (١٦٥- ١٦٠ق.م.)، والتي انتهت بانتصاره، واحتلال أورشليم، وتدشين الهيكل من جديد، وتطهيره من الأوثان، وإعادة الذبائح والطقوس اليومية إليه[٢].

يستمر الاحتفال بعيد التدشين ثمانية أيام بدءاً من الخامس والعشرين من شهر كسلو(ديسمبر) حتى الثالث من شهر تيڤت (يناير)[٣].

ولم يرد هذا العيد في العهد القديم، ولم تكن له أهمية كبيرة، ولذا فهو من الأعياد التي لا يحرم فيها العمل، وكان يحتفل به بطريقة بسيطة جداً، إذ توقد شمعة واحدة في أول يوم، ثم شمعتان في اليوم التالي، وهكذا إلى أن توقد ثمانية شموع خلال ثمانية أيام في الشمعدان (المينوراة)[٤] التي صُممت خصيصاً لتلك المناسبة، وكان رب الأسرة يتلو دعاء، بينما تنشد الأسرة أغنية بسيطة لشكر الإله[٥].

رابعاً: عادات الدفن وعقائد ما بعد الموت

على الرغم من أن الديانة اليهودية كانت أكثر العناصر بروزا في تكوين شخصية المجتمع اليهودي القديم، إلا أننا نجدها تفتقد إلى الوضوح في ركن يُعد من أهم أركان الديانات، وهو(الاعتقاد باليوم الآخر والبعث والحساب)، لا سيما أنها تصنف كديانة سماوية توحيدية، في الوقت الذي لم تفتقر لهذا الاعتقاد حتى الديانات

---

(١) – שגיב , כרך שני, עמ' 580 .

(٢) – مهران، بنو إسرائيل، ج٤، ص ٥٤٧ .

(٣) – المسيري، موسوعة اليهود، مج٥، ص ٤٠٥ .

(٤) – تناقلت المصادر اليهودية أخبار عن معجزة حدثت ليهودا المكابي، ملخصها: أنه عندما دخل الهيكل، وجد أن الزيت الطاهر الذي يحمل ختم الكاهن الأعظم لا يكفي إلا يوم واحداً، وكان من الضروري أن تمر ثمانية أيام قبل إعداد زيت جديد كما تقضي التوراة، وهنا حدثت المعجزة، وأستمر الزيت في الاحتراق مدة ثمانية أيام بدلا من يوم واحد، ولذلك صُمم لهذا اليوم شمعدان مينوراه خاص من تسعة أفرع، فتوقد شمعة في الليلة الأولى، ثم تضاف ثانية في اليوم التالي، وهكذا حتى اليوم الثامن. أنظر: المصدر نفسه، نفس الصفحة .

(٥) – المصدر نفسه، ص ٤٠٦ .

الوثنية القديمة. فقد أثارت ظاهرة الموت منذ أقدم العصور اهتمام شعوب العالم القديم بعامة، وشعوب الشرق الأدنى بخاصة، لما يلفها من أبهام ومصير مجهول، نتج عنه تفسير وفهم متباين حدد موقف كل من هذه الشعوب إزاءها.

والعبرانيون كونهم شعب من هذه الشعوب، تميز بعدم تمتعه باستقرار حقيقي قبل فلسطين، فقد استوعب أكثر مما يحتمله من معتقدات الشعوب التي عاش بين ظهرانيها، سيما شعبي بلاد الرافدين ومصر الفرعونية اللذان كانا يختلفان في عقائدهما بخصوص حياة ما بعد الموت، مما أدى إلى تكوين فهم مضطرب لدى العبرانيين حول الموت يكتنفه الكثير من الغموض. وقد تأتى هذا الفهم من خلال خلطهم بين معتقدات هذين الشعبين وتراكمها في فكرهم ونقلها من جيل لآخر.

إذ اعتقد سكان وادي الرافدين القدماء بان الإنسان كائن مركب من عنصرين أولهما حسي مادي وهو الجسد والثاني غير مرئي وهو الروح، وكان هذا اعتقاد تلتقي فيه معظم الشعوب القديمة، لكنها تفترق في مسألة طبيعة العلاقة بين الروح والجسد، فقد اعتقد المصريون أن وجود الروح وخلودها في عالم ما بعد الموت يتوقف على سلامة جسد المتوفى وبقائه محتفظاً بشكله الطبيعي بقدر الامكان وهذا ما دفعهم إلى بذل العناية الكبيرة بأجساد الموتى وإتقان تحنيطها للمحافظة عليها وضمان خلود الروح(1). بيد أن العراقيين القدماء لم يصلوا إلى هذا الحد في تصورهم للعلاقة بين الروح والجسد، وإنما كان اعتقادهم عن الروح بأنها مستقلة نوعاً ما عن الجسد، والعلاقة بينهما لم تكن لتؤثر على وجود الروح فيما بعد الموت، حيث أنها تكون موجودة فعلاً مهما كانت حالة جسد صاحبها بعد موته، وكأن تأثير تلك العلاقة يقتصر فقط على استقرار الروح وسكينتها في عالم الأرواح (العالم الأسفل)(2)، ومن هذين المعتقدين في علاقة الروح بالجسد، أتخذ العبرانيون معتقداً وسطاً، فكانوا يرون أن الإنسان الحي هو روح حية נפש חי (نفش حاي)، والإنسان المتوفى هو روح

(1) – حنون، نائل، عقائد ما بعد الموت في حضارة بلاد وادي الرافدين القديمة، ط2، (بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٨٦)، ص ١٠٧ .

(2) – المصدر نفسه، نفس الصفحة .

ميتة נפש מת (نفش مت)، والجثمان البائد لا يعني عندهم أن الروح قد فارقته، وإنما يكفي بقاء العظام لتكون الروح مرابطة للجسد، وأن أصل انتقالها إلى عالم الأموات تحت باطن الأرض هو نتيجة تعرضها لحالة من الضعف الشامل[١].

ويبدو أنه من الطبيعي أن يتأثر اليهود في مراحلهم التاريخية الأولى بمعتقدات الشعوب التي عاشوا فيها وبجوارها، ولكن ما يلفت النظر ويثير التساؤل هو بقاء هذه الأفكار والمعتقدات عالقة بذهنهم حتى بعد اهتدائهم إلى ديانة سماوية توحيدية، هي اليهودية. ولا توجد في كتب العهد القديم الأولى أية إشارات إلى بعث الموتى أو الحياة الأبدية، ويبدو أن العبرانيين القدامى لم يكونوا من المؤمنين بالبعث وإنما كانوا يؤمنون بان الإنسان جسد يفنى بالموت، وحتى بعد أن ظهرت فكرة خلود الروح فأن هذه الفكرة لم تكن بعد مرتبطة بفكرة البعث والخير والشر والثواب والعقاب، إذ أن الروح كانت تذهب بعد الموت إلى مكان مظلم يسمى (شيول)[٢]، حيث تبقى إلى الأبد بغض النظر عما ارتكبته من أفعال في هذا العالم الدنيوي[٣].

ولم تكن عقيدة الإيمان باليوم الآخر عقيدة واضحة بل نجدها فكرة مضطربة في التوراة، ولا تعدوا كونها إشارات بسيطة غامضة لا تفصح عن نفسها ولا تتكشف للمطلع ليتبين له فيما إذا كانت الجنة وثوابها أو النار وجحيمها في الدنيا أم في الآخرة ؟

ويتفق الباحثون على أن اليهودية تهتم بالأعمال ولا تعنى بالإيمان وهي في جوهرها أسلوب حياة لا عقيدة، فالاتجاه الخلقي عند اليهود في التصرفات اليومية أهم

---

(1) – De vaux, Roland, op.cit. p.56.

(٢)– شيول: تجسد كلمة (شيول) التصور الديني اليهودي الذي له نظير في الاديان القديمة، فقد اعتقد بنزول الاموات في مكان ما، فلا يفنى الميت في العدم، بل يتابع العيشة البشرية، ولكن على مستوى منخفض، كأنه يستمر في النوم أو الغفيان، وبهذا فقد أستدل اليهود معتقدين بأستمرار الحياة ناقصة منخفضة في مكان اطلق عليه اسم (شيول) بمعنى العالم الاسفل أو مثوى الاموات، وهو حسب التصور اليهودي مكان في أجواف الارض يشبه القبر، ولكنه ملتقى االاموات. أنظر: بندكتي، روبير، التراث الانساني في التراث الكتابي إشكالية الاساطير الشرقية القديمة في العهد القديم، ط٢، (بيروت: دار المشرق، ١٩٩٠)، ص ١٠٢ .

(٣) – المسيري، موسوعة اليهود، مج٥، ص٤٣١ .

من الاعتقاد السليم وأن مجالها هو هذا العالم الحاضر[١]، وهذا ما نجد له أساساً في حضارة بلاد الرافدين، فالصفة المادية والتنعم والمتعة في هذه الحياة قد ظهرت واضحة في خصائص ومقومات هذه الحضارة، إذ نجد البابليين قد أقبلوا على الدنيا وعملوا لها بخلاف الحضارة المصرية القديمة التي خصصت معظم جهودها لشؤون الموت[٢].

وقد ازدادت الرؤية الأخروية اليهودية تبلوراً بعد ذلك فظهرت في القرنين الثاني والأول قبل الميلاد (كتب الرؤى)[٣] التي تدور حول موضوعات أخروية ونشورية، ويلاحظ أن فكرة (الشيول) غير المحددة اكتسبت تحديدها في آخر هذه الفترة وأصبحت كلمة(جهنم) تدل عليها، ووضعت مقابل (حديقة عدن) التي تحدد مفهومها هي الأخرى فأصبحت (الجنة) وأصبح الشيئان مرتبطان بفكرة البعث والثواب في العالم الآخر[٤]، ويقرر الفكر اليهودي بناءً على ذلك أن الجزاء يكون حسب الأعمال لا حسب الاعتقاد.

ويعتقد اليهود بعقيدة التناسخ، أي أن روح اليهودي تخرج وتشغل جسماً آخر، فإذا مات أحد الجدود مثلا تخرج روحه وتشغل أجسام نسله الحديثي الولادة، أما اليهود الذين يرتدون عن دينهم بقتلهم يهودياً، فأن أرواحهم تدخل بعد موتهم في الحيوانات أو النباتات ثم تذهب إلى الجحيم وتعذب عذاباً أليما مدة اثني عشر شهراً، ثم تعود ثانياً وتدخل في الجمادات ثم الحيوانات، ثم الوثنيين، ثم ترجع إلى جسد

---

[١] – مبيض، يسر محمد سعيد، اليوم الآخر في الاديان السماوية والديانات القديمة، ط١، (الدوحة: دار الثقافة، ١٩٩٢)، ص ٦٠ .

[٢] – السعد، أوهام التاريخ، ص ١٩٠ .

[٣] – كتب الرؤى: وهي الكتب التي تعنى بدراسة وكشف ما يخص الغيب، سيما آخر الايام ويوم الحساب، ويتم الكشف عن طريق الاحلام والرؤى والغيب، وفي الدراسات العربية يطلق على الكتب التي تتناول هذه الاشياء (أسفار الرؤى) لأعتمادها على الرؤى في سرد الاحداث وفي شرح الافكار المتضمنة فيها. أنظر: المسيري، موسوعة اليهود، مج٥، ص ٤٢٦ – ٤٢٧ .

[٤] – المصدر نفسه، ص ٤٢٥ .

اليهودي بعد تطهيرها، أما هذا التناسخ كما يعتقد اليهود فقد جعله الله (رحمة لليهود) لكي يكون لليهودي نصيب في الحياة الأبدية[١].

وتتعدد أشكال مفاهيم الموت وعقيدة ما بعد الموت بعدد الفرق اليهودية، فنجد أن السامريين يطلقون على مفهوم ما بعد الحياة أسم (منزل الموت)، بخلاف الفرق اليهودية الأخرى التي تطلق عليه (منزل الحياة)، وفي عقيدة العقاب والثواب يعتقد السامريون إن الناس سينقسمون إلى مجموعتين، فالأطهار يدخلون جنة عدن، أما الأشرار فيدخلون النار، وهذا المفهوم أيضاً لا يوجد عند الفرق اليهودية الأخرى[٢]، التي بقي بعضها ينكر البعث أساساً كالصدوقيين، وفرقة الاسينيين الذين رغم اهتمامهم بالتفكير الأخروي، إلا أنهم كانوا ينظرون إليه في هذه الدنيا، إذ لا يوجد أي ذكر لفكرة البعث التي خلفوها، فمخطوطات البحر الميت[٣] تتحدث عن النهاية ولا تتحدث قط عن جنة أو جهنم، وكان الحديث يدور عن الموت كعقاب أزلي للآثمين وعن الحياة الأزلية للصالحين[٤]، على عكس الفريسيين[٥].

وتعتقد فرق من اليهود أن بعث الأموات يحصل مرتين، الأولى في زمن المسيح المنتظر عندهم، وذلك البعث مختص بالصالحين من الأمة على وجه المعجز للمسيح والكرامة لأولئك الصالحين، والأخرى ببعث الموتى في القيامة لكافة الناس، صالحين أو طالحين للجزاء بالثواب الأبدي على الطاعة وبالعقاب على المعصية[٦].

---

(١) – مبيض، اليوم الآخر، ص ٥٨ .

(٢) – راشد، السامر يون، ص ١٤٢ .

(٣) – فيرم، غيزا، النصوص الكاملة لمخطوطات البحر الميت، ترجمة: سهيل زاكار، ط٤،(بيروت: دار قتيبة للطباعة والنشر، ٢٠٠٦)، ص ١٩٥– ٢٠٠ ؛ عثمان، أحمد، مخطوطات البحر الميت، ط١، (القاهرة: مكتبة الشروق، ١٩٩٦)، ص ٥٩– ٦٠ .

(٤) – المسيري ، موسوعة اليهود ، مج٥، ص ٤٢٥ .

(٥) – المصدر نفسه، ص ٤٣٢ .

(٦) – المصدر نفسه، ص ٤٣٣– ٤٤٣ .

الدفن والقبور

ترتب على اختلاف عقائد الشعوب القديمة لما بعد الموت تبايناً واضحاً في طقوس وعادات الدفن انعكس من خلالها اهتمام هذه الشعوب بدفن موتاها، ومنبع هذا الاهتمام بصوره المتنوعة هو الاعتقاد بنوع من بقاء الإنسان ما بعد الموت، وكان المجتمع اليهودي أسوة بمجاوريه يعنى بالدفن، إذ كان رجال الدين اليهود يرون أن عدم العناية بدفن الميت علامة على سوء العاقبة، ينذرون الأشرار منها[١].

وقد ارتبطت طريقة الدفن بطبيعة المعتقد لدى الشعوب، ويبدو أن العبرانيين قد أتبعوا خلال مراحلهم التاريخية أكثر من طريقة لدفن موتاهم، وأكثر تلك المراحل وضوحاً كانت في فلسطين. حيث كشفت التنقيبات أن هناك عناية خاصة كانت تولى للموتى منذ أقدم العصور، ففي كنعان كانت العناية التي يحاط بها الموتى تستجيب لمفاهيم بشرية قديمة جداً، منها أن النفس تحتاج الى تأمين غذائها لبقائها إلى جانب الجسد في القبر، ولا سيما الماء. وكانت قبور راس شمرا مزودة بتجهيزات حاذقة لإيصال المياه إلى أرواح الموتى، ومنذ تلك الفترة كانت تُمارس عادة تبريد الميت، وفي زمن نصوص رأس شمرا كانت طقوس الحداد مثبته ومطابقة للطقوس التي نعرفها ونراها عند اليهود بعد عدة قرون[٢].

كانت فكرة العبرانيين عن الحياة والآخرة مثلما كانت تقريبا في كنعان، فضلاً عن تشابه عادات الدفن أيضا، إذ كان الجسم يوضع في قبر مع أدوات كانت تستخدم في الحياة اليومية كالصحون والجرار [٣].

أما عن كيفية معاملة جثة الميت، فأنهم كانوا يقومون بإغماض عينيه تعبيراً عن ذهابه إلى النوم والراحة الأبدية، وأقرباء الميت يحيطون به ويهيئونه للدفن، ولا توجد معلومات أكيدة حول الممارسات الجنائزية التي يتبعها العبرانيون القدماء أثناء قيامهم بالدفن، وما هي الأشياء التي يضعونها في قبر الميت، على الرغم من أن بعض القبور المكتشفة دلت على وجود مواد للزينة ودبابيس، كما ظهر في هذه

---

[١] – باسيم، معجم اللاهوت، ص ٣٤١ .

[٢] – دوسو، الديانات السورية، ص ٦١ .

[٣] – حتي، تاريخ سورية، ص ٢٢٥ .

القبور أن الموتى قد دفنوا بهندام كامل[1]. إذ عُثر في أحدى المقابر على حاجات وأسلحة تدل على أن المدفونين هم من الجنود، وقد دفنوا بزيهم العسكري والسيوف موضوعة تحت رؤوسهم، ونرى أن العهد القديم قد سبق عمليات التنقيب ألآثاري في وصف المقابر **(كلهم مقتولون بلا مجد بالسيف لأنهم القوا رعبهم في أرض الأحياء، لا يضطجعون مع الجبابرة القدماء الذين سقطوا وهبطوا بلا مجد إلى القبور مع أسلحتهم وجعلوا سيوفهم تحت رؤوسهم وتروسهم على عظامهم)**[2].

هناك قبور اكتشفت في فينيقيا، وهي قبور ملوك جبيل المعاصرين للسلالة الثانية عشرة المصرية (٢٠٠٠- ١٧٨٨ق.م.)، والتي تعد من أغنى القبور، إذ كان يوضع مع الجثمان كافة الرموز الملكية، مثل السلاح الملكي والكثير من الحجارة الكريمة وأثاث ثمين[3]. ولم يمارس بني إسرائيل التحنيط قط، ونرى أن حادثة تحنيط جثمان النبيين يعقوب ويوسف(عليهما السلام) غير دقيقة، لأن ممارسة هذه العادة كانت تنبثق من اعتقاد وثني راسخ لدى المصريين، وهو أنهم يعتقدون بأن الروح تظل في الجسم ما ظل الجسم صحيحاً متماسكاً، فإذا دب إليه التحلل والفساد زايلته الروح، ولهذا كانوا يمارسون التحنيط[4] ليضمنوا بقاء الروح في الجسد، وكان التحنيط منسكاً دينياً يراد به ما يشبه إحياء الموتى[5]، ويقيناً أن هذا الاعتقاد كان مخالف لعقيدة الأنبياء (عليهم السلام) الذين يؤمنون بالبعث والنشور واليوم الآخر والحساب، وأن المحرر التوراتي رجماً بالغيب أخذ يسقط العرف المصري على أحداث وفاة النبيين يعقوب وأبنه يوسف، متخيلاً أن ما يُتبع من ممارسات جنائزية في مصر قد تم إتباعه لتورية أجساد الأنبياء الطاهرة.

---

(1) – Devaux , Roland , op.cit.p.56.

(2) – سفر حزقيال/ ٣٢: ٢٧- ٢٩ .

(3) – دوسو، الديانات السورية، ص٦٢ .

(4) – كان المصريون يضعون جثمان الميت في محلول النطرون عدة أسابيع ثم يحشونه بالقار، ويسمى في اللغة الفارسية (مومياي) ولهذا أطلقوا على الجثة المحنطة أسم(موميا) . أنظر: ناصف، عصام الدين حفني، اليهودية بين الاسطورة والحقيقة، (بيروت: دار المروج، ١٩٨٥)، ص١٤ ؛ مواقع الانترنت:
www.kemiafriends.com/vb/showthread
www.janatalashab.com/vb/showthread
www.aawsat.com/details.asp

(5) – ناصف، اليهودية بين الاسطورة، ص ١٤ .

الحداد

كانت العادة عند الإسرائيليين القدماء أن يظهروا حزنهم على وفاة ذويهم وأصدقائهم، عن طريق مراسم كثيرة ومتشعبة، منها الصوم[١]، وتمزيق الثياب[٢]، وشد المسح[٣]، وقرع على الرأس، وجز الشعر[٤]، والمناحة[٥]، وكانت هذه العادات جميعها مظاهر تعبر عن آلام الحداد، فضلاً عن كونها جانباً طقسياً الغرض الرئيس منه توقي اللعنات[٦]. ويبدو أن عادة تجريح الجسم وحلق جزء من الشعر بحيث تبدو تبدو صلعات فوق الرؤوس علامة على الحزن، كانت مألوفة لدى اليهود وجيرانهم من الفلسطينيين والموآبيين[٧]، وقد منعت هذه العادة، وأصبحت محظورة ومحرمة لأنها كانت تمارس في إطار عبادة البعل[٨]، إذ جاء في سفر التثنية **(لا تخدشوا أجسادكم حزناً على ميت، ولا تُجرّحوا ما بين عيونكم)**[٩]. كما كانت هناك عادة تتبعها النساء اللاتي يفقدن أزواجهن، وهي عادة (التزام الصمت) لفترة زمنية محددة لا يتحدثن خلالها[١٠]. ويرى الباحثون أن السبب من وراء هذه الممارسات أو العادات هو أن المنكوبين كانوا يعتقدون أن الروح بعد مباينتها للجسد تحوم حوله زمناً ما، ولذلك كان أهل الميت يتنكرون بلبس ثياب الحداد وبتغيير معالم الأثاث في البيت أيضا[١١]، فيقومون بقلب الأسرّة في داخل بيت الميت، كما ينام الحزانى أيام

---

[١] – سفر صموئيل الأول/ ٣١: ١٣ ؛ سفر صموئيل الثاني/ ١: ١٢ ، ٣: ٣٥ .

[٢] – سفر التكوين/ ٣٧: ٣٤ ؛ سفر صموئيل الثاني/ ١: ١١ ، ٣: ٣١ .

[٣] – سفر التكوين/ ٣٧: ٣٤ ؛ سفر صموئيل الثاني/ ٣: ٣١ ، ١٤: ٢ .

[٤] – سفر عاموس/ ٨: ١٠ ؛ سفر ميخا/ ١: ١٦ ؛ سفراشعيا/٢٢: ١٢ ؛ سفر أرميا/ ٧: ٢٩ .

[٥] – سفر صموئيل الثاني/ ١: ١٢ ، ٣: ٣٣– ٣٤ ؛ سفر الملوك الأول/ ١٣: ٣٠ ؛ سفر عاموس/ ٥: ١٦؛ سفر ارميا/ ٢٢: ١٨ .

[٦] – باسيم، معجم اللاهوت، ص ٣٤١ .

[٧] – فريزر، جيمس، الفولكلور في العهد القديم، ترجمة: نبيلة إبراهيم، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٤)، ج٢، ص ١٧٦ .

[٨] – باسيم، معجم اللاهوت، ص ٣٤١ .

[٩] – سفر التثنية/ ١٤: ١ ؛ سفر اللاويين/ ١٩: ٢٧– ٢٨ .

[١٠] – فريزر، الفولكلور، ج٢، ص ١٢٠ .

[١١] – هذه العادات والتقاليد التي كان يمارسها العبريون القدماء ما زالت حتى اليوم باقية لم يعف عليها الزمن، غير أن معانيها لم تعد واضحة في الأذهان، فاليهود يمارسونها خلفا عن سلف دون تفكير أو تمحيص،

الحداد في أسرّة مقلوبة أيضا[1]، ويقومون بتعفير وجوههم وحلق شعورهم وتجليل رؤوسهم بالرماد لينبههم الأمر على روح الميت المتحررة من جثمانه، ثم يصوتون صوات المكروبين ليذعروا الروح ويروعوها فترحل[2]. وكانوا إذا احتفلوا بعيد الحياة، وهو احد أعيادهم، يذكرون موتاهم فيبكون عليهم، وقد يتخلل ذلك ممارسات تعكس مستوى الحزن المفرط، مما وجب منعه[3].

كان الميت ينقل إلى قبر الأسرة المنحوت من الصخر، فيولولون وينتحبون ويضربون صدورهم ويشقون ثيابهم ويغمرون أنفسهم بالرماد إظهارا لحدادهم[4]. وعلى الرغم من أن اليهود ظلوا يمارسون عادات الحزن هذه زمنا طويلاً دون إبداء الاستياء منها، إلا أن هذه العادات أصبح ينظر إليها فيما بعد بوصفها عادات بربرية وثنية، ولهذا فقد حرمت في الشرائع القانونية التي أُلفت قرب نهاية الحكم الملكي اليهودي[5]. وكانت مراسيم دفن الميت تتم بحضور جمع من الناس، وهم على الأغلب، أهله وأقاربه[6].

وما زال المحافظون منهم على التقاليد القديمة إلى اليوم يغيرون اسم مريضهم إذا تبلغت به العلة، ليبعثوا الحيرة والارتباك في الروح الشريرة، طبقاً لمعتقدهم أنظر: ناصف، اليهودية بين الاسطورة، ص١٤.

(١) – ברגמן, שם , עמ' 38.

(٢) – ناصف، اليهودية بين الاسطورة، ص١٤ .

(٣) – لوبون، اليهود في تاريخ، ص ٥٧ .

(٤) – نفس المصدر، نفس الصفحة .

(٥) – فريزر، الفولكلور، ج٢، ص ١٧٧.

(٦) – سفر التكوين/ ٥٠: ٧– ٨ .

المبحث الثالث: الطقوس والعبادات وأدواتها

مدخل:

لقد تعرضت الجماعة اليهودية عبر تاريخها الطويل إلى ظروف قاسية تختلف، إذا ما قارناها، عن الظروف التأريخية التي عاشتها شعوب الشرق الأدنى القديم الأخرى، والتي كان لها حظاً أوفر من الاستقرار الحضاري، إذ أن أول ما يلفت النظر في تاريخ هذه الجماعة، هو اختلاف وتعدد محطاتها المكانية خلال فترة الألف الثاني قبل الميلاد، فإذا استندنا إلى أبحاث المؤرخين بهذا الصدد سنلاحظ أن حراك هذه الجماعة يبدأ نزوحاً من شبه الجزيرة العربية وهي الموطن الأصلي للساميين (الجزريين) باتجاه مناطق متفرقة تتوفر فيها أسباب العيش وابرز تلك المناطق هو جنوب بلاد الرافدين، ثم الانتقال إلى مدينة حران ثم إلى بلاد كنعان، ومن هناك بسبب القحط إلى مصر الفرعونية، المحطة الأكثر بروزاً في تاريخ اليهود والتي أقاموا فيها أربعمائة سنة حسب رواية العهد القديم، ومن ثم العودة مرة أخرى إلى بلاد كنعان.

ومن هنا فأن فهم الفكر الديني لليهود وبنيتهم العقلية مرتبط بفهم الشروط التأريخية التي أحاطت بنشأة وتطور تراكمات العقل الجمعي لهم، لا سيما أن اللاهوت اليهودي يؤكد على الصلة الوثيقة بين الفكر الديني والتاريخ إلى درجة يصعب على الباحث أن يميز بينهما[١]. ونعتقد بأن المحطات التأريخية التي مر بها المجتمع اليهودي في وسط عدد من الشعوب قد ساهم بشكل أو بآخر في تشكيل وصياغة بنيته الفكرية والعقلية دينياً وثقافياً، فضلاً عن التأثر المادي بحضارة تلك الشعوب.

ويزداد الأمر وضوحاً إذا ما تعرفنا على الخصائص العامة للفكر الديني لشعوب الشرق الأدنى القديم[٢]، والذي يتجسد في لاهوت مصر وبلاد الرافدين، إذ أن الديانتين القديمتان المصرية والعراقية كانتا بحق تمثلان بداية التفكير

---

[١] – السواح، فراس، الأسطورة والمعنى– دراسات في الميثولوجيا والديانات الشرقية، ط١،(دمشق: ب مط، ١٩٩٧)، ص٢٨١ .

[2] -Albert M.,Craig, The Heritage of World civilizations (New York, 1976), pp.50-51.

الإنساني(في الماحول) ويبدو أن هاتين الديانتان لم تكونا قد أُسستا في نقطة معينة من التاريخ على يد مفكر عرف كيف يفرض أحاسيسه الخاصة وقناعاته بشأن الأمور المقدسة، وإنما انبثقتا كجزء من تطور الفكر في العصور السحيقة[١]، فاللاهوت في مصر وبلاد وادي الرافدين حلولي، أي أن الآلهة حالّة في الطبيعة، ولا يفهمها الإنسان إلا على هذا النحو[٢]، وهنا نجد الخاصية الأولى، وهي (مبدأ الحلولية) (Infusion) الذي نتج عن اعتقاد الإنسان القديم بارتباطه الجوهري بالطبيعة، إذ كان الحافز الأول لأفعال الإنسان القديم وأفكاره ومشاعره، اعتقاده الجازم بأن الألوهية حالّة في الطبيعة، وأن الطبيعة مرتبطة بالمجتمع ارتباطاً صميماً[٣].

وكذلك نجد مبدأ الحيوية (Animism) ومبدأ التشبيه (Anthropomorphism) وهي مذاهب ترد الحياة والحركة إلى قوة باطنة في المادة هي (النفس) وتشير هذه المصطلحات إلى المذاهب التي ترى أن الكون يشتمل على عدد كبير من الأرواح الكامنة في الأشياء والظواهر الطبيعية (من بينها أرواح الموتى وبخاصة الأسلاف، وقوى كونية مختلفة)[٤]، ومن ثم نشأ الإيمان بضرورة معاملة هذه الظواهر(مثل الأشجار والجبال والأحجار)، كما لو كانت شخصيات حية لها مقدرة في التأثير على الإنسان ومسار حياته والتَدخُّل في مجرى الحوادث[٥]، وقد ضلت أقوام الشرق الأدنى القديم شاعرة بهذه العلاقة الوثيقة بالطبيعة طوال الفترة التي حافظت فيها على تماسكها الثقافي، من أواسط الألف الرابع إلى أواسط الألف الأول قبل الميلاد، وبقي ذلك الشعور حياً رغم أحوال الحياة

---

[١] – النوري، قيس، الحضارة والشخصية، (الموصل: مطبعة جامعة الموصل، ١٩٨١)، ص ٦٨ .

[٢] – فرانكفورت، هنري وآخرون، ما قبل الفلسفة، ترجمة: جبرا إبراهيم جبرا، (بغداد: دار مكتبة الحياة، ١٩٦٠)، ص ٢٦٣ .

[٣] – المصدر نفسه، ص٢٦٤ .

[٤] – علي، فاضل عبد الواحد، "أناشيد الزواج المقدس لتموز ونشيد الانشاد لسليمان"، مجلة سومر، مج ٣٤، ج ١–٢ ، بغداد، ١٩٧٨، ص ١٧ .

[٥] – المسيري، موسوعة اليهود، ج٤، ص، ٢٨٧ .

في المدن[١]. ولهذا فان اليهود شأنهم شأن الشعوب الأخرى قد عبدوا ظواهر الطبيعة وقدسوها واعتقدوا بأن هناك قوى كامنة فيها تؤثر على حياتهم تأثيرا مباشراً[٢]، وضلت هذه القناعات الفكرية مسيطرة على بنيتهم العقلية حتى بعد ظهور الأنبياء بينهم ودعوتهم إلى عبادة إله واحد خالق للكون لا تدركه أبصارهم، إلهٌ، الإيمانُ به يحتاج إلى التجرد عن كل الأفكار والمبادئ الحلولية.

ولهذا فليس من الدقة أن يُنظر إلى فكرة التوحيد عند اليهود في مراحل حياتهم الابتدائية على أنها تحمل نفس الفهم الذي أُعلن بعد الأيمان بإله واحد[٣]، وحتى بعد ذلك الإعلان فقد بقيت مظاهر المعتقدات الوثنية لا تنفك عنهم، وهذا ما يفسر خروج النبي موسى(عليه السلام) بجماعة بني إسرائيل من مصر ذات الديانة الوثنية، والبحث عن مكان آخر معزول يكون أكثر ملائمة لديانتهم التوحيدية، يتسنى لهم فيه ممارسة بعض الطقوس الدينية بعيدا عن تأثيرات عقائد الشعوب الوثنية الأخرى، فكانت صحراء سيناء هي المحطة الأولى المناسبة في هذا المشوار، وعلى الرغم من ذلك فقد بقيت تلك الأفكار عالقة في أذهانهم، إذ أشار القرآن الكريم في غير موضع، إلى مواقف اليهود مع النبي موسى(عليه السلام)، أظهروا من خلالها مستوى إدراكهم وعقليتهم الجامدة بخصوص عبادة الله عز وجل، ففي قوله تعالى (**وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنظُرُونَ**)[٤]، يبدو من خلال هذه الآية الكريمة أن استجابة اليهود للنبي موسى(عليه السلام) والأيمان بدعوته كان مقروناً بشرط يميط اللثام عن مستوى تفكيرهم المادي، وضعف إدراكهم بوجود الله تعالى، على الرغم من الآيات البينات، التي فسروها على أنها من قبيل السحر، إن لم يقولوا السحر عينه[٥].

---

(١) – فرانكفورت، ما قبل، ص٢٦٤ .
(٢) – ديورانت، قصة الحضارة، مج١، ص ٣٣٨ .
(٣) – لوبون، اليهود في تاريخ، ص ٦٠ .
(٤) – البقرة، الآية (٥٥) .
(٥) – ديورانت، قصة الحضارة، مج١، ص ٣٣٩ .

كما يبدو أن بني إسرائيل أثناء تجوالهم في صحراء سيناء قد تأثروا بالمعتقدات الوثنية والهجينة لبعض القبائل الصحراوية، مما يؤكد أن أيمانهم بالله تعالى كان إيمان ظاهري متذبذب، كما جاء في القرآن الكريم ﴿**وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَل لَنَا إِلَهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ**﴾[1].

ومن ذلك العهد ضلت أعناقهم مُشرأبّة إلى عقائد غيرهم من القبائل الوثنية ينظرون إلى الوراء ويتحينون الفرص لتمثلها، ولم يتخلوا عن عبادة العجول، لأن عبادتها لا تزال حية في ذاكرتهم مذ كانوا في مصر، وظلوا زمناً طويلاً يتخذون هذا الحيوان رمزاً لإلههم[2]، وهذا كتاب الله ينطق بالحق، واصفاً تلك المواقف الوثنية، ففي قوله تعالى ﴿**وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ**﴾[3]، كما ذكر ذلك العهد القديم، وأعطى صورة لليهود وهم يرقصون عراة أمام ذلك العجل الذهبي[4].

هذه الشواهد وسواها تدل على أن العقيدة اليهودية بقيت مشوبة بأفكار وثنية كانت محصلتها النهائية، ديانة تم استيعابها وفهمها بقناعات مادية، وذات أُطر وثنية وفي مقدمتها اعتقادهم بأنها ديانة خاصة بهم، كما لكل شعب إله خاص به، ودونك العهد القديم وما يغص به من هذا الفهم والتأويل لوحدانية الإله **(رب إسرائيل !)**

كما يبدو أن أغلب القبائل الميديانية التي احتضنت ديانة النبي موسى التوحيدية، هي الأخرى قد تعرضت بعد عهده إلى انحرافات عقائدية بتأثير محيطها الوثني، فصارت تعبد معبودا صحراويا اقتصرت مراسم عبادته على بعض الشعائر الخشنة المألوفة في عبادات الخصب، فكانوا يتعبدون له مجسدا على شكل عضو الذكورة في العراء، ولم تكن في عبادتهم أية شعائر أو ممارسات دينية معقدة أو

---

[1] – الأعراف، الآية (١٣٨) .

[2] – ديورانت، قصة الحضارة، مج١، ص ٣٣٨ .

[3] – البقرة، الآية (٥١) .

[4] – سفر الخروج/ ٣٢: ١٩– ٢٥ ؛ ديورانت، قصة الحضارة، مج١، ص ٣٣٨ .

متطورة[١]، وهذا ما أنسحب على الديانة اليهودية في تلك المرحلة متأثرة بديانتهم، فصارت هي الأخرى ديانة بسيطة غير معقدة يغلب عليها الطابع البدوي الصحراوي، ولم تكن تشتمل على بناء عقائدي متكامل، كما أن مفهوم التوحيد الذي بدأ بدوره خلال هذه الفترة لم يكن توحيداً خالصاً، بل توحيد شق طريقه وسط نظام تعددت فيه الآلهة التي يُعتقد أن العبريين القدامى قد عبدوها، وبهذا فأن ديانتهم الأساسية هي ديانة تعددية وثنية[٢].

وقد خلت هذه المرحلة من حياة العبريين من الشرائع المنظمة، فاتخذوا بعض العادات والتقاليد القبلية، وبعض التشريعات البدوية بديلاً لها. كما كانت العبادة تبعا لذلك عبادة بسيطة قليلة الطقوس، لأن الطبيعة البدوية الغالبة على الحياة العبرية لم تسمح بقيام نظام معقد للطقوس، ولم تسمح بنشأة بيوت أو هياكل مستقرة للعبادة، فضلاً عن أنها جعلت العلاقة بين الإله المعبود والشعب الذي يعبده علاقة عصبية قبلية الأساس وعبرت عن نفسها من خلال فكرة الوعد والعهد التي ستصبح فيما بعد أساسا دينياً لليهودية[٣].

فأمست جماعة بني إسرائيل جماعة واهنة دينياً وعقائدياً، وسرعان ما ظهرت نتائج هذا الوهن بعد تغلغلهم إلى فلسطين وتأثرهم بمعتقداتها وعباداتها وطقوسها، إذ كانت منطقة فلسطين تحت النفوذ المصري سنة (١٦٠٠ ق.م.) وضلت كذلك لأكثر من أربعة قرون، واستمرت أكثر من قرنين بعد دخول العبرانيين واستيطانهم بها، وخلال تلك القرون العديدة من الاحتكاك الوثيق بالحضارة المصرية، بلغت الحضارة الكنعانية مرحلة بالغة التقدم، ولذلك فأن بني إسرائيل عندما استوطنوا فلسطين عاشوا في ضل حضارة كنعانية متقدمة أُنبتت أساسا على عناصر مصرية وبابلية، فضلا عن العناصر المحلية الكنعانية التي كانت نتاجا لخبرة ثقافية طويلة[٤]. وكانت

---

(١) – مقار، السحر، ص ١٠٥ .

(٢) – أحمد، محمد خليفة حسن، تاريخ الديانة اليهودية، ط١، (القاهرة: دار قباء للطباعة والنشر، ١٩٩٨)، ص ٩٣– ٩٤ ؛ المسيري، موسوعة اليهود، مج٤، ص ٢٤٢ .

(٣) – أحمد، تاريخ الديانة، ص١٩٤– ١٩٥.

(٤) – مقار، السحر، ص ١٠٤ .

مظاهر العبادة الكنعانية[١] في فلسطين من أكثر الجوانب تأثيراً في المجتمع اليهودي، سيما أنه وجد فيها عبادة مستمرة من قديم، تشبه من بعض الوجوه عبادته، وتختلف عنها من وجوه أخرى اختلافا بيناً، فقد طور الكنعانيون المزارعون إلههم القبلي إلى إلة آخر يمثل روح الإخصاب وأطلقوا عليه أسم **(بعل)**[٢].

ويبدو أن حاجة اليهود للاتصال مع هذه الشعوب المتحضرة هي التي دفعتهم إلى التعامل معها والتأثر بديانتها وثقافتها، لا سيما عندما عملوا بالزراعة ووجدوا عبادة البعول الزراعية[٣]، التي كانت في رأيهم الجوهر الذكر في التناسل وزوج الأرض الذي يخصبها[٤]، فعبدوا بعل[٥]، وعشتاروت، بل ومارسوا طقوس الزنا الجماعي أمام هياكل تلك الآلهة، ثم تحول طقس الزنا إلى يهوه نفسه، فكانوا يمارسونه في باب خيمة الاجتماع حيث تابوت الرب[٦].

ومن المعروف أن الزراعة كانت ترتبط دائما بالفكر الديني في العصور البدائية، وكانت أوجه النشاط الزراعي المختلفة تعتبر جميعها طقوساً دينية، وعندما يقوم شعب رعوي بالتكيف مع مجتمع زراعي فأنه من المؤكد أن يتشرب ديانة المجتمع الزراعي[٧]. وفي هذا يقول المسيري في موسوعته: **(حينما تسلل العبرانيون إلى فلسطين سنة (١٢٥٠ق.م.) تراجع التوحيد عدة درجات، وبدأت الرؤية الحلولية تترسخ، فالعبرانيون كانوا رعاة ثم تعلموا الزراعة من الكنعانيين وتأثروا أيضاً بأعيادهم الزراعية إذ كان يستحيل فصل التكنولوجيا عن الدين في ذلك**

---

[1]- Albright, William Foxwell, Archaeology and the Religion of Israel, (London, 1956), p. 72- 93.

[٢] – روبنسن، إسرائيل في ضوء، ص ١١٤ .

[٣] – القمني، إسرائيل، ص ٧٧ .

[٤] – ديورانت، قصة الحضارة، مج١، ص ٣٣٩ .

[٥] – معنى (بعل) مالك أو سيد، وهو إله الخصوبة الأكثر تفوقا في فلسطين عند الكنعانيين، وكلمة بعل تطلق على الرجال كما كانت تطلق على الآلهة، كما يمكن أن يدل اسم بعل على المكان مثل بعل فغور، وبعل حرمون . أنظر: عبودي، معجم الحضارات، ص ٢٢٩– ٢٣٢ ؛ سفر العدد/ ٢٥: ٣ ؛ سفر التثنية/ ٤ :٣ ؛ سفر القضاة/ ٣: ٣ .

[٦] – القمني، إسرائيل، ص ٧٧ .

[٧] – عبد العليم وفرج، اليهود في العالم، ص ١٩٩ .

الوقت، ومن هنا كانت الثورة الدائمة عليهم من قبل الأنبياء ودعوتهم إلى العودة إلى طريق التوحيد)[١].

وبما أن الطقوس التي أتى بها اليهود كانت بسيطة بطبيعتها كما سبقت الإشارة، وأهمها القرابين وذبح الحيوان وتقديم الدم وأكل اللحوم وتكريم الألوهية والختان، فقد أتبعوا ديانة بعل الكنعانية، التي اشتملت على نظام متطور لتقديم القرابين، وهيئة ضخمة من الكهنة، وخدم للمعابد بين رجال ونساء، فورث اليهود الكثير من العادات والممارسات الكنعانية، ومن الواضح أن هذه العادات والممارسات قد استمرت بينهم برغم ما كان يكنه أنبياؤهم من كراهية عميقة لديانة بعل.

ولم تقتصر عوامل التأثير على الطقوس والعبادات اليهودية فقط، بل شملت كذلك أدوات تلك الطقوس والعبادات، إذ نلاحظ جلياً أن الأدوات المستخدمة في أداء طقوس الديانة اليهودية هي الأخرى قد خضعت لتأثيرات متنوعة كان من أبرزها العامل البيئي والحضاري، ويتجلى ذلك في أمكنة العبادة، فخيمة الاجتماع مثلاً، باعتبارها أول مكان مقدس للعبادة اليهودية المنظمة، قد صُنعت على غرار الخيم المستخدمة للسكن في الحياة البدوية الصحراوية، ثم أخذ اليهود عن أماكن العبادة الكنعانية الكثير من الأنماط المعمارية، ونتج عن ذلك بناء المعابد والمذابح الحجرية على النمط الكنعاني مجسداً بهيكل سليمان. وفيما يلي أهم الطقوس والعبادات اليهودية وأدواتها خلال الألف الأول قبل الميلاد.

خيمة الاجتماع:

لم يكن للعبرانيين من هيكل أو معبد في المراحل الأولى من تاريخهم، باستثناء بعض الأماكن المقدسة التي كانوا يدعون فيها باسم الرب في فترات معينة، مثل بيت أيل (بيت الله)، وبئر سبع، وشكيم[٢]، وكذلك بعد خروجهم من مصر اعتبروا (قادش) في الصحراء مكان مقدس نزلت فيه الشريعة[٣]، وسيناء هي أيضاً

(١) – المسيري، موسوعة اليهود، مج٤، ص ٢٤٢ .

(٢) – سفر التكوين/(١٢: ٨)، (٢٨: ١٧– ١٨)، (٢٦: ٢٥)، (٣٣: ١٨– ٢٠) ؛ باسيم، معجم اللاهوت، ص ٨٢٨ .

(٣) – سفر الخروج/ ١٥: ٢٥ ؛ علي، اليهودية، ص٥٣ .

مكاناً من هذا النوع، (مكان تجلى فيه يهوه)[1]، أو كما تعبر بعض المصادر(تُقدّس بتجلٍّ إلهي)[2]. ولكن فيما بعد تمكن بنو إسرائيل من إقامة مذبح متنقل عبر الصحراء، ضل ملازما لهم حتى بعد نزوحهم إلى فلسطين، أُطلق عليه مجموعة من التسميات المقترنة باسم الخيمة، استمدت هذه المسميات معانيها، إما من طبيعة الهدف التي أنشأت الخيمة من أجله، أو من المقدسات التي تحتويها تلك الخيمة، ومن أكثر الأسماء شيوعاً هو(خيمة الاجتماع)، إذ جاءت هذه التسمية من الاعتقاد (أن الله يجتمع مع شعبه ليعلن لهم مشيئته)، ويرد هذا الاسم أكثر من (١٢٥) مرة في العهد القديم[3]، كما سميت بـ (خيمة الشهادة) لأنها كانت تودع فيها ألواح الناموس والشهادة، كما أُطلق عليها (المسكن أو بيت الرب)، (لأن الله يسكن فيها بين شعبه) حسب الاعتقاد اليهودي[4]. وقد تحدث العهد القديم عن هذه الخيمة وأعطى تفاصيل ووصف دقيق لشكلها ومواد صناعتها وأسباب أقامتها في أسفار مختلفة، ومن أبرزها (الخروج، العدد، التثنية).

ويعكس شكل وأسلوب صناعة الخيمة طبيعة المرحلة التي كان يعيشها المجتمع اليهودي، وهي مرحلة بدوية ذات طقوس بسيطة، إذ يروى أن المجتمع قد تبرع بسخاء وحماس لإنشاء تلك الخيمة، وقد صنعت من المواد الأولية التي وجدت في النواحي المجاورة، ومنها شجر السنط الذي كان ينبت في البرية، وجلود الحيوانات، والذهب، والفضة، والنحاس وأدوات الزينة[5]. أما أجزاء الخيمة، فكانت ثلاث هي: الفناء، والمسكن، والغطاء، وكان **الفناء** يحتوي على مذبح المحرقة والمرحضة النحاسية[6]، وسميت أيضا بحر النحاس[7]، وكانت بين المذبح والخيمة،

---

[1] – نفس المصدر، ص٥٤ ؛ سفر التثنية/ ٣٣: ٢ ؛ سفر القضاة/ ٥: ٤– ٥ .

[2] – باسيم، معجم اللاهوت، ص ٨٢٨ ؛ سفر الخروج/ ٣: ١٩– ٢٠ .

[3] – سفر الخروج/ ٢٨: ٤٣، ٢٩: ٤، ٣٣: ٧، ٣٥: ٢١ ؛ سفر العدد/ ٧: ٨٩، ١١: ١٦، ١٢: ٤؛ سفر التثنية/ ٣١: ١٤، وغيرها ؛ دائرة المعارف الكتابية، حرف الخاء، كلمة (خيمة) .

[4] – قاموس الكتاب المقدس، ص ٣٨٣ ؛ سفر الخروج/ ٢٥: ٨– ٩ .

[5] – سفر الخروج/ ٣٥: ٢١– ٢٩ ؛ قاموس الكتاب المقدس، ص ٣٨٤ ؛ سفر الخروج/ ٢٥: ٨– ٩ .

[6] – سفر الخروج/ ٣٠: ١٨ .

[7] – سفر الملوك الأول/ ٧: ٢٣ .

وكان فيها ماء لغسل أيدي وأرجل الكهنة عند دخولهم إلى المقدس، أما **المسكن** فكانت تتكون من قسمين: **القدس، وقدس الأقداس**، وفي القدس كانت توضع مائدة خبز الوجوه إلى الشمال، والمنارة الذهبية إلى الجنوب، ومذبح البخور الذهبي[١] إلى الغرب أمام الحجاب الذي يفصل القدس عن قدس الأقداس الذي كان به **تابوت العهد**[٢](אהן הברית) (أوهن هبريت) وبداخله لوحا الشريعة وبعض الأشياء المقدسة وكان غطاء التابوت، أو كرسي الرحمة، من الذهب الخالص يظلله كروبان من الذهب الخالص[٣]، وجاء في العهد القديم أنه(على هذا الغطاء كان يلتقي الله بشعبه على أساس الدم المسفوك)[٤]. وكان تابوت العهد[٥] من الأشياء الأكثر قدسية قدسية لدى اليهود، لأنه كان رمزاً إلى (سكنى الله وحضوره)، كما كانوا يعتبرونه بمثابة (عرش الله)، وقد عرف بعدد من الأسماء الأخرى، مثل تابوت الله،(אהן

---

[١] – للمزيد من التفاصيل عن وصف أدوات هذا الجزء من خيمة الاجتماع (القدس)، أنظر: سفر الخروج/ (٢٥: ٢٣– ٣٠)، (٣٥: ٣١– ٤٠) ،(٣٧: ١٠– ١٦) ، (٤٠: ١٧– ٢٧)؛ سفر العدد/ (٤: ٧)؛ سفر أخبار الأيام الثاني/(٢٩: ١٨)؛ سفر الملوك الأول/ (٦: ٢٢) .

[٢] – وكان التابوت عبارة عن صندوق مجوف من خشب السنط ، طوله ذراعان ونصف، وعرضه ذراع ونصف، وارتفاعه ذراع ونصف ومغشي من داخل ومن خارج بذهب نقي، وله إكليل من ذهب حوالي حافته العليا لتثبيت الغطاء، وكان له أيضاً أربع حلقات من ذهب، اثنتان عن كل جانب، وعصوان من خشب السنط المغشي بذهب، تدخلان في الحلقات ليحمل بهما التابوت، لا تنزعان منها. أنظر: سفر الخروج/ ٢٥:١٠ – ١٥، ١:٣٧– ٥ . وقد ذكر (التابوت) في القرآن الكريم: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ البقرة، الآية (٢٤٨)، ويلوح لنا أن هناك علاقة ما بين تابوت العهد القديم، والتابوت الذي جاء في القرآن الكريم من ناحية الوصف، حيث نجد أن تابوت الأول مزين بالكروبيم وهو نحت لأشكال الملائكة، والثاني تحمله الملائكة وهو الحقيقي، وهذا يقودنا إلى الشك بأن التابوت المتداول هو نسخة رمزية عن التابوت الحقيقي الذي كان في عهد موسى والأنبياء. (الباحث) .

[٣] – للمزيد من التفاصيل عن وصف أدوات هذا الجزء من خيمة الاجتماع (قدس الأقداس)، أنظر: خروج/ (٢٥: ١٠– ٢٢)، (٣٧: ١– ٥) ؛ سفر العدد/ (١٠– ٣٣) .

[٤] – دائرة المعارف الكتابية، حرف الخاء، كلمة (خيمة) .

[٥] – أنظر: الشكل التخيلي رقم (٥) طبقا لما جاء من وصف في العهد القديم، ص ٣٧٦.

אלוהים) أوهن ألوهيم، وتابوت الشهادة(אהן העדות)، أوهن هعدوت، وتابوت يهوه(אהן יהוה)[١].

وتابوت العهد كعبادة متنقلة كانت صورة متطابقة لما جاء في الديانة المصرية، فتابوت المصريين غالباً ما أخذ شكل القوارب، ولكن القاعدة العامة أن يأخذ شكل صندوق أو خزانة، وتابوت العهد اليهودي قد صنع ليُحمل في موكب، أو على أكتاف الكهنة وطوق بالأعمدة والأضلاع، ولهذا يبدو أن تابوت العهد اليهودي نسخة طبق الأصل من تابوت العهد المصري إلى درجة أن الكهنة التوراتيون أخذوا بطرق وقواعد الكهنة المصريين حتى في لباسهم وطرق تنفيذ شعائرهم[٢].

ومثلما يحق لفرعون مصر الذي كان بمرتبة إله، أن يفتح الناووس ويرى الشعار المرهوب الحافل بالأسرار، كان أيضا يحق للكاهن الأعظم وحده دون غيره في الديانة اليهودية وحسب قانونها الكهنوتي، أن يدخل مرة واحدة في العام إلى قدس الأقداس حيث تابوت العهد[٣].

أما **غطاء الخيمة** وهو الجزء الأخير، فكان من جلود الكباش والتيوس، وكان يوضع فوق الخيمة والمسكن لوقايتهما من الشمس والمطر[٤]، ومن الجدير بالذكر أن العمل بدء بصناعة أدوات الخيمة أولاً، ثم بعد ذلك صنعت الخيمة، ودشنت بعد الانتهاء منها بشعائر دينية[٥]، وكانت تنصب مدة السفر في البرية في وسط المحلة تحيط بها خيام الكهنة واللاويين، ثم خيام بقية الأسباط حواليهم في أربعة أقسام[٦]، وكان صنع الخيمة دقيقا بحيث يمكن فكها وحملها ونصبها في مكان آخر.

---

[١] – علي، اليهودية، ص ٥٩ – ٦٠ ؛ דר יום טוב לויסקי אנצקלופדיה של הווי ומסורת ביהדות, הוצאת דבר, (תל אביב ,1970) .כא. עמ' 35 ؛ الكبيسي، العقيدة اليهودية، ص ١١٣ .

[٢] – السعد، أوهام التاريخ، ص ١٨٦ .

[٣] – لوبون، اليهود في تاريخ، ص ٦١ .

[٤] – قاموس الكتاب المقدس، ص ٣٨٥ ؛ وللمزيد من التفاصيل عن أجزاء الخيمة الثانوية، أنظر: سفر الخروج/ ٣٦: ٨– ٣٨ .

[٥] – سفر الخروج/ ٤٠ ؛ قاموس الكتاب المقدس، ص ٣٨٧ .

[٦] – سفر العدد/ ٢: ٢– ٣٤ ؛ قاموس الكتاب المقدس، ص ٣٩٩ .

ويثير بعض الباحثين كثير من الشكوك حول أقامة مثل هكذا خيمة، فيقولون أن التعليمات المتعلقة ببناء الخيمة والتي أعطيت لموسى في سفر الخروج، الإصحاحات (٢٥- ٢٧) غامضة وينقصها الكثير من التفاصيل اللازمة حتى ليبدو من المستحيل تنفيذ وإقامة مثل هذه الخيمة، فمثلاً لا يذكر شيء عن شكل الخيمة، وهل سطحها مستو أو مائل، ولا عن شكل الكروبين، ولا عن قاعدة التابوت، ولا قاعدة المائدة، ولا سمك الغطاء (كرسي الرحمة)، كما يزعمون أن ثقل الأغطية المتعددة لم يكن لتتحمل مثل هذه الخيمة، ثم كيف يمكن لمذبح المحرقة المصنوع أساساً من خشب السنط أن يحتمل تلك النيران المتقدة باستمرار لتلتهم الذبائح العديدة ؟

ويتساءلون من أين كانت لبني إسرائيل تلك المهارة الفنية الدقيقة لصنع أجزاء وأدوات الخيمة، وقد استعان سليمان فيما بعد بالصناع المهرة من فينقية لإقامة الهيكل[١] ؟، كما أن كميات البناء اللازمة لإقامة الخيمة كانت كميات ضخمة، فكان يلزم لها مثلاً نحو طن وربع الطن من الذهب، ونحو أربعة أطنان من الفضة، ونحو ثلاثة أطنان من النحاس.

ثم يتساءلون أيضا، لماذا صمتت الأسفار التالية عن ذكر الخيمة منذ الاستقرار في فلسطين إلى بناء الهيكل[٢] ؟

نعتقد أن هذه الشكوك التي أثارها الباحثون حول خيمة الاجتماع، تتجه بهم نحو نتيجة تنسف وجود هذه الخيمة جملة وتفصيلا، وكأنها شيء لا يوجد في التاريخ اليهودي، وهذا لا يتطابق مع طبيعة الأديان السامية القديمة التي كانت تمتلك معابد مركزية يتم فيها ممارسة الطقوس والمناسبات الدينية، فكيف بنا مع أول ديانة سماوية كان لها رموز ومقدسات من ضمنها الخيمة التي كانت رمزاً لتجمع ووحدة المجتمع اليهودي في تلك الفترة، ولكننا من جهة أخرى نوافق هؤلاء الباحثون في أن العهد القديم قد بالغ كثيراً في وصفه للمواد التي صُنعت منها الخيمة، ونرى

---

[١] – سفر الملوك الأول/ ٥: ٦ ، ٧: ١٣،١٤، ٤٠، ٤٥ .

[٢] – دائرة المعارف الكتابية، حرف الخاء، كلمة (خيمة).

بأن المحرر التوراتي هو الذي يتحمل وزر هذه المشكلة، لأنه وصف شيء يبعد عنه أكثر من خمسة قرون.

ومع تغلغل اليهود في فلسطين واستقرارهم فيها، استقرت خيمة الاجتماع، وكان ذلك أولاً في الجلجال[١]، وبقيت هناك فترة طويلة جداً ومن ثم نقلت إلى شيلوه[٢]، ومن هناك نقلت إلى نوب[٣]، وفي عهد داود نقلت إلى جبعون[٤]، وكانت هناك في مستهل حكم سليمان[٥]، وبعد إتمام بناء الهيكل نقلت مع كل أثاثها وآنيتها.

هيكل سليمان:

بقيت خيمة الاجتماع مركزاً لعبادة المجتمع اليهودي في فلسطين، بعد أن رافقتهم من السنة الثانية لخروجهم من أرض مصر[٦]، إلى السنة الحادية عشرة من فترة حكم الملك سليمان[٧]، وهي الفترة التي تميزت باستقرار نسبي على جميع الأصعدة في حياة المجتمع اليهودي، وقد رافق هذا الاستقرار تأثر بالحضارة الكنعانية، نتج عنه رغبة شديدة في أعطاء مكان العبادة التقليدي شكلاً عصرياً، دون إغفال الطابع الخاص لمبادئ الديانة اليهودية. كما أن الأحوال التي كانت تستوجب التجوال وعدم الاستقرار في العهود السابقة قد انتهت، وأعقبتها مرحلة التحضر والاستقرار في المدن، فأصبح الأمر يستلزم وجود بيت أو هيكل ثابت لعبادة الله. والهيكل[٨] كلمة مشتقة من الكلمة الأكدية (إكالو) المستعارة أصلا من الكلمة السومرية (إيجال) أي البيت الكبير أو العظيم[٩].

---

[١] – سفر يشوع: ٤: ١٩؛ باسيم، معجم اللاهوت، ص ٨٢٨ .

[٢] – سفر يشوع/ ١٨: ١ ؛ نفس المصدر، نفس الصفحة .

[٣] – سفر صموئيل الأول/ ٢١: ١-٩ .

[٤] – سفر أخبار الأيام الأول/ ٢١: ٢٩.

[٥] – سفرأخبار الأيام الثاني/ ١: ٣- ١٣ .

[٦] – سفر الخروج/ ٤٠: ٢٦ .

[٧] – دائرة المعارف اليهودية، حرف الهاء، كلمة (هيكل) .

[٨] – لا يطلق اليهود اسم هيكل على كل مكان للعبادة بل على مكان واحد، كبير في القدس، أما باقي أماكن العبادة فكانت تسمى مجامع، ومفردها مجمع . أنظر: قاموس الكتاب المقدس، ص ١٠٨١ .

[٩] – المصدر نفسه، نفس الصفحة .

انبثقت فكرة بناء الهيكل في عهد النبي داود(عليه السلام)، إذ تروي أسفار العهد القديم أن النبي داود كَبُر عليه أن يسكن في بيت جدرانه مكسوة بخشب الأرز، بينما تابوت العهد في خيمة، وتمنى أن يُبنى في عهده هيكل لعبادة الرب **(ولما سكن الملك في قصره وأراحه الرب من جميع أعدائه، قال لناثان النبي: أُنظر أنا مقيم في بيت من أرز، وتابوت العهد مقيم في خيمة)**[١].

ولسبب يقدمه العهد القديم يُحْرم داود من بناء ذلك الهيكل، **(سفكت دماً كثيراً وحاربت حروباً كثيرة، لذا لن تبني هيكلاً لأسمي... لكن سيولد لك ابن يكون رجل سلام...فهو الذي يبني هيكلاً لأسمي)**[٢].

ولذا اكتفى داود بأول خطوة من خطوات الإعداد المادي لهذا المشروع، فجلب كميات ضخمة من الأخشاب والأحجار والذهب والفضة، وغير ذلك من المواد الأخرى، والعمالة الفنية اللازمة للبناء، لا سيما من الصيدونيين والصوريين، ومن ثم أوصى أبنه سليمان[٣].

وما أن أعتلى سليمان العرش حتى أخذ يسير في تحقيق مشروع أبيه، وذلك في السنة الرابعة من حكمه[٤]، وقام ببناء الهيكل على نمط خيمة الاجتماع، مع اختلاف الحجم، فكان ضعفها في الطول والعرض والارتفاع، فبالنسبة لطوله فقد كان ستين ذراعاً، وعرضه عشرين ذراعاً وارتفاعه ثلاثين ذراعاً[٥]، وأختلف كذلك عن الخيمة باختلاف مواد البناء، فكان مبنياً من حجارة، والأرجح أنها من الحجارة الجيرية المتوفرة في المنطقة[٦].

وكان الهيكل يتجه إلى جهة الشرق، وبجانب مدخله رواق وعواميد، وبنيت إلى الغرب من الرواق الشرقي دار مربعة الشكل، ثم إلى غربها دار أصغر منها. أما المذبح فكان صندوقا من الخشب الثمين، مربع الحجم، مغطى بالنحاس، وكانت النار

---

[١] – سفر صموئيل الثاني/ ٧: ١– ٣ .
[٢] – سفر أخبار الأيام الأول/ ٢٢: ٨– ١٠ .
[٣] – سفر أخبار الأيام الأول/ ٢٢: ١١– ١٧ .
[٤] – سفر الملوك الأول/ ٦: ١ .
[٥] – سفر الملوك الاول/ ٦: ٢– ٣ .
[٦] – دائرة المعارف الكتابية، حرف الهاء كلمة (هيكل) .

تشعل على رأسه، وإلى جانبها وضعت أوعية الغسل، من النحاس، ليتطهر بها الكهنة والذبائح، وكان في الدار الصغيرة غرف للكهنة وللطبخ، أما الدار الكبرى فكان فيها الهيكل الحقيقي الذي كان بناؤه شاهقا، وأبوابه من الخشب المرصع بالذهب، وجعلت بعض جوانبه، مخصصة للملوك، وتحت رواقه وضع عمودان مزخرفان هما ياكين وبوعز [١].

كان لا يسمح بدخول أحد غير رئيس الكهنة إلى الجانب المقدس المخصص له وكان ذلك الجانب يغلق ببابين ضخمين وينيره ضوء منارة (شمعدان) من الذهب وإلى جانبه خمس منائر على خمس موائد، وفيه يقدم البخور وخبز الوجوه، وقد وضع فيه المحراب (قدس الأقداس)، وهو غرفة مظلمة، فيه تابوت العهد على صخرة وفوقه كاروبين[٢]. وأستغرق العمل في بنائه سبع سنوات وستة أشهر[٣].

هذا وصف لهيكل سليمان الذي حافظ على وضعه لمدة تزيد على أربعة قرون، أي منذ حوالي سنة(٩٦٨ ق.م.) إلى أن تم تدميره على يد البابليين سنة(٥٨٧ ق.م.)[٤]. وفي وفي سنة (٥٣٦ ق.م.) أقيم هيكلاً ثاني على أنقاض الأول أطلق عليه (هيكل زروبابل) بعد أن سمح بذلك الملك الفارسي كورش لعودة اليهود إلى فلسطين بعد الأسر البابلي سنة(٥٣٧ ق.م.)[٥].

وكان العمال يرممون الصامد من البناء ويبنون على ما تهدم، واستغرق العمل وقتاً طويلا، لحصول اضطرابات وحروب، ولم يتم قبل سنة (٥١٥ ق.م.)، وكان البناء الجديد أضخم من الأول، لكنه كان أقل فخامة وتكلفة، واستعمل في تشييده خشب الأرز، ورصع بالجواهر التي تبرع بها السكان، وأُعيدت إليه بعض أوانيه الذهبية التي

---

[١] – سفر الملوك الأول/ ٧: ٢١؛ سفر أخبار الأيام الثاني/ ٣: ٤ ، ١٥– ١٧ ؛ قاموس الكتاب المقدس، ص ٤٤٢ .

[٢] – سفر الملوك الأول/ ٦ ، ٧ .

[٣] – سفر الملوك الأول/ ٦: ٣٨ ؛ قاموس الكتاب المقدس، ص ٥٤٣ .

[٤] – سفر الملوك الثاني/ ٢٥: ٨، ٩، ١٣؛ سفر أخبار الأيام الثاني/ ٣٦: ١٨– ١٩ .

[٥] – سفر عزرا / ٢، ٣ .

سُلبت من قبل، غير أن قدس الأقداس كان خاليا، لأن تابوت العهد قد اختفى. وأخبار هذا الهيكل مدونة في سفر عزرا[١]، وقد بقي مدة خمسة قرون[٢].

أما الطقوس ومراسم العبادة التي تُمارس في خيمة الاجتماع أو في الهيكل من قبل الكهنة أو عامة الناس في المجتمع اليهودي القديم فكانت تختلف من فترة إلى أخرى خلال الألف الأول قبل الميلاد، ولكن ملامحها الأساسية ظلت ثابتة، ففي كل صباح، كان أحد الكهنة ينظف ضريح القرابين من الرماد ثم يذكي النيران، وبعد ذلك تقدم قرابين اليوم الجديدة المكونة من حمل وخبز ومشروبات، وكان الكاهن الأعظم، أو من ينوب عنه يدخل البهو المقدس، وينظف الشمعدانات، ويحرق البخور على مذبح البخور، ويقدم قربان خبز الوجه، وعند الغروب، كانت معظم الشعائر تعاد من جديد. وكان هذا هو النمط السائد للعبادة والقرابين في الأعياد وفي يوم السبت[٣]. أما العبادات والطقوس فهي حسب الأهمية كما يأتي:

---

[١] – قاموس الكتاب المقدس، ص ١٠٨٢ .

[٢]– تم ترميم (هيكل زروبابل) من جديد في عهد هيرودس (٤٠– ٤ ق.م.) بعد أن تداعى، وذلك في سنة (٢٠ ق.م.) وأستغرق وقتاً طويلاً، وسعت مساحته ضعف ما كانت عليه سابقاً، وأضيف له أجزاء أحاطت به، وتميز بجمالية وقوة المواد المستخدمة في البناء. أنظر :قاموس الكتاب المقدس، ص١٠٨٣

[٣] – المسيري، موسوعة اليهود، مج٤، ص ٢٧٠ .

أولاً: القرابين أوالأضاحي:

القرابين جمع مفرده قُربان[١]، وتتفق مصادر اللغة على أن القُربان بالضم هو ما يتقرب به إلى الله تعالى، تقول: قربتُ لله قُرباناً، وتَقرَّب إلى الله بشيء، أي طلب به القُربة عنده تعالى[٢].

يُعد القربان من أول مظاهر عبادة العبرانيين، رافق عبادتهم منذ نشأتها، وحتى الاسر البابلي، ولهذا اصطلح العلماء على تسميتها (العبادة القربانية)، وقد اكتسبت هذه العبادة صفات محددة أثناء فترة التجوال في الصحراء، وتعدلت بعد فترة التسلل في كنعان[٣]، فقد كانت الطقوس القربانية في مراحلها الاولى تتصف بالبساطة التي تناسب عادات البدو الرُحل، أو نصف الرحل، ومن أهم مفرداتها هو إقامة المذابح[٤]، ورفع الدعاء لله، وتقدمة حيوانات أو محصولات الارض، ولم يكن حينها أماكن ثابته، بل تنحر الذبيحة في مكان يُعتقد أنه مقدس (بالحضور الالهي)، يتجلى ذلك في المذبح الترابي البدائي، والخيمة المتنقلة اللذان يشهدان على الطابع غير الثابت والمؤقت لأماكن العبادة القديمة، كما لم يكن هنالك كهنة متخصصون لتأدية هذه الطقوس القربانية، بل كان رب الاسرة أو رئيس القبيلة، والملك في العهد الملكي هم الذين ينحرون الذبائح[٥]، ولهذا فقد قسم المؤرخون العبادة القربانية خلال الألف الأول قبل الميلاد إلى مرحلتين، الأولى: مع التسلل إلى كنعان، وبعد أن نقلت العناصر الشعائرية إلى المدن وتم تأسيس المملكة اليهودية الموحدة وتحويل أورشليم إلى عاصمة لهذه العبادة وبناء الهيكل الذي أصبح مركز العبادة القربانية، ثم تبدأ المرحلة الثانية وهي مرحلة العبادة (القربانية المركزية)، وكان الكهنة هم العمود الفقري لهذه العبادة والقائمين عليها[٦]، إذ تشهد هذه المرحلة تطور

---

[١]- يسمى القربان في اللغة العبرية קרבן (قاربان)، والجمع קרבנות (قربنوت). أنظر: שגיב , כרך שלישי, עמ' 1613 .

[٢] – الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، (الهند، مطبعة كلكتا، ١٨١٧)، ج١، ص ١٣٩ .

[٣] – المسيري، موسوعة اليهود، مج٤، ص ٢٤٢.

[٤] – في فترات أكثر قدما كان يتم نحر الذبيحة من العجول والضأن والماعز على حجر خاص، ويكون الدم نصيبا للمعبود، لذلك يُترك الدم يجري على الحجر أو على الأرض، أما مقدموا القربان فنصيبهم اللحم. أنظر: علي، اليهودية، ص ٧٨ .

[٥] – باسيم، معجم اللاهوت، ص ٣٥٤ .

[٦] – المسيري، موسوعة اليهود، مج٤، ص ٢٤٣.

في هذه الطقوس بالاتجاه نحو الكثرة والتنوع والتخصص في الذبائح, وهناك أسباب كثيرة توضح هذا التطور، منها الانتقال من الحياة البدوية والرعوية الى حياة الاستقرار والزراعة، والتأثر بالديانة الكنعانية[١]، وكذلك المؤسسة الكهنوتية اليهودية، التي كانت تجتذب أكثر عناصر الطقوس الدينية من جيرانها وتحورها بما ينسجم مع العقيدة اليهودية. ويجسد سفر اللاويين هذا التنوع في القرابين على أساس الاهمية الطقسية، أو الطبقية الاجتماعية، فهناك قربان الحنطة[٢]، وهو تقدمة يصنع من غلة الحبوب، بخلاف المحرقة التي هي من الطير والحيوان[٣]، وكذلك هناك نوع آخر من الذبائح كان كثير الانتشار عند الساميين (الجزريين)، وهو ذبيحة السلامة، وترمز الى الاتحاد بين (المؤمن وربه)، أو بين المؤمن وأخوته من خلال أشتراكهم في الوليمة أو ذبيحة العهد[٤]، طبقاً للمعتقد اليهودي. كما كانت ذبيحة الخطيئة، أي التكفير عن الخطأ سهواً أو عمداً[٥]، كما وجدت ذبائح قسمت على أساس طبقي منها ذبيحة الجماعة، وذبيحة الرئيس، وذبيحة العامة من الناس، وذبيحة الفقراء[٦]، ولهذا فقد كانت القرابين القرابين تمثل طقساً رئيساً في عبادة اليهود، فكانوا يقدمونها لله تعبيراً عن اعترافهم بخطاياهم، أو تكفيرهم عنها، وتوبتهم عن ارتكابها أو شكرهم لله، أو تكريس أنفسهم لخدمته، أو غير ذلك من الأسباب والأغراض[٧]. وقد أشار العهد القديم إلى أول

---

[١] – أدى الاتصال الحضاري لليهود بالكنعانيين، أقتباس فكرة أخرى تخص القربان والغاية منه، فالقربان عند الكنعانيين، ليس بهدف الجمع بين الانسان والله عن طريق الطعام، بل هو عطية للمعبود، لذلك أصبح القربان عند اليهود يُحرق ولا يُذبح، أو يُحرق دهنه فقط، فيصعد الدخان الى السماء حيث يقيم هذا الاله الذي خصص له القربان. أنظر: علي، اليهودية، ص ٧٩ .

[٢] – سفر اللاويين/ ٢ .

[٣] – قاموس الكتاب المقدس ، ص ٤٢٨ .

[٤] – سفر اللاويين/ ٣ ؛ باسيم، معجم اللاهوت، ص ٣٥٥ .

[٥]– سفر اللاويين/ ٤ ، ٥ .

[٦]– سفر اللاويين / ٤: ١٣– ٢١ ، ٢٢– ٢٦ ، ٢٧– ٣٥ ، ٥: ٥– ١٣ ؛ باسيم، معجم اللاهوت، ص ٣٥٤ ٣٥٤

[٧] – الزغبي، فتحي محمد، القرابين البشرية والذبائح التلمودية عند الوثنيين واليهود، ط١، (طنطا: مطبعة عباشي، عباشي، ١٩٩٠)، ص ٨ .

عبادة كانت بالقرابين، وهي عبادة قابيل وهابيل[١]. كما وردت فيه تعاليم مفصلة لتقديم القرابين، أختص بها الكهنة يعاونهم اللاويون في بعض جوانبها[٢].

وكانت القرابين تشمل المحرقات والذبائح والرقائع والعشور والنذور، وكانوا يقدمونها من الحيوانات المستأنسة الطاهرة ومن الحبوب كالقمح والشعير، ومن بعض السوائل النباتية كالزيت والخمر[٣].

كانت الفكرة الرئيسة التي ترمي إليها القرابين عند بني إسرائيل قبل تسللهم إلى كنعان هو الجمع بين الله والإنسان، وطبقا لمعتقداتهم القديمة فإن أهم قربان يحقق هذا الهدف هو (الحيوان)، إذ يُختم العهد بين الرب والشعب بذبيحة طقسية، يتبعها القيام برش دم الضحية، نصف على المذبح الذي يمثل الله، والنصف الآخر على الشعب[٤].

وكان من الذبائح نوع يقدم كله لله، ونوع آخر يخصص قسم منه لله والقسم الآخر للكهنة وحدهم أو بالاشتراك مع العابدين الذين يقدمونها، فكان النوع الأول الذي يقدم كله لله هي المحرقات، حيث جاء في سفر اللاويين **(إذا قرب إنسان منكم قربانا للرب من البهائم، فمن البقر والغنم تقربون قرابينكم إن كان قربانه محرقة من البقر...، وأن كان قربانه من الغنم... ويوقد الكاهن الجميع على المذبح محرقة وقود رائحة سرور للرب)**[٥].

---

[١] – قاموس الكتاب المقدس، ص ٧٢١ .

[٢] – سفر الخروج/ ، ٢٩، ٣٠، ٣٥، ٣٦ ؛ سفر اللاويين/ ١، ٢، ٣، ٤، ٥، ٦، ٧ ؛ سفر العدد/ ٧، ١٥، ٢٨ ؛ سفر التثنية/ ١٥، ١٦، ١٧.

[٣] – قاموس الكتاب المقدس، ص ٧٢٧ .

[٤] – باسيم، معجم اللاهوت، ص ٣٤٢ .

[٥] – سفر اللاويين/ ١،٢ ، ٣ .

ثانياً: الصلاة

ارتبطت الصلاة[١] في العهد القديم ارتباطا مباشراً بالأحداث، إذ نجدها تنبع انطلاقا مما حدث، أو يحدث، ولهذا فقد كان مضمون الصلاة عند اليهود يتحدد من خلال صلته بالتاريخ، ويعطي العهد القديم ثقلاً كبيراً وقدسية عظيمة للصلاة سيما في الفترات الحاسمة التي اقترنت بصلاة الوسطاء وهم الأنبياء، طلبا لتدخل العناية الإلهية في أمور ومواقف لا حصر لها عبر التاريخ اليهودي القديم[٢].

ولم تكن الصلوات في بادئ الأمر محددة ولا إجبارية، بل كانت تتلى ارتجالاً حسب الأحوال والاحتياجات الشخصية والعامة، ومع التهجير إلى بابل وخراب الهيكل عام (٥٨٧ ق.م.)، بطلت الضحايا والقرابين وظهرت العبادات بالصلوات بدلاً عنها[٣]، وقد بدأ علماء المجمع الأكبر في وضع قوانينها وفي تقنينها ابتداءاً من القرن الخامس قبل الميلاد، ولم تكتمل هذه العملية إلا بعد هدم الهيكل وانتهاء العبادة القربانية المركزية التي كانت تأخذ شكل تقديم الحيوانات والنباتات، وحلت محلها الصلاة التي كان يطلَق عليها (قربان الشفتين) أو (عبادة القلب)[٤]. وبقي مضمون الصلوات خاضعاً للتغيير حسب التطورات السياسية، والأحداث التاريخية[٥].

والصلاة أهم الشعائر التي تقام في المعبد اليهودي، ويذكر سفر التكوين جملة صلوات متفرقة وعبادات، كما يذكر الضحايا والقرابين التي يجب أن يقدمها اليهودي للإله.

أما عدد الصلوات الواجبة على اليهودي، فهي ثلاث في كل يوم، صلاة الفجر שחרית (شحاريت)، وصلاة نصف النهار، أو العصر מנחה (منحا)، وصلاة المساء أو المغرب מעריב (معاريف)، ويجب علي اليهودي أن يغسل يديه قبل الصلاة، ثم يلبس الطاليت والتفيلين، وان يغطي رأسه، وفي كل صلاة تتلى نفس

---

[١] – تسمى الصلاة في اللغة العبرية תפלה (تفلا)، أو תפילה (تفيلا) وجمعها תפלות (تفلوت)، أو תפילות (تفيلوت). أنظر: שגיב , כרך רביעי ,עמ' 1912 .

[٢] – باسيم، معجم اللاهوت، ص ٤٧٧ .

[٣] – ظاظا، الفكر الديني، ص ١٦٨ ؛ راشد، السامريون، ص ١٦٤ .

[٤] – المسيري، موسوعة اليهود، مج٥، ص ٣٤١ .

[٥] – نفس المصدر، نفس الصفحة.

الدعوات والبركات تقريباً، ثم يعقب ذلك قراءة من أسفار موسى الخمس، كما تقرأ بعض البركات والدعوات قبل وبعد الصلاة[١].

وتتكون الصلاة من الشماع والشمونة عسرة (שמע ، שמונה - עשרה) أو عاميدا (עמידה)، وهي عبارة عن تسع عشرة بركة (كانت في الأصل ثماني عشرة) ومن هنا جاءت التسمية، وتختصر صلاة العاميدا أحيانا عند كثرة المشغولية ويضاف جزء يسمى מוסף (موساف) يوم السبت وأيام الأعياد، أما في عيد يوم الغفران فتضاف صلاة خاصة تسمى נעילה (نعيلاه). والصلاة نوعان: فردية أي شخصية، تتلى حسب الظروف، ولا علاقة لها بالطقوس والمواعيد والمواسم، ويقدم لنا العهد القديم بعض الأمثلة عن تلك الصلاة، كصلاة إبراهيم لأجل خلاص سدوم، ولأجل شفاء ابيمالك[٢]، وصلاة النبي موسى(عليه السلام) من اجل بني إسرائيل[٣]، والنوع الآخر من الصلاة، هي الصلاة المشتركة أي العمومية، وهي الصلوات التي تؤدى باشتراك مجموعة أشخاص علناً وعموماً، في أمكنة مخصوصة ومواعيد معلومة، حسب طقوس وقوانين مقررة من رؤساء الدين والكهنة[٤]، ويطلق عليها اصطلاح الجماعة מנין (منيان) ويردد الصلوات كل المشتركين في الصلاة، باستثناء بعض المقاطع التي يرددها القائد أو الإمام بمفرده، ويتجه اليهودي في صلاته جهة أورشليم، أما إذا كان في القدس فيولي وجهه شطر الهيكل[٥].

---

(١) – نفس المصدر، ص ٣٤٢ .

(٢) – ظاظا، الفكر الديني، ص ١٦٩ ؛ سفر التكوين/ ١٨: ٢٣– ٣٣ .

(٣) – سفر الخروج/ ٢٢: ٣١– ٣٢ .

(٤) – ظاظا، الفكر الديني، ص ١٧٠ .

(٥) – السعدي، الأعياد والمناسبات، ص٦١ .

ثالثاً: الختان

الختـان عـادة قديمـة مارسـتها أكثـر شـعوب الشـرق الأدنـى القـديم، لا سـيما المصريين، إذ كانت سُنة شائعة عندهم للوقاية الصحية من الأقذار التي تتعرض لها الأعضاء التناسلية، كما تُظهر ذلك الألواح المصرية المصورة(١).

وقد انتقلت هذه العـادة إلـى الأرض الكنعانيـة، عبـر قبائـل مـديان العربيـة فـي صـحراء سيناء(٢)، فأخـذ يمارسـها السـاميون الغربيـون بعامـة، مـن عبـرانيين ومـوآبيين وعمـونيين وأدوميـين، باستثناء بعـض الاقـوام التـي أسـتوطنت كنعـان كالفلسـطينيين، ولذلك كان يُطلق عليهم دائماً وصف (الغُلَّف) أي غير المختونين. كما لم تكن هذه العادة معروفة عند الآشوريين والبابليين(٣).

وهنـاك بعض الآراء التـي حاولـت تفسير أصـل ومعنـى الختـان، ومـن أبرزهـا الرأي القائل بأن الختان هو علامـة قبليـة (وشم)، كانت تُمكِّن أفراد القبيلـة أن يتعرفوا علـى أي فرد من قبيلتهم ليتجنبوا إيذاءه أو قتلـه، كمـا تُمكِّن إلـه القبيلـة من التعرف علـى أفـراد القبيلـة الموضـوعة تحـت حمايتـه الخاصـة، وكـان ذلـك أمـراً شـائعاً فـي الـديانات القديمـة. وعلامـة الوشـم هـذه تعمـل عـادة فـي أمـاكن ظـاهرة حتـى تسـهل رؤيتهـا، ولكـن فـي بعـض الأحيـان كـان يلـزم إخفاؤهـا لتكـون معلومـة فقـط لأفـراد القبيلة(٤).

ويـذهب بعض الباحثين من خـلال تتبعـه لكلمـة (ختـان فـي اللغـة العربيـة) أن أحـدى الاشـتقاقات اللغويـة لهـذه الكلمـة هـي (الختونـة) والتـي تعنـي (المصـاهرة)(٥)،

---

(١) – ديورانت، قصة الحضارة، مج١، ص٣٧١ ؛ شلبي، مقارنة الاديان، ج١، ص ٢٩٧ ؛ فرويد، سيجموند، اليهودية في ضوء التحليل النفسي موسى والتوحيد، ترجمة: عبد المنعم الحفني، (القاهرة: مطبعة الدار المصرية، ١٩٧٢)، ص ٧١– ٧٢ .

(٢) – خياط، محمد وحيد، قراءات في التوراة على ضوء المكتشفات الأثرية الحديثة، (دمشق، ب مط، ١٩٨٦) ص ٦٨ .

(٣) – دائرة المعارف الكتابية، حرف الخاء، كلمة (ختان) .

(٤) – دائرة المعارف الكتابية، حرف الخاء، كلمة (ختان) .

(٥) – وكذلك نجد في قواميس ومعاجم اللغة العبرية أن كلمة חתן (حاتان، أو خاتان)، تحمل عدة معاني، منها: عريس، عروس، خطيب، صهر، ختين، مختون (الطفل يوم ختانه أو طهوره). أنظر: שגיב , כרך שני ,עמ' 618 -619 .

ويقول: أن من غير المستبعد أن اصل الختان مرتبط بالزواج، حيث وجب نزف الدم من الذكر كما ينزف من العذراء، وهذا ربما يفسر عدم قيام بعض القبائل العربية القديمة من ممارسة الختان على الأطفال، حيث يُنتظر حتى وصولهم إلى سن الزواج[١].

وهناك من يرى أن عملية الختان كانت من أعمال التضحية، ولربما كانت فدية لتضحية أخرى اشد منها قسوة يكتفي فيها الإله بأخذ جزء من كل[٢]، ونعني بذلك تقديم الذبائح البشرية، التي كانت في طريقها إلى الانقراض، ولهذا فقد أُستعيض عنها بجزء يسهل إنتزاعه من الجسم، كتقدمه أو ذبيحة بديلة[٣].

وهكذا يبدو أن الختان في العالم القديم، مثله مثل كثير من العادات التي لا يُعرف مرماها الأصلي، قد نشأ كطقس ديني، ومن ثم أصبح مع الزمن شرطاً أساسياً للتمتع بامتيازات دينية وسياسية معينة.

ولأحد الأسباب السالف ذكرها، فقد تمسك اليهود بطقس الختان، إذ تدل بعض النصوص في العهد القديم على قدم ممارسة هذه العادة عندهم، حيث استعملوا سكيناً من الصوان، كما استخدموا أداة حديدية على شكل نصف دائرة تتم تحميتها لوقف النزيف المصاحب لعملية الختان، سيما عند البالغين، لأنه عندهم أشد من نظيره عند الأطفال[٤].

ولم يحتوي العهد القديم على تبرير أو شرح لغرض عادة الختان[٥]، على الرغم من ذكرها مرات عديدة في مواضع مختلفة منه، إلا أن تبني اليهود لهذه العادة، قد أعطاها في نظرهم بعداً دينياً أخلاقياً لتصبح صفة خاصة بهم، تميزهم عن بقية الشعوب. ولهذا فقد قالوا عنها أنها علامة عهد بين (الرب وإبراهيم) الذي أختتن هو وأهل بيته وعبيده الذكور[٦]، إذ جاء في العهد القديم، وقال الله لإبراهيم:

---

[١] – منى، مقدمة، ص ٣١٨ .

[٢] – ديورانت، قصة الحضارة، مج١، ص ٣٤٦ .

[٣] – دائرة المعارف الكتابية، كلمة، حرف الخاء، (ختان).

[٤] – منى، مقدمة، ص ٣١٦ .

[٥] – المصدر نفسه، ص ٣١٧ .

[٦] – طويلة، مغالطات اليهود، ص ٨٤ .

(أحفظ عهدي أنت ونسلُك من بعدك جيلاً بعد جيل، وهذا هو عهدي الذي تحفظونه بيني وبينكم وبين نسلِك من بعدك: أن يُختن كل ذكر منكم، فتختنون الغلفة من أبدانكم، ويكون ذلك علامة عهد بيني وبينكم، كل ذكر منكم أبن ثمانية أيام تختنونه مدى أجيالكم، ومنهم المولودون في بيوتكم أو المقتنون بمال وهم غرباء عن نسلكم، فيُختن المولودون في بيوتكم والمقتنون بمالكم ليكون عهدي في أبدانكم عهداً مؤبداً، وأي ذكر لا يُختن يُقطع من شعبه لأنه نقض عهدي)[١].

يقابل الختان في العبرية كلمة מילה (ميلاه)، ويقال أحيانا ברית- מילה (بريت ميلاه) أي عهد الختان، التي تُطلق أصطلاحاً على مراسيم الختان، وأحياناً أخرى يُكتفى بكلمة ברית (بريت)، أي(عهد)[٢]، (لذكرى العهد الذي قطعه الرب مع النبي أبراهيم(ﷺ)، حسب رواية العهد القديم)، كما تم بيانه.

ويختن الطفل اليهودي بعد ميلاده بسبعة أيام على الأكثر، حتى ولو وقع اليوم السابع في يوم السبت أو في عيد يوم الغفران، أكثر الأيام قداسة[٣]، إذ يتم قطع لحم الغلفة أو الغرلة بمستوى معين، وتُجرى عملية الختان عادة من قبل رب البيت، أو أحد اليهود وأحيانا الأم[٤].

كان اليهود يحافظون كل المحافظة على هذه السنة وقد أهملوها أثناء رحلتهم في البرية، لكن أسفار العهد القديم تروي، أنه عند دخولهم أرض كنعان صنع يشوع سكاكين من الصوان وختن الشعب كله[٥]، وكان مفروضا على كل الغرباء الذين يقبلون الدخول في اليهودية أن يخضعوا لهذا الفرض مهما تكن أعمارهم[٦]. وكان غير المختون يستبعد من المشاركة في طقوس الفصح، ومن التزاوج مع اليهود[٧].

---

(١) – سفر التكوين/ ١٧: ٩– ١٤ .

(٢) – שגיב , כרך שני ,עמ' 937 , כרך ראשון ,עמ' 211 .

(٣) – المسيري، موسوعة اليهود، ج٥، ص ٣١١ .

(٤) – سفر الخروج/ ٤: ٢٥ ؛ سفر المكابيين الأول/ ١: ٦٠ ؛ قاموس الكتاب المقدس، ص ٣٦٧ .

(٥) – سفر يشوع/ ٥: ٢– ٩ .

(٦) – سفر التكوين/٣٤: ١٤–١٧، ٢٢ ؛ سفر الخروج/ ١٢: ٤٨ ؛ قاموس الكتاب المقدس، ص ٣٦٧ .

(٧) – موسكاتي، الحضارات، ص ١٦٨ .

مرت عملية الختان عند اليهود خلال الألف الأول قبل الميلاد بأشكال مختلفة، إذ كانت في الماضي تُجرى للذكور بصورة بسيطة تتيح للشخص مجالاً للادعاء بأنه غير مختون، ليتقي عدوان غير اليهود عليه[١]. وحينما زاد اندماج اليهود في العصر الهيليني، كان بعضهم تجرى له عملية تمكِّنه من إخفاء آثار الختان، لكن بعد التمرد الحشموني[٢]، أمر الكهنة بأن تزال الغلفة عن آخرها[٣]، حتى لا يتمكن اليهود من الاندماج مع الأغيار [٤].

وكان الحشمونيون يفرضون التهود والختان على الشعوب التي يهزموها. وقد منع أنطيوخوس الرابع (إبيفانيس) (١٧٥- ١٦٤ق.م.) الختان في محاولته دمج يهود فلسطين في إمبراطوريته السلوقية، كما منعه الإمبراطور هادريان (١١٧- ١٣٨م)[٥]، ١٣٨م)[٥]، ويقال إن هذا أحد أسباب ثورة بركوخبا[٦].

---

[١] – المسيري، موسوعة اليهود، مج٥، ص ٣١٢ .

[٢] – عن التمرد الحشموني (المكابي)، أنظر: الفصل الخامس، المبحث الاول، ص ٣٤٠ .

[٣] – المسيري، موسوعة اليهود، مج٥، ص ٣١٢ .

[٤] – الاغيار: ترجمة للكلمة العبرية גויים (گوييم)، ومفردها גוי (گوي)، وأصل اشتقاق الكلمة غير معروف، ويرى بعض العلماء انها جاءت من اصول غير سامية قديمة جداً، واستخدمها العبريون في العصور القديمة بمعنى الهوام والحشرات التي تزحف في جموع كبيرة، مكررة مرتين للتهويل، فكانوا يقولون (گوي– گوي)، ومن هذا التركيب الازدواجي بقي في لغتنا العربية – لفظ (غوغاء)، ومعناه ايضا جموع الجراد ونموه من الحشرات، ثم انتقل الى معنى الكثير المختلط من الناس، ثم اصبح يدل على الاشرار بصفة خاصة. وقد سلكت(گوي) العبرية نفس الطريق في تطورها، حتى صارت تشير إلى الناس جميعاً من غير اليهود ثم توسع احبار اليهود في مدلولها، فأضافوا إليها معنى القذارة المادية والروحية والكفر وأصبحت بمثابة صفة تلحق باليهودي الذي يتعدى حدود الدين ثم تطورت دلالياً لتعني غير اليهودي . أنظر: الشامي، رشاد، الشخصية اليهودية الاسرائيلية والروح العدوانية، (القاهرة: كتاب الهلال، ٢٠٠٢)، ص ٥٣ .

[٥] – المسيري، موسوعة اليهود، مج٥، ص ٣١٢ .

[٦] – ثورة بركوخبا: وهي الثورة التي قادها رجل من يهودا يطلق على نفسه أسم بركوخبا (أبن الكوكب) ضد الامبراطور الروماني هادريان عندما أصدر تشريعاً يقضي بتحريم الختان، ولكن ثورة بركوخبا هذه لم تنجح، إذ استطاع هادريان أخمادها سنة (١٣٥م) بعد أن أُريقت دماء كثيرة. أنظر: الشامي، رشاد، اليهود واليهودية في العصور القديمة بين وهم الكيان السياسي وأبدية الشتات، ط١، (القاهرة: المكتب المصري، ٢٠٠١)، ص ٢١٥ .

رابعاً: الصوم

الصوم[١] عند اليهود، هو الإمساك أو الامتناع عن كل طعام وشراب، وعن ممارسة الجنس، خلال يوم أو أكثر، ويختلف وقته حسب نوعه، لكن الغالب هو من الغروب إلى الغروب[٢]، وكلمة صوم في اللغة العبرية هي צום (تسوم)، ويرادفها أيضاً كلمة תענית (تعنيت)[٣]، ويعبر اليهودي بأدائه لمنسك الصوم عن تواضعه وإذلاله لنفسه أمام الله[٤].

وتختلف دوافع الصوم عند اليهود، فربما يكون مقدمة للقيام بمهمة شاقة[٥]، أو أو لطلب الصفح عن خطأ[٦]، أو لالتماس شفاء[٧]، أو أثناء الحداد والمناحة والدفن[٨]، أو بعد ترمل[٩]. ونجد النبي موسى(عليه السلام) يصوم أربعين يوماً أمتنع خلالها خلالها عن الطعام والشراب، ويبدوا أنه اختص بها لغرض التقرب إلى الله تعالى, واستقبال وحيه, كما كان يستغفر عن ذنوب اليهود وخطاياهم[١٠].

ويصوم اليهود أيام متفرقة من السنة، أهمها صوم يوم الغفران الذي يقع في العاشر من تشري، وهو الصوم الوحيد الذي ورد في أسفار موسى الخمسة[١١]، حيث جاء فيها(...**تذللون نفوسكم بالصوم وتقربون وقيدة للرب)**[١].

---

(١) – من الناحية التاريخية يبدو جليا أن الصيام كان دائما شريعة مفروضة في سائر الأديان سواء ما عرف منها كاليهودية والنصرانية أم تلك الأديان التي تلاشت عبرالأزمان ولم يبق منها سوى بعض الآثار والبقايا، بدليل الآية القرآنية الكريمة **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمْ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)**، سورة البقرة، (الآية ١٨٣)، فالصيام أذن كان موجوداً في الأمم السابقة، وأن اختلفت كيفيته. (الباحث) .

(٢) – باسيم، معجم اللاهوت، ص ٤٨٨ .

(٣) – שגיב, כרך רבעי, עמ' 1908.

(٤) – المصدر نفسه، نفس الصفحة ؛ سفر اللاويين/ ١٦: ٢٩، ٣١ .

(٥) – سفر القضاة/ ٢٠: ٢٦؛ سفر استير/ ٤: ١٦ .

(٦) – سفر الملوك الأول/ ٢١: ٢٧ .

(٧) – سفر صموئيل الثاني/ ١٢: ١٦، ٢٢ .

(٨) – سفر صموئيل الأول/ ٣١: ١٣ ؛ سفر صموئيل الثاني/ ١: ١٢ .

(٩) – سفر يهوديت/ ٨: ٥ .

(١٠) – قاموس الكتاب المقدس، ص ٦١١ ؛ سفر الخروج/ ٣٤: ٢٨؛ سفر التثنية/ ٩: ٩ .

(١١) – المسيري، موسوعة اليهود، ج٤، ص ٣٢٣ .

ويرافق الصوم عند اليهود بعض مظاهر التقشف، فكانوا ينقطعون عن الطعام غالبا من غروب الشمس إلى الغروب التالي، ويلبسون المسح على أجسادهم وينثرون الرماد على رؤوسهم ويتركون أيديهم غير مغسولة ورؤوسهم غير مدهونة، ويصرخون ويتضرعون ويبكون[٢]. وفيما بعد أصبح للصوم أسباب ودوافع أخرى[٣] مستمدة من أحداث التاريخ اليهودي نفسه، وردت في كتب العهد القديم الأخرى وهي مرتبطة بأحزان اليهود[٤]، ومعظمها مناسبات قومية، ومن أهما التاسع من آب، يوم هدم الهيكل، أو خراب الهيكل، وفي المصطلح الديني (الهيكل الأول والثاني)[٥] .

(١) – سفر اللاويين/ ٢٣: ٢٧ .

(٢) – قاموس الكتاب المقدس، ص٦١١– ٦١٢ ؛ سفر إشعيا/٢٢: ١٢ ؛ سفر يوئيل/٢: ١٥– ١٧ .

(٣) – أصبح الصوم في فترات مختلفة من تاريخ المجتمع اليهودي يمارس في مناسبات اجتماعية أخرى، مثل صيام العريس والعروس يوم زفافهما، أو صيام اليهودي في ذكرى موت أبويه أو أستاذه، أو عندما يرى كابوساً في نومه، وإذا سقطت أحدى لفائف التوراة كان من المعتاد أن يصوم الحاضرون، كما يصوم أعضاء السهندرين في اليوم الذي يحكمون فيه على شخص بالموت. أنظر: المسيري، موسوعة اليهود، ج٥، ص ٣٢٣ .

(٤) – سفر صموئيل الأول/ ٧: ٦ ؛ سفر صموئيل الثاني/ ١: ١٢ .

(٥) – المسيري، موسوعة اليهود، مج٥، ص ٣٢٣ .

خامساً: الإضاءة

كان إيقاد السُرج والمحافظة على الإضاءة داخل الأمكنة المقدسة (خيمة الاجتماع والهيكل) يرمز إلى الأيمان بالله والدوام على الصلاة[١]، وإذا تُرك السراج ينطفئ، فكأنه هجر لله، وعلى العكس من ذلك (طوبى للذين يسهرون في انتظار الرب)، فطقس الإضاءة وإنارة السرج هو تعبير عن (الحضور الإلهي) حسب العقيدة اليهودية[٢].

ولهذا فقد احتلت المنارة الذهبية عبر التاريخ اليهودي موضعاً لا يكاد يضاهيه شيء آخر من الأدوات والمقدسات، في أمكنة العبادة اليهودية سوى تابوت العهد، وهذا ما يفسر تعرضها المستمر إلى السرقة أو النهب في ظروف الحروب والتدمير، إذ أنها كانت رمز الكيان الديني والطقوسي لليهود، وانطفائها وإخراجها من مكانها هو انتكاسة للمقدسات اليهودية.

كانت المنارة الذهبية(الشمعدان)، والتي تسمى في العبرية מנורה (مينوراه)[٣]، تقوم في الجانب الجنوبي من القدس في خيمة الشهادة، مقابل مائدة خبز الوجوه[٤]، وكانت مصنوعة من ذهب خالص، هي وقاعدتها وساقها وجميع أدواتها من ملاقط ومنافض[٥].

وتتكون المنارة من قاعدة وساق، وتخرج من أحد جانبيها ثلاث شعب منارة ومن الجانب الآخر ثلاث شعب منارة، وبذلك كانت المنارة تتكون من سبعة سرج وفى كل شعبة ثلاث كاسات على شكل زهرة اللوز، وفي المنارة (الساق الرئيسية) أربع كاسات أيضا على شكل زهرة اللوز، وكانت جميعها من ذهب خالص[٦]، تُشعل تُشعل المنارة أو الشمعدان بفتائل من ثياب الكهنة البالية وبزيت الزيتون[٧]، ولا يذكر

(١) – سفر الخروج/ ٢٧: ٢٠، ٢١ ؛ باسيم، معجم اللاهوت، ص ٤١٥ .

(٢) – باسيم، معجم اللاهوت، ص ٤١٥ .

(٣) – المسيري، موسوعة اليهود، مج٣، ص ٣٣٣ .

(٤) – سفر الخروج/ ٤٠: ٢٤ .

(٥) – سفر الخروج/ (٢٥: ٣١– ٤٠) ، (٣٧: ١٧– ٢٤) .

(٦) – سفر خروج/ ٢٥: ٣٦، ٤٠ .

(٧) – سفر الخروج/ ٢٧: ٢٠ .

يذكر الكتاب المقدس حجمها، ولكن يقول التقليد اليهودي أن ارتفاعها كان خمس أقدام، وعرضها نحو ثلاث أقدام ونصف قدم[١].

وفي هيكل سليمان تم صناعة عشر منائر أو شمعدانات من ذهب خالص، بأزهارها وسرجها وملاقطها، عوضاً عن المنارة الواحدة ووضع خمسا منها عن اليمين، وخمسا عن اليسار أمام المحراب (قدس الأقداس)[٢]، فضلاً عن منائر فضية أخرى، وهي كما تم بيانه صنعت من قبل الصوريين بأمر من ملكهم أحيرام.

أما في هيكل زروبابل، فقد عاد اليهود من الأسر البابلي إلى المنارة الواحدة، وبقيت كذلك حتى في هيكل هيرودس، حيث لم تكن هناك سوى منارة واحدة على الجانب الجنوبي من القدس، كما يذكر يوسيفوس المؤرخ اليهودى وهى المنارة التي أخذها تيتوس القائد الروماني (٨١– ٩٦ م)، من بين الغنائم ورسمها على قوسه الشهير في روما[٣].

ولم يقتصر وجود الشمعدان داخل الأماكن المقدسة، بل كانت تستخدم أيضا عند العامة، ولكن بأشكال وأحجام مختلفة، إذ أعتاد الناس في المجتمع اليهودي أن يتركوا السُرج مشتعلة طول الليل، لأن إطفاءها علامة الفقر الشديد أو هجر البيت[٤]، وإضاءة السرج تشير إلى اتساع الثروة[٥]، وإلى حسن تدبير المرأة المنزلي[٦].

والسراج الاعتيادي المتداول كان وعاء يُصنع من فخار أو نحاس، ويوضع فيه سائل قابل للاشتعال كالزيت أو القطران، ثم يوضع فيه فتيل يُشعل ليضيء في الظلام[٧]، وكان الحديث عن السراج يرمز إلى الهداية[١]، كما كان يرمز إلى نفس الإنسان أو إلى الابن الذي سيخلف أباه[٢].

---

[١] – دائرة المعارف الكتابية، حرف النون، كلمة (نور– المنارة الذهبية) .

[٢] – سفر الملوك الأول/ ٧: ٤٩ .

[٣] – المسيري، موسوعة اليهود، مج٤، ص ٣٣٣ .

[٤] – دائرة المعارف الكتابية، حرف السين، كلمة (سراج) .

[٥] – سفر الأمثال/ ١٣: ٩ .

[٦] – سفر الأمثال/ ٣١: ١٨ .

[٧] – قاموس الكتاب المقدس، ص ١٤ – ١٥ .

سادساً: التطهير

طَهُر طُهراً وطهارة، نقي من النجاسة والدنس، أو بريء من كل ما يشين، وطهَّر الشئ نقَّاه وخلصه من الدنس والعيوب(٣).

والطهارة مفهوم مشترك بين الديانات القديمة، وهي حسب التصور البدائي، تقوم أساساً على الاستعداد المطلوب للتقرب من الأشياء المقدسة، ويتم الحصول عليها بواسطة ممارسة بعض الطقوس، وبطرق مختلفة تبعاً لاختلاف الأوساط الفكرية، والمعتقدات الدينية(٤). ففي الفكر الديني اليهودي يحتل طقس التطهير مكانة كبيرة نظراً لكونه مفتاحاً وشرطاً أساسياً للقيام بكل الطقوس الدينية الأخرى.

ويتضح ذلك من خلال التوصيات الواردة في العهد القديم بشأن أدوات هذا الطقس والتي جعلتها تتصدر بقية الأدوات المتعلقة بالطقوس والعبادات الأخرى في أماكن العبادة، ونعني بذلك المغسلة وأواني الغسل.

ويأتي وصف هذه المغسلة في سفر الخروج **(تصنعُ مغسلة تكون هي وَقَاعِدَتَهَا مِنْ نُحَاسٍ، وتقيمها بَيْنَ خَيْمَةِ الاجْتِمَاعِ وَالْمَذْبَحِ، وَتضع فِيهَا مَاءً. فَيَغْسِلُ هَارُونُ وَبَنُوهُ أَيْدِيَهُمْ وَأَرْجُلَهُمْ، إذا دخلوا خيمة الاجْتِمَاعِ أو تقدموا إلى المذبح ليخدموا ويحرقوا ذبيحة للرب، يَغْسِلُونَ أَيْدِيَهُمْ وَأَرْجُلَهُمْ لِئَلاَّ يَمُوتُوا)**(٥).

ويبدو جليا من خلال هذا النص التوراتي أن هناك اهتمام مفرط بالنظافة والتطهير، بحيث جعل الاقتراب من خيمة الهيكل أو المذبح بغير اغتسال ذنباً يعاقب مرتكبه بالموت.

ويرى بعض الباحثين أن اهتمام اليهود بالاغتسال بالماء هو بتأثير الديانة المصرية، لأن الديانة اليهودية قد نشأت في الصحراء حيث لم يكن كل ذلك الماء متوفراً بهذه الغزارة، وأن هذا الاهتمام الطارئ بالاغتسال الذي ما من شك في أنه

---

(١) – سفر المزامير/ ١١٩: ١٠٥ .

(٢) – سفر الأمثال/ ٢٠: ٢٧ ؛ سفر الملوك الأول/ ١٥: ٤ .

(٣) – معلوف، المنجد، ص ٤٧٤ ؛ دائرة المعارف الكتابية، حرف الطم، كلمة (طهارة) .

(٤) – باسيم، معجم اللاهوت، ص ٤٩٩.

(٥) – سفر الخروج/ ٣٠: ١٧- ٢١ ، ٣٨: ٨ .

كان صعباً للغاية طوال سنوات التيه الأربعين في الصحراء كان يستمد أصوله من مصر الفرعونية، فشعائر المعابد المصرية كانت لا تبدأ إلا بذلك الاغتسال بالماء على سبيل التطهر، وعلى معظم مداخل تلك المعابد، كان يطل على الداخل نقش يقول: (ليكن من يدخل هذا المعبد طاهراً)، وأمام بوابات المعبد كانت تبنى مغاسل لاستخدامها في الاغتسال الشعائري الذي كان يتعين على الملوك والكهنة ممارسته بدقة وبشكل متكرر[١]. كما يذكر هيرودت أن كهنة قدماء المصريين كانوا يستحمون مرتين في أثناء النهار، ومرتين في أثناء الليل[٢].

وترتبط الطهارة في الديانة اليهودية بالعلاقة مع الله والتقرب منه، وتهدف إلى الانفصال عن عبادة الأوثان[٣]، وهناك جملة من الكلمات العبرية تستخدم للدلالة على معنى الطهارة، وأكثرها استخداماً في العهد القديم هي كلمة (טהר)[٤] (طاهر)، وهي نفس الكلمة في العربية، إذ تُذكر هي ومشتقاتها أكثر من مائتي مرة، وتدل على الطهارة بأنواعها: الجسمية والطقسية والأدبية حسب القرينة[٥].

وتعني الطهارة الجسمية أو الجسدية، الابتعاد عن كل قذارة، وعن كل فساد، كفساد جثة ميت، وعن كل مرض، كالبرص، الذي كان يعتبر من أخطر مصادر التلوث، ليس لخطورته فحسب، بل لأنه كان دليلاً على عدم الرضا الإلهي، ولذلك كان تطهير الأبرص يستلزم تقديم ذبيحة خطية وذبيحة محرقة إضافيتين[٦].

أما الطهارة الطقسية: فهي الطهارة الغير مرتبطة مباشرة بالأخلاق، ولكن لابد من ممارستها للاشتراك مع الجماعة في أداء الطقوس والأعياد والمناسبات الدينية المختلفة[٧].

---

[١] – مقار، السحر، ص ١٠٦ .

[٢] – دائرة المعارف الكتابية، حرف الطم، كلمة (طهارة) .

[٣] – سفر اللاويين/ ١٩: ٤ ؛ سفر زكريا/ ١٣: ٢ .

[٤] – שגיב, כרך שני , עמ' 625.

[٥] – دائرة المعارف اليهودية، حرف الطم، كلمة (طهارة) .

[٦] – نفس المصدر، نفس الكلمة ؛ سفر اللاويين/ ١٤: ١٣ ؛ سفر التثنية/ ٢٣: ١٣– ١٥ ؛ سفر العدد/ ١٩: ١٩: ١١– ١٤ ؛ سفر الملوك الثاني/ ٢٣: ١٣ .

[٧] – باسيم، معجم اللاهوت، ص ٤٩٩.

بينما تعني الطهارة الأدبية، تنقية القلب والشفتين، وتجسيدها بطهارة الأخلاق، إذ يعلن الأنبياء باستمرار أن أنواع الغسل والذبائح ليس لها قيمة في ذاتها، ما لم تنطو على طهارة باطنية[1]، وهذا لا يعني اختفاء الشكل الطقسي[2]، بل أن النجاسة الحقيقية التي من شأنها تدنيس الإنسان من وجهة النظر اليهودية، قائمة في أصل ينبوعها، وهو الخطيئة، والنجاسات المقررة في الشريعة ليست سوى صورتها الخارجية[3]، وبعبارة أخرى فأن الطهارة الطقسية لازمة للاقتراب إلى الله[4]، ولم تكن تكن منفصلة عن الطهارة الأدبية[5].

وبشكل عام فأن تعبير الطاهر وغير الطاهر في الشريعة اليهودية ينطبق على الأشخاص والحيوانات والأشياء، وفيما يخص التمييز بين الحيوانات الطاهرة والنجسة[6]، والمستعار غالباً من محرمات بدائية، لا يمكن تعليله بمجرد سبب صحي فقط[7].

وقد حرصت الشريعة اليهودية على تحديد طقوس التطهير لكل حالة من حالات النجاسة سواء منها الطقسية أو الأدبية، وتقوم جميعها على أساس أن النجاسة تؤدي إلى الانفصال عن الله تعالى، ولهذا ترى الشريعة أنه من أجل استعادة العلاقة مع الله يجب القيام بطقوس محددة:

أولاً: التطهر بالماء، لأنه وسيله طبيعية لهذا الغرض، وتترتب أنواع استخداماته طبقاً لحالات طقس التطهير، فهناك (ماء الخطية) ويطلق على تطهير اللاويين للخدمة[8]، وهناك (ماء النجاسة)، و(الماء الحي)، وهي تسميات تطلق على

---

[1] – المصدر نفسه، ص ٥٠٠ ؛ سفر اشعيا/ ١: ١٥– ١٧ ؛ سفرعاموس/ ٤: ١– ٥ ؛ سفر ارميا/ ٧: ٢١– ٢٣ .

[2] – سفر اشعيا/ ٥٢: ١١ .

[3] – باسيم، معجم اللاهوت، ص ٥٠٠ ؛ سفر حزقيال/ ٣٦: ١٧– ١٨ .

[4] – سفر اللاويين/ ١٥: ٣١ .

[5] – أنظر: سفر اللاويين/ ١٩: ٩– ١٨ .

[6] – سفر اللاويين/ ١١ .

[7] – باسيم، معجم اللاهوت، ص ٤٩٩ .

[8] – سفر العدد/ ٨: ٧ .

على التطهير في حالات معينة[١]، كالتطهر من النجاسة الناتجة عن السيلان، ففي اليوم السابع لانقطاع السيل كان يستحم النجس بماء حي ويغسل ثيابه فيطهر، وفي اليوم الثامن كان يقدم للهيكل يمامتين، أو فرخي حمام للكاهن، فيعملهما الكاهن الواحد ذبيحة خطيئة والآخر محرقة[٢].

ثانياً: التطهر بدم الذبائح: كان التكفير عن الذنب يستلزم سفك دم، فبدون سفك دم لا تحصل مغفرة، ولهذا فأن دم الذبائح كان لازماً لاستعادة علاقة العابد مع الله[٣]، كما كان الدم يستخدم في حالة تطهير الأبرص[٤].

ثالثاً: رماد الذبائح، لا سيما ذبيحة البقرة الحمراء[٥]، الذي يستخدم في تطهير تطهير النجاسة الناتجة عن مس جثة ميت[٦].

رابعاً: خشب الأرز مع أعشاب القرمز والزوفا، التي تستخدم في حالة تطهير الأبرص[٧]، والزوفا هي عشب له بعض الخصائص المطهرة، وكان يستخدم أيضا لرش ماء التطهير[٨].

خامساً: التطهير بالنار: وكان من أهم عوامل التطهير، فالأواني المعدنية تُطهر بالنار[٩]، وكان أيضا خروف الفصح يحرق بالنار وذلك لمنع تعرض باقي أجزاءه للنجاسة[١٠]، وكذلك ما يفضل من لحم ذبيحة السلامة إلى اليوم الثالث[١١]، كما كانت ذبيحة الخطية عن الكاهن وعن كل الجماعة تحرق على مرمى الرماد

---

(١) – أنظر: سفر العدد/ ٩، ١٣ ، ١٧ ؛ سفر اللاويين/ ٦: ٢٨ ، ٨: ٦ ، ١٤: ٨ ؛ سفر حزقيال/ ٣٦: ٢٥

(٢) – سفر اللاويين/ ١٥: ٢– ١٦ .

(٣) – دائرة المعارف الكتابية، حرف الطم، كلمة (طهارة) .

(٤) – سفر اللاويين/ ١٤: ٤– ٦ .

(٥) – سفر العدد/ ١٩: ١١– ١٣ .

(٦) – قاموس الكتاب المقدس، ص ٤٨٨ .

(٧) – سفر اللاويين/ ١٤: ٤– ٦، ٥١ .

(٨) – دائرة المعارف الكتابية، حرف الزاي، كلمة (زوفا) ؛ سفر المزامير/ ٥١: ٧ .

(٩) – سفر العدد/ ٣١: ٢٢، ٢٣ .

(١٠) – سفر الخروج/ ١٢: ١٠ .

(١١) – سفر اللاويين/ ٧: ١٧ .

خارج المحلة[1]، كما كانت عقوبة الخطايا الشنيعة الحرق بالنار، كما في مضاجعة المحارم، وفي حالة ارتكاب ابنة الكاهن خطية الزنا[2]، وذلك لتطهير المجتمع من هذه النجاسة[3]، كما كان يجب تدمير الأوثان بحرقها بالنار مثلما فعل النبي موسى(عليه السلام) بالعجل الذهبي في صحراء سيناء[4].

سادساً: التطهير بعدم مس الأشياء المقدسة، ويُتَّبع هذا النوع من التطهير مع ألام بعد ولادتها، فبعد انقضاء أيام النجاسة التي هي سبعة أيام لأجل الذكر، وضعفها لأجل الأنثى، كانت تبدأ أيام التطهير، فلا تمس فيها شيئا مقدسا لئلا تنجسه، ولهذا السبب كانت تمنع من دخول الهيكل. وكانت أيام التطهير لأجل الابن (٣٣) ولأجل الابنة (٦٦)، وبعدها كانت تأتي بحمل حولي محرقة، وفرخ حمامة أو يمامة ذبيحة خطيئة. وفي حال الفقر تأخذ يمامتين أو فرخي حمام محرقة، وفرخ حمامة أو يمامة ذبيحة خطيئة[5].

---

[1] – سفر اللاويين/ ٤: ١٢، ٢١ .

[2] – سفر اللاويين/ ٢٠: ١٤، ٢١: ٩ .

[3] – دائرة المعارف اليهودية، حرف الطم، كلمة (طهارة) .

[4] – سفر الخروج/ ٣٢: ٢٠ ؛ سفر التثنية/ ٩: ٢١ .

[5] – سفر اللاويين/ ١٢: ٨ ؛ قاموس الكتاب المقدس، ص ٥١٠ .

سابعاً: التبخير

كان تقديم البخور أو إحراق مواد عطرية أمر شائعاً في الاحتفالات الدينية عند كل الأمم القديمة تقريباً، كالمصريين، والبابليين، والآشوريين، والفينيقيين، وغيرهم.

أما اليهود فقد اهتموا كثيراً بهذا الطقس[1]، وكانوا يعتبرونه أحد الأركان الرئيسة في الطقوس اليومية التي تمارس داخل معابدهم سواء في خيمة الاجتماع أو في الهيكل. ويجمع أغلب الباحثين على أن هذا الطقس مستعار من الديانة المصرية، فقد كان استخدام البخور في شعائر المصريين، أصلا، لغرض التطهر، استكمالاً للاغتسال بالماء والمسح بالزيت المقدس، باعتبار أن البخور، كما تقول النصوص المصرية،(ينظِّف ويحسِّن) ثم تطور الاعتقاد، فيما يخصه، إلى الإيمان بأن له خواصا سحرية تقي أرواح الكهنة والمصلين وأماكن العبادة من اقتحام الأرواح الشريرة[2]. وفي الديانة اليهودية يكتسب إحراق البخور مبررات وأسباب أخرى تعبر عن الفهم الديني لليهود، إذ تفسر الفلسفة اليهودية هذا الطقس على أنه (تمجيد ليهوه الملك الأعظم، الجالس على عرشه في خيمته أو في معبده، وانه لما كان يهوه إلهاً روحانياً فإن حرق البخور في معبده رمز عبراني عميق يفصح عن مدى روحانية العبادة اليهودية)[3].

بينما هناك من يفسره ويقول أن حرق البخور بغير انقطاع كان أمراً لا مهرب منه بسبب العدد الهائل من الحيوانات التي كانت تذبح يومياً وتقطع ويُرش دمها

---

(1) – يرى بعض الباحثين أن البخور أُدخل إلى الديانة اليهودية في زمن متأخر، وأن مذبح البخور المذكور في سفر الخروج (٣٠: ١) هو من اختراع عصر ما بعد الأسر البابلي، لأنه لم يذكر في الأوامر الأولى التي أعطاها يهوه لموسى بخصوص الخيمة (خروج/ ٢٥: ١، ٢٧: ١٩)، ولكن هناك من يرد على هذا النقد بقوله: أن هناك أقوال واضحة عن مذبح البخور في سفر الخروج (٣٠ : ١– ١٠، ٣٩ : ٣٨، ٤٠ : ٢٦)، وفي الملوك الأول (٦ : ٢٠، ٢٢، ٧ : ٤٨)، وفي أخبار الأيام الثاني (٤ : ١٩)، وكذلك مع ذكر (إيقاد البخور) في سفر صموئيل الأول (٢ : ٢٨). أنظر: دائرة المعارف الكتابية، حرف الباء، كلمة (بخور) .

(2) – مقار، السحر، ص ١١٦ .

(3) – المصدر نفسه، ص ١١٣ .

وتحرق وتؤكل داخل الهيكل، مما كان حرياً، لولا استخدام البخور بذلك الشكل المتواصل، بأن يجعل رائحة الهيكل وثياب الكهنة وأجسادهم غير سارة إطلاقا، فاستخدام البخور الذي تفاخر به الكهنة قائلين أن (عبقه يصل إلى أريحا)، هو ما جعل من الممكن الاحتفاظ بهيبة الهيكل وتجنب صعود رائحة غير مستحبة منه بسبب كل تلك الذبائح[١]. ولهذا نجد العهد القديم يأمر بدوام إحراق البخور في كثير من إصحاحاته وفقراته، **(فيحرق عليه هارون بخوراً عطراً كل صباح حين يصلح السُّرُج، وفي العشية حين يرفعها إلى مكانها، فيكون بخوراً دائماً أمام الرب مدى أجيالكم)**[٢]. كما أكد العهد القديم اهتمامه بهذا الطقس، لما له من دور فعال في إضفاء الجو الروحاني داخل الأمكنة المقدسة للعبادة، ويتضح ذلك من خلال تعليماته المتعلقة بصناعة مذبح للبخور بمواصفات تبهر الأنظار، ليكون أشد تأثيراً في النفوس، فقد ورد وصفاً كاملا له، **(وَتَصْنَعُ مَذْبَحًا لإحراق الْبَخُورِ. مِنْ خَشَبِ السَّنْطِ تَصْنَعُهُ، ويَكُونُ مُرَبَّعًا، طُولُهُ ذِرَاعٌ وَعَرْضُهُ ذِرَاعٌ، وسُمْكُه ذِرَاعَانِ، وقُرُونُهُ قطعة واحدة مِنْهُ، وَتُغَشِّي سَطْحَهُ وجدرانه من حوله وقرونه بِذَهَبٍ خالص. وَتَصْنَعُ لَهُ إِكْلِيلاً مِنْ ذَهَبٍ محيطاً به، وحَلْقَتَيْنِ مِنْ ذَهَبٍ تَحْتَ الإكليل عَلَى جَانِبَيْهِ المتقابلين مكاناً للقضيبين ليُحمل بهما، وَتَصْنَعُ القضيبين مِنْ خَشَبِ السَّنْطِ وَتُغَشِّيهِمَا بِذَهَبٍ. وتُقيم المذبح تجاه الغطاء الَّذِي على تَابُوتِ العهد، حَيْثُ أَجْتَمِعُ بِكَ)**[٣].

ومن ثم يتفنن في أعطاء مخلوط من المواد النباتية العطرية أطلق عليه (بخوراً عطراً)[٤]، كان محضوراً على الجميع استخدامه في غير خيمة الاجتماع أو الهيكل حيث كان يحرقه الكهنة فقط. وأما كيفية تركيبه، فكانت ناتجة عن خلط أجزاء متساوية من الطيوب النباتية وهي (الصمغ، والقنَّة العطرة، واللبان النقي)، و(الميعة)

---

[١] – مقار، السحر، ص ١١٤ .

[٢] – سفر الخروج/ ٣٠: ٧، ٨ .

[٣] – سفر الخروج/ ٣٠: ١– ٦ .

[٤] – سفر الخروج/ ٢٥: ٦ .

وهي منتوج حيواني، ثم يضاف إلى هذا المخلوط مادة الملح[١]، ليسهل حرق البخور، فضلاً عن إصداره للأصوات التي تتزامن مع تصاعد أعمدة البخور، ومن ثم يطغي على المكان أجواء خاصة لا تتوفر في مكان آخر لقدسيتها الساذجة المصطنعة. فاستخدام ذلك البخور بتلك المقادير المقدسة محرم إلا في الشعائر، وبأيدي الكهنة، وعقاب من يستخدمه في غير ذلك الموت[٢].

وكان البخور المركب على غير هذه الصورة مرفوضاً رفضاً باتاً باعتباره (بخوراً غريباً)[٣].

وفيما بعد ازداد الاهتمام بطقس البخور في الهيكل، وتجسد ذلك الاهتمام بمذبح البخور الذي بلغ في عهد الملك سليمان أبهى صورة له، إذ تمت صناعته من خشب الأرز بدلاً من السنط، وغشي بذهب[٤]، ولذلك سمي(مذبح الذهب)[٥]، تمييزاً له عن مذبح النحاس(مذبح المحرقة) الذي كان موضوعاً في فناء خيمة الاجتماع[٦]. وكان هذا المذبح من بين جميع آنية الهيكل الكبيرة والصغيرة التي أخذها نبوخذ نصر (٦٠٤- ٥٦٢ ق.م.) إلى بابل سنة (٥٨٧ ق.م.)[٧].

وعند تقديم البخور كانت تؤخذ جمرات مشتعلة من فوق مذبح المحرقة في مجمرة (أو مبخرة) ثم توضع على مذبح البخور الذهبي أمام الحجاب، ثم يرش البخور العطر على النار فتتصاعد رائحة طيبة ترمز إلى الصلاة الصاعدة إلى عرش الله[٨].

---

[١] – سفر الخروج/ ٣٠: ٣٤، ٣٥ .
[٢] – سفر الخروج/ ٣٠: ٣٧، ٣٨ .
[٣] – سفر الخروج/ ٣٠: ٩ .
[٤] – سفر الملوك الأول/ ٦: ٢٠، ٢٢ ، ٧: ٤٨ .
[٥] – سفر أخبار الأيام الثاني/ ٤: ١٩ .
[٦] – دائرة المعارف الكتابية، حرف الباء، كلمة (بخور) .
[٧] – سفر أخبار الأيام الثاني/ ٣٦: ١٨ ؛ دائرة المعارف الكتابية، حرف الباء، كلمة (بخور) .
[٨] – سفر المزامير/ ١٤١: ٢ ؛ قاموس الكتاب المقدس، ص ٥٦٩ .

ثامناً: المسح

يشير مفهوم كلمة (المسح) بشكل عام إلى عملية استخدام مادة الزيت وأساليبها ومناسباتها. وفي العهد القديم هو صب الزيت أو الدهن على الشيء لتكريسه لخدمته تعالى[١].

والمسح بالزيت طقس مارسته اغلب شعوب الشرق الأدنى القديم، سيما شعوب فلسطين القديمة، ومصر الفرعونية، وفي استخدامات شتى، إذ كان يستخدم في مصر للتطيب والزينة، ويستخدم أيضا في المسحة الشعائرية، وفي المراسم الجنائزية، فكانت التقدمات في تلك المراسم تشمل سبعة أنواع من الزيوت بعد سكب الماء على الجسد لتطهيره وحرق البخور، وهذا ما دلت عليه اللوحات الجنائزية[٢]، فالمسحة المقدسة تجعل من يمسح بها، سواء كان حياً أو ميتاً، متمتعاً بمناعة ضد قوى الظلام[٣]، وقد بلغ من اهتمام المصريين بمسألة الدهن المقدس أنهم جعلوا منها اختصاصاً من اختصاصات الإله حورس، الذي كان يعرف في غمار ممارسته لها باسم (رب الحماية) الإلهية التي يوفرها المسح بذلك الدهن[٤].

واليهود مثلهم كمثل هذه الشعوب، استخدموا الزيت في حياتهم اليومية، كشعائر للشفاء أو التكريس، حيث كانوا يدهنون أجساد المرضى بالزيت لشفاء أمراضهم اعتقادا منهم أن الزيت ينفذ في الجسد بعمق ويعطيه قوة وصحة وجمال[٥]. وجمال[٥]. فأصبح المسح بالزيت عندهم يعتبر علامة للفرح أو للتبجيل، فيدهنون رؤوسهم بالأدهان العطرة أيام الأعياد[٦]، ويتركونه إذا كانوا في حزن[٧].

وعلى المستوى الديني، كانوا أكثر تأثراً بطقوس المسح المصرية، ومن ثم الكنعانية، ولهذا نجد العهد القديم ينسب أول عملية تكريس بالزيت المقدس وردت

---

(١) – قاموس الكتاب المقدس، ص ٤٥٣ .

(٢) – مقار، السحر، ص ١٠٨ .

(٣) – المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(٤) – المصدر نفسه، ص ١٠٩ .

(٥) – باسيم، معجم اللاهوت، ص ٧٣٤ .

(٦) – قاموس الكتاب القدس، ص ٤ ؛ سفر المزامير/ ٢٣: ٥ ، ٩٢: ١٠ .

(٧) – المصدر نفسه، الصفحة نفسها ؛ سفر صموئيل الثاني، ١٤: ٢ .

فيه، للنبي يعقوب(ﷺ)، لا تخلو من المبدأ الحلولي[١]، حيث يروي أن يعقوب بعد رؤياه الليلية، أخذ الحجر الذي وضعه تحت رأسه، ونصبه عمودا، وصب عليه زيتاً ليكرسه للرب، وسمى ذلك الموضع بيت أيل[٢]، وهذه الرتبة من التكريس، هي رتبة كنعانية غاية في القدم[٣].

إن المسحات التي يتكلم عنها العهد القديم هي في غالبيتها الساحقة، رتب ذات صبغة تكريسية، وتأتي في مقدمتها أدوات العبادة التي كانت تكرس بواسطة هذه المسحات، وعلى الأخص كان المذبح يكتسب قداسة عظيمة بها، وفيما بعد أصبح المسح بالزيت أو الدهن المقدس من الممارسات بالغة الأهمية في الديانة اليهودية ولهذا كانت خيمة الاجتماع وأدواتها، وتابوت الشهادة، وفيما بعد الهيكل وأمتعته، والمذبح وأدواته وآنيته ورموزه المقدسة، تقدس بمسحها بالزيت المقدس[٤]، المخلوط بالعطور ذات المواصفات الخاصة التي لا يجوز لغير الكهنة أن يُحضّره، كما لا يجوز أن يُسكب على عامة الشعب[٥]، ويتكون زيت المسح كما وصفه العهد القديم من أفخر الاطياب: المر السائل[٦]، والقرفة العطرة، وعود الطيب، وثمر اللبان، (وهي عطورات من اصل نباتي) وزيت الزيتون، وبمقادير معينة[٧]، ويؤكد العهد

---

[١] – يروي المحرر التوراتي أحداث وقعت للنبي يعقوب(ﷺ) يعكس من خلالها ثقافته الحلولية ، فيعطي الحجر الأصم الذي وضعه يعقوب تحت رأسه قدسية تشير إلى الحضور الإلهي. **(فأفاق يعقوب من نومه وقال: الرب في هذا الموضع ولا علم لي، فخاف وقال: ما ارهب هذا الموضع، ما هذا إلا بيت الله وباب السماء)**. أنظر: سفر التكوين/ ٢٨: ١٦ .

[٢] – سفر التكوين/ ٢٨: ١٨ ، ٣١: ١٣ .

[٣] – باسيم، معجم اللاهوت، ص٧٣٦ .

[٤] – سفر الخروج/ ٣٠: ٢٦– ٢٨ .

[٥] – سفر الخروج/ ٣٠: ٣٣ .

[٦] – المر السائل: هو الصمغ الراتنجي الذي تفرزه شجيرة شوكية تعرف علمياً باسم (بلسمامودنيدرون مرا) (Balsamodendron myrrha)، وهي شجيرة صغيرة تنمو في جنوبي شبه الجزيرة العربية، وفي بعض بلاد شرقي أفريقية. ويخرج الصمغ على شكل مادة هشة بنية اللون أو صفراء مشربة بالحمرة، لها رائحة عطرية، ولكنها مرة المذاق، كانت تستخدم لتعطير النساء وللتحنيط، وما زالت هذه المادة تستخدم في الطب. أنظر: قاموس الكتاب المقدس، ص ٣٧٧ ؛ دائرة المعارف الكتابية، حرف الميم، كلمة (مر)؛ سفر المزامير/ ٤٥: ٨ ، ٧: ١٧ .

[٧] – سفر الخروج/ ٣٠: ٢٣– ٢٥ .

القديم قدسية أدوات العبادة بعد مسحها بهذا بالزيت المعطر فيقول **(وتكرس هذه كلها، فتكون مقدسة كل التقديس، كل من مسها يكون مقدساً)**[١].

ومن ثم توص الشريعة اليهودية بمسح الأشخاص، وتأتي المسحة الملكية لتحتل مكانة فريدة في رتب التكريس بعد أدوات العبادة، وكانت تتم على يد رجل دين، نبياً كان أم كاهناً[٢]، وتشير كلمة (مسيح) משיח (ماشيح) الكلمة العبرية[٣]، التي تعني الممسوح بالزيت المقدس، إلى الفرد الذي يُمسح لوظيفة أو مهمة (نبياً، ملكاً، قائداً، كاهناً)[٤]. والعهد القديم زاخر بأمثلة هذا النوع من المسحات، فقد تم مسح الملك شاؤل[٥]، على يد صموئيل النبي. وكان ملوك يهوذا يتم تكريسهم في الهيكل، ويمسحون على يد الكاهن[٦]، فعلى سبيل المثال، أخذ الملك يوآش يوآش (٨٣٧– ٧٩٦ ق.م.) المسحة على يد الكاهن يوياداع[٧]، وكذلك الحال مع غيره من الملوك الذين كُرسوا على يد كهنة آخرين.

وكان معنى هذه الرتبة الطقسية حسب الفلسفة اليهودية، هو(الإشارة بعلامة خارجية إلى أن الملوك قد اختارهم الله ليكونوا أداة في يده ليحكم بهم الشعب اليهودي)![٨]. وقد مسح الملوك على انفراد أحياناً[٩]، وفي محفل عام في بعض حالات[١٠]، وفي الهيكل في حالات أخرى[١١].

---

(١) – سفر الخروج/ ٣٠: ٢٩ .

(٢) – باسيم، معجم اللاهوت، ص٧٣٦ .

(٣) – י. קוגמן, עמ' 507 ؛ דר יום טוב לויסקי אנצקלופדיה של הווי ומסורת ביהדות, (תל אביב , 1970).כא. עמ' 408 .

(٤) – حداد، مهنا يوسف، الرؤية العربية لليهودية، ط١،(الكويت: دار ذات السلاسل، ١٩٨٩)، ص ٢٤٠ .

(٥) – سفر صموئيل الأول/ ١٠: ١ .

(٦) – باسيم، معجم اللاهوت، ص٧٣٦ .

(٧) – سفر الملوك الثاني/١١: ١٢ .

(٨) – باسيم، معجم اللاهوت، ص٧٣٦ .

(٩) –سفر صموئيل الأول/ ١٠: ١ .

(١٠) –سفر الملوك الأول/ ١: ٣٢– ٣٤ .

(١١) – سفر الملوك الثاني/ ١١: ١١– ١٢ .

ويأتي أخيراً (الكهنة) وهم في المرتبة الثالثة من رتب التكريس، سيما رئيس الكهنة، فقد ورد في العهد القديم **(وأمسح هارون وبنيه وكرسهم ليكونوا كهنة لي، وقل لبني إسرائيل: هذا يكون لي زيتاً مقدساً للمسح مدى أجيالكم)**[١].

ويتضح من خلال هذه الفقرة من العهد القديم، أن الكهنة يحتلون المرتبة الثانية من رتب التكريس بعد أدوات العبادة، وليس الثالثة، ولكن كان هذا قبل نظام الملكية، إذ أصبح في عهد الملكية لا يمسح إلا الملك وحده، وأما في عصر الهيكل الثاني، فكان رئيس الكهنة وقد أصبح رئيساً لليهود، هو الذي يمسح بدلاً منه، وكذلك في وقت قريب بعده، كل الكهنة أيضاً[٢].

أما الأنبياء باعتبارهم أبرز رجال الدين، فلم يكن ليمسحوا بالزيت المقدس حسب الفلسفة اليهودية، فمسح الأنبياء[٣] يشير مجازاً إلى تقليدهم ومهمتهم[٤]، فقد جاء في العهد القديم **(إن روح السيد الرب عليّ لأنه مسحني، أرسلني لأبشر المساكين)**[٥].

تاسعاً: الموسيقى

كان للموسيقى وما يتبعها من الرقص في الشرق الأدنى القديم خلال الألف الأول قبل الميلاد دور مهم في الطقوس الدينية وعامل مساعد للوصول للنشوة الروحية ذات المنحى الديني، فقد سادت وقتئذٍ عقائد وثنية متعددة ومتزامنة في وادي النيل وبلاد الرافدين، ويبدو من نقوش قدماء المصريين، ونقوش الآشوريين على

---

[١] – سفر الخروج/ ٣٠: ٣٠– ٣١ .

[٢] – باسيم، معجم اللاهوت، ص٧٣٦ .

[٣] – تعتبر الديانة اليهودية كل من النبيين (داود وسليمان عليهما السلام) ملوكاً قد تم مسحهم بالزيت المقدس على يد الكهنة، صموئيل يمسح داود، (صموئيل الأول ١٦: ١٣)، وصادوق يمسح سليمان (ملوك أول ١: ٣٩)، ولم تنظر إليهم نظرتها إلى الأنبياء الآخرين الذين لم يمسحوا من قبل الكهنة، إذ أنهم مسحاء الله كما تتفق مع ذلك، بل تعاملت معهم معاملتها الملوك الآخرين ونسبت إليهم ظلما الكثير من الأخطاء التي أساءت إلى المجتمع اليهودي القديم. أنظر: الفصل الثالث، المبحث الأول، ص ١٢٨.

[٤] – باسيم، معجم اللاهوت، ص٧٣٦ .

[٥] – سفر إشعيا/ ٦١: ١ .

جدران معابدهم، أن نوعاً من الموسيقى والرقص كان يمارس ضمن الشعائر الدينية في المناسبات والأعياد الخاصة كطقس من طقوس العبادة والتقرب[١].

اهتم اليهود خلال تاريخهم الطويل بالموسيقى أكثر من اهتمامهم بسائر الفنون الأخرى، واعتبروها وسيلة للتعبير عن شكرهم لله، فضلاً عن اهتمامهم بالشعر الذي أجادوا فيه، فمعظم أشعارهم نظموها بهدف العبادة والتسبيح لله[٢].

ويضم العهد القديم إشارات عديدة إلى استخدام الموسيقى في الطقوس والعبادات اليهودية القديمة، وقد اقتبس اليهود الكثير من التراث الموسيقي في بابل ومن التراث الكنعاني والمصري والهيليني. واحتلت الموسيقى مكانة مهمة في الطقوس الدينية للهيكل، وكانت تجمع بين الغناء والعزف علي الآلات الموسيقية التي يضطلع بها اللاويون[٣].

وكانت ألاغاني ترافق الموسيقى، ومن أقدم ألاغاني المحفوظة أغنية دبورة التي تذكر انتصار كسبه الإسرائيليون على الكنعانيين[٤].

ويصعب رسم صورة واضحة عن طبيعة الموسيقى اليهودية القديمة، فلم يُعرف مثلاً ما إذا كان اليهود القدماء قد اخترعوا نظاماً للعلامات الموسيقية أم لا، والأرجح أنهم لم يصلوا لذلك. كما لم يُعرف شيئاً عن ألحانهم ودرجات أنغامهم الموسيقية، ولكن لا شك في أنها كانت موسيقى شجية النغم[٥].

---

[1] – http:// blog.amin.org.

[٢] – يرى علماء اليهود مستندين إلى أسفار العهد القديم، أن الفترة الممتدة من أيام صموئيل النبي إلى عصر سليمان النبي والملك كانت العصر الذهبي للموسيقى العبرية، إذ أسهم الملك داود إسهاماً كبيراً، أكثر من أي شخص آخر، في أن يجعل للموسيقى مركزاً رفيعاً في الحياة القومية. فقد وُلد داود (شاعراً وموسيقياً!)، وعندما أصبح ملكاً، جعل للموسيقى دوراً كبيراً في العبادة، كما اخترع لذلك بعض الآلات الموسيقية. أنظر: دائرة المعارف الكتابية، مادة (موسيقى)؛ سفر أخبارالأيام الأول/ ١٥ : ١٦- ٢٨، ٢٣: ٥ .

[٣] – المسيري، موسوعة اليهود، ج٣، ص ٣٣٢ .

[٤] – حتي، تاريخ سورية، ص ٢٢٤ .

[٥] – دائرة المعارف الكتابية، مادة (موسيقى) .

ويتبين من أسفار العهد القديم، أن اليهود قد برعوا في تشكيل الفرق الموسيقية التي كانت تتناوب الغناء والعزف في المناسبات الدينية والقومية المهمة في حياة المجتمع اليهودي القديم[١].

أما الآلات الموسيقية المختلفة المذكورة في العهد القديم والغير مذكورة والتي كان اليهود يستخدمونها، فتقسم إلى ثلاثة أنواع:

(ذوات الأوتار، ذوات النفخ، ذوات النقر) وكان عزف هذه الأنواع معا يولد انسجاما لحنياَ دقيقا، ويبدو أن النمط الإيقاعي، بدلا من النغم، طغى على الموسيقى، وإن كان لبعض المزامير أنغام مقررة[٢].

فمن ذوات الأوتار: (الكنُّور) وهي القيثارة أو العود أو الطنبور، وهى آلة صغيرة ذات ثمانية أوتار أو عشرة مشدودة على هيكل خشبي، يسهل حملها ونقلها.

(النبل)، الرباب أو السنطير، آلة وترية أخرى، جسمها من الخشب غالبا، تضرب نقرا بالأصابع.

ومن ذوات النفخ:(الهَليل) (المزمار) آلة شاع استعمالها بين العامة وكانت تصنع من القصب أو من الخشب أو العظم.

البوق (القرن): آلة موسيقية ذات طرف معقوف مثل القرن، ولا شك في أن الصورة البدائية للبوق كانت هي (القرن).إذ كان يصنع من قرن حيوان كالأيائل والكباش ويستعمل كبوق، وتسمى هذه الآلة بالعبرية، שופר(شوفار)، وكان ينفخ فيها في الأعياد الدينية والمناسبات الرسمية والعامة[٣].

ويروي العهد القديم أن الله قد أمر موسى أن يصنع بوقين من فضة، كان الضرب بهما معاً يعنى جمع كل الجماعة إلى باب خيمة الاجتماع، أما الضرب بواحد فقط فكان يعنى جمع الرؤساء[٤].

---

(١) – سفر أخبار الأيام الأول/ ٦: ١٦– ٣٠ .

(2) – www.almaten.info/forums/viewtopic.php?f=2&t

(٣) – قاموس الكتاب المقدس، ص ١٣٦ .

(٤) – دائرة المعارف الكتابية، مادة (موسيقى) ؛ سفر العدد/ ١٠: ١– ١٠ .

وكان البوق يستخدم أساساً للأغراض والإيعازات الحربية، ومنها أيعاز الأمر للجيوش للتقدم[١]، كما كان يُضرَب به للتحذير من عدو قادم[٢]، وكان يُسمع صوت البوق في أثناء المعركة[٣]، كما كان يضرب بالبوق ليكف الجيش عن السير[٤]. ويضرب بالبوق في الأعياد، وعند إعلان سنة اليوبيل، وعند اقتراب تابوت العهد، ولتحية الملك[٥].

(الهزوزرا) بوق معدني كان يصنع من الفضة في الأزمنة المتأخرة، وكان النفخ المستمر في بوقين من الفضة هو إشارة الاجتماع في خيمة العبادة، أما إذا نفخ في بوق واحد من الفضة، فمعنى ذلك دعوة الرؤساء إلى الاجتماع.

وكان هناك آلة (البوقسان)، للإعلان عن مواعيد الصلوات والأضحيات والأهلة والأقمار الوليدة، وإعطاء إشارة البدء للجيوش عند بدء الحرب، وبشكل عام فإن الآلات من ذوات النفخ لها مكانة خاصة لارتباطها بالطقوس الدينية، وهناك آلة (النفير)، وتستخدم بشكل خاص عندما يتصل الأمر ببعض الأمور الهامة والتي تتطلب إسهام الشعب كله، ولم يكن النفير سوى أنبوب مستقيم أو مخروطي الشكل أو هو على أكثر تقدير ينحني ببساطة عند طرفه على غرار البوق أو البوقسان مع اختلاف وحيد أن النفير يصنع من الخشب والصلصال أو من المعدن، وعادة ما يحدث اختلاط بين الناي والبوق وسبب ذلك هو أن كليهما كانا بالمثل مصنوعين من أنبوب كما كان كليهما يحدث صفيرا، والناي دائما ما يكون مصنوع أصغر حجما من البوق وهو عبارة عن قطعة من عيدان البوص أو الغاب التي تنمو عادة في الأحراش[٦].

ومن ذوات النقر،(المنعنيم) آلة نقر، ويرجح أنها كانت تصنع من أقراص معدنية تصلصل حول قضبان من المعدن وقد علقت ضمن إطار من خشب.

---

(١) – سفر القضاة/ ٦: ٣٤ ؛ سفر صموئيل الأول/ ١٣: ٣ ؛ سفر صموئيل الثاني/ ٢٠: ١ .

(٢) – سفر عاموس/ ٣: ٦ ؛ سفر إرميا/ ٤: ٥ ، ٦: ١ .

(٣) – سفر عاموس/ ٢: ٢ .

(٤) – سفرصموئيل الثاني/ ٢: ٢٨ .

(٥) – سفر صموئيل الثاني/ ٦: ١٥ ، ١٥: ١٠ .

(6) – www.almaten.info/forums/viewtopic.php?f=2&t.

(المتزليم) صنوج نحاسية، وكان اللاويون في الهيكل يستعملونها للإشارة إلى البدء والختام والوقف عند إنشاد بعض الفصول[١].

(الدف) آلة موسيقية وهي نوع من الطبول أو ما يسمى (بطبل اليد)، وهي عبارة عن قطعة من الجلد الرقيق مشدودة إلى إطار من الخشب شدا محكما قويا بحيث إذا ضربت اليد على الجلد المشدود أحدث صوتا وإذا ما أتقن توقيع اليد عليها على نغم خاص أعطت صوتا موسيقيا جميلا. ويعلقون في طرف الإطار الخشبي أجراسا صغيرة فتهز اليد الواحدة الآلة وتضرب أصابع اليد الأخرى على الجلد، وكان الدف يستعمل كثيرا في الحفلات، وتقوم النساء بالضرب عليه ويصحب ذلك الغناء، ومرارا كانت تضرب الدفوف ويرقص الراقصون على أنغامها، وأحيانا ما يستعمل الدف بمفرده ولكنه في أحيان كثيرة يستعمل مع غيره من الآلات الموسيقية لمرافقة جوقات الترنيم في ترنيمها، أو تستخدم مع الفرق الموسيقية التي تشترك في أداء الطقوس الدينية[٢].

وقد ذُكرت آلة الدف في العهد القديم عدة مرات في أحداث ومناسبات مهمة في تاريخ المجتمع اليهودي القديم[٣].

ولا يُعرف كيف كانت هذه الآلات تعزف، لأنه كان محظورا على العبرانيين تصوير البشر، ولكننا نحصل على فكرة لا بأس بها من آثار ورسوم تظهر فيها الآلات الموسيقية المماثلة عند المصريين والآشوريين والبابليين، وكانت الآلات تصنع من مواد متنوعة، خشب الأرز أو خشب الصندل، الجلد، الأمعاء، العاج، الصدف، الذهب والفضة.

---

(1) - www.almaten.info/forums/viewtopic.php?f=2&t.

(٢) – قاموس الكتاب المقدس، ص ٢٥٧ .

(٣) – سفر التكوين/ ٣١: ٢٧ ؛ سفر الخروج/ ١٥: ٢٠ ؛ سفر القضاة/ ١١: ٣٤ ؛ سفر صموئيل الأول/ ١٠: ٥ ؛ سفر المزامير/ ٨١: ٢ .

الفصل الخامس: تدهور المجتمع اليهودي وأهم العوامل المسؤولة عن ذلك

مدخل:

المبحث الأول: العامل السياسي

المبحث الثاني: العامل الديني

المبحث الثالث: العامل الاقتصادي

مدخل:

شـهد المجتمـع اليهـودي فتـرة اسـتقرار نسـبية فـي ظـل مملكتـه الموحـدة (١٠٢٠- ٩٢٢ ق.م.)، التـي عُدت علامـة فارقـة فـي تاريخـه القديم، استطاعت بجهود مؤسسيها أن تنقلـه مـن مرحلـة تسودها الفوضـى والتخلف والضـعف إلـى مرحلــة أخــرى قوامهــا الانتعــاش والقــوة علــى المســتوى السياســي والــديني والاقتصادي.

ولكـن بعـد وفـاة الملـك سـليمان آخـر ملـوك هـذه المملكـة، بـدأت فتـرة عاصـفة فـي تـاريخ هـذا المجتمـع، أدخلتـه مرحلـة صـعبة، فمـن التضـامن الـذي تميز بـه فـي فتراتـه السابقة، ومن الهدف الواحد للخـلاص من العبودية بـالخروج الجماعي من مصر، ومن الوحدة السياسية التـي أضفاها الحكم الملكي المتحد، أصبح هذا المجتمع ممزقاً إلـى شعبين متنافسين، يُقاتل كل منهما الآخر، حتـى قُدر لـه أن يلفظ الوحدة السياسية، ويساق مكرهاً نحـو التفكك الـذي شمل كل مفاصل حياتـه، فالانقسام السياسـي الذي تعرضت لـه المملكـة الموحدة بعد وفـاة الملك سليمان كان من أول الأسباب التي حملت بذرة التدهور الاجتماعي.

ويشرح لنـا العهد القديم فـي سفر الملـوك الأول[١]، السبب الـرئيس الـذي أدى لهذا الانقسام السياسـي، إذ يـروي أنـه لمـا تـوفي الملك سليمان حوالي عـام (٩٢٢ ق.م.)[٢]، عُقدت جمعيـة ممثلـة للأثنـي عشرة قبيلـة فـي شكيم[٣]، ليبـاركوا

---

[١] - سفر الملوك الأول/ ١٢: ٢- ٢٠ .

[٢] - تختلف المصادر فيما بينها اختلافا بيناً في تاريخ وفاة النبي سليمان(عليه السلام) آخر ملوك المملكة الموحدة، فقسم يقول أنه توفى في (٩٢٠ ق.م.)، وقسم آخر جعل عام (٩٢٢ ق.م.)، سنة وفاته، ومصادر قالت بأن سنة (٩٢٥ ق.م.)، هي تاريخ وفاته، ومنها رأت عام (٩٣٠ ق.م.)، فضلاً عن بعض المصادر التي أرخت لوفاته بين الأعوام (٩٧٠- ٩٨٠ ق.م.) وهذا يعود أصلاً إلى الافتقار لتواريخ دقيقة إلى حد ما لأحداث التاريخ اليهودي القديم بشكل عام . أنظر: مدخل الدراسة، ص ٦ وما بعدها .

[٣] - شكيم: أسمها الحالي (نابلس)، وهي مدينة هامة تقع في وسط أرض فلسطين، على مفترق عدة طرق هامة، وعلى مدخل الوادي الواقع بين جبال عيبال في الشمال، وجبل جرزيم في الجنوب، وكانت تقع على (الكتف) الجنوبي الشرقي من جبل عيبال، ومن هنا جاء اسمها (شكيم) أي الكتف، وكانت على بعد (٣١ ميل) شمالي أورشليم، وثمانية أميال إلى الجنوب الشرقي من السامرة، وقد شهدت هذه المنطقة أحداث مهمة في تاريخ المجتمع اليهودي القديم. أنظر: قاموس الكتاب المقدس، ص ٥٥٨ .

أبنه (رحبعام) ملكاً عليهم، سألته فيما إذا كان يأخذ على عاتقه ويقسم أنه سيخفف عبء الضرائب عن الأهالي أم لا، كان الجواب طائشاً لهذا الملك الصبي الذي لم يتجاوز السادسة عشرة من عمره، إذ قال **(إن والدي قد أدبكم بالسياط، وأنا أؤدِّبكم بسياط شوكية)**[1]. وسرعان ما ظهرت نتائج سياسة رحبعام الرعناء إذ انفصلت القبائل الشمالية العشر عن يهوذا ورفضت الاعتراف به ملكاً عليهم وأخذوا بانتخاب (يربعام) الأفرايمي المتحدث بأسم الجمعية ملكاً عليهم، وهذه القبائل العشر أُلفت منها مملكة إسرائيل التي كانت عاصمتها في أول الأمر (شكيم) ثم (ترزة)، وفيما بعد (السامرة)، أما القبيلتان (يهوذا) و(بنيامين)، فقد بقي أهلها ثابتين على ولائهم لملكهم (رحبعام) وقد تألفت منها مملكة يهوذا وعاصمتها أورشليم[2].

وحصل ما كان سليمان يخشاه، إذ نقل لنا العهد القديم قوله في سفر الجامعة: **(وكرهت كل ما عاينت تحت الشمس من تعب سأتركه لمن يجيء بعدي، ومن يدري هل يكون حكيماً أو أحمق مع أنه يتسلط على كل عملي الذي أفرغت فيه تعبي وحكمتي تحت الشمس...)**[3].

إن قوله هذا يدحض آراء وتأويلات محرري العهد القديم وما لصقوه به من أحداث جرت عقب وفاته أدت إلى انقسام المملكة الموحدة، زاعمين أن (الخطايا) التي ارتكبها كانت مقدمات لاضمحلال مملكتهم وزوال عزهم الذي لم يدم أكثر من قرن من الزمن[4]، إذ اعتاد هؤلاء المحررون أن يفسروا تاريخهم تفسيراً دينياً، وبقيت فكرة التاريخ لديهم مرتبطة بفكرة الخطيئة التي سببها

---

(1) – سفر الملوك الأول/ ١٢: ١١ .

(2) – حسن، مصر القديمة، ج٩، ص ٥١٩ .

(3) – سفر الجامعة/ ٢: ١٨ ، ١٩ .

(4) – يجمع الباحثون على أن مملكة اليهود الموحدة لم تكن سوى حادث طارئ في تاريخ مصر وسوريا وآشور وفينيقيا أو في تاريخ الشرق الأدنى القديم بعامة . (الباحث)

عنصر الشر في الإنسان، ولذلك بقي التصور الديني للتاريخ هو السائد في الديانة اليهودية، ولم ينفصل التاريخ عن الدين عند اليهود[١].

وقد حدث التمرد والانقسام وفقاً لوجهات نظر، تعود لجذور أكثر عمقاً، وتقف طبيعة العلاقة الضعيفة بين إسرائيل ويهوذا في مقدمة الظروف التاريخية التي أدت إلى هذا الانقسام، على الرغم من المحاولات المستميتة التي قام بها الأنبياء والملوك العظام (داود وسليمان) لتوثيق تلك العلاقة، فلم يتمكنوا من محو الاختلافات التاريخية العميقة بين الطرفين[٢]، إذ كان لاختلاف أهل الجنوب عن أهل الشمال في الثقافة، ونمط الحياة الاقتصادية، سبب من الأسباب المهمة التي عجلت انقسام المملكة وإضعافها.

قدَّم الباحثون عدد من الأسباب التي أدت إلى تقويض المملكة الموحدة وإجهاضها، ومنهم موسكاتي الذي رأى إن هناك سبب رئيس، وهو أن تقاليد العبريين البدوية لم تكيف نفسها وفق نظام الملكية في يسر، فعلى الرغم من أن الملكية كانت أمرا لا مناص منه لكي يشغل اليهود مكانا في الميدان السياسي للشرق، كانت روح المجتمع الديمقراطية الاستقلالية تعرقل الملكية وتنال منها، فضلاً عن وجود السلطة الدينية التي تزعمت المعارضة، فأوجدت ثنائية أخرى إلى جانب ثنائية الشمال والجنوب[٣].

كما يُرجع موسكاتي أسباب الاضمحلال السياسي الذي لحق بالملكية وأدى إلى انقسامها، إلى طبيعة السياسة التي اتبعها ملوك المملكة الموحدة والتي كما يعبر عنها أنها سياسة كان همها تركيز وتوطيد الحكم الملكي لمصلحتهم[٤]. لكننا نرى أن هناك صراع بين الكهنة والملوك (الأنبياء) اشتد

---

(١) – الدليمي، فلسفة التاريخ، ص ١٢٧ .

(٢) – مالمات، أبراهام وتدمور حاييم، العبرانيون وبنو إسرائيل في العصور القديمة بين الرواية التوراتية والاكتشافات الأثرية، ترجمة وتعليق: رشاد عبد الله الشامي، ط١، (القاهرة، مكتبة الإسكندرية، ٢٠٠١)، ص ٢٥٢ .

(٣) – موسكاتي، الحضارات السامية، ص ١٤٢ .

(٤) – المصدر نفسه، ص ١٤١ .

عندما فقد الكهنة كل السلطات الدينية والمدنية التي كانوا يتمتعون بها ما قبل الملكية، وأصبحوا يتربصون الدوائر بها لكي يعود مجدهم القديم الذي لا يتماشى مع مصالح المجتمع اليهودي في تلك الفترة. كما أكدت نتائج بعض الباحثين[1]، ومن أبرزهم الباحث الإنكليزي فون باجوت جلوب V. Glob Bajwt، الذي سار على هدي المدرسة النقدية لمصادر العهد القديم، أن بني إسرائيل/اليهود عبر الأحداث التاريخية التي مروا بها ومن خلال التطور التاريخي الذي تبلورت في ضله أسس العقيدة اليهودية في صورتها الأخيرة على يد الأنبياء، لا يصلحون لأن يكونوا أمة أو جماعة سياسية لها دولة مثل سائر الشعوب، وأن تجاربهم في هذا الصدد باءت جميعها بالفشل عبر التاريخ لأسباب موضوعية وأنهم لا يصلحون إلا أن يكونوا جماعة دينية تعيش في وسط الشعوب التي عاشوا بين ظهرانيها[2]. حتى أن المملكتين اليهوديتين بعد الانقسام، لم يمكنهما البقاء والاستمرار، لأن اليهود لم يعتادوا أن يكونوا جماعة سياسية، فاليهودية هي عقيدة مغلقة وليست عقيدة سلطة، ولذا فأنها لم تستطع تكوين مفهوماً خاصاً للسلطة ومفهوماً جديداً للأمة، وهما شرطان أساسيان لتكوين الدولة، كدولة وليس كجنسية، بمعنى أن الدول لا تجسد شرعية سلطتها في تحقيق إجماع سياسي يقوم على الشريعة الدينية[3]. كذلك فأن العقيدة اليهودية لم تستطع أن تحقق نشوء ثقافة عليا، أي منظومة قيم إنسانية كونية، يمكن أن تحقق دولة مركزية تجمع أنظمة غير متجانسة ثقافياً واجتماعياً، على غرار الحضارة العربية، أو الحضارة الغربية الحديثة، إذ أن الانتماء إلى هذه

---

[1] – يرى عدد لا بأس به من الباحثين الذين نفوا عن اليهودية صفة القومية وأكدوا أنها دين فحسب، أن اليهود لا يصلحون إلا أن يعيشوا كجماعة تحكمها سيكولوجية الطائفة الدينية في كنف الممالك الأخرى، وأن أية محاولة لبلورة سياسية لليهود في إطار دولة مآلها الفشل الذريع. أنظر: الشامي، اليهود واليهودية، ص ٣ وما بعدها .

[2] – الشامي، اليهود واليهودية، ص ٣ .

[3] – المصدر نفسه، ص ٤ .

الثقافة العليا هو أساس الانتماء إلى الأمة، لأنها قاعدة المساواة للاشتراك في السلطة، ومن ثم فهي التي تحقق شرعية هذه السلطة[١].

وهكذا فأن ظاهرة انهيار الممالك اليهودية، لا ترجع إلى الظروف السياسية فحسب، بل تكمن في الأساس اللاسياسي الذي تنطوي على اليهودية ذاتها، فضلاً عن أن الدين اليهودي لا يكفي أن يكون هو الأساس المشترك بين اليهود الذين يعملون كطائفة دينية من ناحية، واليهود الذين يعملون كأمة سياسية من ناحية أخرى، كإطار للوحدة واستمرار البقاء، ومن ثم فأن الأساس السياسي في اليهودية، والذي استند إليه اليهود في إقامة ممالك لهم في فلسطين، كان أساساً متأثراً بالحضارات التي كانوا في كنفها، ورغبة في إقامة دولة على غرار دول الحضارة، وهو ما باء بالفشل الذريع[٢].

يقترن الانشقاق في الحياة السياسية والاجتماعية، بانشقاق في الحياة الروحية، وهو أيضا أحد خصائص تحلل المجتمع، حيث تُستبدل تدريجياً كل وسائل البناء بوسائل الهدم، وكعلاج لذلك، فأن المجتمع الآخذ في التحلل يبحث عن حلول في أشكال هروبية مختلفة مثل (الهروب إلى القديم) كمحاولة للعودة إلى الماضي[٣]، وهذا ما سلكه المجتمع اليهودي في الميل للعودة إلى الحياة البدوية.

وإزاء تفكك المجتمع، قد تجد هذه المواقف الروحية تجسيماً لها في الأنبياء الذين يكونون بمثابة المنقذين، إذ يقدم توينبي نماذج من هؤلاء المنقذين، ومنهم (المنقذ بالعلاج الزمني)، وهو الشخص الذي يوعد بالتحسينات وذلك بالعودة إلى الماضي أو التطلع إلى المستقبل[٤]. إذ كان المجتمع اليهودي الذي صار ضحية التفكك السياسي والحرب الاقتصادية، والانحلال الديني، هو ذلك المجتمع الذي ظهر فيه عدد من الأنبياء، في مناطق مختلفة

---

[١] – المصدر نفسه، الصفحة نفسها .

[٢] – الشامي، اليهود واليهودية، ص ٤ – ٥ .

[٣] – دي بويس، ج، مستقبل الحضارة، ص ٩٥ .

[٤] – نفس المصدر، ص ٩٦ .

من طرفي المملكة المنقسمة، الذي ميَّز دعوتهم العداء للتطور السياسي الديني الذي شهده انقسام المملكة، والذي أدى إلى تلوث دين يهوه القديم وفساده. وهكذا فلم يكن انقسام المملكة الموحدة إلا فاتحة سلسلة من النكبات التي كُتب للمجتمع اليهودي أن يقاسيها.

على ما تقدم يمكننا إرجاع أسباب تدهور المجتمع اليهودي إلى عوامل ثلاث تضافرت فيما بينها، هي: العامل **السياسي**، و**الديني والاقتصادي**.

المبحث الأول: العامل السياسي

يعد العامل السياسي من بين العوامل المهمة التي أدت إلى تدهور المجتمع اليهودي، سيما أن هذا العامل قد خرج من رحم الاضطرابات التي نتجت عن أوضاع سياسية داخلية وأخرى خارجية، كانت الأولى تنخر بالمجتمع من الداخل وتسير به نحو الهاوية، أما الثانية فقد كانت تُحاك له من الخارج حتى عصفت به.

أولاً: أوضاع سياسية داخلية: وهي ترتكز على محورين: أحدهما هو الصراع على السلطة داخل المملكتين، والثاني هو السياسة الداخلية لحكام هاتين المملكتين.

يقول توينبي (ليست أي قوة خارجية هي التي تسبب تدهور المجتمع، وعلى ذلك فإن حقيقة أن قوات عسكرية أو سياسية خارجية هي التي تهزم المجتمع أحياناً، ليست سوى دليل على فساد هذا المجتمع من الداخل)[١].

إذ شهد المجتمع اليهودي بعد الانقسام السياسي، محاولات مضنية، سواء تمثلت في الصراع بين المملكتين للسيطرة الكاملة على إرث المملكة الموحدة، أو الصراع على الحكم الداخلي في كلتا المملكتين. الأمر الذي أدى إلى انهيار الأوضاع الداخلية للمملكتين الشمالية والجنوبية، وتميزهما بكثرة الانقلابات السياسية، ووضوح الميل إلى التفكك الداخلي، حيث استقرت الفتنة في كلتا المملكتين، وتجلى ذلك من خلال التغيرات الأسرية المتعددة داخل هذين البنائين، وبلغ ذلك أشده في الفترة الممتدة بين (٩٠٩– ٨٨٥ ق.م.)[٢]، سيما في المملكة الشمالية، التي استمرت بها المؤامرات، وأعمال الاغتيال والإرهاب لأسباب شخصية، مثل قتل الملك إيلاه (٨٨٦– ٨٨٥ ق.م.) بيد تابعه زمري(٨٨٥ ق.م.)، ثم قتل زمري بيد عُمري (٨٨٥– ٨٧٤)[٣].

---

[١] – دي بويس، ج، مستقبل الحضارة، ترجمة: لمعي المطيعي، (القاهرة: دار الكرنك، ١٩٥٣)، ص ٩٢ .

[٢] – أنظر ثبت ملوك المملكتين، مملكة السامرة الشمالية (٩٣١– ٧٢١ ق.م.)، ومملكة يهوذا الجنوبية (٩٣١– ٥٨٧ ق.م.)، الملحق الثاني، ص ٣٧٧– ٣٧٨ .

[٣] – ظاظا، الساميون، ص٨٦ ؛ سفر الملوك الأول/ ١٦: ٨– ٢٨ .

أما السياسات التي انتهجتها كل من المملكتين إزاء الأخرى، فتتجلى في جانبين:

أ- **الحروب الداخلية:**

وهي الحروب التي وقعت بين المملكتين[١]، وأولها حسبما أفاد العهد القديم، الحرب التي نشبت بين أبيام(٩١٥- ٩١٣ ق.م.) ملك يهوذا، ويربعام الأول (٩٣٢-٩١١ ق.م.) ملك إسرائيل، وقد جاء في سفر أخبار الأيام الثاني، أن الأول حشد أربعمائة ألف رجل، والثاني حشد ثمانمائة ألف رجل، وأن أبيام أنتصر على يربعام وقتل من جيشه مقتلة عظيمة بلغت طبقاً لإحصاءات العهد القديم خمسمائة ألف رجل، وقام بضم بعض المناطق التابعة لمملكة إسرائيل إلى نفوذه[٢]، وكذلك الحرب التي نشبت بين آسيا بن أبيام(٩١٣- ٨٧٣ ق.م.) ملك يهوذا، وبعشيا بن أخيا(٩٠٩-٨٨٦ ق.م.) ملك إسرائيل[٣].

ربما يبالغ المحرر التوراتي في معلوماته عن أعداد القتلى في هذه المعارك التي أحصاها بالآلاف، ولكن لا شك أن هذه الحروب قد أثرت كثيراً على المجتمع اليهودي وأحدثت أضراراً كبيرة في الأرواح والبنى الاقتصادية التي تعتمد عليها مجتمعات المملكتين في حياتها. إذ استنزفت هذه الحروب الطاقات البشرية والموارد الاقتصادية، وأصبحت توجه لبناء الجانب العسكري، وتقوية نظام الجيش[٤] والآلة الحربية، مما أدى

---

(1) - Olmstead, A. T., History of Assyria, (London, 1975), p.131.

(٢) - شنودة، اليهود، ج١، ص ١٠٥ ؛ سفر أخبار الأيام الثاني/١٣: ٣، ١٨، ١٩.

(٣) - المصدر نفسه، ص ١٠٦ .

(٤) - نظام الجيش اليهودي: كان على كل ذكر أبن عشرين سنة أن يخرج للحرب، كما كان عليه أن يدفع نصف شيقل للهيكل، بأستثناء الذين تجاوزت أعمارهم الخمسين سنة، فأنهم يعفون من هذه الخدمة، كما تم استثناء اللاويين، وبعض الحالات الأخرى كالخاطب، وحديث الزواج، والذي بنى بيتا ولم يدشنه والخائف الضعيف، وقد روعيت هذه الأحكام منذ أقدم العصور، وضل معمولاً بها حتى أيام المكابيين، وكان الجيش ينقسم إلى ألوف ومئات وخماسين لكل منها قائدها، كانت هناك خدمات دينية تسبق انطلاق الجيش لميدان القتال، وكانت الذبائح تقدم في بداية المعركة، وكان هتاف البوق هو علامة التقدم أو التراجع في الحرب، وكان نظام المعركة بسيطا فكان حاملوا الرماح الثقيلة يسيرون في المقدمة، أما رماة المقاليع والسهام فكانوا يأتون في المؤخرة تساندهم المركبات والفرسان الذين كانوا يتقدمون إلى الصفوف الأمامية متى لزم الأمر. لمزيد من المعلومات عن نظام الجيش اليهودي القديم . أنظر: علي، إسرائيل عبر، ج١، ص ٢٠٦- ٢١٣ ؛ Dubnov, Simon, op.cit. pp. 222- 223

إلـى انعدام الاهتمـام بـالمجتمع، بـل أخـذ الوضـع يـزداد سـوء بفـرض الضـرائب التـي أثقلت كاهلـه، من أجل تجهيز الجيوش بالأسلحة والمؤن أثناء الحروب. ومن ثم فقد أدى كل ذلك إلـى أنتشار الفقر المدقع وانعدام الأمن والاستقرار. ويحفظ لنا العهد القديم صورة من صور تلك الأيام إذ يقول: **(فـي تلـك الأيـام لـم يكـن أحـد يخـرج ويـدخل بأمـان، لأن الاضـطرابات عمـت جميـع سـكان الأرض، فطغـت أمـة على أمة، ومدينـة على مدينـة...)**[1].

ناهيك عن الأجواء التي تصاحب المعارك وما يتبعها من أساليب حربية، كفرض الحصـار المهلـك علـى المـدن، حتـى تختـار أحـد الأمـرَّين، الاستسـلام أو المـوت. وهـذا ارميـا حـوالي(٦٢٦ ق.م.) يعبـر عـن حزنـه الشـديد إزاء اسـتمرارية الحروب التي أخذت تدمر مدينته فيقول: **(كيف السكوت وأنا أسمع صوت البـوق وهتاف الحرب ؟ نكبة على نكبة أشد، فالأرض كلـها خراب، دُمرت خيامنـا بغتـة، ومساكننا في لحظة، إلى متى أرى راية الحرب، وأسمع صوت البوق)؟** [2].

ب- **الأحلاف المعادية:**

تعد سياسـة الأحـلاف المعاديـة التـي انـدفعت إليهـا كـل مـن المملكتين، مـن بـين الأسـباب المباشـرة التـي أدت إلـى سـقوطهما، ففـي بدايـة الفتـرة التـي شـهدت انقسام المملكة الموحدة، اتخذ كل من يربعام ملك إسرائيل، ورحبعام (٩٣٢- ٩١٥ ق.م.) ملك يهوذا، حلفاء يناصرون كل واحد منهما إزاء الآخر، فسارع رحبعـام إلى محالفة دمشق، وسارع يربعام إلى محالفة مصر[3].

كـان هـذا الانقسام يصـب فـي مصـلحة ملـوك آرامـي دمشق، إذ سـهل علـيهم اختـراق المملكتـين المنفصـلتين، وتمكـن بنحـدد الأول ملـك دمشـق حـوالي(٨٧٩- ٨٤٣ ق.م.) من الهجوم علـى يهوذا والحصـول علـى كنوز ثمينـة من المعبد ومن القصـر الملكـي، ثم الهجوم علـى مملكـة إسرائيل، الذي أسفر عن ضم جلعـاد فـي شرق الأردن تحت السيطرة الآرامية.

---

[1] - سفر أخبار الأيام الثاني/ ١٥: ٥ ، ٦ .

[2] - سفر إرميا / ٤: ١٩- ٢٢ .

[3] - شنودة، اليهود، ج١، ص ١٠٤ .

استمرت الصدامات بين الأطراف الثلاثة من اجل السيطرة على المنطقة، وقد كثرت الحروب في عهد الملك أخاب (٨٧٤- ٨٥٣ ق.م.) الذي حاول مقاومة الانضواء تحت راية المملكة الآرامية في دمشق لكنه لم يتمكن من ذلك وانتهى به الأمر إلى دفع الجزية والدخول معها في تحالفات[١] ضد الدولة الآشورية التي تهدد المنطقة في تلك الفترة، تجسدت هذه التحالفات في معركة قرقر على العاصي[٢]. وبقيت مملكتي اليهود تحت ضغط القوتين المتصارعتين على المنطقة، دمشق الآرامية والدولة الآشورية[٣].

كما قام ملك المملكة الشمالية عمري (٨٨٥- ٨٧٤ ق.م.) بالتحالف مع ايثباعل (٨٨٧- ٨٥٦ ق.م.) ملك صور، وعزز اتفاقهما بزواج بنت الأخير (ايزابيل) من ولده آخاب (٨٧٤ – ٨٥٢ ق.م.)[٤]، ولكن السياسة التي أتبعها عمري في مجاراة الممالك الكنعانية والآرامية والفينيقية المحيطة به، كانت سياسة غير متزنة، أدت إلى مقتل أبنه أخاب في أحد المعارك مع الآراميين[٥].

ويبدو أن العلاقات السياسية للممالك الآرامية مع مملكة يهوذا الجنوبية من جهة، ومملكة إسرائيل الشمالية من جهة أخرى، كانت علاقات متقلبة تتوقف على مقدار الفائدة التي تصدر من أحدى المملكتين اليهوديتين، وهذا ما حصل مع الملك بعشيا الذي تفاجأ بانقلاب موقف الآراميين ضده[٦]، والانحياز إلى مملكة يهوذا التي دفعت لهم الهدايا والأموال من أجل نصرتها على أختها.

---

[١] – الأحمد، تاريخ الشرق، ص ٢٣٥ .

[٢] – قرقر: موضع على العاصي في الشمال من حماة (سورية)، جرت فيه معركة بين شلمنصر الثالث الآشوري وتحالف محلي قوي ضم هدد عازر ملك دمشق وآخاب ملك إسرائيل ومجموعة من ملوك سورية وقيليقية وفينيقية، ولم تؤد المعركة إلى نتيجة حاسمة. أنظر: عبودي، معجم الحضارات، ص ٦٨٢ .

[٣] – الأحمد، تاريخ الشرق، ص ٢٣٤- ٢٣٦ .

[4]- Olmstead, A. T.,op.cit, p.131.

[٥] – الأحمد، تاريخ الشرق، ص ٣٠٩ .

[٦] – المصدر نفسه، ص ٣٠٨ .

كما نجد الملك أحاز(٧٣٣- ٧١٤ ق.م.) الذي استنجد بالملك تجلاتبليزر الثالث (٧٤٥- ٧٢٧ ق.م.) الآشوري ضد المملكة الشمالية[(١)]، ودفع الجزية للآشوريين وأصبح تابعاً لهم بعد أن تعرض لخطر الحلف الشمالي (إسرائيل وحلفاءها من الآراميين وغيرهم)[(٢)].

وهكذا أستمر ملوك المملكتين المتنازعتين في أغراء الممالك السورية الآرامية أو غيرها من الشعوب الإقليمية، في محاولة لجذب ودها ومن ثم الاستفادة منها في إيذاء أحداها الأخرى.

ثانياً: أوضاع سياسية خارجية: مرتبطة بالصراع بين آشور ومصر ثم بابل ومصر على امتلاك منطقة فلسطين، باعتبارها منطقة حاجزة، وتداعيات هذا الصراع على المجتمع اليهودي، ودور بعض الممالك البارزة في المنطقة كمملكة الآراميين، وكذلك الضغط السياسي المستمر للكنعانيين والادوميين والمؤابيين والفلسطينيين وغيرهم من القوى التي كانت تهدد باستمرار أمن المجتمع اليهودي، وتحاول بسط نفوذها على أراضيه التي تشكل مصدر اقتصاده ومعيشته. ومن جهة أخرى فأن السياسة الغير حكيمة التي أتبعها ملوك المملكتين أدت إلى اضعافهما وذهاب هيبتهما، ومن ثم جعلتهما عرضة للأطماع الخارجية، لا سيما حينما كانتا تمتنعان أحياناً عن دفع الجزية إلى الآشوريين أو البابليين، مما كان يعني الإضرار بالمصالح الاقتصادية الآشورية والبابلية.

وقد جاءت غزوات هذه الشعوب من الخارج متكررة ومتلاحقة تضعضع من كيان المملكتين على حد سواء، فالآراميون من دمشق، والعمونيون، والمؤابيون، والأدوميون، والفلسطينيون، كل هؤلاء ضيقوا الخناق على مملكتي إسرائيل ويهوذا[(٣)].

---

(١) – فرحان، وليد محمد صالح، العلاقات السياسية للدولة الآشورية، (رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الآداب، ١٩٧٦)، ص ٩٠ .

(٢) – المصدر نفسه، ص ٣٠٩ .

(٣) – ظاظا، الساميون، ص ٨٦ .

وأخيراً لاح الخطر الخارجي ليس من سكان الساحل والملوك الآراميين فحسب، بل من الملكيات العظيمة التي استعادت قدرتها على النهوض بالمهام خارج حدودها، فغدت فلسطين فريسة للدسائس الدولية وساحة حرب تصادمت فيها الجيوش الأجنبية، فحالفت المملكتان على التوالي، هذه الدولة أو تلك وبحثت دون جدوى عن دولة حامية تكون اقل خطرا، غير أنهما انتهتا إلى الزوال[١]. وقد عبَّر إرميا عن حال فلسطين بقوله:(...**الذين قالوا لكِ أنحني حتى نعبر، فخفضتِ كالأرض ظهرك، وكالطريق يدوسها العابرون)**[٢].

ومن أهم الغزوات التي أنهكت المجتمع اليهودي واستنزفته روحياً ومادياً بعد انقسام مملكته الموحدة هي:

١- **حملة شيشنق (٩٤١- ٩٢١ ق.م.):** أنتهز شيشنق الأول[٣] فرعون مصر من الدولة الثانية والعشرين فرصة الانقسام بين المملكتين اليهوديتين، فأقتحم البلاد حوالي عام (٩٢٠ ق.م.) وخرب مدنها ونهب أورشليم، وأخذ خزائن بيت الرب وخزائن بيت الملك، وجميع أتراس الذهب التي عملها سليمان. ولم يبدي رحبعام ملك يهوذا أية مقاومة، فكانت الأضرار مادية بالدرجة الأساس[٤]. وتذكر المصادر أن هذه الحملة كانت من تدبير وتحريض يربعام ملك المملكة الشمالية[٥].

---

[١] – إيمار، الشرق واليونان، ص ٢٦٧ .

[٢] – سفر إشعيا/ ٥١: ٢٣ .

[٣] – حاول بعض الباحثين أن يثبت بأن مسرح أحداث حملة شيشنق ليست في فلسطين وإنما في اليمن من خلال تقصيه لبعض أسماء المناطق التي وردت في قائمة شيشنق، ومن ضمنها منطقة (هودى، أو هُدى بظم الهاء)، وهي أحدى بطون همدان ومن أشهر القبائل اليمنية. فضلاً عن مناطق أخرى مثل: (هام)، و(سُردد) وغيرها. أنظر: عيد، أحمد، جغرافية التوراة في جزيرة الفراعنة، ط١، (القاهرة: مركز المحروسة، ١٩٩٦)، ص١٤٦ وما بعدها .

[٤] – حسن، مصر القديمة، ج٩، ص ٥٢٦ .

[5]- Hall, H. R., The Ancient History of the Near East From the Earliest Times to the Battle of Salamis, (London, 1963), p.436.

٢- سقوط المملكة الشمالية (إسرائيل): بقيت مملكة إسرائيل تحت النفوذ الآشوري في عهد الملك تجلاتبليزر الثالث (٧٤٥- ٧٢٧ق.م.)، وذلك عقب الحملة التي أخضع من خلالها هذا الملك أكثر الممالك السورية في قرقر، ومن ضمنها مملكة إسرائيل التي استمرت في دفع الجزية كي تأمن بطش الآشوريين، ولكن في عهد الملك شلمنصر الخامس (٧٢٧- ٧٢٢ ق.م.) رفض هوشع ملك إسرائيل دفع الجزية، فهاجمها شلمنصر وأخضع ملكها وأجبره على دفع الجزية، وبعد مدة من الزمن، حصل هوشع على وعد بالمساعدة من مصر، فأحجم عن دفع الجزية مرة أخرى، فهاجمه الملك الآشوري شلمانصر الخامس للمرة الثانية وحاصر السامرة مدة ثلاثة أعوام[١]، فسقطت المدينة بأيدي الآشوريين، وواصل شلمنصر الخامس[٢] السياسة التقليدية في ترحيل السكان إلى مقاطعة كوزان (تل حلف) ومنطقة أخرى جنوب شرقي بحيرة أروميا[٣].

٤- سقوط يهوذا والحملات التي تعرضت لها من الآشوريين والبابليين وغيرهم

بعد سقوط إسرائيل في الشمال، أصبحت مملكة يهوذا مكشوفة أمام الهجوم الآشوري، فتوالت عليها الهجمات، من قبل الملك سنحاريب أولاً، ثم آشوربانيبال، وأتى نبوخذ نصر فأكمل دمارها سنة (٥٨٧ ق.م.) واضعا بذلك نهاية للوجود السياسي اليهودي في فلسطين في التاريخ القديم.

حملة سنحاريب(٧٠٤- ٦٨١ ق.م.): ومرة أخرى يُزج المجتمع اليهودي في أتون السياسة الغير حكيمة، ولكن مع ملك آخر، هو الملك حزقيا (٧١٤- ٦٩٦ ق.م.) ليعيش ظروف صعبة وحرب نفسية، عندما تدخَّل هذا الملك في أحداث التمرد الذي حدث في فلسطين وقام بأسر حاكم مدينة عقرون الموالي للآشوريين، ولقد لعبت مصر دور مهم في مساعدة المتمردين ضد بلاد آشور لكي تستعيد نفوذها على منطقة فلسطين[٤]، ولقمع هذا

---

[١] - سفر الملوك ثاني/ ١٧: ٣-٦ .

[٢] - لقد سقطت السامرة في عهد شلمنصر الخامس، رغم ادعاء سرجون الثاني (٧٢١- ٧٠٥ ق.م) سقوطها في عهده . أنظر: فرحان، العلاقات السياسية، ص ٩٣ .

[٣] - الدوري، رياض عبد الرحمن أمين، آشور بانيبال سيرته ومنجزاته، ط١، (بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، ٢٠٠١)، ص ١٧- ١٨ .

[٤] - فرحان، العلاقات السياسية، ص ١٠١ .

العصيان زحف سنحاريب بمحاذاة ساحل البحر المتوسط وأخضع مدن التمرد. حتى كانت يهوذا آخر محطة في هذه الحملة، التي استخدم فيها الآشوريون أسلوب الحرب النفسية[١]، وذلك باستعراض القوة ضد مملكة يهوذا، وهو جزء من التكتيك العسكري الذي أتبعه الجيش الآشوري ضد الممالك التي يهاجمها بشكل عام، فيضعهم في موقف حرج ويذكرهم بنفس الوقت باستحالة التفكير في مهاجمة بلاد آشور[٢]. ويبدو أن هذا الأسلوب كان له تأثير بالغ في الطرف الآخر، فقد نقل لنا العهد القديم ردود الفعل النفسية للمجتمع اليهودي، عندما لاحت طلائع أخبار الهجوم الآشوري في الأفق .

ها هو ذا شعب قادم من أرض الشمال

وأمة عظيمة تهب من أقاصي الأرض

يشدون على القوس والرمح، وهم قساة لا يرحمون

صوتهم يهدر كاليم

وعلى الخيل يركبون

وهم مصطفون كرجل واحد للمعركة ضدك يا ابنة صهيون[٣].

---

[١] – يؤكد الباحثون أن الحرب النفسية بمعناها العسكري الضيق أو بمعناها الاستراتيجي الواسع، هو نشاط مارسته أكثر شعوب الشرق القديم، وكان الغرض منها تدمير أرادة العدو على القتال من خلال وسائل مختلفة كالمفاجأة والضوضاء، فقد كتب المفكر الصيني (سن تسو) حوالي القرن الخامس قبل الميلاد في مؤلفه (كتاب الحرب)، يقول: من الضروري في حالة القتال بالليل استخدام الأبواق والطبول على نطاق واسع، أما في وقت النهار فيجب رفع عدد كبير من اللافتات والإعلام، وبذلك تبهر عيون العدو وسمعه، ويمكن تحقيق نفس الهدف بنشر قصص الخداع والتحدث عن القوة الطاغية. أنظر: رشتي، جيهان أحمد، الدعاية واستخدام الراديو في الحرب النفسية، (بيروت: دار الفكر العربي، ١٩٨٥)، ص ٢٧٩– ٢٨٠ .

[٢] – الفتيان، احمد مالك، نظام الحكم في العصر الآشوري الحديث، (أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الآداب، ١٩٩١)، ص ٣٧١ .

[٣] – صهيون: اسم سابق لوجود العبرانيين في فلسطين، وهو اسم كنعاني أطلقه اليبوسيون الكنعانيون على قلعتهم الحصينة على الرابية الجنوبية الشرقية من أورشليم (تل اوفل)، كما أنه اسم لجبل في فلسطين يقع كغيره من المرتفعات الأخرى في أورشليم (القدس)، وقد أدخل اليهود هذا الاسم في فترات لاحقة من تاريخهم في التوراة وطُبع بطابع ديني، وأصبح فيما بعد يعبر عن رموز دينية وسياسية، حتى أنه تم إطلاق تسمية مرادفة هي (جبل النبي داود) على أسم (جبل صهيون)، ويضع بعض الباحثين احتمالات مختلفة في البحث عن أصول هذا الاسم، فيقول: أن اسم صهيون ربما اشتق من اللغة العبرية צִיּוֹן (تسيون) بمعنى الأرض الجافة، أو من اللغة العربية (صهوة) بمعنى (أعلى كل جبل) أو البرج في أعلى الجبل، وقد ورد ذكر اسم

سمعنا خبرهم، فاسترخت أيدينا
وأصابنا ضيق ووجع كالتي تلد
لا تخرجوا إلى الحقل ولا تسيروا في الطريق
فسيف العدو رعب من كل جهة[١].

كما يصف المحرر التوراتي قوة الجيش الآشوري والانطباع الذي تركه في نفسية المجتمع اليهودي، عندما بدأت جحافله تقترب من يهوذا:

أنهم يزحفون على عجل
لا ينالهم إعياء ولا يتعثرون
لا يأخذهم نعاس أو ينامون
أحزمتهم مشدودة، لا تتراخى
أربطة نعالهم لا تبلى
سهامهم محدودة، وقسيهم مدربة
حوافر خيولهم أقسى من الصوان
وعجلاتهم أشد من العاصفة
لهم زئير اللبوات
يزمجرون مثل الأسود ويزفرون
ينقضُّون على فريستهم، فلا خلاص لها
يهدرون مثل البحر الهائج
فيغشى الأرض منهم ظلام وتحتجب الأضواء في أجوائها[٢].

تمكن سنحاريب من محاصرة حزقيا اليهودي في عاصمته أورشليم، وجرى خلال الحصار حوار بين قائد الجيش الآشوري (الرابشاقة)[١] وبين اليهود

صهيون (١٥٢) مرة في العهد القديم، وسبع مرات في العهد الجديد. أنظر: جرجيس، القدس في العصور، ص ٣٦- ٣٨ .

(١) – سفر إرميا/ ٦: ٢٢- ٢٤ .

(٢) – سفر أشعيا/ ٥: ٢٦- ٣٠ .

المحاصرين داخل أسوار المدينة، وكان الهدف منه تثبيط همة اليهود بضرب الأمثلة لهم عن انتصارات سنحاريب وحثهم على التمرد على ملكهم حزقيا والتخلي عنه، وأشار أن الاعتماد على مصر لن يجدي نفعاً أمام القوات الآشورية المنتصرة[٢]، وسرعان ما ظهرت نتائج هذه الحوار، عندما اقتحمت القوات الآشورية المدينة بقيادة سنحاريب، مثيرة الرعب والفزع، إذ يصور لنا المحرر التوراتي هذه اللحظات المضطربة بقوله: **(أهربوا، لا تقفوا...، طلع الأسد من عرينه، ها هو قاهر الأمم، يزحف خارجاً من مكانه، ليحل الأرض خراباً، لا يسكن فيها ساكن)**[٣]، وهناك نص آخر ينقل لنا هذه الأجواء المشحونة بالقلق **(أنظروا، ها هو العدو صاعد كالسحاب، مركباته كالزوبعة، وخيله أخف من النسور، ويل لنا هلكنا !!)**[٤].

وفي النهاية استولت القوات الآشورية بعد أعمال حرق وتدمير هنا وهناك، على المدينة وحصلوا على أسلاب كثيرة تعود إلى الأهالي وأنواع من الحيوانات الحقلية وغيرها، كما سيق أعداد كبيرة جدا من الأسرى العسكريين وغيرهم من المدنيين[٥]. إلا أن التوراة ذكرت أن سنحاريب لم يتمكن من خلال حملته هذه من فتح المدينة بسبب ما فعله الرب بجيشه في الصحراء وإنزال الوباء فيه[٦]، ولكن مهما يكن من أمر، فلا يمكننا الاعتماد عليه بصورة كلية بسبب عداء اليهود للآشوريين.

حملة آشوربانيبال (٦٦٨- ٦٣١ ق. م): كانت العلاقة هادئة بين يهوذا وبلاد آشور حتى سنة ٦٥٢ ق.م.، بل حتى أن يهوذا مدت يد المساعدة إلى آشور بانيبال في حملته الأولى على مصر، حيث ورد ذكر اسم ملكها منسا (٦٩٦- ٦٤١ ق.م)

---

[١] – الرابشاقة: وتعني كبير السقاة ويأتي بعد التورتان في المنزلة، وهي من الألقاب العسكرية، فضلاً عن (الراب شوشي)، التي تعني آمر الستين (رئيس الستين) . أنظر: حبيب، طالب منعم، سنحاريب سيرته ومنجزاته ٧٠٤- ٦٨١ ق.م.، (رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الآداب، ١٩٨٦)، ص ١١٨ .

(2) - Maspero, Goston, History of Egypt, (London, 1916), Vol. VIII, p. 34- 35.

[٣] – سفر إرميا / ٤: ٦- ٨ .

[٤] – سفر إرميا / ٤: ١٣ .

(5) - Maspero, Goston, op.cit. p.29 ؛ Snell, Daniel C., Life in the Ancient Near East 31oo – 332 B.C.E., (New York, 1997), p. 79.

[٦] – سفر الملوك الثاني، ١٩: ٣٥- ٣٨ .

ضمن الأمراء الاثنين والعشرين الذين زودوا القوات الآشورية المتقدمة إلى مصر بقوات منهم، ولكن يبدو أن العلاقات قد تكدرت بين الطرفين، بعد انضمام مملكة يهوذا إلى حركة التمرد التي قادها (شمش شوم أوكن)[١] ضد آشوربانيبال، فما كان من الأخير إلا مهاجمتها وتدميرها وأسر ملكها منسا، الذي نُقل مكبلاً بالقيود إلى بابل، ثم عفا عنه وأعاده إلى عرش مملكته يهوذا[٢].

الأسر البابلي الأول (٥٩٧ ق. م): بقيت يهوذا تتأرجح في ولائها تارة إلى بابل وطوراً إلى مصر، فبعد أن هاجمها فرعون مصر نخاو الثاني (٦٠٩- ٥٩٣ ق.م.) في أواخر القرن السادس قبل الميلاد، في عهد يوشيا (٦٤١- ٦٠٨ ق.م.)[٣]، حاول الأخير إيقافه لكنه قتل، وأبيد جيشه عن آخره، فأصبح ابنه يهوياقيم (٦٠٨ ق.م.) ملكا تابعا لمصر[٤]. وفي سنة (٦٠٥ ق.م.) تمكن نبوخذ نصر ملك بابل من تحقيق انتصار كبير على الجيش المصري في قرقميش[٥]، وبعد مضي سنة واحدة، اضطرت يهوذا مكرهة

---

[١] – شمش شوم أوكن، أو (شمش أوكين): الابن الأكبر للملك الآشوري أسر حدون (٦٨٠- ٦٦٩ ق.م.) الذي أوصى له بعرش بابل، وأوصى لأخيه الأوسط آشور بانيبال بعرش آشور، بهدف توحيد بلاد وادي الرافدين في دولة واحدة، إلا أن الأخوين قد دخلا في نزاع تجسم أخيراً في ربط (شمش شوم أوكن) نفسه بحركة الاستقلال البابلية، ومن ثم إعلان الثورة، فلم يفلح في تحقيق مطامحه، ولقي حتفه حرقا في عاصمته بابل عام ٦٤٨ ق.م.، وقام آشور بانيبال بتعيين حاكم آشوري على بابل يدعى كندلانو، الذي قد يكون الأخ الأصغر له. أنظر: محمد، حياة إبراهيم، نبوخذ نصر الثاني ٦٠٤- ٥٦٢ ق.م.، (بغداد: المؤسسة العامة للآثار والتراث، ١٩٨٣)، ص ٤٠ .

[٢] – الدوري، آشوربانيبال، ص ١٣٢ .

[٣] – أكتسب هذا الملك شهرة واسعة، كمصلح ديني، كان له دور كبير في تاريخ المجتمع اليهودي، بما أحدثه من ثورة أخلاقية ودينية، على أثر إيجاده نسخة من كتاب سفر التثنية في الهيكل خلال ترميمه، فأثرت مضامين هذا السفر على الملك ومجتمعه بعد قراءته، ونتج عن هذه الحادثة إيقاض المجتمع اليهودي من السبات العميق، والعودة إلى عبادة يهوه وحده، وإحراق أواني البعل والأجرام السماوية المؤلهة التي كانت في الهيكل، وهدم المعابد الوثنية، وتخريب المرتفعات في مناطق يهوذا وإسرائيل . أنظر: حتي، تاريخ سورية، ص ٢١٨ .

[٤] – الشامي، اليهود واليهودية، ص ١٣٣ .

[٥] – قرقميش: مدينة تقع في مخاضة الفرات في نقطة العبور من سورية إلى بلاد ما بين النهرين، وتعرف اليوم باسم جرابلس، وكانت هذه المدينة تابعة قديماً للميتانيين، وربما أصبحت عاصمة للحوريين. انتصر نبوخذنصر الثاني على نكو الثاني في هذه المدينة. كشفت التنقيبات فيها عن آثار تدل على فن متطور تمتزج فيه التأثيرات الآشورية والحثية. أنظر: عبودي، معجم الحضارات، ص ٧١٢- ٧١٤ .

للخضوع لـه، وقدم ملكها يهوياقيم فروض الطاعة لمدة ثلاث سنوات متتالية، من (٦٠٣- ٦٠٠ ق.م.)[١]، وتـذكر النصـوص البابليـة (الحوليـات) أن ملـك يهـوذا يهوياقيم تمرد على بابل وأنقطع عن دفع الجزية، ويبدو أنه كان يأمل أن تساعده مصر للوقوف بوجه القوة البابلية[٢]، لكن سرعان ما تمكنت القوات البابلية من محاصرة أورشليم والقضاء عليها عام (٥٩٧ ق. م.)، وانتهى بذلك حكم يهوياقيم وخاب أمله بمصر، ولا يعرف على وجه التحديد هل تم أسره أم قتله[٣]، ثم خلفه ابنه يهوياكين، وبعد ثلاثة أشهر فقط من تنصيبه عادت القوات البابلية لمحاصرة أورشليم، فأُوسر يهوياكين وحاشيته وعدد كبير من جنده إلى بابل، مع آنية الهيكل الثمينة[٤].

الأسر البابلي الثاني وزوال مملكة يهوذا:

أمر نبوخذ نصر بتنصيب صدقيا حاكماً على اليهود، وبقي سنين عديدة على ولائه للملك البابلي[٥]، ثم ما لبث أن تمرد عليه وتحالف مع أعداءه، فاستشاط نبوخذ نصر غضبا وهجم على أورشليم وحاصرها بجيشه وبنى حولها أبراجاً وظل يضيق الخناق على أهلها ثمانية عشر شهراً حتى كادوا أن يهلكوا جوعاً، ومن ثم فتحوا ثغرة في أحد أسوار المدينة وهرب صدقيا وكل قواده إلى ناحية نهر الأردن، فتبعهم الكلديون وأسروا الملك وأخذوه مع أولاده إلى نبوخذ نصر، في ربلة شمالي فلسطين، وذبحوا أولاده أمامه، ثم سملوا عينيه[٦]، ثم قام قائد الجيش البابلي بنهب الهيكل وبيت الملك[٧] ثم أحرقهما وأشعل النار في المدينة ودك أسوارها وأسر أهلها جميعاً

---

[١] – محمد، نبوخذ نصر الثاني، ص ٦٤ .

[٢] – المصدر نفسه، ص ٦٧ .

[٣] – علي، فاضل عبد الواحد، من ألواح سومر إلى التوراة، ط١، (بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٨٩)، ص ٢٤٢ .

[٤] – عبد العليم وراشد، اليهود في العالم ، ص ١٦٤ .

[٥] – علي، من ألواح، ص ٢٤٣ .

[٦] – اوتس، جون، بابل تاريخ مصور، ترجمة: سمير عبد الرحيم الجلبي، (بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٩٠)، ص ١٩٧ .

[٧] – شنودة، اليهود، ج١، ص ١٣٤ .

فلم يترك فيها إلا الفقراء[1]. بدى الهجوم البابلي على يهوذا كارثة كبيرة، حيث سويت المدن كلها بالأرض، وذبح سكانها جميعاً، ولم يكن ذلك من قبيل اضطهاد المجتمع اليهودي، بل كانت تلك هي الطريقة التي يعامل بها الآشوريين والبابليين الولايات الثائرة عليهم، وتركت يهودا خربة مقفرة وغير مسكونة، وتم أسر الطبقات العليا إلى بابل، وتفرقت البقية في عمون وموآب وسوريا، وفي مصر بصفة خاصة، فشكلت بذلك بداية الشتات[2]، ويصور لنا المحرر التوراتي جانب من أحوال المجتمع المأساوية بعد خراب أورشليم وذلك على لسان النبي إرميا: **(يلصق لسان الرضيع بحنكه من العطش، والأطفال يطلبون خبزاً، ولا من يعطيهم كسرة، والذين يأكلون الطيبات، ماتوا في الطرقات، والذين تربوا في الحرير، ينبشون الطعام في المزابل)**[3]، ثم نجد الوضع يزداد سوءا في صورة أخرى لبعض الجماعات الهاربة والهائمة على وجوهها: **(وجوههم أسودت أكثر من السواد، وجلودهم لصقت بعظامهم، ويبست كالخشب، وكان القتلى بالسيف فيها خيراً من القتلى بالجوع، فأولئك ماتوا بطعنة...، حتى النساء الحنونات طبخن أولادهن فكانوا لهن طعاما)**[4].

ومنذ انهيار هذه الممالك اليهودية (يهوذا وإسرائيل) والمجتمع اليهودي يخرج من نير، ليقع تحت نير آخر، فبعد الآشوريين والبابليين، حكمه الفرس، ثم اليونان، أثر فتوحات الاسكندر الكبير في القرون الأربعة الأخيرة قبل الميلاد.

اليهود تحت الحكم الفارسي (٥٣٩- ٣٣١ ق.م.)

قضى اليهود بعد أسرهم في بابل فترة من الزمن تقدر بسبعين سنة وجدوا خلالها ما يعوضهم عن الدمار والتشريد الذي حل بهم أبان زوال مُلْكهم سنة (٥٨٧ق.م.)، إذ يتفق الباحثون على أنهم عاشوا حياة طبيعية، وتمتعوا بالعمل الحر في كافة الجوانب الاقتصادية لا سيما التجارية منها، ومارسوا طقوسهم الدينية بدون

---

[1] – مزنر، فؤاد حسين، أطماع اليهود وأسفارهم، (بيروت: دار الكتب الثقافية، ١٩٨٩) ص ٢٥ .

[2] – الشامي، اليهود واليهودية، ص ١٣٦ .

[3] – سفر إرميا / ٤: ٤، ٥ .

[4] – سفر إرميا / ٤: ٨- ١٠ .

قيد أو شرط، وحققوا إنجازات كبيرة على المستوى الثقافي بعد تأثرهم بالحضارة البابلية. ولكن مثقفوهم ظلوا يتوقون للعودة إلى فلسطين وسط عزاء شعراءهم الذين يرددون: **(كيف نرنم ترنيمة الرب في أرض غريبة ؟ إن نسيتك يا أورشليم تنساني يميني)**[(١)].

وتحقق لهم ذلك عندما سقطت بابل بأيدي الغزاة الفرس سنة (٥٣٩ ق.م.) حيث أصدر الملك الفارسي كورش، مرسوماً[(٢)] يخول حق العودة للذين يودون الرجوع إلى فلسطين وإعادة بناء معبدهم[(٣)].

المجتمع اليهودي تحت الحكم اليوناني

انهارت دولة الفرس على يد الاسكندر المقدوني، وأبتدء عهد الإغريق في المنطقة (٣٣٢- ٦٤ ق.م.)[(٤)]، وبدخول الاسكندر أورشليم أصبحت المقاطعة اليهودية إحدى ممتلكات الدولة المقدونية، ولما مات الاسكندر عام (٣٢٣ ق.م.) بدون وريث، أقتسم قادة جيش إمبراطوريته الواسعة، فكانت مصر وجنوب بلاد الشام (ومنها فلسطين) حصة القائد بطليموس، وعاصمتها الإسكندرية، وسميت دولة البطالمة. أما شمال سورية والأناضول والعراق شرقاً، فكانت حصة القائد سلوقس وعاصمتها إنطاكية، وسميت دولة السلوقيين[(٥)].

أصبح وضع المجتمع اليهودي يتأرجح بين المد والجزر، فتارة يقع تحت حكم البطالمة في مصر، وتارة أخرى تحت حكم السلوقيين في سورية، وفي بعض الفترات

---

(١) – حتي، تاريخ سورية، ص ٢٤٣ .

(٢) – أنتهج كورش سياسة معاكسة لسياسة نفي الشعوب الخاضعة التي اتبعها الآشوريون والكلديون، ويبدو إن هذا النهج السياسي كان ينسجم مع الأوضاع السياسية للشرق الأدنى القديم في عهده، مما يضمن نتائج حسنة للفرس، وما اهتمامه بالشأن اليهودي إلا دليل على تلك السياسة الجديدة التي رسم بها طريقا أكثر يسرا إلى مصر وغيرها من الأقاليم، سيما بعد سقوط العملاقين الآشوري والبابلي. (الباحث) .

(٣) – حتي، تاريخ سورية، ص ٢٤٢ .

(٤) – الحوت، بيان نويهض، فلسطين القضية الشعب الحضارة – التاريخ السياسي من عهد الكنعانيين حتى القرن العشرين ١٩١٧، ط١، (بيروت: دار الاستقلال للدراسات والنشر، ١٩٩١) ص ٥٩ .

(٥) – عرابي، رجا عبد الحميد، سفر التاريخ اليهودي، ط٣، (دمشق: دار الأوائل، ٢٠٠٩) ص ٢٣٤ ؛ ناظم، سلوى، الترجمة السبعينية للعهد القديم بين الواقع والأسطورة، (القاهرة، ب. مط،١٩٦٦)، ص ٨ .

يستفيد من الخلاف المستحكم بين هذين الفريقين ليتمتع بحكم كهني ذاتي[١]. لكن اليهود بشكل عام ظلوا يمارسون شؤون حياتهم بحرية كاملة، سيما العبادة، طوال فترة حكم البطالمة، وإن كانوا لم يحصلوا على الاستقلال السياسي إلا أنهم ما أنفكوا يحتفظون بكيان تراثي وثقافي واحد[٢].

ويبدو أن الأمر تغير تماماً خلال الحكم السلوقي، إذ حاول السلوقيين حكام بلاد الشام بعد أن رجحت كفتهم في الصراع[٣]، أن ينشروا الثقافة والحضارة اليونانية (الهيللينية) في المناطق الواقعة تحت نفوذهم ومنها فلسطين، فتأثر المجتمع اليهودي وبدء بالتقرب من الأساليب اليونانية[٤]، فكانت الأرستقراطية وطبقة الأغنياء في أورشليم تتجاوب مع العادات اليونانية، وأصبح اللباس اليوناني شائعا بين اليهود[٥]، واستجاب عدد كبير من المجتمع اليهودي إلى محاولة السلطة في القضاء على العادات المختلفة لدى الشعوب وصهرها جميعاً في بوتقة إغريقية واحدة، بينما عارض قسم آخر منهم ذلك بشدة[٦].

كانت أسوء الفترات التي مرت على المجتمع اليهودي في ظل الحكم السلوقي هي في عهد الملك أنطيوخس الرابع (١٧٥- ١٦٤ق.م.) فقد دمر الهيكل، ونهب كل ما فيه، وأجبر المجتمع اليهودي على اعتناق الوثنية الإغريقية[٧]، وذلك بإصداره مجموعة من القرارات عام (١٦٧ق.م.)، والتي اشتملت على: منع تعليم التوراة أو تعلمها، وتحريم الختان، وأجبار اليهود على الاشتراك في طقوس وثنية، وتقديم القرابين للآلهة الوثنية، وأكل لحم الخنزير، وعدم حفظ يوم السبت، وتدمير المباني

---

(١) – سوسة، مفصل العرب واليهود، ص ٦١٦ .

(٢) – عثمان، أحمد، تاريخ اليهود، ط٢،(القاهرة: مكتبة الشروق، ٢٠٠٢)، ج٢، ص ٤٤ .

(٣) – أنظر تفاصيل هذا الصراع: شنودة، اليهود، ج١، ص ١٥٠ وما بعدها .

(٤) – عرابي، سفر التاريخ، ص ٢٤٠ .

(٥) – حتي، تاريخ سورية، ص ٢٦٧ .

(٦) – عثمان، تاريخ اليهود، ج٢، ص ٤٤ .

(٧) – الحوت، فلسطين القضية، ص٣١ ؛ بفن، أدون، أرض النهرين، ترجمة: الأب انستاس ماري الكرملي، والأب لويس مريس الكرملي، (بغداد: مطبعة المعارف، ١٩٦١)، ص ٨٥ .

التي يجتمع بها اليهود للصلاة وإقامة معابد وثنية محلها[١]، فأشتد الصراع بين اليهود والإغريق حتى اندلعت ثورة المكابيين. حيث أطلق على عصرهم الذي دام حوالي القرن وربع القرن (١٦٦- ٣٧ق.م.) أسم العصر المكابي[٢]، وسموا المكابيين لأن شعارهم في الحرب كان العبارة: מי כמוך בגויים יהיה ؟ (مي كموخ بگوييم يهيه) (من مثلك بين الأمم ؟)، إذ اشتقوا اسم دولتهم من هذا الشعار فأخذوا الحرف الأول من كل كلمة فيه وكوَّنوا كلمة (מכבי) (مكابي) من الأحرف الأولى[٣].

كان هدف اليهود من وراء ثورتهم، بقيادة العائلة المكابية، هو الدفاع عن آدابهم وثقافتهم، ومن ثم تطورت إلى ثورة تنادي بالاستقلال السياسي[٤]، فضلا عن أن بعض الباحثين يُرجع أسباب قيام هذه الثورة والتمرد المكابي إلى دوافع اقتصادية[٥]، لأن بداية تنفيذ القرارات السلوقية كانت قد بدأت بالذبح على المذبح اليهودي، وهذا يعني أن الكهنة هم المتضررين الحقيقيين منها، ذلك أن الهيكل كان يمثل لهم مصدر الرزق الأساسي بما كانوا يحصلون عليه من عشور ونذور.

وبعد عدد من الاشتباكات والمعارك التي قادها متتياهو الحشموني، ومن بعده ابنه يهوذا، الملقب بـ(المكابي) تمكن المكابيون من تحقيق نصرا كبيرا على السلوقيين، اضطروا نظرا لضعفهم إلى الاعتراف باستقلال المكابيين[٦]. إلا أن هذا لا يعني انتهاء الصراع المسلح بشكل نهائي، فقد استمرت المعارك سجالاً بين الطرفين، حتى تمكن سمعان شقيق يهوذا، احد قادة الثورة من إعلان نفسه حاكما وكاهنا أعظم على قومه في سنة (١٤١ ق.م.)[٧]، وفي نهاية القرن الثاني قبل الميلاد اخذ المكابيون يجبرون سكان الجليل من غير اليهود، والادوميين من سكان

---

[١] – السيد جوهر، هاني عبد العزيز، اليهود في فلسطين في العصرين البطلمي والسلوقي، (القاهرة: جامعة عين شمس، ب ت)، ص ٣٠ .

[٢] – سوسة، مفصل العرب واليهود، ص ٦١٦ .

[٣] – عبد القادر، الأمم السامية، ص ١١٢ .

[٤] – الحوت، فلسطين القضية، ص ٣٢ .

[٥] – السيد جوهر، اليهود في فلسطين، ص ٣٩ .

[٦] – المصدر نفسه، ص ص ٣٩- ٤٩ .

[٧] – حتي، تاريخ سورية، ص ٢٦٨ .

جنوب فلسطين على اعتناق الدين اليهودي، ويتصف تاريخ قادة المكابيين وملوكهم بأبشع أنواع القسوة والهمجية[١]. ويبدو أن السيادة اليهودية الاسمية كانت قد انتهت، نهائياً مع سقوط (أنتي جونوس) آخر مكابي حكم أورشليم سنة(٤٠ ق.م.)، والحقيقة الأخرى أن الدويلة اليهودية التي قامت بعد عودة قسم من اليهود من بابل، أنما قامت كتابعة للدول الأخرى التي سيطرت على فلسطين من الفرس أولاً، ثم اليونان السلوقيين، وأخيراً الإمبراطورية الرومانية[٢].

المجتمع اليهودي تحت الحكم الروماني

بعد أن تمكن قادة المجتمع اليهودي من خطف حكماً ذاتياً مؤقتاً، مستغلين الخلاف الشديد الذي وقع بين الحكام اليونانيين، نشبت نزاعات داخلية بين أفراد الأسرة المكابية، نتج عنها حروب أهلية، جعلت كل من الأخوين (هركانس وأرسطوبولس)[٣] يستنجد بالدول المجاورة[٤]، وأثناء تلك الفترة كان بومبي القائد الروماني(١٠٦- ٤٨ ق.م.)، الذي احتل سورية سنة (٦٦ ق.م.)[٥]، يتهيأ للدخول إلى أورشليم مستغلاً هذه الفتن والخلافات، وحاول الوساطة بين الأخوين، ولكن

---

[١] - الحوت، فلسطين القضية، ص ٣٢ .

[٢] - عرابي، سفر التاريخ، ص ٢٣٥ .

[٣] - هركانس وأرسطوبولس: وهما الأخوين اللذان مثَّلا آخر حلقات حكم العائلة المكابية قبل خضوع اليهود للحكم الروماني. علما أن حكم هذه العائلة قد ابتدأ بيهوذا المكابي (٢٠٠- ١٦٠ق.م.) ابن متاثياس المكابي، حارب يهوذا قواد انطيوخوس الرابع، وقد ساعده أخوته الأربعة: يوحنا وشمعون ويوناثان واليعازر، واستمر في عداؤه للسلوقيين حتى قتل في أحدى المعارك، جاء بعده أخوه يوناثان (١٦٠- ١٤٣ق.م.)، أصبح في سنة(١٥٢ق.م.) كبيراً للكهنة، وقُتل غدراً على يد (تريفون). جاء بعده أخوه سمعان كبير كهنة اليهود (١٤٢- ١٣٤ق.م.)، الذي سار على سياسة أخيه مع الرومان، وجدد التحالف معهم ليضمن استقلال بلاده. وقُتل مع ابنيه (متاثيا ويهوذا)، بعد أن حكم اليهود عدد من السنين، فخلفه ابنه الثالث يوحنا هركانس (١٣٤- ١٠٦ق.م.)، ثم جاء بعده لحكم اليهود أبنه أرستبولس (١٠٦- ١٠٥ق.م.) ثم جاء من بعده أحد أخوته الذي كان قد سجنه قبل موته وهو اسكندر نيبوس (١٠٥- ٧٩ق.م.)، وبعد موت الأخير بمرض عضال خلفته زوجته اسكندرة (٧٩- ٧٠ق.م.) في حكم اليهود، وبعد موتها تنازع أبنيها(هركانس وأرسطوبولس) على العرش، وكانا من آخر شخصيات العائلة المكابية. أنظر: عبودي، معجم الحضارات، ص٨٠٥ ؛ شنوده، اليهود، ج١، ص ص ١٥٩- ١٨٩ .

[٤] - العارف، تاريخ، ص ٢٧ .

[5]- Encyclopedia Britannica, (U.S.A, 1966),vol 12, p.1065.

أرسطوبولس لم يمتثل للوساطة، وأخذ موقف معاد من بومبي واستعد لقتاله، فتمكن الأخير من اختراق أورشليم في أحد أيام السبوت، بعد مقاومة ضعيفة من اليهود، إذ أنه كان يدرك أن اليهود لا يحاربون في يوم السبت لقدسيته في شريعتهم[١]، ولهذا فقد قام بمجزرة كبيرة، قتل منهم في أورشليم وحدها (١٢,٠٠٠)، وحطم أسوار المدينة[٢]، بينما كان اليهود من جهة أخرى يخربون كل شيء بأيديهم ويحرقون المدينة كلها بالنيران لكي لا ينتفع بها العدو[٣].

أقام بومبي حاكماً على أورشليم، بعد أن سيطر عليها، يدعى (أسكورس)، استقبله اليهود بادئ ذي بدء بالترحاب، لأنه أنقذهم من الفوضى والاضطرابات التي عمت أورشليم، ولكنهم سرعان ما انقلبوا عليه، فألغى مجمعهم[٤]، وهدم السور وفرض عليهم أن يقدموا في كل يوم ذبيحة أمام الهيكل تكريماً لقيصر روما[٥].

وفي عهد يوليوس قيصر (٤٩ق.م.) تنفس اليهود الصعداء، إذ ولي عليهم أنتيباتر الادومي (٤٦ق.م.)، ولما مات هذا الحاكم تسلم زمام الإدارة أبنه فصائيل، فحدثت في عهده حروب أهلية بين الادوميين والحشمونيين[٦] ، وراحوا يقتتلون في شوارع المدينة، وكان النصر سجالاً بينهم[١].

---

[١] – شنودة، اليهود، ج١، ص ١٨٦ .

[٢] – عرابي، سفر التاريخ، ص ٢٣٨ .

[٣] – طعيمة، صابر، التاريخ اليهودي العام، ط١،(بيروت: دار الجيل، ١٩٧٥)، ج١، ص ١٥٠ .

[٤] – المجمع: وهو الاسم الذي أطلق على الأمكنة التي اتخذها اليهود للعبادة في فترات الشتات، بعد أن تعذر عليهم أن يقيموها في هيكل أورشليم، ولهذا درجوا على الاجتماع للصلاة في هذه ألاماكن، حيث كانوا يقرأون الأسفار المقدسة، وكانت أمكنة الاجتماع تبنى على نمط بسيط، فهي عبارة عن قاعة قبلتها أورشليم، وكانت القاعة تشتمل على تابوت بداخلها، وفيه نسخة من أسفار العهد القديم، وخلت عبادة المجمع من الطقوس والمراسم، وكان القارئ يتلوا الأسفار المقدسة على الأسفار المقدسة على مسامع اليهود، ثم يترك المجال لأي حبر من الأحبار الحاضرين ليتولى شرح ما قُرئ، ثم يعلق عليه. أنظر: كامل، الكتب التاريخية، ص ٢٩ ؛ مهران، بنو إسرائيل، ج٤، ص ٥٥٣ .

[٥] – العارف، تاريخ، ص ٢٩ .

[٦] – الحشمونيون: أُطلق هذا الاسم على العائلة الكهنوتية المنحدرة من أشمون (حشمون)، وهي عائلة (المكابيين) التي قامت عام(١٦٨ق.م.) بتزعم ثورة دينية ضد أنطيوخوس الرابع بهدف الحصول على حرية المعتقد والعبادة، كانت هذه العائلة تقتصر في بادئ الأمر على المكابيين أبناء متتيا، الذين قادوا المعارك من العام ١٦٨ إلى العام ١٣٤ ق.م.، وتلاهم من ثم، رجال من سلالتهم عُرفوا بالملوك الحشمونيين، جمعوا

وفي خضم تلك الاضطرابات تنبري شخصية جديدة في الميدان الملتهب، هي شخصية هيرودوس الادومي (٣٧- ٤ ق.م.) بعد أن أعطى إلى الرومان بعض الوعود الكفيلة بحل ألازمات السياسية في المنطقة، فزحف إلى المدينة منتهزاً تلك المنازعات سنة (٣٧ق.م.)، يساعده القائد الروماني (سوسيوس)، وحاصرها وصب عليها قذائف المنجنيق وأقتحمها وقام فيها بمذبحة رهيبة[٢].

أصطبغ عهد هيرودس كله بالدماء، وأبشع مذابح القتل التي شهدها التاريخ القديم بعامة، والتاريخ اليهودي بخاصة، فقد قتل أعضاء مجلس السهندريم جميعاً لمجرد أنهم صارحوه برفضهم له، لأنه من أصل أدومي وليس من أصل يهودي[٣]، وذبح عدداً كبيراً من شيوخ اليهود وكهنتهم الذين أبدوا نيتهم في معارضة حكمه، ولم يسلم من بطشه حتى أهل بيته وأقرب المقربين إليه[٤]، كما قام بقتل مائة من تلاميذ الفريسيين مع أثنين من زعمائهم وهما (يهوذا بن سيبوري) و(متي بن مركلوت) لتحريضهما التلاميذ على تحطيم تمثال النسر شعار الدولة الرومانية[٥].

وقد حدث في أواخر أيامه أن بلغه نبأ ميلاد السيد المسيح في مدينة لحم، وعلى أنه سيكون ملكاً على اليهود، فأمر بقتل كل أطفال المدينة من أبن سنتين فأقل، لكي يقتل من بينهم المسيح الذي لم يكن يعرف شخصيته بالتحديد، فذهب ضحية هذه المذبحة مئات من الأطفال اليهود الأبرياء[٦].

في شخصهم الملكية والكهنوت، وسعوا إلى تحقيق مصالح عائلتهم مبدينها على الأهداف الدينية العليا، انتهى حكم هذه السلالة مع تعيين هيرودوس ملكاً على يهوذا، عام (٣٧ ق.م.) أنظر: عبودي، معجم الحضارات، ص ٨٨ .

[١] – العارف، تاريخ، ص ٢٩- ٣٠ .

[٢] – طعيمة، التاريخ، ص ١٥٠ .

[٣] – شنودة، اليهود، ج١، ص ١٩٤- ١٩٥ .

[٤] – المصدر نفسه، ص ١٩٧ .

[٥] – المصدر نفسه، ص ١٩٦ .

[٦] – شنودة، اليهود، ج١، ص ١٩٧ .

المبحث الثاني: العامل الديني

أدى التباين بين المملكتين الجنوبية والشمالية إلى النزاع في كثير من الشؤون الاجتماعية، لا سيما الدينية منها، وقد بدأت مقدمات هذا النزاع عندما انفردت المملكة الشمالية بمعابد خاصة بها اتخذتها على غرار المعابد الوثنية الكنعانية وذلك لأسباب سياسية، كان من أهمها مجابهة نفوذ أورشليم الذي كان يسبب لها مصدر قلق وتهديد في بداية تكوينها. وبهذا فقد أعلنت المملكة الشمالية انفصالها عن أختها دينياً، ترتب على هذا الانفصال اختلاف جذري في أغلب الجوانب الدينية، مما زاد من الهوة والتباعد بينهما.

عُرف اليهود عبر التاريخ، بنكوصهم العقائدي وسرعة استجابتهم للمؤثرات الدينية الخارجية، أي أن تحولهم إلى العبادة الوثنية في المملكة الشمالية لم يكن للمرة الأولى، فقد حدثنا التاريخ عن مواقف كثيرة مشابهة لتلك الحالة، نجدهم فيها أيضاً يرتدون عن دينهم التوحيدي ويتبعون عقائد وثنية لشعوب شتى، ويبدو أن هذا مرتبط ببنيتهم العقلية وتفكيرهم الديني[١]. مما كان يدفع الكهنة في فترات مختلفة للاحتجاج بقوة على هذا السلوك[٢]. فعندما تأثر المجتمع اليهودي بالعبادات الكنعانية، وتخلى عن عبادة يهوه وأنصرف إلى عبادة آلهة الكنعانيين، مثل البعليم والعشتاروت، أوقع أشد الضرر بمصالحهم، مما دفعهم إلى تحريك حالة أستنفار دائم لروح العداء وإثارة المشاحنات وإحياء الخصومات واصطناع الفتن مع شعوب المنطقة ولا سيما الكنعانيين[٣]، وقد أدى هذا بدوره إلى الضغط على المجتمع اليهودي وجعله في حالة عداء مستمر يستنزف كل طاقاته الفقيرة بالمقارنة مع إمكانيات الكنعانيين. ولهذا فقد بقي هذا المجتمع بقبائله قبل قيام الملكية منغلقا على نفسه وسط المجتمعات الكنعانية الأخرى، انغلاقا كانت تتطلبه مصالح الكهنة والزعماء، في الوقت الذي

---

[١] – أنظر: الفصل الرابع، المدخل .

[٢] – لم يكن جميع بني إسرائيل أو اليهود قد انحرفوا إلى عبادة آلهة الكنعانيين، وإنما بقي نفر منهم متمسكون بعبادة يهوه إلههم القومي. أنظر: العدد / ٢٥ : ٦– ١٦ .

[٣] – داؤد،، الميراث، ص ٣٩٨ .

يرفضه الواقع بقوة بالغة[١]، ومن هنا توجب على كهنة يهوه أن يخوضوا صراع طويل ضد عقائد وثقافات الشعوب الكنعانية، مجسدين ذلك بكتابتهم الأسفار التوراتية، وهم يفسرون ما يحدث لمجتمعهم على أنه غضب يهوه عليه، لأنه انحرف عن عبادته إلى عبادة أرباب الآراميين والأموريين والكنعانيين، ولهذا نجد دائما في مختلف الأسفار عبارة تتردد **(وعمل الشر في عيني الرب)**[٢]، أي بتقديم الطقوس لسواه.

ولهذا فقد كان صراعهم هو من أجل مصالحهم الشخصية في بعض الفترات، وكذلك من أجل تطلعاتهم المحبطة إلى النعم الدنيوية التي سُلبت منهم بإقامة الطقوس لغير يهوه[٣]. إذ لا يخفى، أن إشراف المؤسسات الكهنوتية على فعالية التدين في الحياة العامة للمجتمع اليهودي، كان يمنح تلك المؤسسات ميزات خاصة، كثيراً ما تحرف الدور الروحي لأفراد السلك الكهنوتي نحو المنافع الشخصية المموهة بقشرة طقوسية لا أكثر[٤].

ولهذا فقد وجد الكهنة أنفسهم مع نهايات عصر القضاة في مأزق خطير بالنسبة لمصالحهم، وكان الحفاظ على تلك المصالح يقتضي جهود ضخمة لرأب تصدعات حلف القبائل اليهودية ومنعها من الانحلال المطلق لإعادة الالتفاف حول يهوه وحصر تدين القبائل والعشائر بممارسة طقوسه وحدها[٥]، وكانت هذه الأساليب التي أنتهجها الكهنة توجب فرض حالة الانغلاق التام للمجتمع اليهودي وعزله عن بقية المجتمعات الكنعانية في المنطقة، مما أساء وبدرجة كبيرة إلى عملية التأقلم والتكيف التي كان يعيشها المجتمع اليهودي في محاولته للارتقاء نحو سلّم التطور الحضاري.

---

[١] – داؤد، الميراث، ص ٣٩٩ .

[٢] – سفر القضاة، ٣: ٧ ، ٦: ١ ، ١٠: ٦ .

[٣] – داؤد، الميراث، ص٣٩٦ .

[٤] – إن الإحاطة بشخصية الكاهن وما كان ينفرد به من أمتيازات صيّرته في قمة الهرم الاجتماعي، يفسر لنا سبب تفانيه في المحافظة على النظام الكهنوتي والسعي الدائب من اجل ديمومته بأساليب شتى . (الباحث) .

[٥] – داؤد ، الميراث، ص ٣٩٩ .

كان بعض اليهود يتمردون أحيانا على الطقوس والقرابين والعبادات الشكلية التي تمارس في المعبد، ولكن أكثرهم ضلوا خاضعين لها طوال فترات تاريخهم، ومما ساعد على تقليل الثقة بالمعابد قبل بناء الهيكل هو تبادل التكذيب والتحقير بين معبد ومعبد في المنافسات الشديدة، فكانت هذه كلها مؤثرات تحاول أن تفك عقال أذهان الناس، وتفتح أمامهم آفاقا أكثر سعة، وأشد حرية من النظرة الدينية[١]. ولكن نجد أن الأمر قد تغير بظهور الملكية ولا سيما في عهدي الملوك الأنبياء داود وسليمان، فقد أصبحت الهيئة الدينية الكهنوتية تحت أشرافهما المباشر، حتى تم تغيير وتعديل كثير من الممارسات الخاطئة التي أبتكرها الكهنة لمنفعتهم الشخصية، مما أدى إلى القضاء على تطلعاتهم الدنيوية، حيث قام النبي داود بإقامة هيكل واحد، كما أسلفنا، بعد أن كانت المعابد منتشرة هنا وهناك.

أدى قيام هذه الملكية إلى تقويض سلطات الكاهن الدينية، إذ أصبح الملك هو الذي يتولى الإشراف على الطقوس الدينية، بدلا من رئيس الكهنة، وأصبح الكهنة كموظفين لدى الملك[٢]، أي تحولت الهيئة الدينية إلى إدارة من إدارات الدولة، وكان من أثر هذه السياسة أن سلك الكهنة بطبقاتهم مسلك موظفي الدولة فانصبت الكراهية عندئذ على الدولة والدين الرسمي معا، وحدث صدع بين الدين الرسمي والآمال الدينية لأولئك الذين كانوا ينظرون إلى الدين على انه أكثر من شكل جامد[٣].

وفي عهد الملكية تمتع المجتمع اليهودي بمؤسسة دينية موحدة من خلال المركزية التي تحققت على أيدي كل من داود وسليمان(عليهما السلام)، إذ قام داود بوضع تابوت العهد في أورشليم، وحين تمكن سليمان[٤] من تشييد الهيكل سعى جهده لأن

---

[١] – شلبي، مقارنة الأديان، ج١، ص ٢١٧ .

[٢] – علي، إسرائيل عبر، ج١، ص ١٧٢ .

[٣] – موسكاتي، الحضارات السامية، ص ١٤٢ .

[٤] – يدعي العهد القديم أن النبي سليمان(عليه السلام) قد تورط لأسباب سياسية أصبحت دينية فيما بعد، بعقائد زوجاته الأجنبيات (ملوك أول/ ١١: ٥)، والحقيقة أن العهد القديم لم يشر إلى عبادة شعبية لأي إله أجنبي من ألآلهة الوثنية لزوجات سليمان، ومن ثم فأن عهد ما بعد سليمان يمكن أن نعتبره فترة توثين للديانة اليهودية، ويبدو أن الطابع الوثني الذي لوَّن التاريخ الديني لتلك الفترة، كان نتيجة لعدم تحديد المؤرخين للمسؤولين عن ذلك من غير سليمان أنظر: راشد، السامريون، ص ٣٧ وما بعدها .

يتخلى الشعب عن المعابد العديدة المنشأة في زمن الحياة البدوية[١]. لكن الأمر قد تغير كثيراً بعد الانقسام السياسي الذي صحبه انتقال المؤسسة الدينية (الهيكل) من مؤسسة واحدة (مركزية دينية) إلى عدة مؤسسات دينية، مما كان له نتائج سلبية ومؤثرة على وحدة المجتمع واستقراره. إذ أعاد يربعام الأول في الشمال الهيكلين القديمين في مدينتي بيت إيل، ودان، وفي الجنوب، ظل ملوك يهوذا مخلصين للمعبد الكبير[٢]، وبدأ الانحراف يدب في المؤسسات الدينية، حيث شهدت هذه الفترة دخول عبادات وطقوس وثنية مما صحبه اضمحلال ديني. ويبدو أن هناك دافعاً سياسياً دفع هذا الملك لإقامة هذين المعبدين وهو مجابهة أورشليم خشية ردة القبائل الشمالية وانضمامها إلى مملكة يهوذا، وكتعويض لنقص تابوت العهد وغيره من الأشياء المقدسة للعبادة اليهودية المرتبطة بهيكل أورشليم، فقد زود يربعام هذين المعبدين بعجلين ذهبيين[٣]، وأحاطهما بهالة من القدسية[٤]، لكي يوفر لشعبه أماكن للعبادة بدلاً من تجشم عناء السفر إلى هيكل أورشليم للحج، كما بنى مذابح على ألاماكن المرتفعة وعيّن عليهما كهنة من غير اللاويين[٥]. والذي سهل له ذلك، هو كون القسم الأعظم من أهالي هذه المملكة بما فيهم أعيانها، كانوا يتعصبون لعبادة الأوثان، وكذلك عندما تزوج آخاب بن عمري (ازابيل) بنت ملك صور أعترف بالديانة الكنعانية فعبد بعل وسجد له وأقام له مذبحاً في (بيت البعل) الذي بناه في السامرة، ومع أن هذا الزواج كان تدبيراً سياسياً واقتصاديا حيث ضمن للمملكة الإسرائيلية صداقة الفينيقيين وموانئهم وأسواقهم لتصريف تجارتها، فانتشرت تجارة المملكة وتضخمت ثروتها وأتسع عمرانها في مختلف أنحائها، ونعم سكانها بالرخاء واعتبر معاصرو آخاب أنه من أنجح الملوك، إلا أن ذلك جميعه لم يخفف من وطأة

---

[١] – ايمار، الشرق واليونان، ص ٢٦٦ .

[٢] – موسكاتي، الحضارات السامية، ص ١٤٤ .

[٣] – يعلل بعض الباحثين فكرة يربعام في وضعه عجول ذهبية في المعبدين اللذين أقامهما، إلى تشبهه بالمصريين عندما رآهم يعبدون (أبيس) بهيئة عجل أيام لجوئه إلى مصر. أنظر: الدباغ ، بلادنا، ج١، ص ٥٦٧ وما بعدها .

[٤] – راشد، السامريون، ص ٣٧ .

[٥] – سفر الملوك الأول / ١٢ : ٢٦ – ٣٣ ، ١٤ : ٩ .

المنازعات الدينية في إسرائيل، حتى قام عدد كبير من المصلحين يعضون المجتمع في إسرائيل وينصحونه بالإقلاع عن عبادة الأوثان[1]، وكان في مقدمة هؤلاء الناصحين، النبيان الياهو[2] وإليشع[3]، فالنزاع الديني الذي يُعد من أهم حوادث هذه الدولة كان من الأسباب التي أدت إلى انتشار الفوضى وفساد الحكم وضعف المملكة.

كان من نتائج هذا الانقسام الديني بين المملكتين، ولادة عدد من الفرق الدينية اختلفت عن بعضها البعض في مبادئها وأُسس حياتها ونظرتها إلى الكون وإلى ما وراء الكون، وكان التباين العقائدي الذي مثلته هذه الفرق ينبثق أصلاً من الاختلاف الديني بين المملكتين الجنوبية والشمالية، مما أدى إلى صدام أزلي في وجهات النظر الدينية بين هذه الفرق، وخصوصاً ما يتعلق بشؤون المجتمع العامة إزاء بعض المواقف الحساسة، سياسية كانت أو اقتصادية، ومن ثم فقد كان المجتمع اليهودي يعيش حالة من التشتت والفوضى، المستفيد الأول منها هي القوى المسيطرة على المنطقة، وسنحاول أن نقتفي أثر هذه الفرق لنتعرف عن كثب على طبيعة علاقتها ببعضها، وتأثيرها على أحوال المجتمع اليهودي.

أولاً: الفريسيون

برزت هذه الطائفة أيام الهيكل الثاني[4]، وهي أوسع انتشارا بين اليهود عن غيرها من الفرق وأكثرها عدداً[5]، وقد أختلف المؤرخون في قدمها وتاريخ ظهورها،

---

[1] – الدباغ، بلادنا، ج١، ص ٥٦٨ .

[2] – الياهو: ومعنى الاسم (يهوه هو ربي) ويسميه القرآن الكريم (الياس) وقد ذكر في سورة الأنعام آية: ٨٥ ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾، وفي سورة الصافات، الآية :١٢٣– ١٢٤ ﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ* إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ .

[3] – إليشع: هو تلميذ الياهو وخليفته ومعنى هذا الاسم (الله خلاص) ويسميه القرآن الكريم (اليسع) وقد ذُكر في سورة الأنعام الآية : (٨٥) ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطاً وَكُلاًّ فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ وفي سورة (ص) الآية : ٤٨ ﴿وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ﴾

[4] – عبودي، معجم الحضارات، ص ٦٤٤ .

[5] – كامل، الكتب التاريخية، ص ٢٣ .

فمنهم من اعتبرها أقدم الفرق الدينية نشأة[١]، ومنهم من أرجعها إلى فترات أقل قدما من الفرق الدينية الأخرى، ونحن لا نتفق مع الرأي القائل بقدمها، وذلك من خلال مبادئها التي تدل على مرحلة متطورة من العقيدة اليهودية بالمقارنة مع مبادئ الفرق الدينية اليهودية الأخرى.

أسم هذه الفرقة في اللغة العبرية פרושים[٢] (فروشيم)، ويعني المفروزين، أي الذين أمتازوا عن الجمهور وأعتزلوا عنه وأصبحوا لعلمهم وورعهم واتصالهم بأسرار الشريعة من الصفوة المختارة[٣]. كانوا يلقبون أنفسهم بلقب(חברים)[٤] (حبريم) أي الرفاق أو الزملاء أو الأخوة[٥]، وفي اللغة العربية (الأحبار) ومفرده (حبْر).

واهم ما يميز هذه الفرقة من ناحية العقيدة هو: اعترافها بجميع أسفار العهد القديم، والأحاديث الشفوية (תורה שבעל – פה)[٦] (تورا شيبعل پا) المنسوبة إلى النبي موسى(عليه السلام). ويعتقد الفريسيون في البعث، وقيامة الأموات، والملائكة، والعالم الآخر، ويعيش أكثرهم في مظهر الزهد والتصوف، لا يتزوجون، ولهذا يلجأون إلى التبني للمحافظة على وجودهم، كما أنهم لا يقدمون القرابين في المعابد[٧].

يرى الفريسيون أن التوراة ليست هي كل الكتب المقدسة التي يُعتمد عليها، وإنما هناك بجانب التوراة روايات، ومجموعة من القواعد والوصايا والشروح والتفاسير[٨] التي اعتبروها (توراة شفوية)[٩].

---

[١] – كامل، الكتب التاريخية، ص ٢٣ .

[٢] – שגיב, שם , כרך שלישי, עמ' 1461.

[٣] – ظاظا، الفكر الديني، ص ٢٥٢ .

[٤] – שגיב, שם , כרך שני, עמ' 519 .

[٥] – ظاظا، الفكر الديني، ص ٢٥٣ .

[٦] – שגיב, שם, כרך רבעי, עמ' 1461 .

[٧] – شلبي، مقارنة الأديان، ج١، ص ٢٢٧ .

[٨] – المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

[٩] – برزت من فرقة الفريسيين فيما بعد جماعة عُرفوا بأسم (الكتبة) סופרים (سوفريم) تولت مهمة جمع القسم الأكبر من الشريعة المكتوبة الواردة في أسفار موسى الخمسة مع إضافة بعض الشروح والتفسيرات عليها، علاوة على جمع الشريعة الشفهية (הלקות) (حلقوت) وشرحها وتفسيرها، وتأليف ما عرف بالتلمود: ومعناه الشرح أو التفسير ويتألف من قسمين رئيسيين : المشناة (النص أو المتن) والجمارا (التفسير أو الشرح) أنظر: سوسة، ملامح، ص١٨٣ .

ثانياً: الصدوقيون

ظهـر الصــدوقيون كفرقــة مــن الفـرق الدينيــة اليهوديــة فــي حــوالي (٢٠٠ ق.م.)[١]، وينسبهم أكثر الباحثين إلى سلالة صادوق أحد كبار الكهنة في زمن داود[٢]، بينمــا يــرى فريــق آخــر مــن البــاحثين، وأبــرزهم الفرنســي جــونبيرت Guignebert، أن انتساب الصدوقيين إلى الكاهن الأكبر لسليمان صدوق يبدو مستبعداً، إذ لو كانت هناك أدنى نسبة لحرص أبناء هذه الطائفة، على تسمية أنفسهم (بني صدوق) وليس(الصدوقيون)[٣]، لكن هناك رأي ثالث، يرى أن التسمية هي نسبة إلى كاهن اسمه صادوق حوالي(٢٨٠ ق.م.)[٤]، أحد كهنة الهيكل الثاني، وهذا الرأي أقرب إلى الصحة من بقية الآراء.

كان الصدوقيون ينتمون إلى طبقة الكهنوت والطبقة الأرستقراطية، ولهذا ضلوا في تعاليمهم، متعالين وبعيدين عن الجماهير اليهودية، وقد مكنتهم ثرواتهم الكبيرة وامتيازاتهم الطبقية من التمتع بنفوذ كبير أحياناً، وكانوا يؤمنون بمبدأ حرية الإنسان في أن يفعل ما يشاء، ومن ثم فقد كانوا يعارضون مذهب الجبرية، كما كانوا أيضاً أكثر مرونة وأقل تزمتاً من الفريسيين، من خلال ترحيبهم بانضمام غير اليهود إلى اليهودية[٥]. ولكنهم من جهة أخرى كانوا يصرون على شريعة العين بالعين والسن بالسن ولا يقبلون الدية، على عكس الفريسيين الذين يفضلون الدية والمسامحة على القصاص، وكان الصدوقيون أقرب إلى المادية والقواعد العملية، بينما كان الفريسيون اقرب إلى الروحانية والآداب النظرية، أو آداب التأمل والتفكير[٦].

ومن عقائدهم أيضاً إنكارهم للبعث والحياة الأخرى والحساب والجنة والنار إذ كانوا يرون أن جزاء الإنسان يتم في الدنيا[٧].

---

(١) – سوسة، ملامح، ص ١٨١.

(٢) – شلبي، مقارنة الأديان، ج١، ص ٢٣٠ .

(٣) – ظاظا، الفكر الديني، ص ٢٥٨ .

(٤) – كامل، الكتب التاريخية، ص ٢٤ .

(٥) – جرجس، التراث اليهودي، ص٤٣ .

(٦) – العقاد، عباس محمود، حياة المسيح، (القاهرة، ب. مط، ١٩٦٨)، ص ٤٦ .

(٧) – همو، عبد المجيد، الفرق والمذاهب اليهودية منذ البدايات، ط١، (دمشق: الأوائل، ٢٠٠٤)، ص ٤٨ .

إن انقسام المجتمع اليهودي إلى عدد من الفرق الدينية التي تختلف عن بعضها البعض في الأفكار الدينية والعقائد والمبادئ والأخلاق، أدى إلى إيجاد نوع من الصراع المستمر التي كانت من خلاله كل فرقة تبحث عن أمتيازات دنيوية خاصة بها حتى ولو تعارض تحقيقها مع مصلحة المجتمع بشكل عام، وبذلك أصبحت هذه الفرق أشبه بأحزاب سياسية[١] تلهث وراء مصالحها ومنافعها الذاتية، وتبحث عما يميزها عن الفرق الأخرى، في محاولة لكسب تأييد الرأي العام في المجتمع، ولهذا كان الفريسيون يميلون إلى التفاخر والتظاهر، وكانوا يباهون بإعطاء الصدقات في العلن، كما كانوا يتميزون باهتمامهم الزائد بالناحية الظاهرية، فكانوا يرتدون ثياباً ذوات أهداب تختلف عن ملابس بقية أفراد المجتمع، ويهتمون أيضا بالأمور الطقسية في الدين حتى أمست رياء[٢]، وكان من بين الدوافع التي دفعتهم إلى هذا السلوك الظاهري هو المنافسة مع الصدوقيين الذين ينحدرون من طبقة الارستقراط في بيت المقدس والذين كانوا يمثلون الغنى والسلطة والمكانة في المجتمع اليهودي.

تمكن الفريسيون من الزعامة الدينية والسياسية وأصبحت لهم الكلمة العليا في توجيه المجتمع اليهودي، ولا سيما أن نشاطهم كان فكرياً لا ثورياً، فهم لم يلجئوا قط للحركات العنيفة، ولكنهم اتجهوا بكل جهدهم إلى تفسير التوراة والتعليق عليها، ومن خلال هذا الأسلوب في قيادة الجماهير اليهودية، كانوا يريدون من مجتمعهم أن يتمسك بالعقيدة القديمة التي كانت لأجدادهم قبل سقوط دولتيهم، وكانوا يعارضون الأنبياء الذين ظهروا في فترة الأسر وبعده، ويتمسكون بشريعة الأنبياء الأولين، كما كانوا يتشددون في التنفيذ ويتمسكون بالتقاليد[٣]. ولقد كان لطبيعة المبادئ التي يؤمن بها الفريسيون والتي كانت تتناغم مع أكثر توجهات المجتمع اليهودي آنذاك، أثر في تحقيق أهداف هذه الفرقة، وفي مقدمة هذه المبادئ هو (حرية الإرادة والرأي) وظهرت

---

[١] – شلبي، مقارنة الأديان، ج١، ص ٢٢٨ .

[٢] – كامل، الكتب التاريخية، ص ٢٣ .

[٣] – شلبي، مقارنة الأديان، ج١، ص ٢٢٨ .

نتائج هذه المبادئ عندما كانوا يعارضون الهلنستية، ومن ثم انضموا إلى يهوذا المكابي في صراعه ضد أنطيوخوس[1]. ومن هنا فقد كانوا دائماً وراء القلاقل والاضطرابات والثورات والمؤامرات في منطقة فلسطين طوال العهدين اليوناني والروماني، حتى انتهى الأمر بتشريدهم نهائياً على يد تيتوس، ثم هندريان[2].

ثالثاً: السامريون

وهي من أكثر الفرق التي أُثير الجدل حول أصولها وتأريخها، إذ أنهم كما يؤكد العهد القديم، خليط من شعوب وثنية، كان ملك أشور قد أسكنهم أرض السامرة بعد سقوط مملكة إسرائيل[3]، وبهذا فأن تاريخ ظهورهم يرجع إلى سنة (٧٢٢ ق.م.)[4]، بينما يُطالعنا الكاتب اليهودي **أورئيل رففورط** برأي مخالف تماماً لوجهة النظر العامة لليهود، حيث يشير إلى أن السامريين هم من بقي من الشعب ولم يتم أسرهم من المملكة الشمالية على يد الآشوريين[5].

ويبدو أن رأي رففورط أقرب إلى الصواب، إذ يتبين من خلال عقائد السامريين التي تمسكوا بها بعد الانفصال الديني القديم للمملكتين وبعد أحداث السقوط والتهجير (٧٢٢ ق. م.) أنهم مَنْ بقي من أهل السامرة الأصليين وليس خليط من شعوب وثنية جاء بها الآشوريين من مناطق مختلفة سيطروا عليها. وتقوم عقائد السامريين على خمسة أركان: وحدانية الله، ونبوءة موسى، وقدسية جبل جرزيم، والأيمان بأن التوراة (الأسفار الأولى من العهد القديم) منزلة من الله، والأيمان بيوم الدينونة والبعث، وبذلك يلتقي السامريون مع الصدوقيين من حيث إنكارهم للشريعة الشفهية وعدم اعترافهم بغير الأسفار الخمسة.

أما جذور العداء بين هذه الفرقة والفرق الأخرى فتعود إلى فترة ما بعد أسر شعب يهوذا، وعندما أخذ اليهود يعودون إلى فلسطين، فعرض عليهم السامريون أن

---

(١) – همو، الفرق والمذاهب، ص ٥٧ .

(٢) – المصدر نفسه، ص ٥٦ – ٥٨ .

(٣) – سفر الملوك الثاني / ١٧: ٢٤ .

(٤) – راشد، السامريون، ص٢١ .

(٥) – المصدر نفسه، ص ٢٣ .

يعاونوهم في تجديد بناء الهيكل وأن يتحدوا معهم، فرفضت بقية الفرق اليهودية هذا الاتحاد، وبهذا نشب العداء بينها[١]. وقد بنت هذه الجماعة هيكلاً خاصاً بها على جبل (جرزيم) عند شكيم واعتبرته بمثابة (جبل الطور)[٢]. واستحكم العداء بين أصحاب الهيكلين، حتى بطل الأمان في السفر والتنقل بين السامرة والبلاد الأخرى، وصار يتعرض للإهانة والتنكيل كل من خاطر بالسفر إلى السامرة من يهود الجنوب أو الشمال[٣]. فقام بين السامريين وبقية الفرق اليهودية عداء استمر قروناً حتى راح السامريون يعينون في بعض الأحيان من يقصد ضرب اليهود من الغزاة[٤].

وفي الروايات القديمة أن السامريين هم الذين أعانوا نبوخذ نصر ودلوه على نقاط الضعف عند اليهود حين غزا مملكة يهوذا وسبى اليهود إلى بابل، لذلك لم يمسسهم بأذى[٥].

جدد السامريون عداوتهم القديمة بالأسباط العشرة وبأسرة داود، وأصبحت شكيم وأورشليم مراكز لبث العداء، تدعي كل منهما لنفسها القداسة[٦].

وقد تم عزل هذه الطائفة عن المجتمع اليهودي كلياً بعد رجوع اليهود من الأسر البابلي وحُرمت من التزاوج مع اليهود والاختلاط بهم[٧].

رابعاً: الأيسيون

ظهرت هذه الفرقة حوالي (٢٠٠ ق.م.)[٨] وكانت تعيش في جنوب فلسطين[٩]، أما أسمها فغير متفق عليه، ولكن الراجح من الأقوال المتعددة، أن الاسم مأخوذ من كلمة (آسى) بمعنى طبيب في اللغة الآرامية القديمة[١].

---

[١] – كامل، الكتب التاريخية، ص ٢٦ .

[٢] – سوسة، ملامح، ص ١٨٦ .

[٣] – العقاد، حياة، ص ٥١ .

[٤] – سوسة، ملامح، ص ١٨٦ .

[٥] – سوسة، مفصل العرب واليهود، ص ٣٣٦ .

[٦] – كامل، الكتب التاريخية، ص ٢٦ .

[٧] – نفس المصدر ، نفس الصفحة.

[٨] – كامل، الكتب التاريخية، ص ٢٤ .

[٩] – العقاد، حياة، ص ٤٧ .

إن هذه الفرقة تختلف اختلافاً كبيراً عن باقي الفرق الدينية اليهودية التي مر ذكرها، إذ كان أعضائها يعيشون منفصلين عن بقية المجتمع، ويحرِّمون الملكية الفردية، ويتقاسمون ممتلكاتهم، ويعبرون عن تمسكهم بالطهر بارتداء الملابس البيضاء والإكثار من الاستحمام[٢]، ومن صفاتهم الشخصية أنهم يحتقرون المال ويميلون إلى التقشف، ويلبسون ملابس بسيطة، ويحسنون إلى الفقراء، ويصدقون في القول[٣].

كان لهم نظاماً داخلياً دقيق في فرقتهم، ففي كل دار من دورهم، التي يعيشون فيها هذه الحياة الجماعية، رئيس لهم يعظمونه ويطيعونه، ومن تحته كان كل فرد من أفراد هذه الطائفة له مكان في الترتيب الهرمي لمجتمعهم لا يجوز له أن يتعداه[٤]. ومن عقائدهم أنهم يؤمنون بالقيامة والبعث ورسالة المسيح المخلص ويحافظون على الراحة في يوم السبت، ويُحرَّم عندهم الرق[٥]. وكانوا يؤمنون بضرورة التمسك بالتوراة وأحكامها، ولو جر ذلك عليهم القتل[٦]ويحرمون في عبادتهم الذبيحة، ويرون فيها لوناً من سفك الدماء، مخالفين في ذلك أكثر فرق اليهود[٧].

---

(١) – ظاظا، الفكر الديني، ص ٢٦٨ .

(٢) – جرجس، التراث اليهودي، ص ٤٢ .

(٣) – كامل، الكتب التاريخية، ص ٢٥ .

(٤) – ظاظا، الفكر الديني، ص ٢٧٠ .

(٥) – العقاد، حياة، ص ٤٩ .

(٦) – ظاظا، الفكر الديني، ص ٢٧١ .

(٧) – نفس المصدر ، ص ٢٧٠ .

المبحث الثالث: العامل الاقتصادي

يعد العامل الاقتصادي سبباً مباشراً في انقسام المملكة الموحدة، إذ يشهد الواقع السياسي أن المطالب التي تقدمت بها أسباط الشمال في البدء كانت اقتصادية بالدرجة الأساس، ولهذا فأن كل ما لحق بالمجتمع اليهودي من ثورات أو انقلابات، كان سببها الرئيس أوضاع اقتصادية، كالأرض، ووسائل الإنتاج وأهمها العمل، وعلاقات الإنتاج والملْكية، ومن جهة أخرى فأن العامل الاقتصادي يرتبط بالعامل الديني، وهو في نفس الوقت مؤثراً يحرك العامل السياسي ويتحكم فيه. ومن هنا نجد أن ثمة أسباب اقتصادية تشابكت مع أسباب دينية وسياسية تتعلق بأحوال المجتمع اليهودي انبثقت من داخل المملكتين، وأخرى كان مصدرها من الخارج ترتبط بأطماع الإمبراطوريات والممالك المحيطة بالمملكتين اليهوديتين.

أسباب داخلية:

تتركز بدورها في محورين، **الأول:** التقلبات التي طرأت على علاقة المجتمع اليهودي بالأرض الزراعية خلال فترات مختلفة من الألف الأول قبل الميلاد، أما **الثاني:** فهو الضعف الاجتماعي الداخلي التي تعرضت له كل من المملكتين متمثلا بالصراع الطبقي في المجتمع اليهودي.

أولاً: التقلبات التي طرأت على علاقة المجتمع اليهودي بالأرض الزراعية

لا يخفى أن النظام الاقتصادي في المجتمع اليهودي قد ارتقى إلى مستويات لا يستهان بها، عندما تبنى أسس ومرتكزات على غرار الأنظمة الاقتصادية السائدة في مجتمعات الشرق الأدنى القديم، كفلت له ذلك الرقي، وخصوصاً ما يتعلق بملْكية الأرض ووسائل الإنتاج.

لكن بعد انقسام المملكة، طرأت تغيرات قلبت الأوضاع المعيشية والاقتصادية رئساً على عقب، إذ كانت احتياجات المملكتين، تتطلب البحث عن أساليب جديدة في تحصيل الموارد اللازمة لدعمهما سياسياً وعسكرياً ، فكانت من ضمن تلك الأساليب، الاتجاه نحو السيطرة على الأراضي الزراعية، فحملقت عيون الملوك نحو أراضي الأُسر والأفراد.

ويتسم هذا العصر من وجهة نظر علم الاجتماع، بالانتقال التدريجي من التنظيم الأُسري إلى نظام اجتماعي آخر يقوم على الملْكية الإقطاعية التي تعتمد على الولاء الشخصي للأتباع نحو سيدهم[١]. وبهذا فقد تغير نظام ملْكية الأرض ووسائل الإنتاج، فبعد أن كانت الملْكية (خاصة) تعود إلى الأُسر والأفراد، أصبحت أقطاعية استحوذ عليها الملوك، وصاروا ملاكاً كباراً للأرض تحيط بهم حاشيتهم وعاشوا حياة بذخ وإسراف على حساب المجتمع اليهودي. ولم تعد الأرض يملكها ويفلحها النوابيت، وهم فلاحون أحرار يتوارثون حقول أجدادهم ويكفلون بعملهم المتواصل عيشا شريفا لأنفسهم وأسرهم، بل تحولت الملكيات الصغيرة إلى ضياع واسعة، وكان معظم من يفلحونها من العبيد[٢].

ويلوح لنا أن ما فعلته ايزابيل مع النابوت، قد حدث بعد ذلك مرارا وتكرارا، فأصبح المالك الحر، وقد أثرت فيه الحروب القاسية التي نشبت على الحدود فأفقرته وأفلسته فلاحا يستأجر الأرض من مالكها، ثم أصبح في آخر الأمر مسترقا، وارتفع مستوى الترف بين الأغنياء وهبط مستوى المعيشة بين الفقراء، وأخذت الفجوة بين هاتين الطبقتين تتسع على مر السنين[٣].

بقيت ملْكية الأرض الزراعية محصورة بين الملوك، وبين فئة أرستقراطية صغيرة، يتصرفون بها كيفما رغبوا، فكانت هناك بعض الأراضي تُمنح للوجهاء المقربين من النظام الملكي، إذ كان أغلب ملوك اليهود يكافئون الموالين لهم بمنحهم أراضي[٤]. باستثناء عدد ضئيل من الملكيات العقارية في يهوذا تعود إلى طبقة حرة من الفلاحين[٥]. ولم يُقدَّر لملْكية الأرض أن تعود إلى سابق عهدها، إلا إبان الأسر البابلي، وسقوط الحكم الملكي، حيث تشير المصادر بأن الأرستقراطية اليهودية كانت مبعدة وان الأرض تركت للفقراء[٦]، على الرغم من خضوعها لأرستقراطية كهنوتية

---

[١] – هاوزر، الفن والمجتمع، ج١، ص ٧٥ .

[٢] – روبنسن، إسرائيل في ضوء، ص ١٢١ .

[٣] – المصدر نفسه، نفس الصفحة .

[4] – pastor, jack, land and economy in ancient Palestine, (London , 1997), p.168.

[5] - Ibid. p. 13.

[6] – Ibid.

كانت تلعب دور الطبقة المستغلة وتؤدي وظائف قيادة سياسية ووساطة دينية وثقافية بين البشر والسماء[١].

وما لبث أن عادت ملْكية الأرض بأنظمة جديدة ومتباينة، عبرت عن الفترات التاريخية (الفارسية، واليونانية، والرومانية) وعكست تأثير الأحوال السياسية لهذه الفترات على مالكي الأرض اليهود، وما نتج عنها من جوانب أثرت على المجتمع اليهودي بشكل عام، مثل الديون، وفرض الضرائب، والمجاعة، وغيرها، إذ كان منح الأرض ومصادرتها جزء من السياسة المتبعة في يهوذا، أي أن عملية التحكم بملكية الأرض والتصرف بها كان عائد إلى السلطات الحاكمة في يهوذا، يهودية كانت أو أجنبية.

ففي الفترة الفارسية تم تسليم الأراضي إلى اليهود العائدين من الأسر البابلي، وبقي الجانب الاقتصادي للمجتمع اليهودي في فلسطين خلال هذه الفترة ذو خصائص ثابتة، ومنها أن أغلب المجتمع اليهودي عاشوا عن طريق الزراعة[٢].

أما في الفترة الإغريقية فقد قام الحكام الإغريق بمنح منازل وممتلكات إلى مواليهم، ومنهم بطليموس الذي منح بعض الممتلكات إلى المسؤولين والقياديين[٣].

كانت الأرض في عهد اليونان تُستوطن وتنظم من قبل أهل المدن أو القرى، وربما تعطى كهبة إلى العاملين أو الخدم المقربين للبلاط الملكي، أو تخصص للموالين مقابل خدمتهم العسكرية، ولكن تحت سيطرة وأشراف الحكومة الإغريقية، كما كانت توجد إلى جوار أراضي الحكومة، أراضي أخرى تعود ملكيتها إلى النبلاء من كبار التجار والأغنياء، وأراضي أخرى تعود لصغار المستثمرين والفلاحين[٤].

ولم يكن الحشمونيون بشكل عام مختلفين عن الملوك الإغريق في هذا الخصوص فقد قاموا بمنح أراضي لمواطنيهم من اليهود على حساب الأجانب المستوطنين في المدينة وذلك بمصادرتها منهم، إلا أن الرومان بعد ذلك الغوا إنجازات هذه السياسة، وأعادوا الأراضي إلى السكان الأجانب، وعملوا أيضا على

---

[١] – كانال، حول نمط الإنتاج، ص ٤٨ .

[2] - pastor, jack, op.cit, p. 21.
[3] - Ibid.
[4] - Ibid.

منح أراضي لمؤيديهم ضمن حدود المناطق اليهودية، وحرموا حق الامتياز لأعدائهم وقد اتبع هيرود نفس الأسلوب عندما رفع نخبة أخرى من أعوانه وأعطى أراضي لجنوده[1]، ولهذا السبب نرى أن سياسة الأرض تمنح وتصادر في خلال هذه الفترة.

ثانياً: الصراع الطبقي

يرى المؤرخون أن تاريخ البشرية كان دائماً تاريخ الصراعات الطبقية، إذ أن التناقض الرئيسي الذي يُنشِّط الصراعات الطبقية هو التناقض بين قوى الإنتاج وعلاقات الإنتاج، فالطبقة السائدة والطبقة المسودة يمثل أحدهما علاقات الإنتاج القائمة في المجتمع، والأخرى قوى الإنتاج الجديدة التي ستتناقض عاجلاً أم آجلاً مع نظام العلاقات هذا[٢].

تكفلت الشريعة اليهودية بحماية الفقير بما وضعته من شرائع لتحقيق العدالة الدينية والأخلاقية، إذ حرمت الربا تحريماً صريحاً بين أبناء المجتمع اليهودي، وأجازته مع الأجنبي، كما جاء في العهد القديم **(لك أن تحصل على فائدة من الأجنبي، ولكن لا يحل لك أن تفعل ذلك مع أخيك)**[٣]. ولهذا فقد كان مبدأ التضامن القومي هو الزاجر الوحيد الذي يضع حداً لجشع الطبقات العليا اتجاه أبناء جلدتهم، كما عملت الشريعة على تخفيف الإقراض مقابل الرهن بقيود، وأوجبت عتق اليهود في كل سنة، والتنازل عن كل الديون[٤].

إلا أن الانحراف الذي أصاب هذا المجتمع، قد حال دون الاستمرارية في أتباع هذه الشرائع، ومن ثم فقد تضررت الطبقات الاجتماعية الفقيرة، واستُغلت من قبل الطبقات العليا التي تربعت على قمة العرش الاجتماعي.

وتتبين لنا الأسباب من خلال النقد اللاذع الذي ورد بين ثنايا أسفار العهد القديم، الموجّه إلى الملوك[٥] وأتباعهم الذين هجروا التعاليم الدينية وأصبحوا يبحثون

---

(1)- pastor, jack, op.cit, p.168.

(٢) – ستافنهاغن، الطبقات الاجتماعية، ص ٢٧ .

(٣) – سفر التثنية/ ٢٣: ٢٠ .

(٤) – مهران، بنو إسرائيل، ج٤، ص ٦٧٢ .

(٥) – سفر إرميا/ ٢٦ ؛ سفر إشعيا/ ٣ ؛ سفرعاموس/ ٦ .

عن المتع والشهوات والمنافع الاقتصادية، وكذلك دور الكهنة[١] في المجتمع الذي تحول من دور ديني في المقام الأول، إلى دور اقتصادي، دور الباحثين عن الثراء، ومن ثم بدأوا في ممالأة الحكام على حساب وظائفهم الدينية وعلى حساب الطبقة الدنيا في المجتمع. إذ أتاح التطور الاقتصادي الذي ساد المجتمع اليهودي فرصا كثيرة للإثراء واستثمار الأموال، وقد أفاد من هذه الفرص أفراد الطبقات العليا في المجتمع اليهودي، فملكوا الضياع والقصور وغرقوا هم ونسائهم[٢] وأولادهم في الترف والنعيم، وظهرت الفروق واسعة صارخة بينهم وبين سائر أفراد المجتمع في مآكلهم ومشاربهم ومساكنهم وسائر شئون حياتهم، واستعلوا على غيرهم استعلاء كبيرا.

وكان لا بد لهم، كي يبقوا على مستواهم الاقتصادي والمعيشي، أن يمعنوا في ابتزاز الطبقات الدنيا وتجريدها من كل شيء، وكانوا لا يتورعون في سبيل الإثراء عن الالتجاء إلى أسوء الوسائل، فيأكلون أموال الناس بالباطل ويمدون أيديهم للرشوة، ويسلبون أموال الضعفاء واليتامى والأرامل، ويقرضون المعوزين من اليهود وغيرهم بربا فاحش[٣]، ثم يستولون على أراضيهم سدادا لديونهم، أو يبيعونهم ويبيعون أولادهم وزوجاتهم بيع الرقيق، فاستحالت بذلك معظم الأراضي إلى إقطاعيات كبيرة يملكها عدد محدود من الأفراد والطبقات[٤]، وأصبح استغلال المجتمع وممارسة الربا عادة مألوفة بين أصحاب الضياع الكبرى والتجار والمرابين حتى قال النبي عاموس **(إن الملاك باعوا البار بالفضة والبائس لأجل نعلين)**[٥]، وتكدست معظم الثروات الأخرى بأيدي الأغنياء، حتى ضاقت بها بيوتهم فلجئوا إلى الهيكل، واتخذوا فيه أنفاقا ومغارات وخزانات يحفظون فيها نقودهم وأحجارهم الكريمة وغيرها من الأشياء الثمينة[٦].

---

[١] – سفر إشعيا / ٢٨ : ٧- ١٠ .

[٢] – أنظر أوصاف طبقة المترفين في معظم أسفار الأنبياء، لا سيما سفر اشعيا/ ٣: ١٦- ٢٤، إذ يصف الترف عند نساء هذه الطبقة، بوصف غاية في الروعة، وبأسلوب تقريعي.

[٣] – وافي، اليهودية واليهود، ص ١٣٩.

[4]- Breasted , James Henry, op.cit, p. 227.

[٥] – سفر عاموس/ ٢: ٦ .

[٦] – وافي، اليهودية واليهود، ص ١٣٩.

وكان من نتائج هذا الاستغلال والجشع أن اختفت الملكيات الصغيرة وقد وصف ذلك النبي إشعيا في أبلغ عبارة إذ يقول **(ألا تعسا لأولئك الذين يمدون ملكياتهم من منزل إلى منزل، ومن حقل إلى حقل، حتى لا يكون ثمة موضع قدم لغيرهم، وحتى يستأثروا وحدهم بسكنى هذه البلاد)**[١].

كما ازدادت عمليات فرض الضرائب من قبل الملوك، وأدت إلى ازدياد معدلات الفقر، فأضطر أكثر المعوزين إلى الاقتراض بالربا، والتحول للعبودية، وحاولت الطبقات الدنيا في المجتمع اليهودي، مثل طبقة الفلاحين وطبقة العمال الإثراء بمختلف الطرق فكثرت السرقات والغش، كما كثر الطغيان والسلب والنهب والرشوة واختلت الموازين وسادت الفوضى الاجتماعية[٢]. فضلاً عن الأحياء القذرة التي أخذت تزداد شيئا فشيئا كلما نمت ثروة الأفراد وزاد ترف الحاشية، وأصبح استغلال الشعب والربا عادة مألوفة بين أصحاب الضياع الكبرى والتجار والمرابين[٣]، فأصبح المجتمع ينذر بكارثة عارمة.

ويبدو بشكل عام أن الثغرة في مجتمعات الشرق الأدنى القديم بين وضع الرجل الحر الفقير ووضع الرقيق كانت متقاربة، فكلتا هاتين الطائفتين المحرومتين من تملك وسائل الإنتاج أخذتا بالتدريج تصبحان مقيدتين برغبات ومشيئة الطبقة المستغلة، وهكذا أصبح الشرق وكذلك الغرب[٤] مسرحا لثورة الرقيق[٥]، كان الأنبياء لسان حال هذه الثورة، إذ أنهم كانوا مظهراً تلقائياً لما كان يشعر به الناس من سخط على الصورة التي فرضها الواقع الاقتصادي المتردي في فلسطين آنذاك. وقد مقت الأنبياء التجارة والثروة لأنهما من أسباب إفساد المجتمع وتفاوت طبقاته[٦]، وكانت معظم دعواهم موجهة لنقد الملوك ومواجهة الطبقة الثرية التي تجذب المجتمع نحو

---

(١) – سفر إشعيا / ٤ : ٨ .

(٢) – علي، إسرائيل عبر، ص ١١٩ .

(٣) – ديورانت، قصة الحضارة، مج١، ص ٣٤٨ .

(٤) – سيغال، تطور المجتمع، ص ١٠– ١١ .

(٥) – جماعة من علماء...، (ستروف، ف.ف.)، العراق القديم، ص ٩٥ .

(٦) – ايمار، الشرق واليونان، ص٢٧٣ .

الهاوية، وقادوا ما يسمى بـ (الإصلاح الاجتماعي)[١]، وهم يشعرون بان هناك ثمة عيب في النظام الاجتماعي يجب إصلاحه، فقالوا (**إن الأغنياء يسحقون وجوه الفقراء سحقا، كما أن المترفين يستنفدون خبز الأطفال وأن الموسرين يصادقون الأجانب ويقلدونهم في أُبهتهم ورذائلهم**)[٢].

وهنا يظهر إشعيا في طليعة الأنبياء، عندما يرى الفقراء، ولا سيما اليتامى والأرامل منهم، لا يلقون على العموم من الأغنياء والطبقة الحاكمة إلا كل ظلم وعنت، ولذلك يقول (**لا يقضون لليتيم، ودعوى الأرملة لا تصل إليهم**)[٣].

ويقول أيضا(**أنتم الذين نهبتم الكروم وسلبتم المساكين وملأتم بيوتكم، ما بالكم تسحقون شعبي وتطحنون وجوه البائسين؟**)[٤].

وفي خضم بحر الفوضى المتلاطم الأمواج، يظهر من المملكة الشمالية مصلح آخر وهو النبي عاموس، حيث مجتمع مريض حتى الموت، أشرافه وحاشيته وكهنته كلهم سواسية في الترف، مجتمع استشرى فيه الفساد والجور وظلم الفقير، وأصبحت تتوارى الشفقة الأخوية القديمة بانتشار الثروة والانغماس في الشهوات الذاتية، وكانت طبقة الزراع الأجراء تسير نحو الدمار[٥].

عاموس الذي ورث سنن العهد البدوي الخلقية والدينية، كان يرى أن المجتمع الزراعي التجاري المعقد في شمال إسرائيل يحمل في أعطافه بذور خرابه، فقد كان هذا المجتمع رخيا مزدهرا في ظاهره، ولكنه كان في حقيقة الأمر تغلي من تحته مراجل من الفساد، وكان لا بد أن يورد الناس جميعا عاجلا أم آجلا موارد الهلاك[٦]، ومن أقواله التي وردت في العهد القديم وهو يخاطب الأغنياء والمترفين (**ويل لكم أيها المرفهون في صهيون، تضطجعون على أسرة من عاج وعلى فراشكم**

---

[١] – ويلز، هـ. ج، موجز تاريخ العالم، ترجمة: عبد العزيز توفيق جاويد، (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦٧)، ص ٩٨ .

[٢] – سفر إشعيا/ ٣: ١٤– ١٥ .

[٣] – سفر إشعيا / ١: ٢٣ .

[٤] – سفر إشعيا / ٣ : ١٤ – ١٥ .

[٥] – دي بورج، تراث العالم، ص ٧٢ .

[٦] – روبنسن، إسرائيل في ضوء، ص ١٢١ .

تتمرغون، تأكلون الخراف من الغنم والمعلوف من العجول، تبعبعون على صوت العود وتنسبون إلى أنفسكم آلات الطرب، تشربون الخمر بالطاسات وتمسحون شعر رؤوسكم بالزيوت)[١].

كان عاموس يرى أن الناس ليسوا بحاجة إلى شعائر، بقدر ما كانوا بحاجة إلى العدل وروح الإنصاف بين الإنسان وأخيه، فحسب الناس في رأيه أن يعرفوا (يهوه) كما عرفوه الآباء في البرية وان يفهموه كما تعلم هو أن يفهمه[٢].

أدت هذه الظروف القاسية التي عصفت بعامة الشعب إلى الاعتقاد بان الحضارة هي أصل البلاء، وأن السلامة لا تكون إلا بالرجوع إلى عهد البداوة[٣]، وهذا الانحطاط المعنوي للحضارة أو الهروب من الحضارة كان يزداد كلما كانت الثغرة تتسع بين ذوي الحاجة وذوي اليسار حتى تولدت هذه القناعة لدى جزء كبير من المجتمع اليهودي وأفرزت أخيرا جماعة عُرفوا بالركابيين نسبة إلى زعيمهم (يوناداب بن ركب)، وكانت هذه الجماعة تدعوا إلى التقشف ومقاومة التبرج والبذخ وحياة الترف والانحلال الخلقي، وكانوا ينادون بهجر المدن لفسادها والحياة في القرى المقامة من الخيام لبساطتها وبعدها عن زخرف الحياة وبهرجها، كما حرّموا على أنفسهم الخمر والزرع، وطالبوا بالعودة إلى حياة آبائهم الأولين أي حياة رعي الماشية وتربيتها[٤].

لقد هاج في النفوس الحنين إلى الحياة البسيطة (حياة البداوة) لأنها فرضت نظاما حياتيا، قوامه المساواة بين أفراد المجتمع اليهودي وذلك بفضل اشتراكية الأموال والأملاك، فأزالته الحياة الحضرية رويداً رويدا، ثم أفضى الاقتصاد التجاري الذي شجعته الملكية إلى التفاوت الاجتماعي بين الأغنياء والفقراء[٥]، وظلت فكرة خلق الأنظمة الاشتراكية في هذه الحياة بدون تنفيذ بسبب موقف الكهنة الذين جمعوا

---

[١] – سفر عاموس/ ٦ : ١– ٧ .

[٢] – روبنسن، إسرائيل في ضوء، ص ١٢١ .

[٣] – المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

[٤] – علي، إسرائيل عبر، ج١، ص٢٤٣ .

[٥] – أيمار، الشرق واليونان، ص ٢٦٧ .

في يدهم جميع السلطات السياسية، كما أنهم كانوا الإقطاعيين الحقيقيين، وقد اشتركوا مع آخرين لم يكونوا أقل ثراء منهم في توجيه الشعب وتكييف المجتمع اليهودي بما ينسجم مع مصالحهم[١].

أسباب خارجية:

لا يخفى أن حسن موقع البلدان وثروتها ورواج أسواق التجارة فيها هو كله من أهم عوامل التحاسد في أغلب الفترات التاريخية، بل من مسببات الحروب الدامية والوقائع المهلكة[٢]. ولهذا فأن وقوع المملكتين على امتداد طرق التجارة والمواصلات القديمة عبر أراضي فلسطين منذ أقدم العصور[٣]، جعلها جسراً تعبره جيوش العالم القديم، كالجيوش المصرية والآشورية والفارسية والإغريقية والرومانية، التي تريد بسط نفوذها على هذه الطرق التجارية الدولية من جهة، أو لتوسيع رقعة إمبراطوريتها من جهة أخرى[٤]، ولذا فقد كانت فلسطين مطمعاً اقتصاديا بالدرجة الأولى لهذه للقوى الكبرى، سواء الشمال الغربي المتمثل في آشور وبابل، أو الجنوب الشرقي، المتمثل في مصر. إذ كان هدف التوسع الإمبراطوري الآشوري هو الغرب، وكانت سوريا والمناطق المجاورة لها من الشمال والجنوب ذات أهمية كبرى لدى الإمبراطورية، حيث شكلت ملتقى الطرق التجارية من الأناضول ومصر، وكانت السيطرة عليها تعني الازدهار والنمو الاقتصادي[٥]، أضف إلى ذلك، أن سوريا كانت غنية بالموارد الحيوية المهمة لأعمال البناء والتحصين، كالأخشاب والحجارة، وعبر طرق التجارة السورية أمكن نقل المعادن من آسيا الصغرى، والتوابل من شبه الجزيرة العربية، ولا عجب والحال هذه، إذا ما سعى حكام آشور وبابل من آن لآخر للسيطرة على دول

---

[١] – علي، إسرائيل عبر، ج١، ص ١٢١ .

[٢] – المعلوف، التجارة عند الأمم، ص ٤٠١ .

[٣] – أنظر: الفصل الثالث، ص ١٣٧.

[٤] – غربية، فلسطين، ص ٦٧ .

[٥] – מלמט, אברהם, (מלחמות ישראל ואשור), מאמר בספר הסטוריה צבאית של ארץ ישראל ויהודה בימי המקרא, בעריכת יעקב ליוור, הוצאת צבא הגנה לישראל, (תל– אביב, 1964), עמ' 241 .

سورية، وتأمين هذه السيطرة من ناحية الشمال والجنوب بتشديد قبضتهم على مناطق الطوروس وفلسطين[١].

إن اندفاع الآشوريين ثم البابليين من بعدهم نحو الغرب كان يعني تحقيق السيطرة والهيمنة الاقتصادية، ولذلك كان يكفيهم اعتراف الشعوب بسيادتهم من جانب، وتلقي الجزية من جانب آخر، وهو ما حدث مع كل من هوشع بن أيلة في مملكة الشمال، ويهوياقيم في مملكة الجنوب.

---

[١] – الصمادي، طالب عبد الله، "العوامل الاقتصادية خلف السيطرة الآشورية الحديثة في سورية وفلسطين"، مجلة راية مؤتة، مج٣، عد٣، (عمان، ١٩٩٧)، ص ١٦ وما بعدها .

الاستنتاجات

توصل الباحث إلى جملة من النتائج كان من أهمها:

١- ثبت أن تبني منهجاً يوائم بين الكتب السماوية (القرآن، التوراة، الإنجيل)، والمكتشفات الأثرية، هو المنهج الأصلح في اقتفاء تاريخ المجتمع اليهودي القديم.

٢- يمكن للباحثين استخدام التسميات التي أُطلقت على الجماعة موضوع البحث، (عبرانيون، بني إسرائيل، يهود) بلحاظ المرحلة التأريخية التي تعالجها بحوثهم، كما يمكنهم أن يعمموا استخدام تسمية اليهود، لأنها التسمية التي عُرفوا بها على مر الحقب التاريخية.

٣- خلص البحث إلى أن مشكلة الافتقار إلى تواريخ دقيقة لأحداث التاريخ اليهودي القديم، هي مشكلة قائمة، ولهذا وجب على الباحث في هذا الحقل أن يعرض في بحثه كل الاحتمالات الواردة في المصادر من أجل المقارنة، والوصول إلى أكبر قدر ممكن من النتائج القريبة من الحقيقة.

٤- منطقة فلسطين القديمة أرضاً استقبلت مختلف الشعوب والأقوام السامية (الجزرية) وغير السامية، لما تمتعت به من مميزات جغرافية وبيئية واقتصادية، واليهود أحد تلك الأقوام التي نزحت إلى فلسطين عن طريق عدد من الهجرات المتفرقة ولأسباب شتى، وكان أهمها الهجرة التي حدثت في القرن الثاني عشر قبل الميلاد.

٥- ثبت من خلال الأبحاث الآثارية الحديثة، ومن خلال قراءة الأحداث التاريخية برؤية موضوعية بعيدة عن اللاهوتية، أن اليهود لم يكونوا جماعات غازية، بل جماعات جاءت إلى المنطقة عن طريق التغلغل السلمي التدريجي، واندمجوا مع سكان البلاد الذين سبقوهم في استيطانها.

٦- استوطنت الجماعات اليهودية في بداية دخولها فلسطين المناطق البعيدة عن دويلات المدن الكنعانية، وهي مناطق هضابية شبه خالية من السكان.

٧- اعتمدت الجماعات اليهودية البدوية في معيشتها على أسلوب التعايش المتكافل، أو الاندماج الاجتماعي مع أهل المدن الكنعانية، وبعد فترة من الاستقرار اقتبست

هذه الجماعات حرفة الزراعة من الكنعانيين، وأخذت بالتقارب والإحساس بنوع من الرابطة الاثنية فيما بينها.

٨- بعد الاستقرار في فلسطين، بدأت الحياة الاقتصادية لليهود تدخل أولى مراحل التنظيم، بتأثير عدة عوامل منها، العامل البيئي والجغرافي والحضاري، وأدت هذه العوامل مجتمعة إلى إفراز نمطين اقتصاديين هما الرعوي في الجنوب، والزراعي في الشمال.

٩- ارتبطت الأوضاع الاقتصادية وما يتعلق بها من وسائل الإنتاج، ومن أهمها الأرض والعمل، ارتباطاً وثيقاً بالديانة اليهودية، وانعكست على طبيعة الحياة في المجتمع اليهودي القديم، فبرزت مجموعة من الشرائع والقوانين التي تنظم علاقات العمل وملكية الأرض.

١٠- قادت المجتمع اليهودي القديم شخصيات دينية تجسدت بالأنبياء، وبقيت حركتهم ملازمة له حتى بعد أن تبنى نظاماً ملكياً، على غرار الأنظمة السائدة في الشرق القديم، إذ برزت في عهد الملكية شخصيتين دينيتين وهما الأنبياء الملوك داود وسليمان عليهما السلام، وهذا الأمر قد أسبغ مفهوم الدولة الدينية عن الممالك اليهودية.

١١- تضافرت عدة عوامل ساهمت في تطور المجتمع اليهودي اقتصادياً، ومن أهمها الموقع الجغرافي لفلسطين القديمة، واهتمام الملك سليمان بهذا الجانب، سيما العلاقات التجارية، والاحتكاك الحضاري بالكنعانيين والفينيقيين.

١٢- لم يحقق المجتمع اليهودي القديم أي تطور على المستوى الصناعي، وضل يعتمد على منتجات الشعوب الأخرى.

١٣- أدى التطور الاقتصادي الذي طرأ على حياة المجتمع اليهودي القديم إلى تطور النظام الطبقي في هذا المجتمع، والى ظهور طبقات اجتماعية غنية أبرزها طبقة الكهنة، وأخرى فقيرة وهي طبقة العامة.

١٤- اقتبست الشرائع والقوانين الخاصة بالأسرة في المجتمع اليهودي جُل فقراتها من القوانين العراقية القديمة، وأضافت لها مسحة أخلاقية بما ينسجم مع الفكر الديني اليهودي.

١٥- جاءت حياة الأسرة اليهودية مشابهة للأسرة الكنعانية في أكثر مظاهرها المادية، وذلك لقوة التأثير الحضاري الكنعاني على المجتمع اليهودي.

١٦- أرتبط العرف الاجتماعي بالشريعة الدينية اليهودية ارتباطا مباشراً، ولهذا فقد عبرت كثير من العادات والتقاليد التي سادت في المجتمع اليهودي عن أفكار دينية، إذ إن القانون المدني والقانون الديني في نظر اليهود مستمدان مباشرة من الوحي الإلهي.

١٧- تعود أغلب الطقوس والعبادات في ديانة المجتمع اليهودي القديم إلى تأثيرات مصرية وعراقية قديمة، وأخرى كنعانية.

١٨- عُد النبي والكاهن قوتان روحانيتان تقاسمتا التأثير الديني والأخلاقي والسياسي في المجتمع اليهودي عبر تاريخه القديم.

١٩- لعب الكهنة دور كبير في تحديد وتطويع الطقوس الدينية في المجتمع اليهودي بما ينسجم مع مصالحهم المادية، فجاءت أكثر هذه الطقوس مغلفة بقشرة عبادية قربانية، لكنها في الواقع لا تصب إلا في خدمة الكهنة وتطلعاتهم الدنيوية.

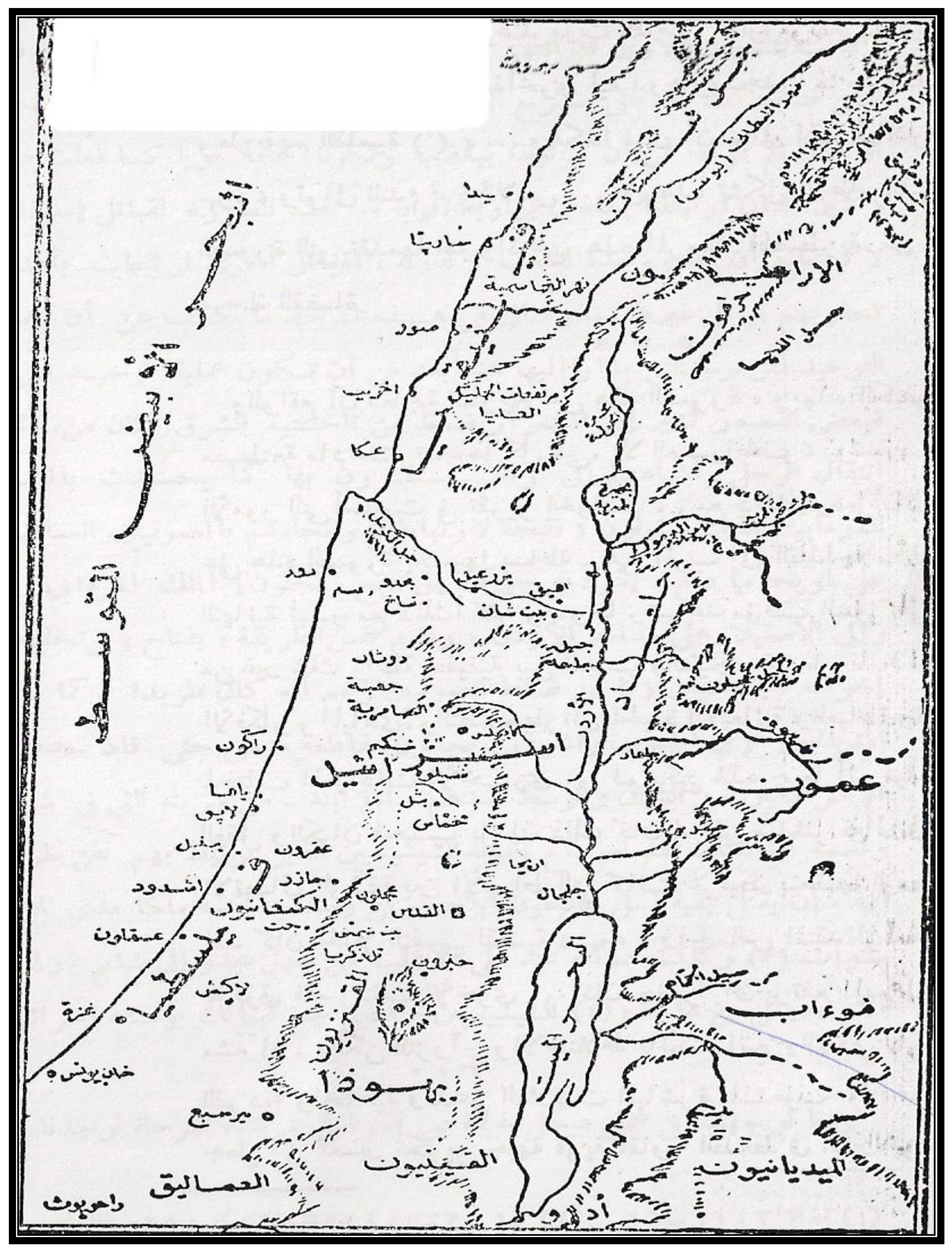
٢٠- أدى الصراع المستمر بين الأنبياء والكهنة عبر مراحل التاريخ اليهودي القديم، إلى فشل الأنظمة السياسية التي قامت في هذا المجتمع وكان استقرارها رهين المرحلة أو الشخصية، ولهذا فأن تمكن المجتمع اليهودي من المحافظة على كيانه عبر التاريخ لا يعود إلى سلطان سياسي، بل يكمن في تراث هذا المجتمع، من دين وعادات وتقاليد.

٢١- كان الانقسام السياسي الذي تعرضت له المملكة الموحدة، عقب وفاة النبي سليمان(عليه السلام) من الأسباب المباشرة التي أدت إلى تدهور المجتمع اليهودي القديم. تجلى ذلك بسوء العلاقات بين طبقاته الاجتماعية، حتى أفضت إلى صراعات أفسدت المنظومة الاجتماعية من الداخل وأضعفتها.

٢٢- تشاركت عدة عوامل في تدهور المجتمع اليهودي القديم وتشتته، بعد انقسام المملكة الموحدة، كان من أهمها العامل السياسي، والديني، والاقتصادي.

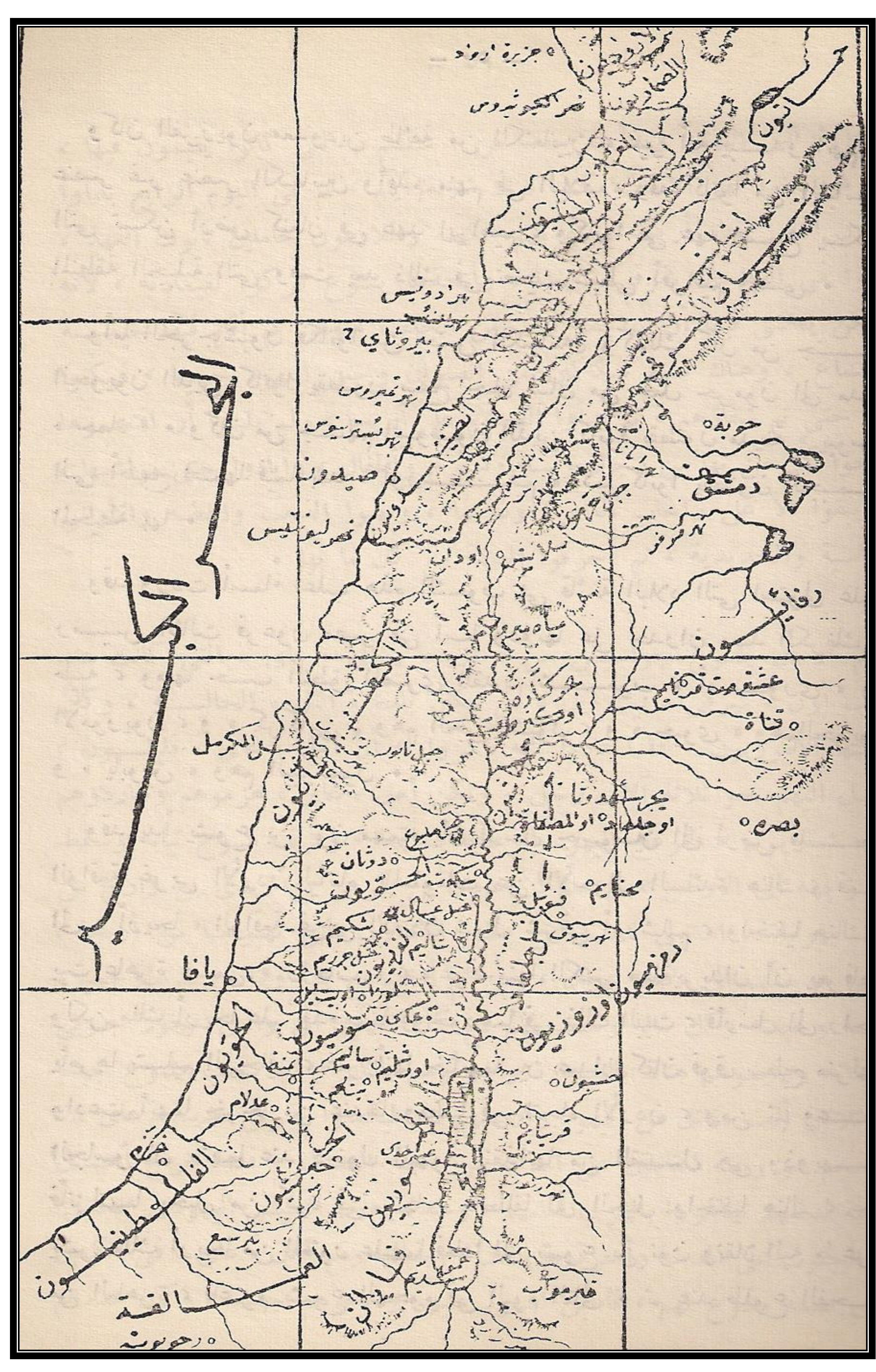
الملاحق

الملحق الأول (الخرائط)

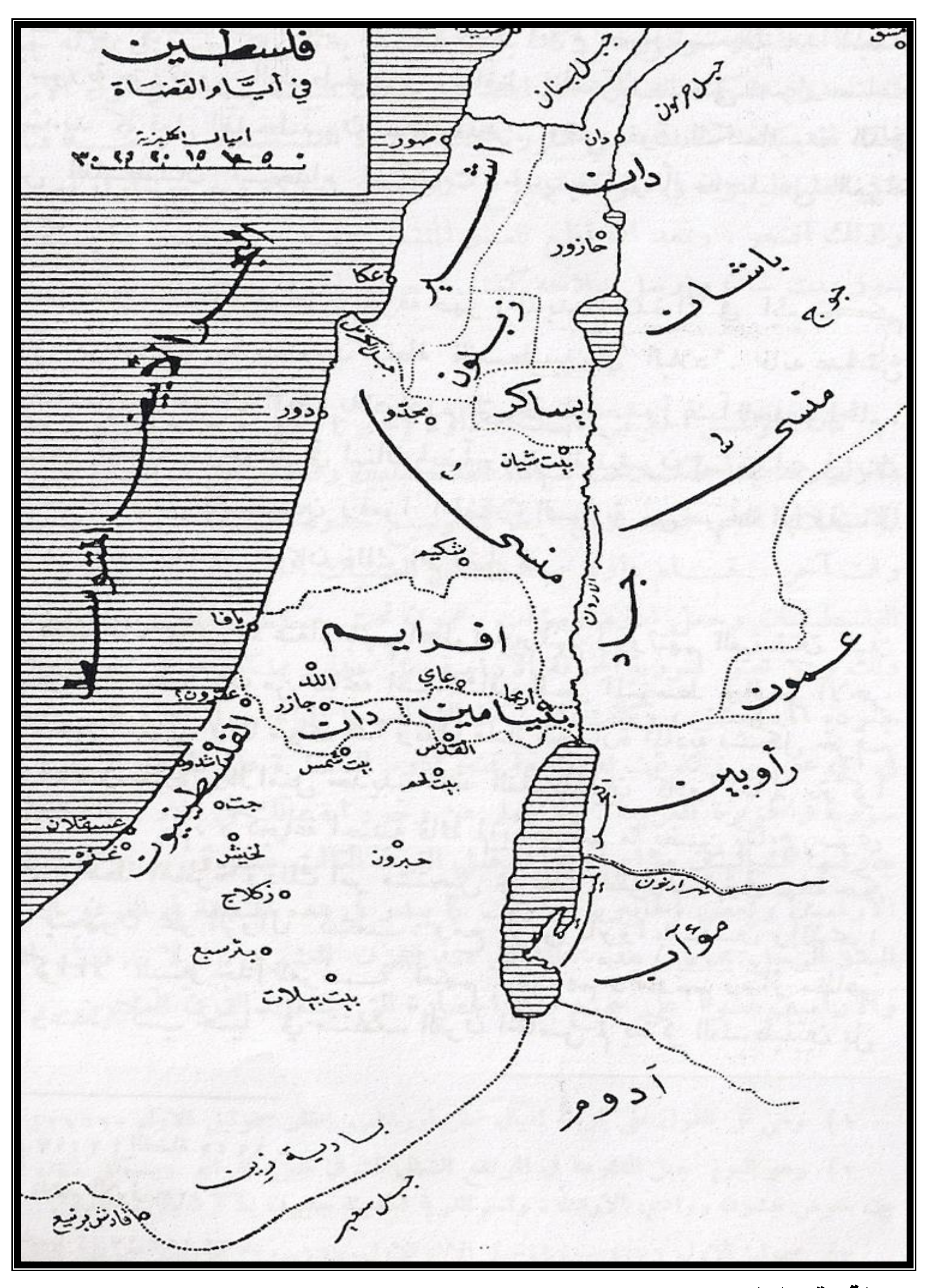


خارطة رقم (١)

إبراهيم، مصر والشرق، ج٣، ص ٣٣٠ .

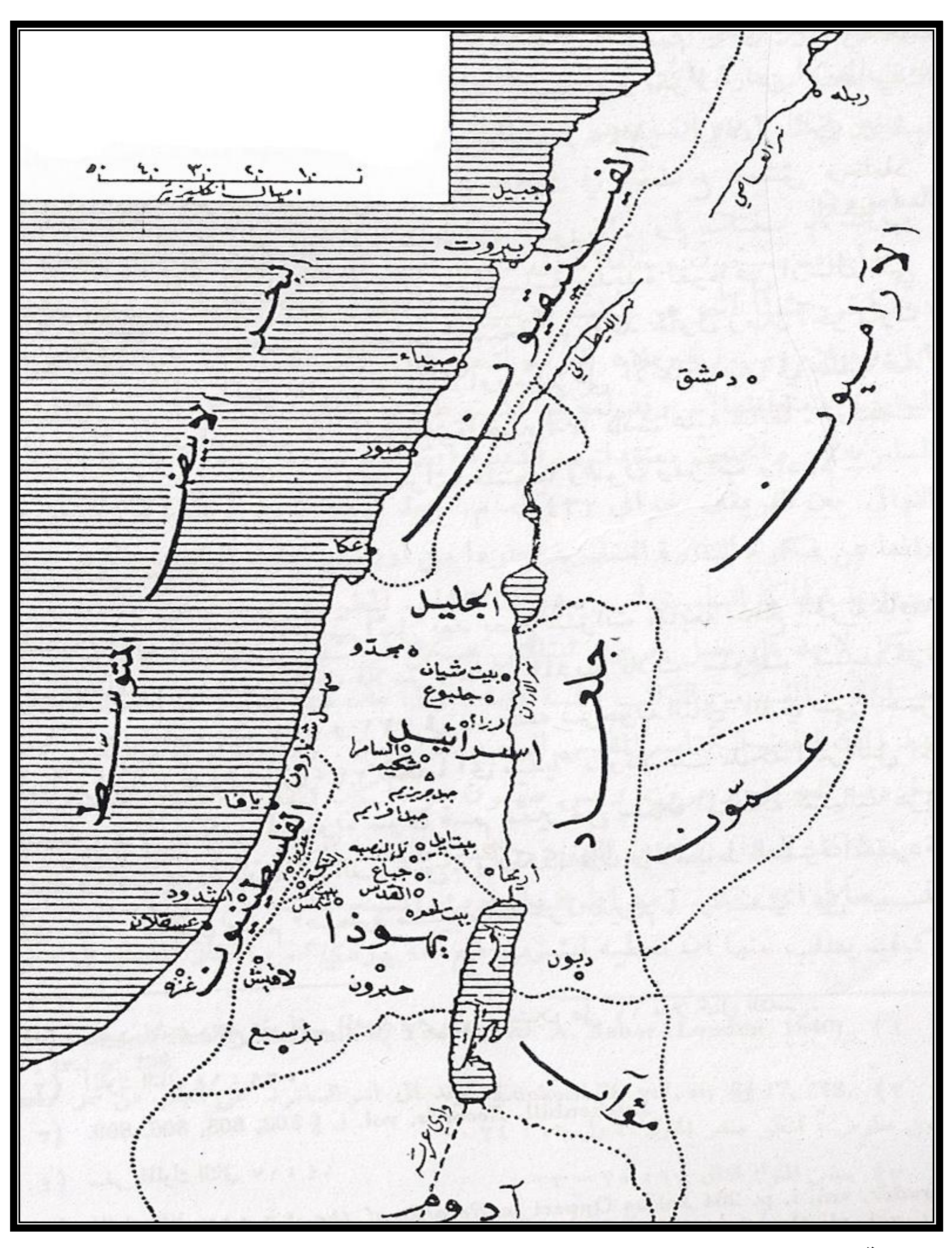


خارطة رقم (٢) شنودة، <u>اليهود</u>، ج١، ص ٤٩ .



خارطة رقم (٣)

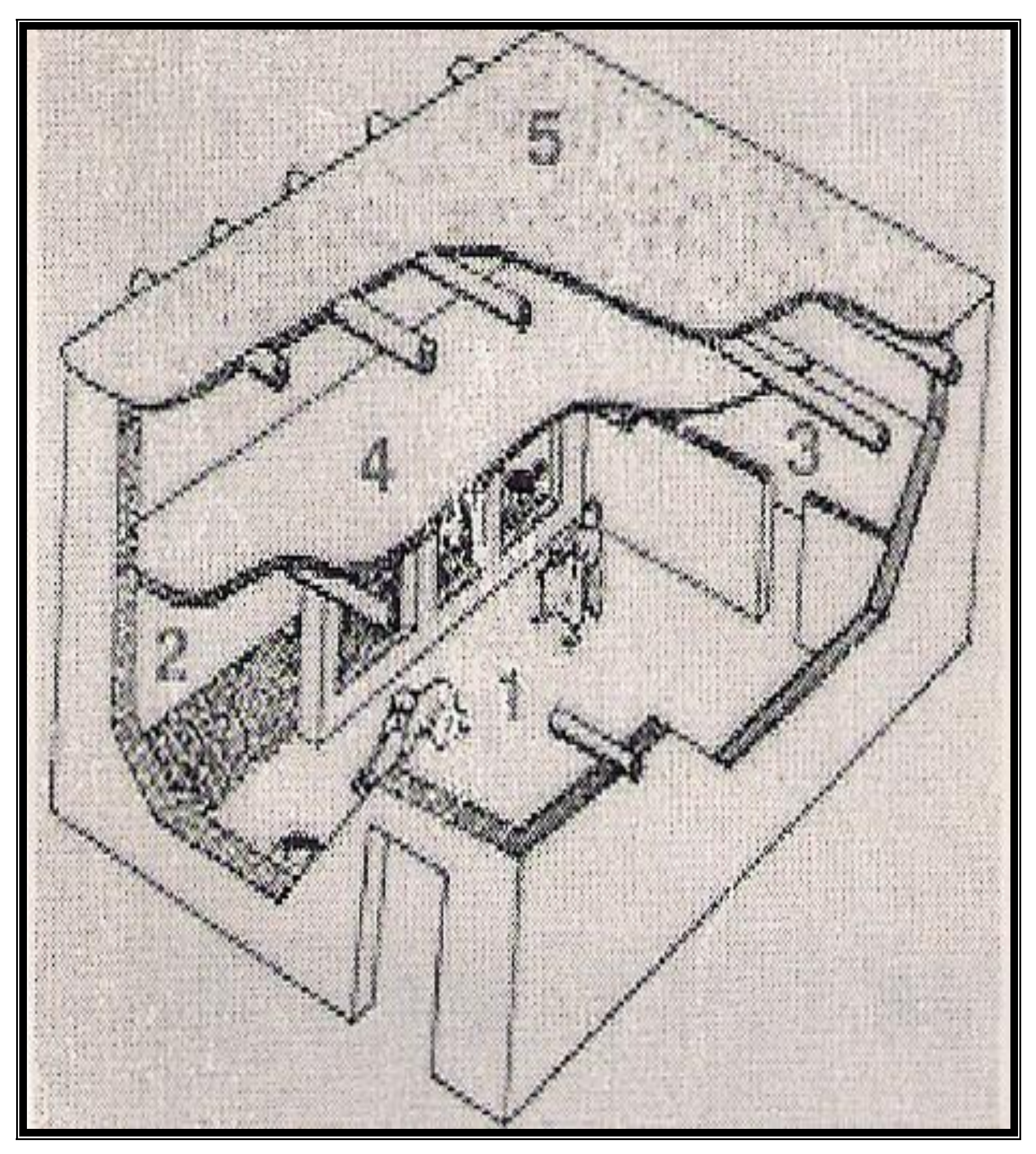
حتي، تاريخ سورية، ص ١٩٩ .



خارطة رقم (٤)، فلسطين في عهد الملوك

حتي، تاريخ سورية، ص ٢١٠ .

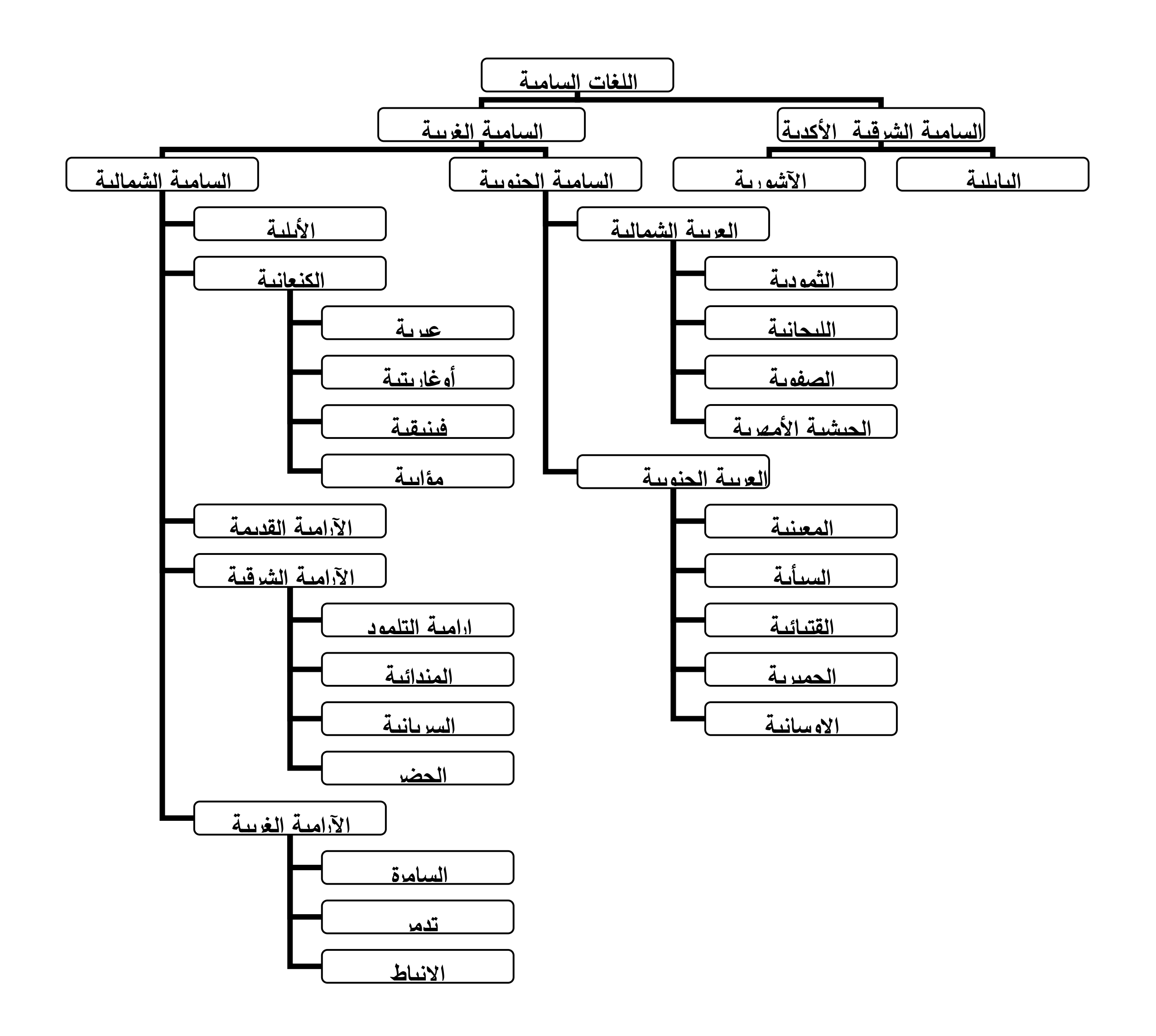
الملحق الثاني، (الأشكال)، والمخططات التوضيحية



شكل رقم (١).

من الموقع الالكتروني:

http: // www. musem. upenn.edu / Canaan / index. html.

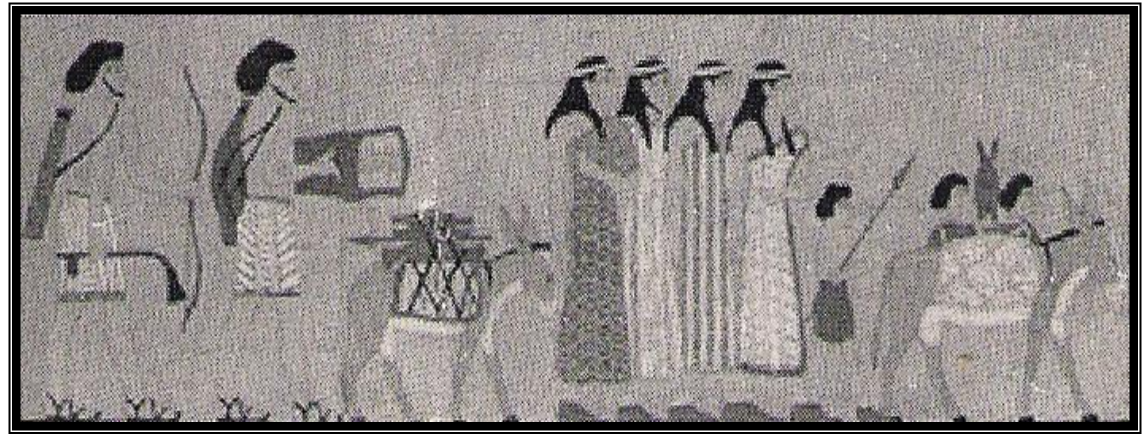


شكل رقم (٢)، مخطط اللغات السامية

محسن، أحمد لفته، الوجيز في تاريخ اللغات الجزرية، ط١، (بغداد، ب.مط، ٢٠٠٩)، ص ٣ .

شكل رقم (٣)

אנציקלופדיה העברית, כרך, שמונה, עמ' 256.



شكل رقم (٤)، من الموقع الالكتروني:

http: // www. musem. upenn.edu / Canaan / index. html.



شكل رقم (٥)

شنودة، <u>اليهود</u>، ج١، ص ٣٢ .

ملوك المملكة الشمالية (إسرائيل) (٩٣١- ٧٢٤ ق.م.)

١. يربعام الأول (٩٣٢- ٩١١ ق.م.)
٢. ناداب بن يربعام (٩١١- ٩٠٩ ق.م.)
٣. بعشيا بن اخيا (٩٠٩- ٨٨٦ ق.م.)
٤. ايلاه (٨٨٦- ٨٨٥ ق.م.)
٥. زمري (٨٨٥ ق.م.)
٦. عمري (٨٨٥- ٨٧٤ ق.م.)
٧. أحاب (٨٧٤- ٨٥٣ ق.م.)
٨. احزيا (٨٥٣- ٨٥٢ ق.م.)
٩. يورام (٨٥٢- ٨٤١ ق.م.)
١٠.ياهو (٨٤١- ٨١٣ ق.م.)
١١.يهو أحاز (٨١٤- ٧٩٨ ق.م.)
١٢.يواش (٧٩٨- ٧٨٣ ق.م.)
١٣.يربعام الثاني (٧٨٣- ٧٥٢ ق.م.)
١٤.زكريا بن يربعام (٧٥٢- ٧٥١ ق.م.)
١٥.يابيش (٧٥١- ق.م.)
١٦.مناحم بن جادي (٧٥١- ٧٤١ ق.م.)
١٧.فقحيا (٧٤١- ٧٢٩ ق.م.)
١٨.فقح بن رمليا (٧٢٩ ق.م.)
١٩.هوشع بن أبلاه (٧٢٩- ٧٢١ ق.م.)

فنكلشتاين، إسرائيل ونيل إشر سيلبرمان، التوراة اليهودية مكشوفة على حقيقتها، ترجمة: سعد رستم،(دمشق: صفحات للدراسات والنشر، ب.ت)، ص ٢٨٩ وما بعدها.

ملوك المملكة الجنوبية (يهوذا) (٩٣١- ٥٨٦ ق.م.)

١. رحبعام بن سليمان (٩٣٢- ٩١٥ ق.م.)
٢. ابيام (٩١٥- ٩١٣ ق.م)
٣. أسيا بن ابيام (٩١٣- ٨٧٣ ق.م.)
٤. يهوشافاط (٨٧٣- ٨٤٩ ق.م.)
٥. عتاليا (٨٤١- ٨٣٧ ق.م.)
٦. يوآش (٨٣٧- ٧٩٦ ق.م.)
٧. امصيا (٧٩٦- ٧٦٨ ق.م.)
٨. عزيا (٧٦٨- ٧٤٠ ق.م.)
٩. يوثام (٧٤٠- ٧٣٣ ق.م.)
١٠.أحاز(٧٣٣- ٧١٤ ق.م.)
١١.حزقيا (٧١٤- ٦٩٦ ق.م.)
١٢.منسا (٦٩٦- ٦٤١ ق.م.)
١٣.يوشياهو (٦٤١- ٦٠٨ ق.م.)
١٤.يهو أحاز (٦٠٨ ق.م.)
١٥.يهوياكيم (٦٠٨ ق.م.)
١٦.يهوياكين (٦٠٩- ٥٩٧ ق.م.)
١٧.صدقيا (٥٩٧- ٥٨٦ ق.م.)
١٨.جداليا بن أحيقان (٥٨٦- ٥٨٢ ق.م.)

فنكلشتاين، ونيل، التوراة اليهودية ، ص٢٨٩ .

المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم

ثانياً: الكتاب المقدس

ثالثاً: المصادر

- ابن العبري، غريغوريوس أبو الفرج بن هارون الملطي (ت٦٨٥هـ): تاريخ مختصر الدول، ط٢، (بيروت: المطبعة الكاثوليكية، ١٩٥٨م).
- ابن زكريا، أبو الحسن احمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة،(بيروت، ١٩٧٩)، ج٤.
- أبن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري (ت٧١١هـ): لسان العرب المحيط، (بيروت: دار لسان العرب، ب.ت)، ج٣ .
- الآلوسي البغدادي، أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، (ب مط، ب ت)ج١٢.
- الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله (٦٢٦هـ): معجم البلدان، تحقيق مزيد عبد العزيز الجندي،(بيروت: دار الكتب العلمية، ب.ت)، ج٢.
- الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، مختار الصحاح، (الكويت: دار الرسالة، ب– ت).
- الرومي، ياقوت الحموي، معجم البلدان "البلدان الفلسطينية"، (دمشق: منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، ١٩٨٢)، ج١.
- الشهرستاني، أبي الفتح محمد بن عبد الكريم، الملل والنحل، تحقيق وتعليق: أحمد فهمي محمد، ط١، (مصر: مطبعة حجازي، ١٩٤٨)، ج٣.
- الطبرسي، الشيخ أبو علي الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن، (بيروت: مؤسسة التاريخ العربي، ب ت)، ج٣.
- الطبرسي، الشيخ أبي علي الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن، ط١،(بيروت: دار المعرفة، ١٩٨٦)، مج٢.
- أبن كثير، الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل، تفسير القرآن العظيم، ط١،(بيروت: دار الأندلس، ١٩٦٦)، ج١، ج٢، ج٤ .

رابعاً: المراجع العربية والمعربة:

آ- الكتب

- ❖ إبراهيم، نجيب ميخائيل، مصر والشرق الأدنى القديم، ط٣، (الإسكندرية: دار المعارف، ١٩٦٦)، ج٣.
- ❖ أبو غضة، زكي علي السيد، المرأة في اليهودية والمسيحية والإسلام، ط١،(المنصورة، دار الوفاء، ٢٠٠٣).
- ❖ أحمد مشرقي، وآخرون، نشأة العالم والبشرية دراسة معاصرة في سفر التكوين، ط٢، (بيروت: دار الجيل، ٢٠٠٢).
- ❖ الأحمد، سامي سعيد، تاريخ فلسطين القديم، (بغداد: مركز الدراسات الفلسطينية، ١٩٧٩).
- ❖ الأحمد، سامي سعيد، وأحمد، جمال رشيد، تاريخ الشرق القديم، (بغداد، ب.مط، ١٩٨٨).
- ❖ أحمد، محمد خليفة حسن، تاريخ الديانة اليهودية، ط١،(القاهرة: دار قباء للطباعة والنشر، ١٩٩٨).
- ❖ إسماعيل، حلمي محروس، الشرق العربي القديم وحضارته بلاد ما بين النهرين والشام والجزيرة العربية القديمة،(الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة، ١٩٩٧).
- ❖ أسود، عبد الرزاق محمد، الموسوعة الفلسطينية، ط١،(الدار العربية للموسوعات، ١٩٧٨)، مج١.
- ❖ الأسيوطي، ثروت أنيس، نظام الأسرة بين الاقتصاد والدين- الجماعات البدائية- بنو إسرائيل،(القاهرة، ب.مط، ب.ت).
- ❖ اوتس، جوان وديفيد، نشوء الحضارة، ترجمة: لطفي الخوري، ط١، (بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٨٨).
- ❖ اوتس، جوان، بابل تاريخ مصور، ترجمة: سمير عبد الرحيم الجلبي، (بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٩٠).

❖ أوج آلان، عبد الله، من دولة الكهنة السومرية نحو الحضارة الديمقراطية، ط٢، (بغداد، ب.مط، ٢٠٠٣)، ج١.
❖ ايمار، أندريه وأوبوايه، جانين، الشرق واليونان القديمة، ترجمة: فريد م. داغر وفؤاد ج. أبو ريحان، ط١،(بيروت: منشورات عويدات، ١٩٦٤).
❖ باسيم، وآخرون، معجم اللاهوت الكتابي، ط٢، (بيروت: دار المشرق، ١٩٨٦).
❖ باقر، طه، مقدمه في تاريخ الحضارات القديمة، ط٢، (بغداد: دار المعلمين العالية، ١٩٥٦)، ج٢،
❖ برستد، جيمس هنري، انتصار الحضارة تاريخ الشرق القديم، ترجمة: الدكتور احمد فخري، (القاهرة، مكتبة الانجلو مصرية، ١٩٥٥).
❖ بروكلمان، كارل، فقه اللغات السامية، ترجمة: رمضان عبد التواب،(الرياض، مطبوعات جامعة الرياض، ١٩٧٧).
❖ بصمجي، فرج، كنوز المتحف العراقي، (بغداد: وزارة الأعلام، ١٩٧٢).
❖ بفن، أدون، أرض النهرين، ترجمة: الأب انستاس ماري الكرملي، والأب لويس مريس الكرملي، (بغداد: مطبعة المعارف، ١٩٦١).
❖ بندكتي، روبير، التراث الإنساني في التراث الكتابي إشكالية الأساطير الشرقية القديمة في العهد القديم، ط٢، (بيروت: دار المشرق، ١٩٩٠).
❖ بهيم، محمد جميل، المرأة في التاريخ والشرائع، (بيروت، ب مط، ١٩٢١).
❖ بوتيرو، جان، الديانة عند البابليين، ترجمة وليد الجادر، (بغداد:ب.مط، ١٩٧٠)
❖ بورتر، هارفي، موسوعة مختصر التاريخ القديم، ط١،(القاهرة: مكتبة مدبولي،١٩٩١).
❖ الترمانيني، عبد السلام، الزواج عند العرب في الجاهلية والإسلام دراسة مقارنة، (الكويت، عالم المعرفة، ١٩٨٤).
❖ تومبسون، توماس ل، التاريخ القديم للشعب الإسرائيلي، ترجمة صالح علي سوداح، ط١،(بيروت: بيسان، ١٩٩٥).

❖ تومبسون، توماس ل، والجيوسي، سلمى الخضراء، القدس أورشليم العصور القديمة بين التوراة والتاريخ، ترجمة: فراس السواح، ط١، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٣).
❖ تيودور، اللغات السامية، ترجمة: رمضان عبد التواب، (القاهرة: مكتبة دار النهضة العربية، ١٩٦٣).
❖ جدوع، محمد، كنعانيا بين الأسفار التوراتية والسرديات الصهيونية، ط١، (دمشق: دار كيون للطباعة والنشر، ٢٠٠٩).
❖ جرجس، صبري، التراث اليهودي الصهيوني والفكر الفرويدي أضواء على الأصول الصهيونية لفكر سجمند فرويد، ط١،(القاهرة: عالم الكتب، ١٩٧٠).
❖ جماعة من علماء الآثار السوفيت، العراق القديم دراسة تحليلية لأحواله الاقتصادية والاجتماعية، ترجمة: سليم طه التكريتي، ط٢،(بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٨٦).
❖ حاطوم, نور الدين وآخرون، موجز تاريخ الحضارة، (دمشق، ب.مط، ١٩٦٤)، ج١.
❖ حتي، فيليب، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، ترجمة: جورج حداد وعبد الكريم رافق، ط٢، (بيروت: مؤسسة فرنكلين للطباعة والنشر، ١٩٥٨).
❖ حداد، مهنا يوسف، الرؤية العربية لليهودية، ط١،(الكويت: دار ذات السلاسل، ١٩٨٩)،
❖ الحسن، إحسان محمد والعطية، فوزية، الطبقية الاجتماعية، (الموصل: مطبعة الجامعة، ١٩٨٣).
❖ الحسن، إحسان محمد، العائلة والقرابة والزواج، ط٢،(بيروت: دار الطليعة للطباعة، ١٩٨٥).
❖ حسن، سليم، مصر القديمة، (القاهرة: مطبعة دار الكتب المصرية، ١٩٥٠)، ج٧.

❖ الحلو، عبد الله، سوريا القديمة التاريخ العام من أقدم الأزمنة المعروفة حتى أوائل العصر البيزنطي، ط١، (دمشق: ألف باء- الأديب، ٢٠٠٤)، ج١.
❖ حنون، نائل، عقائد ما بعد الموت في حضارة بلاد وادي الرافدين القديمة، ط٢، (بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٨٦).
❖ الخشاب، عبد المحسن، تاريخ اليهود القديم في مصر، ط١،(الاسكندرية، مكتبة مدبولي، ١٩٨٩).
❖ خمار، قسطنطين، موسوعة فلسطين الجغرافية، ط١،(بيروت: منظمة التحرير الفلسطينية، ١٩٦٩).
❖ خياط، محمد وحيد، قراءات في التوراة على ضوء المكتشفات الأثرية الحديثة، (دمشق، مطبعة العجلوني، ١٩٨٧).
❖ دانيال، كلين، موسوعة علم الآثار، ترجمة: ليون يوسف، ط١، (بغداد: دائرة الإعلام – سلسلة المأمون، ١٩٩٠)، ج١.
❖ داود، أحمد يوسف، الميراث العظيم، ط١،(دمشق، ب.مط،١٩٩١).
❖ الدباغ، تقي، مقدمة في علم الآثار، (بغداد: دار الحرية للطباعة،١٩٨١).
❖ الدباغ، مصطفى مراد، بلادنا فلسطين، ط١، (بيروت: دار الطليعة، ١٩٧٨).
❖ الدبس، المطران يوسف، تاريخ سورية الدنيوي والديني،(بيروت: دار نظير عبود، ١٩٩٤)، ج١،ج٢.
❖ دروزة، محمد عزة، تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم ،(الفجَّالة: مكتبة نهضة مصر، ١٩٥٨).
❖ الدليمي، حامد حمزة حمد، فلسفة التاريخ والحضارة، (واسط، دار الطيف، ٢٠٠٤).
❖ الدملوجي، فاروق، تاريخ الآلهة- في الديانة العبرية،(بغداد، مطبعة المعارف،١٩٥٠)، ج٣.
❖ الدوري، رياض عبد الرحمن أمين، آشور بانيبال سيرته ومنجزاته، ط١، (بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، ٢٠٠١).

❖ دوسو، رنيه، الديانات السورية القديمة: ديانات الحيثيين والحوريين والفينيقيين والسوريين (الآراميين) ترجمة: موسى ديب الخوري، ط١،(دمشق، الأبجدية للنشر، ١٩٩٦).
❖ دي بورج، و.ج، تراث العالم القديم، ترجمة: زكي سوس، (القاهرة: دار الكرنك، ١٩٦٥) ج١.
❖ دي بويس، ج، مستقبل الحضارة، ترجمة: لمعي المطيعي، (القاهرة: دار الكرنك، ١٩٥٣).
❖ ديورانت، ول، قصة الحضارة، ترجمة: زكي نجيب محمود ومحمد بدران، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠١)، مج١.
❖ راشد، سيد فرج، السامريون واليهود، (الرياض: دار المريخ، ١٩٨٧).
❖ الربيعي، فاضل، الشيطان والعرش رحلة النبي سليمان إلى اليمن، ط١،(بيروت: رياض الريس للطباعة والنشر، ١٩٩٦).
❖ رشتي، جيهان أحمد، الدعاية واستخدام الراديو في الحرب النفسية، (بيروت: دار الفكر العربي، ١٩٨٥).
❖ رشيد، فوزي، الشرائع العراقية القديمة، ط٣، (بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٨٧).
❖ ـــ، الملك حمورابي مجدد وحدة البلاد، ط١،(بغداد، دار الحرية للطباعة،١٩٩١).
❖ روبنسن. تيودور. ه، إسرائيل في ضوء التاريخ، تاريخ العالم، ترجمة عبد الحميد يونس، (القاهرة: النهضة المصرية، ب.ت)، مج٢.
❖ الرويح، صالح حسين، العبيد في العراق القديم، (بغداد: مطبعة اوفسيت الميناء، ١٩٧٧).
❖ زايد، عبد الحميد، القدس الخالدة ، (القاهرة، ب.مط، ١٩٧٤).
❖ ــ، مصر الخالدة، (القاهرة: دار النهضة، ١٩٦٦).
❖ زرار، ملكة يوسف، موسوعة الزواج والعلاقة الزوجية في الإسلام والشرائع الأخرى المقارنة، ط١، (القاهرة: دار الفتح للأعلام العربي، ٢٠٠٠)، ج١.

❖ الزغبي، فتحي محمد، القرابين البشرية والذبائح التلمودية عند الوثنيين واليهود، ط١، (طنطا: مطبعة عباشي، ١٩٩٠).
❖ زلوم، حمودة، الشخصية اليهودية في الأدب الفلسطيني الحديث، (الأردن: مكتبة الجامعة الأردنية، ١٩٨٢).
❖ س. بريوشينكين، أسرار الفيزياء الفلكية والميثولوجيا القديمة، ترجمة: حسان ميخائيل اسحق، ط٢(دمشق: دار علاء الدين، ٢٠٠٧).
❖ ستافنهاغن، رودولفو، الطبقات الاجتماعية في المجتمعات الزراعية، ترجمة: ناجي أبو خليل، ط١، (بيروت: دار الحقيقة، ١٩٧٢).
❖ سرور، محمد شكري، نظام الزواج في الشرائع اليهودية والمسيحية، (القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٧٩).
❖ السعد، جودت، أوهام التاريخ اليهودي، ط١، (عمان: الأهلية للنشر والتوزيع، ١٩٩٨).
❖ السعدي، غازي، الأعياد والمناسبات والطقوس لدى اليهود، ط١،(عمان: دار الجيل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية، ١٩٩٤).
❖ سعفان، كامل، اليهود تاريخ وعقيدة، ط٢،(القاهرة: دار الاعتصام، ١٩٨٨).
❖ سعيد، حبيب، أديان العالم، (القاهرة: دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية، ب. ت).
❖ سلوى، دروس في اللغة العبرية القديمة، من خلال نصوص التوراة، (تونس: مركز النشر الجامعي، ٢٠٠٤).
❖ سليمان، عامر وآخرون ، المعجم الأكدي، (بغداد، ب.مط،١٩٩٩).
❖ سليمان، عامر، العراق في التاريخ القديم موجز التاريخ السياسي، (الموصل: دار الكتب للطباعة والنشر، ١٩٩٢).
❖ ـــ، القانون في العراق القديم، دراسة تاريخية قانونية مقارنة، ط٢،(بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٨٧).

❖ سليمان، عامر، والفتيان، أحمد مالك، محاضرات في التاريخ القديم، (الموصل، مطبعة جامعة الموصل، ١٩٧٧).
❖ سنقرط، داود عبد العفو، أبناء يهوذا في الخفاء جذور الفكر اليهودي، ط١،(عمان: دار الفرقان، ١٩٨٣).
❖ السواح، فراس، آرام دمشق وإسرائيل في التاريخ والتاريخ التوراتي، ط١، (دمشق: دار علاء الدين، ١٩٩٥).
❖ ـــ، الأسطورة والمعنى دراسات في الميثولوجيا والديانات الشرقية، ط١،(دمشق: ب مط، ١٩٩٧).
❖ ـــ، الحدث التوراتي والشرق الأدنى القديم، ط٤،(دمشق: دار علاء الدين، ٢٠٠٠).
❖ سوسة، أحمد، مفصل العرب واليهود في التاريخ، ط٥، (بغداد، ب.مط، ١٩٨٥).
❖ ـــ، ملامح من التاريخ القديم ليهود العراق ، ط١،(بغداد: مركز الدراسات الفلسطينية، ١٩٨٧).
❖ السيد جوهر، هاني عبد العزيز، اليهود في فلسطين في العصرين البطلمي والسلوقي، (القاهرة: جامعة عين شمس، ب ت).
❖ سيغال، ل، تطور المجتمع منذ بدء التاريخ، (بغداد، ب.مط، ١٩٥٩).
❖ الشامي، رشاد، الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية، (القاهرة: كتاب الهلال، ٢٠٠٢).
❖ ـــ،اليهود واليهودية في العصور القديمة بين وهم الكيان السياسي وأبدية الشتات، ط١، (القاهرة: المكتب المصري، ٢٠٠١).
❖ شتيوي، محمد شلبي، التوراة دراسة وتحليل، ط١، (الكويت: مكتبة الفلاح، ١٩٨٤).

❖ شركة ماستر ميديا، التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، ط٢،(القاهرة: ١٩٩٨).

❖ شقير، نعوم بك، تاريخ سينا القديم والحديث وجغرافيتها، (مصر: مطبعة المعارف، ١٩١٦).
❖ شنودة، زكي، موسوعة تاريخ الأقباط والمسيحية، (القاهرة: دار الكرنك،١٩٦٤)، ج٢.
❖ ـــ،اليهود نشأتهم وعقيدتهم ومجتمعهم من واقع نصوص التوراة كتابهم المقدس، ط١،(القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٧٤)، ج١.
❖ الشيخ، رأفت، تفسير مسار التاريخ نظريات في فلسفة التاريخ،(القاهرة: عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ٢٠٠٠).
❖ الصليبي، كمال، التوراة جاءت من جزيرة العرب، ترجمة: عفيف الرزاز، ط٢، (بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية، ١٩٨٦) .
❖ ــ، خفايا التوراة وأسرار شعب إسرائيل، ط٤،(بيروت، ب.مط، ١٩٩٨).
❖ الصوري، أبو الحسن اسحق والسقا، أحمد حجازي، التوراة السامرية – النص الكامل للتوراة السامرية باللغة العربية مع مقدمة تحليلية ودراسة مقارنة بين التوراة السامرية والتوراة العبرانية، ط١، (القاهرة: دار الأنصار، ١٩٧٨).
❖ طعيمة، صابر، التاريخ اليهودي العام، ط١،(بيروت: دار الجيل، ١٩٧٥) ج١.
❖ ـــ، التراث الإسرائيلي في العهد القديم وموقف القرآن منه،(بيروت: دار الجيل، ١٩٧٩).
❖ طويلة، عبد الوهاب عبد السلام، مغالطات اليهود وردها من واقع أسفارهم،(دمشق: دار القلم، ٢٠٠٥).
❖ ظاظا، حسن، الساميون ولغاتهم تعريف بالقرابات اللغوية والحضارية للعرب، (الإسكندرية: دار المعارف،١٩٧١).
❖ ـــ، الفكر الديني الإسرائيلي أطواره ومذاهبه،(الإسكندرية: معهد البحوث والدراسات الفلسطينية، ١٩٧١).
❖ عارف باشا العارف، تاريخ القدس، (مصر: دار المعارف، ١٩٥١).

❖ عبد العليم، مصطفى كمال وراشد، سيد فرج، اليهود في العالم القديم، ط١،(بيروت: الدار الشامية، ١٩٩٥).
❖ عبد القادر، حامد، الأمم السامية مصادر تاريخها وحضارتها، (القاهرة: دار النهضة،١٩٨١).
❖ عبودي، هنري.س، معجم الحضارات السامية، ط١،(لبنان: جروس برس، ١٩٨٨).
❖ عبيد، منصور الرفاعي، المرأة ماضيها وحاضرها، ط١،(بيروت: أوراق شرقية للطباعة والنشر،٢٠٠٠).
❖ عثمان، احمد، تاريخ اليهود، ط٢،(القاهرة: مكتبة الشروق، ٢٠٠٢) ج١.
❖ ـــ، مخطوطات البحر الميت، ط١،(القاهرة: مكتبة الشروق، ١٩٩٦).
❖ عرابي، رجا عبد الحميد، سفر التاريخ اليهودي، ط٣، (دمشق: دار الأوائل، ٢٠٠٩).
❖ عرنوق، مفيد، التوراة والتراث السوري، ط٢، (بيروت: دار النضال للطباعة والنشر، ١٩٨٧).
❖ عزيز، كارم محمود، أساطير التوراة الكبرى وتراث الشرق الأدنى القديم، ط١،(سورية: دار الحصاد، ١٩٩٩).
❖ عصفور، محمد أبو المحاسن، معالم حضارات الشرق الأدنى القديم، (بيروت: دار النهضة العربية، ١٩٨٧).
❖ العقاد، عباس محمود، حياة المسيح، (القاهرة، ب.مط، ١٩٦٨) .
❖ العقيلي، محمد أرشيد، اليهود في شبه الجزيرة العربية، (عمان، ب مط، ١٩٨٠).
❖ علوية، نعيم، الاختلاج اللساني سيمياء التخطيط النفسي، ط١،(بيروت: المركز الثقافي العربي، ١٩٩٢).
❖ علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط٢،(بغداد، ب.مط، ١٩٩٣)، ج٦.

❖ علي، فؤاد حسنين، إسرائيل عبر التاريخ، (القاهرة: دار النهضة العربية، ١٩٧٨)، ج١.
❖ ـــ، التوراة الهيروغليفية، (القاهرة: دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، ب.ت).
❖ ـــ، اليهودية واليهودية المسيحية، (القاهرة: معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٦٨).
❖ علي، فاضل عبد الواحد، من ألواح سومر إلى التوراة، ط١، (بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٨٩).
❖ عيد، أحمد، جغرافية التوراة في جزيرة الفراعنة، ط١، (القاهرة: مركز المحروسة، ١٩٩٦).
❖ غربال، محمد شفيق، الموسوعة العربية الميسرة، (القاهرة، ب مط، ١٩٦٥).
❖ غربية، عز الدين، فلسطين تاريخها وحضارتها، (بغداد: إتحاد المؤرخين العرب، ١٩٨١).
❖ غنيمة، يوسف رزق الله، تجارة العراق قديماً وحديثاً، ط١،(بغداد، ب مط، ١٩٢٢).
❖ ـــ، نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق، (بغداد: مطبعة الفرات، ١٩٢٤).
❖ ف. دياكوف. وس. كوفاليفن، الحضارات القديمة، ترجمة: نسيم واكيم اليازجي، ط١،(دمشق: دار علاء الدين، ٢٠٠٠)، ج١.
❖ الفاخوري، حنا، تاريخ الأدب العربي، ط٣، (بيروت: المطبعة البوليسية، ١٩٦٠).
❖ فاضل، عبد الحق، تاريخهم من لغتهم، ط١، (بغداد: دار الحرية للطباعة، ١٩٧٧).
❖ فرانكفورت، هنري وآخرون، ما قبل الفلسفة، ترجمة: جبرا إبراهيم جبرا، (بغداد: دار مكتبة الحياة، ١٩٦٠).
❖ فرويد، سيجموند، اليهودية في ضوء التحليل النفسي موسى والتوحيد، ترجمة: عبد المنعم الحفني، (القاهرة: مطبعة الدار المصرية، ١٩٧٢).

❖ فريزر، جيمس، الفولكلور في العهد القديم، ترجمة: نبيلة إبراهيم، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٤)، ج١، ج٢.
❖ فنكلشتاين، إسرائيل ونيل إشر سيلبرمان، التوراة اليهودية مكشوفة على حقيقتها، ترجمة: سعد رستم،(دمشق: صفحات للدراسات والنشر، ب.ت)
❖ فهمي، مصطفى، أمراض الكلام ، ط٤، (القاهرة: دار مصر للطباعة، ١٩٧٥).
❖ فيرم، غيزا، النصوص الكاملة لمخطوطات البحر الميت، ترجمة: سهيل زاكار، ط٤،(بيروت: دار قتيبة للطباعة والنشر، ٢٠٠٦).
❖ القمني، سيد، إسرائيل التوراة التاريخ التضليل، (القاهرة: دار القباء للطباعة والنشر، ١٩٩٨).
❖ كاسيدوفسكي، زينون، الواقع والأسطورة في التوراة، ط١،(دمشق: الأبجدية للنشر،١٩٩٠).
❖ كامل، مراد، الكتب التاريخية في العهد القديم، (القاهرة: معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٦٨).
❖ كانال، جان سوريه، وآخرون، حول نمط الإنتاج الآسيوي، ترجمة: جورج طرابيشي، ط٢،(بيروت: دارالطليعة، ١٩٧٨).
❖ كبة، إبراهيم، دراسات في تاريخ الاقتصاد والفكر الاقتصادي، ط٢،(بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، ٢٠٠٥)، ج٢.
❖ كونتينو، جورج، الحياة اليومية في بلاد بابل وآشور، ترجمة: سليم طه التكريتي وبرهان عبد التكريتي، ط٢، (بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٨٦).
❖ الكيالي، عبد الوهاب، تاريخ فلسطين الحديث، (بيروت، ب ت).
❖ لانجر، وليم، موسوعة تاريخ العالم، ترجمة: محمد مصطفى زيادة، ط٣، (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٢)، ج١.
❖ لنتون، رالف، شجرة الحضارة منذ فجر ما قبل التاريخ حتى بداية العصر الحديث، ترجمة: أحمد فخري، (ب مط، ب ت)، ج٢.

❖ لوبون، غوستاف، اليهود في تاريخ الحضارات الأولى، ترجمة: عادل زعيتر، (القاهرة، ب.مط، ١٩٧٠).
❖ ليون، أبراهام، المفهوم المادي للمسألة اليهودية، ترجمة: عماد نويهض، ط١،(بيروت: دار الطليعة، ١٩٦٩).
❖ مالمات، أبراهام وتدمور حاييم، العبرانيون وبنو إسرائيل في العصور القديمة بين الرواية التوراتية والاكتشافات الأثرية، ترجمة وتعليق: رشاد عبد الله الشامي، ط١، (القاهرة، مكتبة الإسكندرية، ٢٠٠١).
❖ ماير، ف. ب، حياة صموئيل النبي، ترجمة: القمص مرقص داود، ط٢، (القاهرة: مكتبة المحبة، ١٩٧٩).
❖ مبيض، يسر محمد سعيد، اليوم الآخر في الأديان السماوية والديانات القديمة، ط١، (الدوحة: دار الثقافة، ١٩٩٢).
❖ مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، (الهند، مطبعة كلكتا، ١٨١٧)، ج١.
❖ محسن، أحمد لفته، الوجيز في تاريخ اللغات الجزرية، ط١، (بغداد، ب.مط، ٢٠٠٩)
❖ محمد، حياة إبراهيم، نبوخذنصر الثاني ٦٠٤- ٥٦٢ ق.م.، (بغداد: المؤسسة العامة للآثار والتراث، ١٩٨٣).
❖ مزنر، فؤاد حسين، أطماع اليهود وأسفارهم، (بيروت: دار الكتب الثقافية، ١٩٨٩).
❖ المسيري، محمد عبد الوهاب، الجماعات الوظيفية اليهودية نموذج تفسيري جديد، ط٢، (القاهرة: دار الشروق، ٢٠٠٢).
❖ المسيري، محمد عبد الوهاب، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، ط١(بيروت، ١٩٩٥)، مج٣، مج٤، مج٥.
❖ مشرقي، مكرم، جمان من فضة معجم أعلام الكتاب المقدس، ط١،(أسيوط: مكتبة الإخوة، ٢٠٠٠).

❖ المعدلي، هند، الزواج في الشرائع السماوية والوضعية، ط١، (دمشق: دار قتيبة للطباعة والنشر، ٢٠٠٢).
❖ المعلوف، عيسى اسكندر، التجارة عند الأمم القديمة إلى عهد العرب، (سورية، ب مط، ١٩٢٩).
❖ معلوف، لويس، المنجد في اللغة، ط٣٥،(طهران: انتشارات إسلام، ١٩٩٦).
❖ المعموري، ناجح، أساطير الآلهة في بلاد الرافدين، ط١،(دمشق: المدى، ٢٠٠٦).
❖ مقار، القس الياس، نساء الكتاب المقدس، ط٢، (القاهرة، ب.مط، ١٩٨٦).
❖ مقار، شفيق، السحر في التوراة والعهد القديم، ط١،(لندن: رياض الريس،١٩٩٠).
❖ منّا، المطران يعقوب أوجين، قاموس كلداني- عربي، (بيروت: منشورات مركز بابل، ١٩٧٥).
❖ منى، زياد، بنو إسرائيل جغرافية الجذور، ط١، (دمشق: الأهالي للطباعة والنشر، ١٩٩٥).
❖ ـــ، جغرافية التوراة مصر وبنو إسرائيل في عسير، ط١، (لندن: رياض الريس، ١٩٩٤) .
❖ ـــ، مقدمة في تاريخ فلسطين القديم، ط١، (بيروت: بيسان، ٢٠٠٠).
❖ مهران، محمد بيومي، بنو إسرائيل، (الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٩) ج٤.
❖ ـــ، مصر والشرق الأدنى القديم، ط٤،(الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٨)، ج٣.
❖ موسكاتي، سبتينو وآخرون، مدخل إلى نحو اللغات السامية المقارن، ترجمة: مهدي المخزومي، وعبد الجبار المطلبي، ط١، (بيروت: عالم الكتب، ١٩٩٣).

❖ موسكاتي، سبتينو، الحضارات السامية القديمة، ترجمة: السيد يعقوب بكر، (القاهرة: دار الكتاب العربي، ١٩٥٧).
❖ الناصري، سيد أحمد، قضية التاريخ القديم، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، ١٩٧١).
❖ ناصف، عصام الدين حفني، اليهودية بين الأسطورة والحقيقة، (بيروت: دار المروج، ١٩٨٥).
❖ ــــ، محنة التوراة على أيدي اليهود، ط١، (القاهرة: الرسالة، ١٩٦٥).
❖ ناظم، سلوى، الترجمة السبعينية للعهد القديم بين الواقع والأسطورة، (القاهرة، ب مط، ب ت).
❖ النجفي، حسن، الشيقل أصله واستعمالاته في العراق القديم، (بغداد: مطبعة البنك المركزي العراقي، ١٩٨١).
❖ ــــ، معجم المصطلحات والأعلام في العراق القديم، ط١، (بغداد: دار آفاق عربية، ١٩٨٣)، ج٢.
❖ النحال، محمد سلامة، فلسطين أرض وتاريخ، ط١،(بيروت، ب.مط، ١٩٨١).
❖ نخبة من الاساتذة اللاهوتيين، قاموس الكتاب المقدس، إشراف: الدكتور بطرس عبد الملك، (بيروت: مكتبة المشعل، ١٩٨١).
❖ نخبة من الباحثين العراقيين، حضارة العراق، (بغداد، ب مط، ١٩٨٤)، ج٢.
❖ النوري، قيس، الحضارة والشخصية، (الموصل: مطبعة جامعة الموصل، ١٩٨١).
❖ هاوزر، أرنولد، الفن والمجتمع عبر التاريخ، ترجمة: فؤاد زكريا،(القاهرة: دار الكتاب العربي، ١٩٦٧)، ج١.
❖ هاوكس.ج وولي.ل، أضواء على العصر الحجري الحديث، ترجمة: يسرى عبد الرزاق الجوهري، (بيروت: دار المعارف، ١٩٦٧).

❖ الهراوي، عبد السميع، الصهيونية بين الدين والسياسة، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٧).
❖ همو، عبد المجيد، الفرق والمذاهب اليهودية منذ البدايات، ط١، (دمشق: الأوائل، ٢٠٠٤).
❖ الهواري، محمد، السبت والجمعة في اليهودية والإسلام، ط١، (القاهرة: دار الهاني للطباعة والنشر، ١٩٨٨).
❖ هودجز، هنري، التقنية في العالم القديم، ترجمة: رندة قاقيش، ط١،(عمان: الدار العربية، ١٩٨٨).
❖ هيكل، يوسف، فلسطين قبل وبعد، ط١، (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٧١).
❖ وافي، علي عبد الواحد، اليهودية واليهود بحث في ديانة اليهود وتاريخهم ونظامهم الاجتماعي والاقتصادي، ط١،(القاهرة: مكتبة غريب، ١٩٧٠).
❖ وجدي، محمد فريد، دائرة معارف القرن العشرين، (بيروت: دار الفكر، ب.ت)، مج١.
❖ ولفنسون، إسرائيل، تاريخ اللغات السامية، ط١،(القاهرة، ب.مط، ١٩٢٩).
❖ ويلز، هـ. ج، موجز تاريخ العالم، ترجمة: عبد العزيز توفيق جاويد، (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦٧).

ب- المجلات والدوريات

❖ الأحمد، سامي سعيد، نقد العهد القديم، مجلة المؤرخ العربي، ع ٢٢، (بغداد، ١٩٨٢).
❖ الأسود، حكمت بشير، حمورابي والتوراة، مجلة سومر، مج ٤٣، (بغداد، ١٩٨٤).
❖ سوسة، أحمد، اللغة العبرية وصلتها باليهودية، مجلة مركز الدراسات الفلسطينية، ع ٢١، (بغداد، ١٩٧٧).

❖ الصـمادي، طالـب عبـد الله، العوامـل الاقتصـادية خلـف السـيطرة الآشـورية الحديثـة فـي سـورية وفلسـطين، مجلـة رايـة مؤتـه، مـج٣، ع ٣، (عمـان، ١٩٩٧).
❖ علـي، فاضـل عبـد الواحـد، أناشـيد الـزواج المقـدس لتمـوز ونشـيد الانشـاد لسليمان، مجلة سومر، مج ٣٤، ج ١– ٢، (بغداد، ١٩٧٨).
❖ الفيومي إبراهيم حسين، صـورة الزوجـة فـي الحضـارات القديمـة ذات القوانين الوضعية، مجلة الآداب، ع ١٧، (عمان، ١٩٩٦).
❖ اليوسف، سـامي يوسـف، فلسـطين فـي التـاريخ القديم، نظـرة مـوجزة، سلسـلة مجلة كراس منارات، ع١، (عمان، ١٩٨٩).

ج– الرسائل والأطاريح الجامعية

❖ جـرجيس، طـلال جـورج عبـد النـور، القـدس فـي العصـور القديمـة دراسـة فـي تاريخهـا السياسـي والحضـاري ٣٠٠٠– ٦١٢ ق.م. (رسـالة ماجسـتير غيـر منشورة، جامعة بغداد، كلية الآداب، ٢٠٠٩).
❖ حبيب، طالـب منعم، سنحاريب سيرته ومنجزاتـه ٧٠٤– ٦٨١ ق.م. ،(رسـالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الآداب، ١٩٨٦).
❖ دويكات، نضال عباس جبر، قصة موسى عليه السلام مع فرعون بين القرآن والتوراة دراسـة مقارنـة، (رسالة ماجستير منشورة، جامعـة النجـاح الوطنيـة فـي نابلس/ فلسطين، كلية الدراسات العليا، ٢٠٠٦).
❖ غزالة، هدى حياوي عبد الكريم، الدولة البابلية الحديثة والدور التاريخي للملك نبونئيـد فـي حضـارتها، (رسـالة ماجسـتير غيـر منشـورة، جامعـة بغـداد، كليـة الآداب، ١٩٨٩).
❖ الفتيـان، احمـد مالـك، نظـام الحكـم فـي العصـر الآشـوري الحـديث، (أطروحـة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الآداب، ١٩٩١).

❖ فرحان، وليد محمد صالح، العلاقات السياسية للدولة الآشورية، (رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الآداب، ١٩٧٦).
❖ كاظم، سلامة حسين، مفهوم النبوة في الديانات الثلاث، اليهودية، المسيحية، الاسلام، (رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، كلية اللغات، ١٩٩١).
❖ الكبيسي، صباح حمدان كلبوش، العقيدة اليهودية وأثرها في الأدب العبري الحديث،(رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، كلية اللغات، ١٩٩٩).
❖ مروان نجاح مهدي، ماري المدينة والدولة دراسة في الأحوال السياسية والحضارية (٢٠٠٢- ١٥٩٤ ق.م.)، (رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الآداب، ٢٠٠٩).

المصادر العبرية (המקורות העברית)

❖ זאב, בארי, החיים בארץ ישראל בתקופת המקרא, (ירושלים, 1983).
❖ דב, רוזנר, המואבים ויחסיהם עם מלכויות ישראל ויהודה מבחינה צבאית, מדינית, ותרבותית , (ירושלים, 1973).
❖ פרופ' דוד איילון, פרופ' פסח שנער, מלון ערבי- עברי ללשון הערבית החדשה, (ירושלים, 1984).
❖ ברגמן, יהודה, הפולקלור היחודי, ידיעת עם ישראל, אמונותיו, תכונותיו ומנהגיו העממיים מהדורת שניה, (ירושלים, 1961).
❖ קוגמן, י.. מילון עברי – ערבי, (ניו- יורק, 1970).
❖ שגיב , דוד, מלון עברי-ערבי לשפה העברית בת-זמננו, (ירושלים 1961), כרך, א, ב , ג, ד.
❖ פרס, ישעיהו, ארץ – ישראל אנציקלופדיה מופוגרפית – היסמורית כרך ראשון, (ירושלים, 1951).
❖ אנציקלופדיה העברית, כללית ·יהודית · ארץ ישראלית, (ירושלים ותל – אביב, 1974) כרך שמיני .

❖ מינקוביץ, מאיר, הבעיה מי הוא יהודי, (ניו- יורק, 1975).
❖ דר יום טוב לויסקי אנצקלופדיה של הווי ומסורת ביהדות, הוצאת דבר, (תל אביב , 1970) כ,א.
❖ מלמט, אברהם, (מלחמות ישראל ואשור), מאמר בספר הסטוריה צבאית של ארץ ישראל ויהודה בימי המקרא, בעריכת יעקב ליוור, הוצאת צבא הגנה לישראל, (תל- אביב, 1964).

المصادر الإنكليزية

❖ Albert M. Craig, The Heritage of World civilizations, (New York, 1976).
❖ Albright, William Foxwell, Archaeology and the Religion of Israel, (London, 1956).
❖ Archaeology In the Middle east, (Boston, 2003).
❖ Blunt, A. W. F., Israel Before Christ an Account of Social and Religious Development in the old Testament,(London: Oxford University, 1924).
❖ Breasted, James Henry, Ancient Times A history of the Early World, (London, 1935).
❖ Snell, Daniel C., Flight and Freedom in the Ancient Near East, (Netherlands, 2001).
❖ _, Life in the Ancient Near East 31oo – 332 B.C.E., (New York, 1997).
❖ De Vaux, Roland, Ancient Israel its Life and Institutions, (New York , 1961).
❖ Drower,E. S., & R. A. Macuch, A Mandaic Dictionary, (Oxford, 1963).
❖ Dubnov ,Simon , History of the Jews from the Beginning to Early Christianity, (London, 1967), Vol.1.
❖ Encyclopedia International, (New York, 1964).Vol. 2.
❖ Epstein. Louis M., Marriage Laws in the Bible and the Talmud, JNES, (New York, 1942).

❖ Hall, H. R., The Ancient History of the Near East From the Earliest Times to the Battle of Salamis, (London, 1963).
❖ Lods, A., Israel From its Beginning to the middle of the Eight cent, (London , 1932) .
❖ Luckenbill, D. D., ARAB, (Chicago, 1926),Vol. II.
❖ Maly, Eugene, H., The World of David and Solomon, (London, 1952).
❖ Maspero, Goston, History of Egypt, (London, 1916), Vol. VIII.
❖ Olmstead, A. T., History of Assyria, (London, 1975).
❖ Pastor, jack, Land and Economy in Ancient Palestine, (London, 1997) .
❖ Rooke, Deborah W., Zadok's Heirs The Role and Development of the High Priesthood in Ancient Israel, (Oxford , 2000) .
❖ Saggs, H. W. F., The Encounter with the Divine in Mesopotamia and Israel , (London , 1978) .
❖ Sasson, Jack. M., Civilization of the Ancient Near East, (New York, 1996).
❖ Smith, payne, A Compendious Syriac Dictionary, (Oxford, 1979).
❖ Westbrook, Raymond, A history of Ancient Near Eastern Law, (Netherlands, 2003), Vol . II
❖ Encyclopedia Britannica, (U.S.A, 1966),Vol. 12.
❖ Grant Jones, R., Notes on the Septuagint, (Abriged, 2005).

المواقع الالكترونية (شبكة المعلومات الدولية- الإنترنت)

❖ http:// ar.wikipedia.org/wiki.
❖ http: // www. Elmessiri . com / Encyclopedia / Jewish.
❖ www.studylight.org/enc/isb/view.cgi?number=T6108.
❖ books.arabicbible.com/outlines/dictionary/qaf.htm.
❖ www.realtime.net/~wdoud/topics/moabites.html.
❖ http: // www. musem. upenn.edu / Canaan / index. html.
❖ http:// law.net/law/showthread.php.
❖ www.islamweb.net/ver2/fatwa/ShowFatwa.php.

- islamtoday.net/fatawa/mobile/mobques-60-193824.htm.
- www.lissaniat.net/viewtopic.php?t=1629&sid.
- http://www.askmoses.com/en/article/175,158/Why-do-many-religious-Jews.
- ar.wikipedia.org/wiki/-أعياد - يهودية.
- www.aawsat.com/details.asp.
- www.janatalashab.com/vb/showthread.
- www.kemiafriends.com/vb/showthread.
- www.almaten.info/forums/viewtopic.php?f=2&t.
- http:// blog.amin.org.
- http:// kotob.has.it (الموقع الالكتروني لدائرة المعارف الكتابية)

ABSTRACT

The Jewish people is one of the Semitic peoples; they were nomadic, traveling from one place to another in the Arabian Peninsula for water and pasture. At that era, they were known by the name ‘Hebrews’. Hebrews’ movements across that area had been influenced by many factors, economic (particularly their living conditions), religious, or political. Consequently, the land of Palestine, in different points of their history, stood as their dreamland, especially, after they had settled Palestine to them about those circumstances, an outlet at different periods of their history, the old, especially after they had settled there in the twelfth century BC, joining other Semitic peoples, Amorites, the Canaanites and Arameans.

All historians agree that Hebrews’ settlement in Palestine came after their exodus from Egypt, the event that had initiated their history. At that time, the first foundations of their community were laid down, religiously, ideologically, and socially characterizing the birth of a new entity; their community carried a blend of the social systems of the peoples they shared with the land of Palestine. Thus, the ancient Jewish community was a special community, as well different in terms of its nature, if compared to the ancient Near East societies, because it was subject to series of economic, political and cultural ups and downs across its historical junctions.

Out of the special nature of this topic, motivated by the lack of serious academic studies in this respect, and for the very fact that this topic is organically related to the researcher’s language specialization (Hebrew), he felt the need to fathom up the depths of this community.

The study falls into five chapters preceded by a preface and an introduction. In the introduction, an outline of the most recurrent problems faced by researchers of Hebrews' ancient history is made.

In three subsections, chapter I displays the historical background of Hebrews; section one digs into Palestine's name and geography; two tackles the region's demographic facet; and three discusses the emergence of Hebrews in Palestine and their penetration into this land.

Chapter II, moreover, highlights ancient Jewish society emergence era; it is sub-sectioned into three: the first debates the most important theories studying that society's origins and the beginning of its settlement in Palestine; the second depicts the early phases of its economic life, focusing on its major economic patterns, most important of which were the pastoral and agricultural activities; and the third traces the emergence of the governance and society management systems.

Then comes chapter III that would bring the reader to the development stage in the Jewish life at that time in terms of three respects: the first illustrates the evolution of governance system in that society with the emergence of the royal system (with Kings such as Shaul, David, Solomon) alternative to the tribal rule; the second shifts us to the economic development typically reflected in the Jewish trade and industry; and the third explains the class development by presenting the reader with the most important types of social classes at that time.

The fourth chapter would get the reader closest to the aspects of the Jewish society lives; it is also broken down into three sections: first, talking about the Jewish family and their legislative and legal systems, the second, giving a clear picture of their habits and traditions; while the third is interested in their religious life, through picturing their rituals and worship.

The final chapter pivots around the most important factors that led to the deterioration of the ancient Jewish society in terms of three factors, the political, the religious, and the economic.

The study is concluded with the following most significant results:

1- The study has approved that the most appropriate approach to the investigation of the history of the ancient Jewish society is a synthetic approach based on Holy books (Koran and Bible (the Old Testament)), & the archaeological discoveries.

2- According to the historical stage their studies tackling, researchers could use the names of the people under scrutiny (Hebrews, Israelites, Jews); at the same time they could use the superordinate term ‘Jews’ to generically refer to them since it is the name that is used all along their history.

3- The research finds out that the problem of the lack of precise dates for the events in the ancient Jewish history is still unsolved; consequently, the researcher finds himself obliged to present for the readers all the possibilities available in the sources he consulted, comparing them to maximally arrive at the potential results closer to the truth.

4- Being of outstanding geography, environment, and economy, the land of ancient Palestine had embraced various peoples and clans, Semitic and non-Semitic; in different points of time and for varieties of reasons, the Jewish people was one of those peoples that migrated to Palestine; the most significant migration occurred in the 12th century BC.

5- In terms of the modern archaeological research and through theologically-unbiased objective reading for the historical events, it has been proved that the Jews were not invasive groups, but groups came to the region through progressively peaceful penetration, integrating with the country's population, their predecessors in the settlement.

6- At the beginning of their entry into Palestine, the Jewish groups had settled in areas far away from the Canaanite city-states, upland regions almost empty of population.

7- The nomadic Jewish societies adopted an interdependent coexistence living style with the people of the Canaanite cities, and after a period of stability, they borrowed the craft of agriculture from the Canaanites, getting closer to the latter as to feel a type of ethnic affinity.

8- After settling in Palestine, Jews' economic life started entering the first stages of organization under the impact of several factors, including, environment, geography, and culture; these factors together produced two types of economies, pastoral in the south and agricultural in the north.

9- Jews' economic conditions and the associated means of production, most notably land and labor, are closely linked to their religion, and reflected in the nature of life in the old Jewish society, therefore, resulting in a set of canons and laws governing labor relations and land ownership.

10- A combination of factors contributed to the development of the Jewish society economically; most important of those factors was the geographical location of the ancient Palestine, and the interest of King Solomon in this aspect, especially commercial relations, and cultural contacts with Canaanites and Phoenicians.

11- The economic development in the lives of the ancient Jewish society led to the development of the caste system in that society, and the emergence of social classes, notably, the layer of rich priests, and the layer of the poor, common people.

12- The Jewish family lifestyle was similar to the Canaanite's in the majority of its physical manifestations because of the great civilizational impact of the Canaanites on the Jewish society.

13- Most of the rituals and worship in the religion of the ancient Jewish society belong back to the effects of ancient Egypt and Iraq, while others to the effects of Canaanite.

14- Across its ancient history, the Jewish society had considered the Prophet and priest as two spiritual powers sharing the religious, moral and political influence on it.

15- Priests played a major role in the identification and adaptation of the religious rituals in the Jewish community in a way that goes in line with their material interests; most of these rituals came disguised as sacrificial worship services, but in fact did go only in the service of priests and their worldly aspirations.

16- The never-ending old struggle between the prophets and priests through the stages of Jewish history had led to the failure of the Jewish political systems whose stability depended on the historical stage and the ruler thereat. Thus, the reason why the Jewish society was capable of holding itself on throughout history was not attributed to the political power, but lies in the heritage of this society in terms of religion, customs and traditions.

17- The political divide hitting the United Kingdom after King Solomon's death was one of the direct causes that led to the deterioration of the ancient Jewish society. This had manifested itself in the bad relations between the social classes that eventually led to conflicts marred the social system from the inside and weakened it.

18- Three factors worked together, leading to the deterioration of the ancient Jewish society; they were the political, religious, and economic factors

REPUBLIC OF IRAQ
MINISTERY OF HIGHER
EDUCATION AND SCIENTIFIC
RESEARCH
UNIVERSITY OF BAGHDAD
COLLEGE OF ARTS
DEPARTMENT OF HISTORY



The Jews in the Ancient Palestine of the first Millennium B.C. a Study of their Social Conditions

A Thesis Submitted by

Amar Hamza H. al- Greeb

**To the Council of College of Arts,
University of Baghdad In Partial Fulfillment of the
Requirements for the Ph.D Degree in Ancient History**

Supervised by

Prof. Ahmed M. al-Fityan (ph.D)

1431 A.H. Baghdad 2010 A.D.